الزرزور والغراب

پائير كوتلير

ترجمة: سعيد عياش



مدار

الزرزور والغراب

المؤلف: يائير كوتلير

ترجمة: سعيد عيّاش

كانون الأول ٢٠٠٢

يصدر عن:

المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية
The Palestinian Forum for Israeli Studies (MADAR)

رام الله - شارع يافا - تلفون: ٢٢٩٦٦٢٠١ ٢ (٩٧٠)
فاكس: ٢٢٩٦٦٢٠٥ ٢ (٩٧٠) - ص.ب ١٩٥٩

e-mail: madar@madarcenter.org

الإخراج والطباعة:

مؤسسة الأيام

رام الله - فلسطين
ص . ب: ١٩٨٧
هاتف: ٤/ ٢٢٩٨٧٣٤١ ٢ (٩٧٠) - فاكس: ٦/ ٢٢٩٨٧٣٤٢ ٢ (٩٧٠)
www.al-ayyam.com
E-mail:info@al-ayyam.com

تصميم الغلاف: حسني رضوان

المحتويات

دافيد بن غوريون، أول رئيس حكومة للدولة العبرية، قال عن أرئيل شارون في العام ١٩٥٨:

«لو أنه يتخلص من عيوبه في انعدام الصدق، ويبتعد عن الثرثرة والنميمة لكان قائداً عسكرياً يُقتدى به...».

*

اسحق رابين، رئيس حكومة مرتين، ووزير دفاع ثلاث مرات، قال عن شمعون بيريس:

«... اعتقدت أن بيريس غير ملائم لمنصب وزير الدفاع لأنه لم يخدم قط في الجيش الاسرائيلي.. اضطررت لقبوله في هذا المنصب على مضض.. وكان ذلك خطأً عرفت أنني سأندم عليه وسأضطر لدفع كامل الثمن ..».

(THE RABIN MEMORIES - ستيمتسكي صفحة ١٨٩)

*

موشيه شاريت، رئيس حكومة إسرائيل الثاني ووزير الخارجية، قال عن بيريس:

«إنني أرفض شمعون بيريس كل الرفض، وأرى في صعوده مصيبة أخلاقية جد ضارة. سوف أمزق ثيابي حزناً على الدولة إذا ما رأيته يتبوأ منصباً وزارياً في اسرائيل..».

(مذكرات شاريت - ٨ / ٩ / ١٩٥٧)

*

بنيامين زئيف بيغن قال عن شارون:

«أعتقد أن شارون غير جدير بالثقة»

(١١/٨/١٩٨٧)

تقديم

يشكل «الزرزور والغراب» استمراراً مباشراً لكتابي « المنتخب القومي» الذي صدر العام ١٩٨٨ عن «موردان» (ياردين) في جزأين (وجاء في ٨٤٢ صفحة) . يستعرض الكتاب عبر سرد كم كبير من الحيثيات التفصيلية حكومة الوحدة الوطنية (حكومة المناوبة التي عرفت أيضاً باسم «حكومة الرأسين») التي شكّلت في العام ١٩٨٤ واستمرت حتى نهاية العام ١٩٨٨ ، حيث ترأسها بالتناوب كل من شمعون بيريس (١٩٨٤-١٩٨٦) واسحق شامير (١٩٨٦-١٩٨٨) . وكان الثاني زعيم الليكود في ذلك الوقت (شامير) ، هو الذي وصل إلى الحكم عقب فوزه في الانتخابات ، لكنه وافق على تقاسم رئاسة الحكومة بالتناوب مع خصمه شمعون بيريس ، فقط من أجل إحلال الوئام الداخلي . غير أن بيريس « كافأ» شامير على كرمه ونُبله في العام ١٩٩٠ ، أثناء ولاية الحكومة الموسعة الثانية التي أقيمت بدون اتفاق مناوبة ، بـ«المناورة النتنة» التي لا تزال رائحتها الكريهة تفوح حتى اليوم .

وقد ضمت هذه الحكومة ٢٧ وزيراً لم يزيدوا إسرائيل شرفاً كبيراً ، ولم يشكلوا مصدر فخر واعتزاز لها . . فأفعال هؤلاء الوزراء ، الذين ما برح قسم منهم ، وعلى رأسهم أرئيل شارون وشمعون بيريس ، يلازمنا حتى اليوم ، لم تكن مثيرة للإعجاب والتقدير . كان البقاء في الحكم حافزهم الأساسي .

لقد سبق وأن أكدت قبل حوالي أربعة عشر عاماً أن الأغلبية الصامتة في إسرائيل ضاقت

ذرعاً بإخفاقات قادتها المستمرة منذ قيام الدولة.. هؤلاء القادة الذين وضعوا نصب أعينهم الاهتمام بأمنهم الاقتصادي وارتقائهم المهني والاجتماعي، أكثر من اهتمامهم وحرصهم على مصير الدولة (إسرائيل) وسكانها دافعي الضرائب الباهظة، الذين يتحملون سنة وراء أخرى عبء دفع رواتبهم دون أن يجنوا أو يروا أي مقابل حقيقي لقاء عطائهم. هؤلاء القادة يحتكرون اليوم لأنفسهم المنفعة والفوائد دون انقطاع أو خجل، وذلك بإيعاز المايسترو والناطق الصبياني باسمهم رئيس الكنيست ابرهام بورغ، المنساق وراء متع وملذات الحياة. الاستنتاج الذي تم التوصل إليه في العام ١٩٨٨، تمثل في أن أية حكومة وحدة وطنية في إسرائيل لن تكون سوى مجرد وصفة لجمود فكري وشلل تام، ولهدوء داخلي وهمي، وتقصيرات لا حصر لها. وها هي الحكاية نفسها تقريباً تعود وتتكرر في أوسع حكومة عرفها تاريخ إسرائيل القصير، الحكومة الحالية التي شكلها أرئيل شارون في شتاء العام ٢٠٠١ بعد فوزه الساحق على إيهود باراك، الذي ترأس حكومة ذات صبغة يسارية، خلّفت وراءها خراباً، وأوشكت على التسبب بحرب أهلية نتيجة لاقتراحات وتنازلات باراك المفرطة للفلسطينيين في كامب ديفيد، دون وجود غطاء سياسي، وفي غياب تمتع حكومته بالأغلبية اللازمة سواء في الكنيست (البرلمان) أو في صفوف الشعب. وقد ضمّت حكومة شارون ٤١ عضواً بين وزير ونائب وزير، ما يعد صفاقة لا يحتملها العقل أو المنطق في دولة تعاني من بطالة متفاقمة.

حكومة الثنائي (أو الرأسين) شارون – بيريس، قامت في شكل أساسي بسبب الانتفاضة الثانية التي اندلعت أواخر أيلول سبتمبر العام ٢٠٠٠. وعلى الرغم من أن هذه الحكومة لا تقوم على التناوب في رئاستها، إلاّ أن رئيس الوزراء شارون ووزير الخارجية شمعون بيريس يتقاسمان السلطة فعلياً من دون ألقاب، حيث يقوم كل منهما بشد الدفة إلى جهته محاولاً كبح جماح الآخر.

حالة المراوحة في المكان جلية للعيان. فحكومة شارون أقيمت أيضاً بمبادرة كل من شارون وبيريس، تماماً مثلما عملا معاً من أجل إقامة حكومة الوحدة في العام ١٩٨٤.. إنهما صديقان قديمان كحال الزرزور والغراب.. وليس صدفة أن: الطيور على أشكالها تقع!

إن حكومة شارون – بيريس، وبعد مرور أكثر من عام كامل على وجودها في السلطة، لا تستطيع الادعاء بتحقيق أية إنجازات تذكر على أي صعيد... فالانتفاضة ماضية قدماً وسط صعود وهبوط، والسلام أبعد من أي وقت مضى، والاقتصاد في تدهور وانحدار، والبطالة تسجل ارتفاعاً قياسياً، والدولار في «العلالي»، والفائدة في هبوط، والسياح يحجمون عن زيارة الديار المقدسة، والمجتمع الإسرائيلي في حالة انقسام وتفكك داخلي، والأغنياء يزيدون ثروة وغنى، بينما يزداد الفقراء فقراً.

يسرد كتاب «الزرزور والغراب» أهم الأحداث التي جرت في إسرائيل، وذلك حسب تسلسلها الزمني منذ نهاية فترة حكومة الوحدة السابقة (١٩٨٤-١٩٨٨) ولغاية يومنا هذا.

يضم الكتاب بين دفتيه مقابلات مميزة، خُصَّ بها الكتاب، مع جنرال متقاعد، قاد عمليات القضاء على الارهاب في غزة أوائل السبعينيات، حينما ترأس هذا الجنرال فرقة عسكرية شهيرة تابعة للجيش الإسرائيلي؛ ومقابلة مع المستشرق تسفي إل – بيلغ، الذي أصبح لديه تفكير ووجهة نظر مختلفين حول «عرب إسرائيل» والفلسطينيين بزعامة عرفات؛ ومع مسؤول أمني رفيع لم يرغب بالكشف عن اسمه؛ ومع أوري ميلشتاين، حاد (سليط) القلم واللسان، وكذلك مع العرّابة الكبرى لليسار الإسرائيلي شولاميت ألوني، التي من الجدير والمحبذ دوماً الاستماع إلى ما لديها من آراء ووجهات نظر، ذلك لأنها تثير وتشحذ دائماً التفكير والجدل.

الفصلان الشموليان المقسمان بالحدة اللذان كتبتهما عن شارون وبيريس في «المنتخب القومي»، حيث رسمت في هذين الفصلين صورة الرجلين على حقيقتها، يشكلان الخطوط العريضة التي ستبقى صالحة في كل زمان، وهما أيضاً جزء لا يتجزأ من كتاب «الزرزور والغراب» الذي يحتوي بين ثناياه على تفاصيل وحيثيات أخرى في سيرة الثنائي الحاكم (شارون – بيريس) وأساليب عملهما.

يائير كوتلر

تل أبيب – ربيع العام ٢٠٠٢

الجزء الأول

حكومات إسرائيل في شريط متحرك

(١٩٨٨-٢٠٠٢)

الطيور على أشكالها...

قيل: ليست صدفة أن الزرزور ذهب إلى الغراب، بل لأنه من نفس جنسه (من أقوال الحكماء). وبعبارة أخرى: إن الطيور على أشكالها تقع. فالخصوم لا يمكنهم أن يتواجدوا تحت سقف واحد.

ها نحن نجد اليوم رئيس الوزراء أرئيل شارون ووزير الخارجية شمعون بيريس، جنباً إلى جنب في حكومة الوحدة الوطنية التي تشكلت في شتاء العام ٢٠٠١ عقب الفوز الساحق الذي أحرزه شارون في انتخابات رئاسة الوزراء، حيث تغلّب على سلفه إيهود باراك بفارق أصوات كبيرة جداً. شارون وبيريس ليسا خصمين على الإطلاق، بل العكس هو الصحيح. فهذا الثنائي متشابه كما لو كانا توأمين سياميين. إذ يوجد انسجام كبير بينهما، وهما مرتبطان ببعضهما منذ عشرات السنين. وعندما يكونان وحدهما، على انفراد، تراهما في قمة الانسجام، علماً أن علاقتهما الوثيقة هذه شهدت حالات صعود وهبوط. وكانت العلاقة بينهما قد نشأت في عهد رئيس الوزراء ووزير الدفاع، الأول، دافيد بن غوريون، الذي يعتبر المثل الأعلى للثنائي (بيريس - شارون). هذا الثنائي يكمل أحدهما الآخر في كراهيتهما المتقدة لبنيامين (بيبي) نتنياهو، النجم اللامع الذي تولى رئاسة الوزراء بين ١٩٩٦ و١٩٩٩، والذي لا يزال يصبو ويتطلع للعودة إلى منصبه الرفيع. وهو (أي نتنياهو) يشكل تهديداً

لبقاء هذين العجوزين الهرمين في السلطة.

لا شك أن شارون وبيريس ممثلان حقيقيان في بازار السياسة الإسرائيلية الضحلة، التي لا مثيل لها في أية بقعة أخرى على وجه المعمورة.

يتغذى الزرزور على الحشرات والثمار، ولهذا فهو يتسبب بأضرار فادحة للكائنات الحية والنباتات على حدّ سواء. أما الغراب فهو طائر كبير وقوي، غذاؤه الأساسي لحوم الفطائس وسائر أنواع الكائنات الحية.

من هو يا ترى الزرزور ومن الغراب في حكومة إسرائيل التاسعة والعشرين المسماة «حكومة الوحدة الوطنية»؟.

لا يحتاج الأمر إلى جهد وعناء بغية حل هذا اللغز.. فكلا الرجلين يتصفان بالمكر والدهاء الشديد، وكلاهما نغّصا حياة رؤساء الحكومات الذين توليا مناصب وزارية في حكوماتهم.

*

بعد الانتخابات للكنيست الحادية عشرة التي جرت في أيلول / سبتمبر ١٩٨٤، تشكلت حكومة وحدة وطنية على أساس ثنائي، بالتناوب على رئاسة الحكومة، وهي توليفة ابتكرت في إسرائيل، في النصف الأول من مدة ولاية الكنيست تولى شمعون بيريس رئاسة الحكومة (١٩٨٤-١٩٨٦) وفي تشرين الأول/ اكتوبر ١٩٨٦، حل مكانه في المنصب اسحق شامير، حتى نهاية المدة (١٩٨٦-١٩٨٨). كان شارون وبيريس هما الوسيطان اللذان دفعا باتجاه إقامة تلك الحكومة المنقسمة على نفسها والتي أحيطت بغطاء سمي «وحدة وطنية»، انقضى منذ ذلك الوقت حوالي ١٨ عاماً، ولا يزال العجوزان اللذان لم تلن لهما قناة يلهثان وراء شهوتهما وجشعهما للسلطة، حيث عملا معاً مرة أخرى من أجل إقامة حكومة وحدة، ولكن هذه المرة دون مناوبة، حكومة يترأسها شارون وإلى جانبه بشكل لصيق شمعون بيريس كوزير للخارجية. نظرياً، شارون هو رئيس الحكومة، لكن من الوجهة العملية، نجد أن بيريس يتصرف كما لو كان رئيس حكومة. فهو بين الحين والآخر يضع «ڤيتو» على قرارات رئيس الوزراء والمجلس الوزاري (الكابنيت) كما لو كان قد انتخب لرئاسة الحكومة، وهو الذي لم ينتخب قط لهذا المنصب الرفيع، فقد كان هو الخاسر دائماً وأبداً. إنه يضع قيوداً على قرارات

الحكومة بغية الحد من قدرتها على العمل والتحرك بالنجاعة المطلوبة، ولا سيما حيال الإرهاب. وقد لوحظ مراراً أنه (أي بيريس) أيد قرارات معينة للحكومة، ثم ما لبث أن تراجع عن قراراته ومواقفه تحت ضغط زملائه الحمائم، أو ضغط وسائل الإعلام التي يبدي إصغاءً شديداً لها. وهكذا يظهر بيريس بطريقته الملتوية زعامته ودوره القيادي. من ذا الذي يتذكر اليوم أن شارون كان قد وصف بيريس، عقب اندلاع الانتفاضة الأولى، أواخر كانون الأول / ديسمبر ١٩٨٧ (حيث كان شارون في حينه وزيراً للتجارة والصناعة بينما كان بيريس وزيراً للخارجية وقائماً بأعمال رئيس الحكومة) بأنه «رجل خوّاف يجوب العالم ملحقاً الضرر، يحاول إثارة الذعر والفزع في شأن الموضوع الديمغرافي، ويعكس شعوراً بأن المكان الأكثر أمناً وأماناً في إسرائيل لا يتخطى شارع ابن - غبيرول...».

لم يتغير بيريس.. فهو لا يزال يتصرف في ظل الانتفاضة الثانية التي اندلعت أواخر أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٠، على جري أسلوبه المألوف. شارون كذلك لم يتغير، لكن كلا منهما يحتاج الآخر كما الهواء للتنفس والحياة. فالويل لكليهما إذا نفد الهواء، إذ سيصل بقاؤهما في الحكم والسلطة إلى مآله النهائي.

ولفينزون: بيريس انتهازي يستغل شارون

يعمل الدكتور أبرهام ولفينزون عميداً لكلية الثقافة اليهودية في جامعة حيفا، وسابقاً مديراً لمدرسة نشطاء الهستدروت في تل أبيب، ومحاضراً في قسم العلوم السياسية والفلسفة الاجتماعية في جامعة القدس (العبرية) فرع تل أبيب. وفي عهد حزب «رافي» كان «ولفينزون» الصديق المحبب والمقرّب لدافيد بن غوريون، الذي كان قد ابتعد عن شمعون بيريس. وقد تولى «ولفينزون» في الوقت ذاته تحرير صحيفة «مباط حداش» - (نظرة جديدة) لسان حال حزب «رافي»، كما عمل مديراً لشعبة الدراسات الاستراتيجية في وزارة الأمن (الدفاع).

ويعتبر د. ولفينزون شخصية مميزة أو استثنائية في المشهد الإسرائيلي البائس والمُحبِط، فقد مُنح سبع مرات، وهو أمر غير مسبوق، لقب المحاضر المتفوق في معهد «التخنيون»

بحيفا، حيث عمل محاضراً في الفلسفة، والديمقراطية والمجتمع.

في كتابي «المنتخب القومي» الذي رأى النور في صيف العام ١٩٨٨، يتحدث الدكتور ولفينزون بتوسع عن شخصية شمعون بيريس. فهو يعرفه على حقيقته دون مساحيق، ولا يهاب وصفه كما هو بلا مواربة أو مداهنة.

وبمرور السنوات، إزداد فضولي لمعرفة وسماع ما يقوله الأستاذ المطلع من حيفا عن رفيق دربه السابق في «رافي»، وعن الثنائي شارون - بيريس.

«شارون أكثر طيبة وصفاء من بيريس ولا يجوز أبداً المقارنة بينهما»، هذا ما قاله لي ولفينزون. وأضاف: لقد رَسّخ شارون زعامته في ظل غياب بيبي نتنياهو عن الساحة، وخاصة في أعقاب هزيمة الأخير القاسية أمام إيهود باراك. فقبل أن «يطبخ باراك طبخته» في كامب ديفيد، كان شارون وباراك قد أقاما تحالفاً خفياً فيما بينهما، لكنه في أعقاب الإطاحة بباراك من جانب «المتربصين»، حاييم رامون وأبرهام بورغ وشركائهما، أضحى بيريس المرشح الوحيد المحتمل، من طرف حزبه، للتحالف مع شارون.

واستطرد ولفينزون قائلاً، إن شمعون بيريس، الذي كان قد سعى إلى تنصيب يوسي بيلين (الـ«فودل») زعيما لليسار في إسرائيل (!) انتقل فجأة إلى خانة «الوسط» القومي، بل وأصبح على يمين هذا «الوسط»، وذلك فقط في سبيل تهيئة وتوليف نفسه للتحالف مع أرئيل شارون.

- ولكن ماذا فعل شارون؟

- ولفينزون: «تأقلم فوراً مع بيريس».

ويضيف الأستاذ ولفينزون مؤكداً، إن شارون ظل مخلصاً لرؤياه، حيث توصل مع ايهود باراك قبل أن يطيح به «المتربصون» إثر هزيمته في الانتخابات، إلى رؤية مشتركة تنص على سبيل المثال على معارضة تفكيك المستوطنات، ولكن عندما أقصي باراك أيضاً عن الترشيح لمنصب وزير الدفاع في حكومة شارون حل بيريس مكانه على الفور، وتعهد لشارون بتنفيذ كل ما كان باراك مستعداً وراغباً في القيام به، وكل ذلك حتى يتمكن بيريس من الالتحاق بشارون في اطار حكومة الوحدة الوطنية.

- هل يمكن أن يكون بيريس إنتهازياً ومتلوناً إلى هذا الحد؟! ألهذه الدرجة يغدو كل شيء مباحاً لديه في سبيل تحقيق مصالح شخصية، وفي سبيل البقاء في السلطة؟! «نعم» أجاب د. ولفينزون .. وأضاف: بيريس يتكيف دوماً كدأبه مع الرئيس الـ«بوس» الجديد، حيث سارع إلى تبني البرنامج الذي تم التوصل إليه بين شارون وباراك، إذ لا توجد لديه أية مشكلة في استبدال خطة أو برنامج سياسي.

* ولكن ما الذي جناه شارون من ذلك؟

- شارون (يقول ولفينزون) أوجد لنفسه ركيزة تكون بمثابة وزن مضاد للأحزاب الدينية، وهو ما يتيح له أيضاً - أي شارون - النجاح في المناورة والبقاء في السلطة.

* ما هو وجه الشبه، ووجه الخلاف بين شارون وبيريس؟

- ولفينزون: كلاهما معروفان بكونهما متآمرين كبيرين ضد رؤساء الحكومات التي عملا فيها. فقد مَثَّل شارون معارضة صريحة لرؤساء الوزراء: مناحيم بيغن واسحق شامير وبنيامين نتنياهو. وهو يتصرف على هذه الشاكلة أيضاً تجاه خصومه في الليكود، حيث يبدو كالذبابة المندفعة وجهاً لوجه نحو الأمام.

وبخلافه، فإن بيريس، الذي تآمر دوماً على رؤساء الحكومات التي عمل فيها، يُعدُّ دَسّاساً لا يكل ولا يمل، ولكنه يمارس ذلك بطرق خفية، «في ظهر الخصم»، من خلال سعاة أو وكلاء غير معروفين بينهم موظفون صغار «وماسحو جوخ» وصحافيون من المأجورين والمنافقين الذين يعملون في خدمته، كما أنه يقوم بنفسه أيضاً بهذا الدور، عن طريق الهمس واللمز، وتحت غطاء «مقربون للسيد بيريس يقولون أن ...».

فالسيد بيريس، حتى في ظل أفول نجمه وهذيانه الناتجين عن هرمه وكبر سنه، لا يفتقد إلى المتملقين والمنافقين الذين ينتظرون العطايا والمنافع.

وباستثناء دافيد بن غوريون - حيث لا تتوفر دلائل كافية على ذلك - فقد تآمر بيريس ضد رؤساء الوزراء موشيه شاريت وغولدا مائير وليفي أشكول واسحق رابين واسحق شامير وايهود باراك وأرئيل شارون.

ولكن حتى داڤيد بن غوريون، الذي يعد الأب الروحي لبيريس ومثله الأعلى، لم يسلم

وهو في آخر أيامه، بعدما انسحب من حزب «مباي» وتخلى عنه معظم رفاقه، ليبقى وحيداً مع آلامه وأنينه؛ لم يسلم من شر تآمر بيريس الذي سعى إلى إضعاف وتقويض مركز بن غوريون في سبيل عودته (أي بيريس) إلى أحضان حزبه الذي وعده بمنصب وزاري.. فقد تخلى بيريس عن «العجوز» تاركاً إياه وحيداً في عزلته داخل حركة عابرة كان «بن غوريون» قد أقامها تحت اسم «القائمة الرسمية» (في الكنيست السابعة - ١٩٦٩) - أنظر أيضاً الفصل الخاص بشمعون بيريس في نهاية الكتاب.

وللتذكير فقد تنحى بن غوريون عن رئاسة الحكومة في حزيران ١٩٦٣ تاركاً زمام القيادة في يد مساعده المخلص في ذلك الوقت، ليفي أشكول. غير أنه سرعان ما دبّ الخلاف بين «بن غوريون» وخليفته، ثم إشتد هذا الخلاف جراء «قضية (فضيحة) لڤون»، ما أفضى إلى انشقاق «مباي» وإلى تشكيل قائمة «رافي».

بعد تخلي بيريس عن معلمه «بن غوريون»، جرى في العام ١٩٦٩ ضمه (أي بيريس) إلى الحكومة في منصب وزير بلا حقيبة، - وهو العربون الذي حصل عليه بيريس من ليفي أشكول لقاء تخليه عن «بن غوريون» - وبالفعل فقد صار بيريس في الفترة الممتدة من العام ١٩٧٠ إلى العام ١٩٧٤ وزيراً للنقل والاتصالات.

ما هو يا ترى سر الكراهية الشديدة التي كان موشيه شاريت - ثاني رئيس حكومة في إسرائيل ووزير خارجيتها لسنوات طويلة - يكنها تجاه شمعون بيريس، للدرجة التي جعلته (شاريت) يكتب في مذكراته في العام ١٩٥٧ :

«إنني أرفض شمعون بيريس كل الرفض، وأرى في صعوده مصيبة أخلاقية جدّ ضارة. سوف أمزق ثوبي حزناً على الدولة إذا ما رأيته يتبوأ منصباً وزارياً في إسرائيل..».

لكن بيريس، هذا الرجل الذي لا يزال ممقوتاً ومكروهاً حتى اليوم في محافل واسعة جداً، إرتقى إلى منصب رئيس حكومة، رغم كل اخفاقاته وهزائمه في الحملات الانتخابية، حيث صار رئيساً للوزراء في فترة ١٩٨٤ - ١٩٨٦ (بالتناوب مع اسحق شامير) ووريثاً لرئيس الوزراء الراحل اسحق رابين عقب اغتياله (١٩٩٥ - ١٩٩٦).

لقد كتب الراحل موشيه شاريت بأنه سيعلن الحداد بمقتضى ما ورد في تعاليم التوراة :

تمزيق قطعة من الثياب . (« سأمزق قطعة من ثيابي حزناً على الدولة » على حدّ قوله) ، وهي تفوهات حادة لم يسبق لها مثيل في صدد أي مخلوق في إسرائيل (وربما في العالم قاطبة) .

كان « شاريت » في الثالثة والستين من عمره عندما كتب تلك العبارة في مذكراته (١٩٥٧) . وفي العام ١٩٦٥ توفي شاريت وهو في الحادية والسبعين من عمره ، بعد سيرة حافلة بالنشاط والعطاء السياسي والوطني استمرت منذ العام ١٩١٦ . أما « بيريس » فكان عمره في ذلك الوقت (سنة ١٩٥٧) ٣٤ عاماً فقط ، « طفل رضيع » بالمقارنة مع شيوخ وقدماء « مباي » . وكان « بن غوريون » قد عين بيريس قائماً بأعمال مدير عام وزارة الأمن (الدفاع) في العام ١٩٥٢ ، ثم أصبح منذ نهاية العام نفسه ولغاية العام ١٩٥٩ مديراً عاماً للوزارة ، بما في ذلك في عهد وزير الأمن بنحاس لفون ، الذي لم يستطع احتمال وجوده إلى جانبه . فكثيراً ما كان بيريس يتشاجر مع خليفة بن غوريون في وزارة الأمن ، ولا يتورع عن التشهير به بكل وسيلة ممكنة .

كوبي شاريت يتحدث عن أبيه

يتولى يعقوب (كوبي) شاريت ، نجل موشيه شاريت ، رئاسة جمعية لتخليد تراث والده الراحل . ويحاول « كوبي » الوصول إلى حل لغز أو كشف سر كراهية والده ، موشيه شاريت ، لشمعون بيريس .

« لم أتحدث مع والدي في هذا الخصوص وليس لدي ما أضيفه ولكنني أستطيع ايضاح بعض الأمور » قال لي « كوبي » وأضاف مؤكداً إن بيريس أوجد سياسة خارجية خاصة به من وراء ظهر وزير الخارجية (موشيه شاريت) وذلك عبر وزارة الأمن وبدعم من « بن غوريون » . وقد قام بيريس بشكل أساسي بانشاء علاقات خاصة مع فرنسا . وكانت وزارة الدفاع الفرنسية أيضاً قد مارست سياسة خارجية خاصة بها . هذا الوضع أتاح للوزارتين ، الاسرائيلية والفرنسية ، إقامة علاقات مستقلة فيما بينهما دون احاطة وزارتي خارجية البلدين أو رئيس الحكومة علماً بذلك . وكانت وزارة الدفاع الفرنسية في ذلك الوقت مرتعاً للصقور من عهد (حرب) الجزائر (الحرب الاستعمارية الفرنسية في الجزائر - المترجم) وكذلك لخريجي الـ

«رزيستنت» (المقاومة - العصيان) في فترة الحرب العالمية الثانية. وهكذا نشأ التعاون بين «وزارة خارجية شمعون بيريس»، بصفته مديراً عاماً لوزارة الأمن، ثم منذ أواخر العام ١٩٥٩، بصفته نائباً لوزير الأمن، وبين وزارة الدفاع الفرنسية وذلك ضد الثوار الجزائريين.

يقول كوبي شاريت : «ثمة أشياء كثيرة من تلك الفترة لا تزال طي الكتمان».

كان بيير زيلبر، سفير فرنسا لدى إسرائيل في الفترة بين ١٩٥٣ و١٩٦٠، بمثابة أداة طيعة في يد شمعون بيريس. وقد ساهم هذا السفير المتعاطف في توطيد العلاقات الخاصة بين اسرائيل وبلاده، تلك العلاقات التي تجلت أيضاً في صفقات مشتريات ضخمة وفي التعاون بين إسرائيل وفرنسا في المجال الذري.

ويضيف شاريت الابن : «لا ريب في أنه كانت هناك علاقات وطيدة بين بيريس وزيلبر ولا يمكن معرفة من منهما أثر على الثاني». ويؤكد شاريت أن المبادرة التي أفضت إلى حرب العام ١٩٥٦ (العدوان الثلاثي على مصر - المترجم) كانت فرنسية وليست اسرائيلية، ويقول : «كل طرف استغل الطرف الآخر».

وبحسب قوله، فقد قام «بن غوريون» بتشجيع ودفع بيريس لأنه (بن غوريون) كان يعلم جيداً ان نائب وزير الأمن (بيريس) يعمل من وراء ظهر وزير الخارجية موشيه شاريت (الذي لا يعتبر لطيفاً أو ودياً بشكل خاص، وهذا على أقل تقدير - ي. كوتلر). ويضيف شاريت الإبن قائلاً «لا شك في أنه كان لدى والدي أشياء وملاحظات على بيريس وأعماله أكثر مما دونه في مذكراته، لكننا لا نعرف ما الذي كان يعرفه حقا عن بيريس».

وكانت إسرائيل قد حصلت من فرنسا على الطائرات النفاثة الأولى في عهد موشيه شاريت الذي اجتمع في جنيف مع وزراء خارجية الدول الغربية، وكذلك مع وزير الخارجية السوفييتي. بعد ذلك تولت وزارة الأمن (الاسرائيلية) اخراج الصفقة إلى حيز التنفيذ. وهكذا أخذت تتوطد العلاقات الفرنسية - الاسرائيلية، ولكن موشيه شاريت (وزير الخارجية) كان «خارج الصورة .. وقد سعى الفرنسيون إلى ضرب مصر عبد الناصر بسوط إسرائيلي، في وقت كانت فيه سياسة شاريت تتعارض مع هذا التوجه «غير أن شمعون بيريس استجاب لهذه الرغبة مدعوماً بغطاء من بن غوريون، وتأييد رئيس هيئة الأركان العامة موشيه ديان».

ويقول شاريت الابن : إن الفرق بين موشيه شاريت وبين الثلاثي المتنفذ بن غوريون، ديان، بيريس، كان فرقاً شاسعاً، إذ أن شاريت أراد الحصول على كمية كافية من السلاح حتى يشكل رادعاً فقط إزاء هجمات قد تتعرض لها إسرائيل، غير أن الثلاثي المذكور سعى للحرب، وهذا ما يتطلب مزيداً من الأسلحة.

فقد ضغط ديان - حسب قول كوبي شاريت - باتجاه الحرب ساعياً إلى استكمال ما لم ينجح جيش الدفاع الإسرائيلي في تحقيقه في حرب الاستقلال (حرب العام ١٩٤٨). وقد كان ذلك ينطوي على تعارض مصالح جلي بين شاريت وبيريس. وعندما اتضح أن بيريس يلعب على وزارة الأمن، وأنه يدفع باتجاه تسريع الحرب، استشاط شاريت غضباً جراء ذلك.

من جهته، فإن كوبي شاريت لا يرفض بيريس كلياً، حيث يقول: «إن لدى بيريس أفكاراً خلاقة، بعضها سخيفة خرقاء، وبعضها الآخر برهن على جدواه، مثل إقامة الصناعات الجوية».

* مثل اقامة المفاعل النووي في ديمونا؟

- كوبي : «لقد نجح بيريس هنا في خطف الأضواء، أو سلب هذا الانجاز، من كل الذين فكروا بالمشروع وعملوا على تحقيقه وانجازه. وحيث أن هؤلاء لم يعودوا على قيد الحياة، فإن بيريس يستحوذ وحده على كل الطبق. فأين ذهب، على سبيل المثال، دور واسهام البروفيسور آرنست برغمان، الذي يعد أب القنبلة الذرية الاسرائيلية؟!».

* وماذا عن أوسلو؟

- كوبي : «هنا أيضاً يسرق بيريس لنفسه حق السبق من يوسي بيلين، لكن بيلين هذا قام أيضاً بتضليل بيريس حيث لم يقم باطلاعه على سر الاتصالات سوى عندما أصبحت الطريق ممهدة لتوقيع الاتفاق، وعندئذٍ فقط قاما (بيريس وبيلين) باطلاع رابين، الذي كان رئيساً للوزراء، على الأمر». وعندما سألتُ كوبي : لماذا لم يقم موشيه شاريت برد الصاع صاعين إزاء أعمال ومؤامرات بيريس ضده؟

أجاب كوبي قائلا: «كان شاريت مؤمناً بالنزاهة السياسية، وقد أغاظه ما جرى في وزارة الأمن من وراء ظهره. ولو كان شاريت قوياً في مركزه لكان قد استطاع أن يرد على بيريس

ويؤذيه بالمثل، لكنه لم تكن تتوفر لوالدي القوة اللازمة. لقد نبع ضعفه من وضعه الناجم عن الدعم والغطاء اللذين وفرهما بن غوريون لشمعون بيريس. ولقد اغتاظ شاريت من شيئين، الأول: ما يجري من خلف ظهره، وثانياً: افتقاده للقوة وللقدرة على مواجهة وصد المؤامرات التي تحاك ضده». وفي هذا الصدد كتب موشيه شاريت في مذكراته قائلاً: يجب اعتباري واحداً من ضحايا حملة سيناء (حرب ١٩٥٦)!

*

وبالعودة إلى الدكتور ولفينزون، فقد سألته: ما هو الشيء المشترك بين شارون وبيريس، والذي يتغلب على ما يفرق بينهما؟

فأجاب في لهجة تأكيد: إن لدى كل واحد من هذا الثنائي طموح جامح في أن يكون الرجل الأول. وعندما يكون أي منهما في موقع الرجل الثاني، تبدأ حينئذٍ المؤامرات ضد الرجل الأول الذي يتقدم عليهما. ويلاحظ أن هذه النزعة - الجنون الغريزي نحو تبوأ منصب رئيس الحكومة - تستبد بشمعون بيريس أكثر مما لدى شارون.

ويستطرد الأستاذ المطلع قائلاً: إن كلا الرجلين (شارون وبيريس) يصارعان دون كلل وبطرق ملتوية، غير سوية أو مقبولة، في سبيل امتلاك مزيد من القوة والنفوذ، لكنهما متفقان أو منسجمان في نظرتهما الأساسية المؤازرة للمؤسسة الأمنية برمتها. كذلك، فإن لكل منهما ميول نحو الولايات المتحدة الأميركية. وقد تعزز ميل بيريس باتجاه الولايات المتحدة بعد «مغامرته الغرامية» الطويلة مع فرنسا عشية حرب العام ١٩٥٦ وبعدها.

لقد ظل بيريس في جوهره فرانكوفونياً حتى النخاع، مفتوناً بسحر فرنسا، وأكثر ايمانا بأوروبا، وخصوصا فرنسا والمانيا، مقارنة مع شارون الذي لا يبدي تعاطفاً خاصاً مع أوروبا بحكم تعاطفها المبدئي مع الفلسطينيين و(ياسر) عرفات، والذين لا يتعارضون بالضرورة مع وجهات نظر بيريس.

ويحرص كلٌ من بيريس وشارون على تفادي أو كبح حصول توترات ومشاحنات مع الادارة الأميركية - راعية اسرائيل وولية نعمتها - وذلك بحكم الحاجة الدائمة للتزود بأسلحة أميركية متطورة، والمخاوف المتزايدة من تطوير أسلحة غير تقليدية في كل من ايران والعراق.

ويبدي هذان التوأمان السياميان - الزرزور والغراب - ضبطاً للنفس في سلوكهما السياسي - الأمني بعدما قطع كل منهما، بأسلوبه الخاص، وعوداً للرئيس الأميركي جورج دبليو بوش ولوزير الخارجية كولين باول. ويجمع شارون وبيريس قاسم مشترك في قضايا أمنية. وقد نال كلاهما رعاية من جانب داڤيد بن غوريون في المؤسسة الأمنية، الأول (شارون) كمحارب في الجيش الإسرائيلي، والثاني كمساعد لـ «بن غوريون» في وزارة الأمن. وفي الواقع فقد مرّ بيريس بتقلبات عدة في أعوام ١٩٧٤ / ١٩٧٧، كانت بمثابة تحولات حقيقية، إذ انقلب من كونه وزير دفاع متطرف، أيد «غوش ايمونيم» ونظرية «أرض اسرائيل الكبرى» - عندما كان صديقاً حميماً ومقرباً للشاعر الوطني المتطرف ناثان ألترمان (الذي توفي في العام ١٩٧٠ في تل أبيب) مؤسس «الحركة من أجل أرض اسرائيل الكاملة» - إلى حمامة سلام يعانق ويقبل في كل مناسبة «الارهابي» ياسر عرفات. كان بيريس صقراً متشدداً أكثر من رئيس الوزراء في ذلك الوقت، اسحق رابين، فقد ساهم في تشجيع الاستيطان في المناطق (الضفة الغربية وقطاع غزة) بهدف اكتساب قوة سياسية في ظل تراجع وانحسار مكانة رابين. وظل بيريس على مواقفه المتشددة حتى بعد توقيع اتفاق أوسلو في العام ١٩٩٣، إذ أكد معارضته لاقامة دولة فلسطينية.

وبمرور الوقت تحول بيريس، مجاراة للمودة والرياح التي تهب في وسائل الاعلام، إلى عنوان للسلام، ولكن خيالياً في الغالب. أما الموضوع الأمني لديه، فأخذت حدته تخف أكثر فأكثر. وقد شكل انعدام ثقته بهيئة الاستخبارات العسكرية - التي توقعت بشكل دقيق التطورات التي حدثت منذ اتفاق أوسلو - ضوءاً أحمر في هيئة الأركان العامة للجيش الاسرائيلي، فقد طالب بيريس ولا يزال يطالب بعدم ارباكه بالوقائع بعد بلورة وتحديد مواقفه ووجهات نظره.. ذلك هو أسلوبه الجديد، الانتهازي.

أما شارون فقد ظلت المسائل الأمنية قوية وراسخة لديه في جميع المناصب التي شغلها.

ووجد د. ولفينزون أشياء مشتركة أخرى بين شارون وبيريس، فكلاهما يتبنيان منطلقات «مباي» من حيث المفاهيم الأساسية تجاه قضايا المجتمع والاقتصاد والأمن. وكلاهما من أنصار ومؤيدي نهج بن غوريون، غير أن شارون بالذات ظل أكثر تمسكاً بنهج «العجوز» وخاصة في

مسائل من قبيل العمليات الثأرية، والمبادرة العسكرية الحازمة، والقبضة الحديدية تجاه «الارهابيين». على النقيض منه فإن بيريس يُهمل المسائل الأمنية أكثر فأكثر مُتحصنا في «السلام» الذي لا وجود له في واقع شرقنا الأوسط، الذي يراه بيريس «شرق أوسط جديد». ويضيف د. ولفينزون «في ظل الواقع اليومي المرير، لا يوجد أي رصيد على الأرض للسلام الذي بناه شمعون بيريس لنفسه».

ووجد ولفينزون، ويا للمفارقة العجيبة، أن بيريس غدا أكثر فأكثر أقرب إلى الراحل موشيه شاريت - ذلك السياسي المعتدل الذي سعى بطريقته إلى السلام مع البلدان العربية - الذي نغص بيريس حياته، وذلك من معقله في وزارة الأمن وفي كنف بن غوريون.

وهكذا، فإن بيريس ومنذ سنوات عديدة، يبتعد باستمرار عن التوجهات التي رسمها بن غوريون من قبيل «أوم شموم» [وتعني هاتان الكلمتان في تعريبهما «أمم متحدة مملة»] وهي عبارة شهيرة لـبن غوريون، تعد غير مقبولة لدى بيريس وهو «رجل العالم» الحائز على جائزة نوبل للسلام، فنّان الهروب من الواقع.

هناك موضوع مهم آخر يشكل قاسماً مشتركاً للعجوزين (شارون وبيريس)، وهو الخوف الشديد من بنيامين نتنياهو، الشاب اللبق، الذي تتوقع له جميع استطلاعات الرأي أن يعود ليحتل مجدداً مكتب رئيس الحكومة بعد انتهاء ولاية حكومة الرأسين الحالية.

وثمة ما يمكن أن نضيفه إلى التحليل الثاقب للدكتور ولفينزون حول ما يوحد ويفرق بين الرجلين، فبيريس وشارون على حدّ سواء يفتقدان إلى القدرة الخطابية، وغير واسعي الثقافة والاطلاع، ولا يمتلكان كاريزما قيادية، وهي الصفات الثلاث التي يجب توفرها في أي زعيم، في حين أنها تتوفر لمنافسهما وخصمهما اللدود بيبي نتنياهو. كذلك فإن كلا من بيريس وشارون يعيشان التناقضات والانقسامات داخل حزبيهما.

وفي ختام هذا الفصل من المقابلة، قال د. ولفينزون «ضقت ذرعاً بشمعون بيريس ولم أعد أطيقه.. لقد توقعت الأمور سلفاً. وأعتقد أنه يمكن استناداً لتجربة الماضي التنبؤ بالمستقبل. هذا هو الحال مع بيريس الذي صعد دوماً إلى أعلى المراتب بنفس الطريقة والأسلوب.. رجال الشرطة يشخصون المجرمين بناء على ماضيهم وأساليبهم، سيرة الحياة

العملية أو باللغة الانكليزية : The Rle of Career . لقد تحققت تكهناتي عن بيريس استناداً إلى ماضيه. وفي سلاح المدفعية يقيسون أيضاً حسب القذيفة الأولى، فالطريقة التي ارتقى فيها بيريس سلم المناصب من مرحلة إلى أخرى ودوسه على الناس، في سبيل الوصول تدل على ماهية هذا الرجل».

شولاميت ألوني : المذنب وماسح الذنوب

سألت شولاميت ألوني، ذات الامتيازات والانجازات : لماذا إلتحق شمعون بيريس بـأرئيل شارون .. هل ذهب الزرزور إلى الغراب؟!

ألوني تعرف هذين «النجمين» حق المعرفة، فهي تعرف بيريس منذ كانا أعضاء في مجموعة (ألوموت) في الأربعينيات، في حين تعرفت على شارون من خلال عضويتهما في البرلمان (الكنيست)، وكذلك خلال فترة خدمته العسكرية.

تقول «شولا» : «لقد ذهب شمعون إلى أريك بحكم المصالح المشتركة. ويحتاج أريك لبيريس ليؤمن له الشرعية في قضايا السلام والأمن، خاصة وأن بيريس بات رمزاً للسلام بعدما حصل على جائزة نوبل، وفي ضوء تصريحاته وحديثه عن شرق أوسط جديد، اضافة إلى اقامة مركز بيريس للسلام. إنه (بيريس) يوفر لشارون ورقة التين والغطاء».

* أوَ لهذا الحد؟

- ألوني : «بيريس يمثل أكبر مصيبة بالنسبة لنا، إنه يحاول تطهير الخطيئة بواسطة جائزة نوبل للسلام التي نالها».

* وما الذي يحصل عليه من أريك لقاء ذلك؟

- ألوني : «الجلوس على مقاعد الحكومة .. إنه يصر على المشاركة في الحكومة في الوقت الذي يقال له فيه إن مكانه في المعارضة، ولكنه يتخوف من ذلك ويقول : إنه سيجد نفسه حينئذٍ مضطراً لأن يلهث وراء كل صحافي حتى يعطيه بضعة سطور في الصفحة الأخيرة من صحيفته».

* وهل هذا يليق بوزير خارجية اسرائيل؟

- ألوني : «مثل هذا الرجل لا يستحق أن يكون عضواً في الكنيست أو وزيراً أو معارضاً. إنه لا يفقه ماهية العمل البرلماني. لقد كان على بيريس أن يدعو للسلام من مقاعد المعارضة وسط الافادة من علاقاته الدولية، لا أن يجلس إلى جانب شارون في الحكومة».

* ما هو الاستنتاج المترتب على ذلك؟

- ألوني: «كان يجب اجراء انتخابات عامة للكنيست بعد سقوط حكومة باراك، لكن بيريس رغب في الجلوس في الحكومة، لأنه ظن أنه لن يكون له تأثير في ظل وضع مختلف، بيد أن تأثيره كان تأثيراً هداماً بسبب الشرعية التي يوفرها لشارون».

وحول رأيها في شارون، تقول ألوني: «شارون أكثر تصميما وثباتاً من بيريس، لكنه كان ولا يزال قاتلاً، حاقداً على العرب، حتى عندما لعب دور شلوم تسيون (سلام صهيون)» (حركة أسسها شارون وخاض على رأسها الانتخابات البرلمانية للكنيست التاسعة، وحصلت الحركة على مقعدين ثم جرى حلها في العام ١٩٧٧ - ي. كوتلر).

* ربما كان شارون وبيريس يجدان لغة مشتركة، في ضوء حقيقة أن بيريس كان يعد خلال معظم سنوات حياته السياسية، من أشد الصقور تطرفاً، ومدافعاً متحمساً عن الاستيطان في يهودا والسامرة (الضفة الغربية)، حيث ساند اقامة مستوطنات «غوش ايمونيم» وخاض صراعات ضد اسحق رابين حول نهجه؟

- ألوني: «لقد مر بيريس بعدة تقلبات، كماحصل في موضوع الاستيطان في سبسطية (قرب نابلس - المترجم). فقد اتخذت الحكومة في جلسة عقدت في مقر وزارة الدفاع بتل أبيب، وكنت في ذلك الوقت وزيرة بلا حقيبة، قراراً بالاجماع باخلاء المستوطنين من سبسطية، غير أن شمعون بيريس الذي كان وزيراً للدفاع في حينه، وخلافاً للقرار، طالب بنقل المستوطنين إلى معسكر مؤقت. وهكذا راحت قضية المستوطنات تكبر وتتوالى».

[سبسطية - قرية قرب نابلس- في ٢٦ تموز ١٩٧٤ استولى مستوطنون من النواة المؤسسة لمستوطنة «ألون موريه» على أراضي القرية، وتمركز مئات من أنصار المستوطنين في محطة القطار التركية القديمة في سبسطية.. وبعد مرور ثلاثة أيام تم اخلاء جميع المتحصنين في المكان. وكان بين المؤيدين للاستيطان في سبسطية وزير الدفاع بيريس ومستشاره البروفيسور

يوڤال نئمان، واريئيل شارون الذي عمل في ذلك الوقت مستشاراً لرئيس الوزراء اسحق رابين. وبعد تسوية حل وسط بلورها الوزير يسرائيل غاليلي، تم اخلاء معظم المستوطنين من سبسطية إلى مساكن مؤقتة في معسكر «قدوم» التابع للجيش الاسرائيلي، والذي (أي المعسكر) تحول إلى مستوطنة قدوميم - ي. كوتلر].

* إذاً، فقد غير بيريس جلده ليتحول إلى حمامة؟

- ألوني: «لقد أمضى شمعون بيريس معظم سنوات حياته منشغلاً في قضايا وشؤون الأمن، ثم تحول ليصبح رجل سلام».

* وهل يتوافق ذلك مع شارون؟

ألوني: «شارون يرى في موقف بيريس ثمناً باهظاً للسلام، لكن النية، القصد، حسبما اعتقد، مختلف.. فالمقصود ثمن باهظ في الدماء والضحايا في حرب بين العرب واليهود».

* هل هناك أشياء مشتركة بين بيبي نتنياهو وايهود باراك وأريك شارون وشمعون بيريس؟

- ألوني: «جميعهم شركاء في الرغبة والطموح لتبوء منصب رئيس الحكومة، لا أكثر ولا أقل».

* هل يمكن لحكومة شارون - بيريس الاستمرار والصمود؟

- ألوني: «خوف شارون من بيبي يجعله حريصاً على المحافظة على حكومة الوحدة».

*

في ١٠ كانون الثاني -يناير ٢٠٠٢ التقت شولاميت ألوني مع عرفات ومسؤولين كبار في السلطة الفلسطينية في مدينة رام الله، حيث رغبت في الاستماع إلى موقف الجانب الفلسطيني إزاء «الدعاية الاسرائيلية» بشأن قضية سفينة الأسلحة (كارين A). وقد توصلت ألوني إلى نتيجة سريعة ومتسرعة حيث صَرَّحت قائلة «إنني أصدق عرفات وأثق به أكثر من أرئيل شارون وشاؤول موفاز...». فقد نفى عرفات أمامها أن تكون للسلطة أية صلة بالسفينة.

في اليوم نفسه، صرح في دمشق الرئيس السوري بشار الأسد ان عرفات رجل ليس له مصداقية، وأنه لا يثق به منذ السبعينيات.. وأن هناك عصابات تعمل من خلفه كل ما يهمها تأمين مصالحها الاقتصادية.

«إنه لغز . . فمن نصدق، عرفات، أم شولاميت ألوني، أم نصدق الرئيس السوري بشار الأسد أم الرئيس الأميركي بوش، أم رئيس الوزراء الاسرائيلي شارون ورئيس هيئة الأركان العامة موفاز؟!»

إلى هنا ينتهي الحديث مع ألوني في هذا الفصل.

*

حكومات في شريط متحرك

انقضى حوالي ١٤ عاماً منذ انتهاء ولاية حكومة الوحدة التي تناوب على رئاستها كل من شمعون بيريس (١٩٨٤ / ١٩٨٦) واسحق شامير (١٩٨٦ - ١٩٨٨). وقد وُلدت في أعقابها حكومة وحدة وطنية أخرى دون تناوب، برئاسة شامير. قُدمت حكومة شامير للكنيست الثانية عشرة في ٢٢ كانون الأول - ديسمبر ١٩٨٨ لكنها لم تصمد سوى ١٥ شهراً بسبب «المناورة النتنة» التي حبكها شمعون بيريس في آذار ١٩٩٠، حيث عمل قائماً بأعمال رئيس الحكومة ووزيراً للخارجية، لكنه سعى لتبوء المركز الأول بأسلوبه التآمري، الهادف الى تنصيب نفسه في مركز الرجل الأول، غير ان «الخاسر» أخفق مجدداً. وقد أثار بيريس بسلوكه هذا سخط وغضب خصومه في الحزب وفي مقدمتهم اسحق رابين الذي كان وزيراً للدفاع، وذلك رغم حقيقة ان هؤلاء كانوا ضمناً شركاء في خطة المتآمر الرئيسي (بيريس).

وفي الحادي عشر من حزيران - يونيو ١٩٩٠ نجح شامير، دون اجراء انتخابات جديدة، في تشكيل ائتلاف حكومي جديد، ذي صبغة يمينية. وعين شارون وزيراً للبناء والاسكان. . ولم تنقض سوى بضعة أيام حتى بدأت المعارضة لشامير تشتد. وفي هذه المرة بزعامة المتآمر شارون. وقد اشتد ساعد هذه المعارضة بشكل خاص في أعقاب موافقة رئيس الوزراء (شامير) على المشاركة في مؤتمر مدريد الذي التأم أواخر العام ١٩٩١.

الكنيست الثالثة عشرة التي انتخبت في ٢٣ حزيران ١٩٩٢، أعادت حزب العمل برئاسة اسحق رابين الى سدة الحكم، في حين ان «المتآمر الذي لا يكل» شمعون بيريس، الذي يرافق

رابين ويلتصق به منذ سنوات طويلة كشوكة العلّيق، حظي بمنصب وزير الخارجية ليكون مرة أخرى الرجل الثاني الى جانب رئيس الوزراء ووزير الدفاع رابين.

وفي العام ١٩٩٣ فاجأت حكومة رابين-بيريس الجمهور الاسرائيلي باتفاق أوسلو (سوف أتطرق الى ذلك لاحقاً) الذي أفضى الى جريمة الاغتيال الفظيعة لرئيس الوزراء (اسحق رابين) في الرابع من تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٩٥ في تل أبيب، وبالتالي الى عودة بيريس -مرة أخرى دون انتخابات- لرئاسة الحكومة. تصاعدت في أيام بيريس موجة الارهاب الفلسطيني، وخصوصاً عمليات الانتحاريين الذين فجروا أنفسهم في حافلات الركاب في تل أبيب والقدس موقعين خسائر كبيرة في الأرواح.

بيريس الذي كان أيضاً وزيراً للدفاع، لم يترك أية آثار أو بصمات ايجابية، ولم يترك انطباعات لدى قيادة الجيش الاسرائيلي، وربما كان ذلك نابعاً من حقيقة أنه (بيريس) لم يرتد قط الزي العسكري. حكومة بيريس التي نالت ثقة الكنيست في ٢٢ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٩٥، لم تصمد سوى لفترة قصيرة جداً، لغاية النصر الذي أحرزه بنيامين نتنياهو في الانتخابات البرلمانية للكنيست الـ ١٤ في ٢٩ ايار ١٩٩٦. وحصلت الحكومة الجديدة (برئاسة نتنياهو) على ثقة الكنيست في ١٨ حزيران ١٩٩٦.

وقد التحق أرئيل شارون بالحكومة في الثامن من تموز ١٩٩٦، بتأخير استمر عدة أسابيع، وذلك بعد تردد كبير ونظرة معادية أبداها تجاهه رئيس الوزراء الجديد. فعلى اثر ضغوط مارسها دافيد ليفي، الذي تولى منصب وزير الخارجية، عين شارون وزيراً للبنى التحتية وسط الغاء وزارة الطاقة والبنى التحتية. وقد فصّلت الحقيبة حسب املاءات ومقاسات الجنرال المتقاعد شارون.

وهكذا قامت حكومة أخرى في اسرائيل، استهلت طريقها بخطى متعثرة، فكان مصيرها «على كف عفريت».. كانت قاعدتها واهنة، هشة، منذ ولادتها، ولفظت هذه الحكومة أنفاسها بعد مرور نحو ثلاث سنوات على توليها للسلطة.

ايهود باراك هو التالي بالدور. فقد نالت حكومته ثقة الكنيست في ٦ / ٧ / ١٩٩٩، عقب هزيمة نتنياهو. كان الجنرال المتقاعد، باراك، على خصومة وخلاف مع معظم وزرائه

منذ اليوم الأول لحكومته، وبعد مرور حوالي سنة ونصف السنة فقط أخلى باراك مكانه لصالح الجنرال المتقاعد اريئيل شارون.

حكومة شارون نالت ثقة الكنيست في ٧ / ٣ / ٢٠٠١. حكومتا الوحدة الوطنية اللتان توليتا زمام السلطة منذ العام ١٩٨٤ ولغاية «المناورة النتنة» في مارس آذار ١٩٩٠، صمدتا حوالي ست سنوات فقط بسبب تآمر بيريس. بعد هاتين الحكومتين قامت ست حكومات: في العام ١٩٩٠ برئاسة شامير، وفي العام ١٩٩٢ برئاسة رابين وفي العام ١٩٩٥ (بعد اغتيال رابين) برئاسة بيريس، وفي ١٩٩٦ برئاسة بنيامين نتنياهو، وفي العام ١٩٩٩ برئاسة ايهود باراك، وفي العام ٢٠٠١ قامت مجدداً حكومة وحدة وطنية برئاسة أرئيل شارون.

بعبارة أخرى، فقد شُكّلت منذ حكومة الوحدة الأولى العام ١٩٨٤، ثماني حكومات، بما فيها الحالية، حكمت ما مجموعه حوالي ١٨ عاماً، أو ما معدله أقل من سنتين ونصف السنة للحكومة الواحدة!

*

في تموز ١٩٨٨ رأى النور كتابي «المنتخب القومي» بإصدار «مودن»، وجاء في جزئين زُيّنا بصور ٢٧ وزيراً ضمتهم حكومة المناوبة (الرأسين) (١٩٨٤ - ١٩٨٨). حيث شكل هؤلاء منتخب اسرائيل القومي في ذلك الوقت، سواء بين قوسين (هلالين) أو دونهما.

هناك ستة أشخاص من هذه النخبة لا زالوا تحت الأضواء، «يتنططون» أو «يرقصون» في وسائل الاعلام المكتوب والالكتروني، شخصيات باهتة معروفة جيدا للناخبين، الذين «عافوا» منذ وقت بعيد عدداً منهم، كرئيس الدولة موشيه قصاب، وأرئيل شارون، وشمعون بيريس ودافيد ليفي، وموشيه أرنس وأمنون روبنشتاين.. موشيه قصاب هو أصغر أفراد هذه المجموعة سناً، إذ يبلغ عمره ٥٧ عاماً (من مواليد العام ١٩٤٥)، في حين بوسع الباقين جميعهم أن يكونوا بجدارة من نزلاء دور المسنين، مثل: شمعون بيريس، الذي يناهز التاسعة والسبعين من عمره (ولد في ١٦ / ٨ / ١٩٢٣) والذي مضى على عضويته في الكنيست ٤٣ عاماً، منذ العام ١٩٥٩. موشيه أرنس: حوالي ٧٦ عاماً (مواليد ٢٧ / ١٢ / ١٩٢٥)، عضو

كنيست على التوالي، ووزيراً وسفيراً في الولايات المتحدة وذلك على مدى نحو ٢٩ عاماً، ابتداء من ١٩٧٣ - ١٩٧٤ منذ الكنيست الـ ٨.

- أرئيل شارون: ٧٤ عاماً (مواليد ٢٦ / ٢ / ١٩٢٨) عضو كنيست لمدة ٢٨ عاماً ابتداء من العام ١٩٧٤.

- أمنون روبنشتاين: يناهز السبعين عاماً (مواليد ٥ / ٩ / ١٩٣١) عضو كنيست لمدة ٢٥ عاماً ابتداء من العام ١٩٧٧.

- داڤيد ليڤي: ٦٥ عاماً (مواليد ١٩٣٧) عضو كنيست منذ ٣٣ عاماً، ابتداء من العام ١٩٦٩.

ألم يحن الوقت لاستقالة أو لإعتزال هؤلاء وإخلاء أماكن مغرية الى هذا الحد، كمقعد في مجلس النواب الاسرائيلي، الذي يُغدق على أعضائه رواتب وامتيازات سخية على حساب دافعي الضرائب الذين يصرخون في وجههم: «لقد مللناكم»!

لكن هؤلاء لن يبارحوا بسهولة الحلبة السياسية، ولن يتخلوا عن أضوائها. إنهم يسدون المنافذ وليس هناك من يفك العقدة لانعاش الكنيست، فلربما يُولوا أخيراً، وبعد مرور أكثر من ٥٤ عاماً على قيام الدولة، اهتماماً بدافعي الضرائب البسطاء، الأغلبية الصامتة التي لا تجد سنداً لها. إن «منتخبينا» متمترسون في أماكنهم لا يتزحزحون عن كراسيهم.

الحيثيات والوقائع التالية تستهدف استكمال الصور التي رسمتها عن شارون وبيريس في فصلين منفصلين في كتاب «المنتخب القومي»، والذي يتضمن هذا الكتاب (الزرزور والغراب) في نهايته صورة منسوخة عنهما حسبما جاءا في الأصل.

يوميات الأحداث: ١٩٨٨ - ٢٠٠٢

١٩٨٨ : عمليات تنصت

١٩ / ٢ / ١٩٨٨: وزير الصناعة والتجارة أرئيل شارون يكشف النقاب في مناسبة علنية عن أنه جرى بعد حرب الأيام الستة (حزيران ١٩٦٧) اقامة جهاز خاص، مهمته متابعة موضوع الفلسطينيين الذين يوافقون على الهجرة «طوعاً» («دڤار هشبوع»).

شارون، الذي احتل مكتب رئيس الوزراء بعد حوالي ١٤ عاماً، لم يتخلّ مطلقاً عن مخططه المُجرّب، فقد تعلم ويتعلم الكثير من التجربة المتراكمة خلال محاربة الانتفاضة، وهو يستخلص النتائج والدروس المطلوبة، والتي سيقوم بتطبيقها في الوقت الملائم لاسرائيل وفقاً للتطورات في الساحتين المحلية والاقليمية، وفي الساحة الدولية على وجه الخصوص. وكان من شأن حرب الارهاب التي أعلنت على الولايات المتحدة الأميركية في الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١ أن وفرت وأتاحت فرصاً لذلك.

٢٢/٢/١٩٨٨ : شارون يستعد للمستقبل، طامعاً في مقعد رئيس الوزراء، حيث أقام لنفسه «غرفة حرب» لتوصله عندما يحين الأوان الى مقر رئاسة الحكومة في القدس (يديعوت احرونوت).

كان شارون وقتئذٍ في الستين من عمره، كان يستبدل الأصدقاء كما لو كانوا دمى في مسرح العرائس. في العام ١٩٨٨ كان في تعداد أصدقائه كل من روبين أدلر، يوسي غينوسار، رافي إيتان (الذي يلقب بـ «النتن»)، إيلي لانداو، دوڤ فيسغليس، عوديد شامير، داڤيد مغين، يسرائيل كاتس، وأوري دان. منذ ذلك الحين، كان المقربون والأصدقاء يتبدلون صباح مساء تبعاً لأهواء ورغبات ومزاج الزعيم (شارون). تذكرة الدخول إلى «غرفة الحرب» و/أو إلى الدائرة القريبة من شارون، ولا داعي لذكر الدعوات لزيارته في معقله (مزرعته)، تتمثل في السجود التام للجنرال، الذي لا يستطيع تقبل النقد أو احتماله. ويختبر شارون لدى المرشحين للانضمام إلى دائرة مقربيه/ أصدقائه، صفتين أساسيتين: الثقة والحكمة. كان شارون يأمل في أن يُقيّض له بحلول العام ١٩٩١، عند بلوغه الثالثة والستين، الظفر بتحقيق مراده وحلمه: مقعد رئيس الحكومة.. لكنه اضطر للانتظار عشر سنوات أخرى، حيث تحقق حلمه بعدما صار كهلاً عمره ٧٣ عاماً(!) وقد انشغلت هيئة أركان (غرفة حرب) شارون، ولا تزال منشغلة دون توقف أو كلل، في تحسين صورته. ويكثر شارون من الهمس في آذان صحافيين مقربين وساسة خانعين، بأن زعيمهم لم يعد منذ زمن بعيد «داعية حروب» كما يزعم خصومه، وأنه لم يولد «قاتلاً»، وهي الوصمة التي دُمغ بها كوصمة عار، في أعقاب عملية الثأر، التي قادها في ١٤ و ١٥ تشرين الأول ١٩٥٣ ضد قرية «قبية» الواقعة على

مسافة كيلومترين الى الشرق من الخط الأخضر، في الضفة الغربية. كانت هذه القرية تضم نحو ٢٥٠ بيتاً أقام فيها حوالي ١٥٠٠ نسمة، وقد شكلت قاعدة انطلاق لـ «المتسللين». مهمة تنفيذ الحملة أُنيطت بالرائد في الجيش الإسرائيلي، أرئيل شارون، الذي قاد قوة مشتركة من الوحدة (١٠١) وفرقة المظليين، قامت باحتلال القرية ونسف ٦٥ منزلاً من بيوتها، فيما لاذ سكانها بالفرار طلباً للنجاة، بعدما سقط منهم ٦٩ قتيلاً.

شارون «الجديد»، العام ١٩٨٨، أصبح (حسب قول أصدقائه) رجلاً حساساً ورقيقاً، متحدثاً لبقاً ومؤثراً، يصغي جيداً ويحب الموسيقى، رومانطيقياً إلى أبعد حد، مفتوناً بالمأكولات الصينية والهندية وبأية مأكولات فاخرة. وهكذا صارت آيات المديح تكال لشارون بسخاء على مسامع كل من يصغي.

١١/٣/١٩٨٨ ـ الكاتب المُجنّد، عاموس عوز، ربيب شمعون بيريس، الذي غالباً ما يتم استنفاره عشية الحملات الانتخابية (هو وصديقه أ. ب. يهوشواع ـ الكاتب المستنفر دوماً)، صرح قائلاً: «إن الحركة ـ الوطنية ـ الفلسطينية تعد من أشد الحركات انغلاقاً وفساداً وتعصباً في القرن الحالي... من الصعب عليّ فهم كيف يمكن لأشخاص كثيرين متبصرين من رجالات المعسكر (الإسرائيلي) المعتدل أن يتهافتوا على معانقة متطرفين فلسطينيين وأن يُنظموا استقبالاً حافلاً لسفينة تغص بهؤلاء الفلسطينيين، في الوقت الذي يشجبون فيه وعن حق الكاهانية اليهودية المتطرفة..» (معاريف).

ولعل اللافت للنظر أنه بمقدار ما يتعمق العداء الفلسطيني تجاه اسرائيل، خاصة بعد اتفاق أوسلو الذي وقع في العام ١٩٩٣، وبمقدار ما تزداد كراهية الفلسطينيين لكل ما يمتُّ لاسرائيل واليهودية بصلة، بمقدار ما يوغل عاموس عوز ـ الذي يخسر قُراءه بسبب تدخله غير المبرر في السياسة ـ في تأييده لليسار الإسرائيلي المتطرف، وحمله لواء هذا اليسار الذين يعانقون عرفات حتى في أوج الانتفاضة.

في انتخابات العام ١٩٩٩ تخلى عاموس عوز عن شمعون بيريس ليؤيد علناً حركة «ميرتس» التي وجهت في العام ٢٠٠١ اهانة وصفعة مدوية لدعوة بيريس إلى دعمه كمرشح ثالث في سباق الانتخابات لرئاسة الحكومة.

وعودة الى تصريحات عاموس عوز الذي كان يتحدث في حفل نظم لمناسبة حصول وزير الخارجية شمعون بيريس على دكتوراه شرف في الآداب منحتها له كلية «ههيبرو يونيون كوليج»، فقد أضاف عوز قائلاً «إن الجزء الأكبر من المسؤولية يقع على الحركة الوطنية الفلسطينية... لكن الحديث الآن لم يعد يدور عن مأساتين منفصلتين، وإنما عن مأساة واحدة، كلنا فيها سواء. فإما أن نخرج منها بتسوية حكيمة ومؤلمة، وإما أن نموت فيها معاً...».

التسوية ـ التي يتحدث عنها أو يحلم بها عوز ـ تمت في نطاق اتفاق أوسلو ١٩٩٣، لكن هذه التسوية ساهمت فقط في تعميق الكراهية بين الشعبين، في حين أفضت محادثات كامب ديفيد التي قادها ايهود باراك، إلى اندلاع انتفاضة أيلول/ تشرين الأول ٢٠٠٠. فعن أية تسويات واقعية أخرى يتحدث الكاتب الذي غاب صوته في الانتفاضة ووقف صامتاً لا يحرك ساكناً؟!.

١٣ / ٥ / ١٩٨٨ ـ شمعون بيريس يكثر من زيارة الحاخام عوباديا يوسيف في مقر اقامته.. حيث باشر في التحضير بالخفاء لـ «المناورة النتنة» التي جرت في اذار ١٩٩٠ وأدت الى الاطاحة بالحكومة، لكنها لم تنجح في استبدالها.

وبغية كسب المتدينين ليدعموا مواقفه وسعيه لخلافة اسحق شامير في رئاسة الحكومة، كان بيريس يهمس دون توقف في آذان المتدينين المصغية بأنه لم يتناول في حياته قط لحم الخنزير.. أما السبب فيعود لكون معلمه وأستاذه، برل كتسينلسون، عارض ذلك بشدة..

الحاخام اليعازر شاخ، الذي توفي في العام ٢٠٠١، لم يتعامل من جهته مع بيريس بجدية واحترام، حيث قال عن بيريس «كلمته ليست كلمة، وتعهده ليس تعهداً».

٣ / ٦ / ١٩٨٨ - كان عضو الكنيست أمنون روبنشتاين، وهو من مؤسسي حركة «شينوي» في العام ١٩٧٤، عميداً لكلية الحقوق في جامعة تل أبيب، ووزيراً للاتصالات في الكنيست الـ ١١ والكنيست الـ ١٣، ووزيراً للطاقة والبنى التحتية، ثم وزيراً للمعارف والثقافة والرياضة.

يقول روبنشتاين إن «الخطر الذي تواجهه اسرائيل يتمثل بالذات في تسوية «سلام على الورق»... في الظروف الحالية سنضطر للتخلي عن مساحات واسعة في أية مفاوضات. وفي

مقابل مثل هذا التنازل سنحصل على معاهدة سلام.. قيمة معاهدة من هذا النوع ستكون هشة للغاية».

روبنشتاين هذا، الذي له جمهور واسع من المؤيدين، التحق بـ «اشتراكيين» وهميين في «ميرتس» بغية الحفاظ على مقعده في الكنيست، فهو معروف بكونه يكثر من تبديل آرائه، كما أنه يحدد مواقفه في الاتجاه الذي تهب فيه الريح، وذلك مع طلوع كل صباح عند مطالعته للصحف وحسب ميول ورغبات رؤسائه في اليسار. في كتابي «المنتخب القومي» أطلقت على روبنشتاين لقب «الحرباء».. فهو تارة مع عرفات، وتارة ضده، وهو مع وضد اقامة دولة فلسطينية، مع وضد المستوطنات، وهكذا دواليك ازاء أي موضوع سياسي يتصدر العناوين.

هناك وزراء وأعضاء كنيست وقادة أحزاب من طراز أمنون روبنشتاين، يظهرون مراراً على حقيقتهم كمكابرين على نفاقهم وريائهم..

٣/٦/١٩٨٨ - قال الشاعر ناتان الترمان:

«من ينكر ضرورة بذل كل ما بالمستطاع كي نصمد فوق هذه الأرض القديمة ـ الجديدة، فقط لكون السكان العرب لا يتمتعون بحق تقرير المصير الوطني الكامل على هذه الأرض، انما يحول كل تاريخ الاستيطان اليهودي في أرض اسرائيل وتاريخ الشعب اليهودي الى ألعوبة» (هآرتس).

لقد مضى حوالي أربعة عشر عاماً على كتابة هذه السطور، ولمّا يظهر بعد وريثاً ومكملاً لطريق «الترمان» في مستواه وفي تعصبه لـ «أرض اسرائيل».

١٩/٨/١٩٨٨ - أرئيل شارون يحذر بأن حزب العمل تخلى عن الحد الأدنى من النظرية الأمنية التي تبناها الحزب على مدى سنوات طويلة، متهماً حزب «العمل» بأنه يسعى لاعادة اسرائيل الى حدود العام ١٩٦٧، التي توجد بينها وبين نهر الأردن دولة ارهاب فلسطينية (هآرتس).

شارون رأى «المولود» سلفاً.. رجالات أجهزة الأمن والاستخبارات والجيش يحذرون من انكفاء حزب العمل وميوله نحو اليسار وتخليه عن السياسة الأمنية التي رسمها بن غوريون. فاسرائيل تمر منذ سنوات عديدة في عملية انكفاء ونكوص متزايدة، ولا سيما في ضوء

انحراف زعماء حزب العمل المستمر نحو اليسار وفي ضوء تحركات شمعون بيريس. فجيل تلاميذ بن غوريون وليڤي أشكول واسحق تبنكين ويغئال ألون، الذين تربوا على نظرية الأمن الأساسية لاسرائيل (انظر المزيد لاحقاً) يتناقص بشكل متزايد والى الحد الذي يشكل فيه ذلك خطراً داهماً..

١٩٨٨/٨/٢٦ - كتب شارون في احد مقالاته: «يُحدق بنا خطر إعلان دولة فلسطينية ثانية في أرض اسرائيل، تحيط حدودها بكل يهودا والسامرة وغزة. هذا الخطر هو بالدرجة الأولى خطر أمني بكون مثل هذه الدولة تشكل تهديداً مباشراً لوجود دولة اسرائيل وسلامة سكانها» (جريدة «حدشوت»). ويضيف شارون: «لقد فقدنا نتيجة أخطائنا زمام المبادرة السياسية وقدرة الردع العسكري. كان علينا بل وباستطاعتنا، القضاء على الانتفاضة الفلسطينية (الانتفاضة الأولى التي اندلعت أواخر العام ١٩٨٧ ـ ي. كوتلر) قضاء تاماً منذ وقت بعيد، قبل امتدادها الى حقولنا وغاباتنا وشوارعنا.. ونتيجة لفشلنا في ذلك، ها هي (الانتفاضة الأولى) تكتسب باستمرار المزيد من الزخم والقوة، وتحقق انجازات لصالح عدونا ومخاطر متفاقمة علينا... إن دولة فلسطينية ثانية غرب نهر الأردن، ما هي إلا أضغاث أحلام.. الاستنتاج الواجب علينا استخلاصه، يدعونا للعمل فوراً من أجل تطبيق خطة (يغئال) ألون. فهذه الخطة تشمل فقط تلك المناطق غير المأهولة نسبياً في يهودا والسامرة وغزة، التي تعد بمثابة الخط الأحمر الأمني، والحديث يدور هنا عن أمن القدس وتل أبيب والسهل الساحلي، وعيمق يزراعيل وبئر السبع».

هذا هو شارون صيف العام ١٩٨٨.

واليوم؟!

لا تزال الانتفاضة الثانية مستمرة حيث لم تستطع اسرائيل اخماد جذوتها في عهد شارون كرئيس للوزراء، والذي يقترح الآن اقامة دولة فلسطينية، وإن كان ذلك وفق خطوط عريضة مغايرة، لا تنسجم ولا تستجيب لتطلعات الفلسطينيين حيث يقترح شارون قيام هذه الدولة على ٤٢٪ فقط من مساحة المناطق (الفلسطينية)، ولكنها تبقى مع ذلك دولة، وهذا على النقيض من التحذيرات التي كان شارون يطلقها لغاية تربعه على كرسي رئاسة الحكومة.

١٦ / ٩ / ١٩٨٨ - أمضى وزير المالية، والقائم بأعمال رئيس الحكومة، شمعون بيريس، صبيحة يوم السبت مع مستوطني غور الأردن (ملحق «هآرتس»). المزارعون (المستوطنون) قلقون على مصيرهم ومن احتمال قيام دولة فلسطينية في منطقة مستوطناتهم.

بيريس طمأن المستوطنين، وأغدق الوعود والتعهدات، من قبيل: نهر الأردن هو الحدود الأمنية وستبقى القدس موحدة.

وتعهد وزير المالية (بيريس) قائلاً: «هذا هو موقفنا النهائي.. باستطاعة المستوطنين في غور الأردن أن يكونوا مطمئنين تماماً. لن نقوم باخلائهم، لا حاجة لذلك. وبحسب ما أعرفه من مواقف الأردن والولايات المتحدة، فإنه لا توجد ضرورة لاخلاء هؤلاء المستوطنين...».

واليوم؟

شمعون بيريس مستعد للتخلي عن كل شيء في سبيل تسويغ اتفاق أوسلو الذي دفع اليه ووقعت عليه اسرائيل في عهد اسحق رابين كرئيس للحكومة، رغم معارضة ٥٠٪ من الشعب لهذا الاتفاق.

٢٠ / ١٠ / ١٩٨٨ - رسمت دراسة جرت في الجامعة المفتوحة ملامح شخصية شمعون بيريس (يديعوت أحرونوت)، حيث أشارت الدراسة الى أن بيريس: يجادل في التلفزيون، يهاجم، لغة الجسد توحي بالتوتر والعصبية، متحصن في الـ«أنا» خاصته، يأخذ كل شيء وكأنه يمسه شخصياً، يمس ذاتيته.. يعبر عن الأفكار التي يريد ايصالها باسهاب. جمله معقدة جداً. يتحدث بلغة كتابية أكثر من اللازم.

٢٢ / ١٠ / ١٩٨٨ - من برنامج المعراخ (التجمع)، في حملة الانتخابات البرلمانية التي جرت في نهاية العام:

* يرفض حزب «العمل» قيام دولة أخرى بين اسرائيل ونهر الأردن.

* حل المشكلة الفلسطينية يتم في نطاق دولة أردنية - فلسطينية، تشمل المناطق المكتظة بالسكان (الفلسطينيين) في يهودا والسامرة وغزة.

المستوطنات التي كان بيريس وراء إقامتها، لم يرد ذكرها!

٢٨ / ١٠ / ١٩٨٨ - بعد حوالي ٤٠ يوماً فقط من زيارة بيريس إلى غور الأردن، وصمه

الليكود بدمغة ستلازمه لسنوات عديدة: «بيريس يساوي عرفات» (هآرتس).

* كيف يشعر بيريس؟

يقول: «أشعر بنفس الشعور الذي أحس به هذا الأسبوع الوزير أريك شارون، حينما زار سوق محنيه يهودا بالقدس، ونعتوه هناك بـ«الخائن».

*

٤/١١/١٩٥٥ - كان الياهو شبايزر، لغاية نهاية الثمانينيات تقريباً، من قادة حزب العمل في تل أبيب، وقد انسحب شبايزر كلية من الساحة السياسية في العام ١٩٨٩، بعدما فشل ترشيحه للكنيست الـ ١٢. في سنوات ١٩٦٩ - ١٩٧٤ كان «شبايزر» نائباً لرئيس بلدية تل أبيب، وصديقاً حميماً لرئيس البلدية يهوشاع رابينوبيتش. وفي أعوام ١٩٧٤ - ١٩٧٨ تزعم شبايزر المعارضة في المجلس البلدي، وفي نفس الفترة عمل رئيساً لدائرة الضريبة في الهستدروت. كذلك كان سكرتيراً لحزب العمل في لواء تل أبيب لغاية العام ١٩٨٩، وعضواً في الكنيست التاسعة والعاشرة والحادية عشرة، التي تولى فيها رئاسة لجنة الاقتصاد.

في العام ١٩٨١ كان «شبايزر» أحد مؤسسي ورؤساء منتدى «يحداف - معاً» ومن المؤيدين الرئيسيين لشمعون بيريس، إلى أن عرفه عن كثب من خلال عملهما المشترك لسنوات طويلة. وكالكثيرين من زملائه في قيادة الحزب، أقدم شبايزر أيضاً على الخطوة التي لا رجوع فيها، ليصبح الخصم اللدود لبيريس، وإلى حدّ الكشف عن أسرار دفينة من «الحجرة الداخلية».

لم يكن شبايزر سمكة من النوع الذي يسهل ابتلاعه، أو رجلاً لا حول له ولا قوة، بل كان رجلاً مهماً في حزبه.. الأمور التي قالها وكتبها «شبايزر» عن بيريس تكشف النقاب عن شخصية سلبية لزعيم حزب لم يتزحزح عن مقعده السياسي منذ ٦١ عاماً، وتحديداً منذ العام ١٩٤١، حينما كان أحد الذين عملوا في أمانة حركة «الشباب العامل». إن قدرة بيريس على البقاء صارت مضرب مثل، ليس في إسرائيل وحسب، بل وفي العالم بأسره. يبدو لي أنه لا مثيل لظاهرة من هذا النوع.

ولد «شبايزر» في حيفا العام ١٩٣٠، مُجاز في الحقوق والاقتصاد من جامعة السوربون

الباريسية الشهيرة؛ وحصل أيضاً على شهادة الليسانس (بي. إي) من الجامعة العبرية بالقدس في (علم) الـ «بكتيريولوجي (bacteriology).

وكحال معظم المتقاعدين الذين يتحكمون بوقتهم، فرض شبايزر على نفسه التزام الصمت في القضايا السياسية.

في ٢٠ تشرين الاول / أكتوبر ١٩٨٨، بعث شبايزر برسالة إلى عضو الكنيست في ذلك الوقت الحاخام مناحيم هكوهين، إتهم فيها بيريس بالتنصت والتجسس على أعضاء في الحزب، وكان ذلك قبل سنوات طويلة من إدانة ناشر ومحرر صحيفة «معاريف» عوفر نمرودي في المحكمة وسجنه بتهمة ارتكاب جنح مشابهة.

كتب شبايزر (جريدة «هعير» ٤ / ١١ / ١٩٨٨):

* بيريس يحب بالدرجة الأولى نفسه.. إنه مستعد لبيع نفسه للشيطان، ناهيكم عن بيع حزبه، وذلك في سبيل امتلاك قدر من السلطة والجاه. إنه مستعد للتشبث بأسنانه وأظافره بالسلطة، فالأمر يعني بالنسبة إليه: أنا أحكم، إذن أنا موجود!

* أن تكون في الداخل (هكذا يؤمن بيريس - ي. كوتلر) أفضل من أجل مراقبة رئيس الحكومة (اسحق شامير، اسحق رابين، ايهود باراك، أرئيل شارون - ي.ك) وأفضل من تركه يعمل وحده.

* كان حزب العمل بالنسبة لبيريس مجرد كيس ملاكمة (لتلقي الضربات) ومسرحاً للدمى.

* شكل مكتب بيريس، عندما كان رئيساً لحكومة الرأسين (المناوبة) (١٩٨٤ - ١٩٨٦) مصدراً للدسائس في قضايا مثل قضية الجاسوسين فعنونو وبولارد، وفضائح جهاز الأمن العام (الشاباك)، و«إيران غيت» وغيرها. كان بوسع الـ كي جي بي (جهاز المخابرات السوفييتي) تلقي دروس خصوصية من بيريس.

* بيريس رجل ماكر، مخادع، على مستوى عالمي. ومن جهتي، ما كنت لأئتمن أو أسمح لشخص مثله بإدارة البورصة، لأنه إذا امتلك أسهماً، مثلاً أسهم «جنرال إلكتريك»، فإنه سيفقدها في يوم واحد.

* (بيريس) لا تتوفر لديه قاعدة ثقافية - اقتصادية راسخة ، وعندما تباع وتشترى الأوهام باسم الجمهور ، تصبح اليد مفتوحة .

أقوال شبايزر هذه قيلت وكتبت قبل حوالي خمس سنوات من التوقيع على اتفاق أوسلو ، الذي لم يكن مهندسه سوى شمعون بيريس بالذات ، والذي وعد بـ « شرق أوسط جديد » وبـ « سيارة لكل عامل » وبـ « سويسرا الشرق الأوسط » وبـ « عرفات هو الشريك » .

٦ / ١١ / ١٩٨٨ - « إن زعيم حزب ، مثلما كان بيريس ، الذي رأى في النضال من مواقع المعارضة مجرد ملاذ أخير ، ليس مؤهلاً لإدارة شؤون الحزب » (هآرتس - مقال افتتاحي) .

١٥ / ١١ / ١٩٨٨ - الفقرة التالية ، التي كتبت قبل حوالي ١٤ عاماً ، تعتبر ملائمة أيضاً لسنة ٢٠٠٢ : « لا يوجد للمعراخ ما يبحث عنه في حكومة يقودها الليكود ومن يدور في فلكه . إذا كان المعراخ يريد البقاء مخلصاً لفكرته وفهمه القاضي بوجوب السعي إلى تسوية سياسية مع العرب ، حتى بثمن تقديم تنازلات إقليمية ، وإذا كان لا يريد خيانة ناخبيه الذين يمقتون كل أشكال الإكراه الديني ، فإن عليه خدمة الشعب من موقع المعارضة الفاعلة والحازمة . هذه المهمة التي يتوجب عليه التسليم بها ، ليست معدومة الفرص » . . (هآرتس - مقال افتتاحي) .

٦ / ١١ / ١٩٨٨ - وقيل أيضاً عن بيريس في الصحيفة نفسها المعروفة بتأييدها ودعمها له على مدى سنوات طويلة : « إن بيريس ، بلهاثه وراء شركاء إجباريين من المتدينين ، إنما يوفر لهم قوة ابتزاز . . إنه يستعين « بكلبه المدلل » يوسي بيلين الذي كتب في العام ١٩٨١ (« هعير » ٢٥ / ١١ / ٨٨) رسائل مفبركة ضد رابين ، أُرسلت إلى هيئات تحرير الصحف . . » (هآرتس - يوءال ماركوس) .

*

٩ / ١٢ / ١٩٨٨ - تذكير : في أيلول ١٩٧٩ نُشرت في صحيفتي « دافار » و « هآرتس » رسائل مفبركة كتبها يوسي بيلين ، الطفل المدلل البالغ ٣١ عاماً ، والتي يسيء فيها إلى اسحق رابين ، بهدف مساعدة ولي نعمته شمعون بيريس في التغلب على منافسه (رابين) . وقد زود بيلين رجل الدعاية الذي قدم خدماته لـ « المعراخ » ، باقتباس محرّف من مذكرات

موشيه شاريت، الأمر الذي عرّض بيلين للتوبيخ من جانب محكمة الحزب، التي أظهرت شفقة مريبة تجاه بيلين (حدشوت).

انبرى بيريس في الحال للدفاع عن خادمه الأمين قائلاً «إن يوسي واحداً من أهم وأعظم المنظِّرين الذين ظهروا في حزب العمل منذ بيرل كتسنيلسون»! صحيح أن رابين نعته بـ «فودل بيريس»، إلا أن زملاءه في الحزب يطلقون عليه «موظف صغير» و«أبراخ مدلل» و«ماسح جوخ لعرفات» و«غارق في الأحلام» وغيرها من الألقاب والأوصاف المشينة.

كان بيلين - «بيرل كتسنيلسون» الجديد - لحزب العمل، وخادم شمعون بيريس الأمين، مستعداً للقيام بأية مؤامرة أو دسيسة من شأنها أن تخدم سيده، وذلك إلى أن فضل الأخير التحالف مع أرئيل شارون على التسكع بصحبة «المؤدلج الكبير» حسبما توجه بيريس نفسه بهذا الوصف.

٩ / ١٢ / ١٩٨٨ - يوسيف الموغي، رئيس بلدية حيفا الذي كان من زعماء مباي - ورافي، وشغل مناصب رئيس الوكالة اليهودية، ووزيراً في الحكومة الإسرائيلية، والذي توفي في العام ١٩٩١، أكد دوماً أن بيريس رأى في «بن غوريون» مجرد سلّم للتسلق عليه.. يقول «الموغي» عن بيريس «إنني أعرفه.. هذا الرجل لا يستطيع أن يكون الرجل الثاني» (حدشوت).

٢٣ / ١٢ / ١٩٨٨ - يقول خصومه عنه (عن شمعون بيريس) إنهم ما كانوا ليشتروا منه سيارة مستعملة.. لا بل أن أصدقاءه مع الأسف الشديد، ليس فقط ما كانوا ليشتروا منه سيارة مستعملة، وإنما لم يكونوا مستعدين لشراء حتى سيارة جديدة منه...» (معاريف - إفرايم سيدون).

٢٣ / ١٢ / ١٩٨٨ - في ذات الصحيفة كُتِبَ عن أرئيل شارون بأنه «يتمتع بقدرة عجيبة، تثير الغيرة والحسد، على الابتعاد والنأي بنفسه عن أي تأثير خارجي، والانصراف نحو الاهتمام بحياته الشخصية، من منطلق أن ما يفيد «أريك» يعتبر مفيداً للدولة أيضاً..» (أمنون أبرموفيتش).

١٩٨٩ - الـ «بلينرز»

١٣ / ١ / ٨٩ - يقوم معاونو بيريس بقطعه عن الواقع في شتى المجالات والصعد تقريباً، السياسية والحزبية والاجتماعية. وقد «باعه» هؤلاء (يوسي بيلين، أوري سابير، نمرود نوبيك وغيرهم) اتفاق اوسلو (الذي لا يستطيع بيريس التنكر له، علماً أنه ثبت للجميع أن هذا الاتفاق غير قابل للتنفيذ - ي. كوتلر) - (حدشوت).

إن «الخدع والألاعيب هي وسيلتهم الدائمة لتحقيق مآربهم»، بالخدعة والتحايل والالتواء.. إنهم منتجو صناعة الأوهام في اسرائيل، كما حصل فيما يتعلق باللقاء السري الذي عقد في لندن بتاريخ ١١ / ٤ / ٨٧ بين بيريس والملك حسين (كما يحدث دوماً، من وراء ظهر رئيس الوزراء اسحق شامير - ي.ك) وينجح هؤلاء المعاونون دائماً في إقناعه (بيريس) أنه لم يُمنَ على الإطلاق بخسارة حقيقية في الانتخابات، وأن الفوز سيكون حليفاً له في الانتخابات المقبلة... هؤلاء المعاونون ليسوا ملمين بدرجة كافية في شؤون السياسة».

٣١ / ٣ / ٨٩ - عندما كان شمعون بيريس رئيساً للوزراء في حكومة المناوبة (١٩٨٤ - ١٩٨٦) كتبوا عنه أن الأضواء في مكتبه تبقى مشتعلة حتى طلوع الفجر، وأنه يكثر من التسريب، ويحتفظ بعلاقات وثيقة مع صحافيين، إنتاجيته ضعيفة، يُعد أوراق عمل لا نهاية لها، كثير اللغو والكلام، قليل الفعل والإنجاز (يديعوت أحرونوت).

١٩ / ٤ / ٨٩ - بيريس، كوزير للمالية، يتعرض لهجوم من أوساط حزبه: يبيع الدولة ومقدراتها من أجل إنقاذ مشاريع الهستدروت من انهيار محقق وتام، وهو بذلك يعيد اقتصاد البلاد سنوات طويلة إلى الوراء (معاريف).

٢١ / ٤ / ١٩٨٩ - موشيه نسيم، الذي خلفه بيريس في منصب وزير المالية، يؤكد أن «لبيريس كوزير للمالية نظرية قديمة وضارة. إنه يعيد الاقتصاد والمرافق الاقتصادية سنوات إلى الوراء... نظرية حزب العمل الاقتصادية بأكملها تتأثر بوجود اقتصاد حزبي يعاني من تضخم وفشل.

إن الحاجة والرغبة الملحة لإنقاذ هذا الاقتصاد لاعتبارات حزبية على وجه الخصوص، لا توجد أية صلة بينها وبين احتياجات ومتطلبات الاقتصاد، هي التي تملي بالذات سياسة وزير

المالية بيريس . . إن بيريس يبرهن مرة أخرى على سطحيته . . فالمعطيات الاقتصادية تستعصي على فهمه . وهكذا أصبحت الخزينة العامة مستباحة مجدداً . . » (معاريف) .

لقد شعر موشيه نسيم ، وهو رجل معتدل في تصريحاته ، أن ما بناه راح ينهار أمام ناظريه . . في الفترة بين ١٩٨٦ و١٩٨٨ كان « نسيم » وزيراً للمالية ، ومن نهاية العام ١٩٨٨ وحتى مطلع العام ١٩٩٠ وزيراً بلا حقيبة ، ثم وزيراً للصناعة والتجارة ، ومن تموز ١٩٩٠ وحتى تموز ١٩٩٢ نائباً لرئيس الحكومة . وفي العام ١٩٩٦ اعتزل نسيم الحياة السياسية .

ولم تكد تمر بضعة شهور حتى اضطر نسيم للحديث عن الموضوع نفسه ، حيث صرح قائلاً : « السياسة التي اتبعها بيريس قامت كلها على فبركات كيفما اتفق . . انه يعاني من مشكلة ثقة ومصداقية . . » . (يديعوت أحرونوت » ٨ / ١٠ / ٨٩) .

٢١ / ٤ / ٨٩ - وزير الدفاع اسحق رابين ، وأثناء تواجده في مقصف الكنيست ، يصف وزير الخارجية شمعون بيريس ، بأنه « الأسوأ » . بعد ذلك ضرب رابين على الوتر الحساس لدى بيريس ، بقوله « لقد عارضت وسأواصل معارضة إقامة دولة فلسطينية بين اسرائيل والأردن . . لذلك فقد عارضت وسأظل أعارض إجراء مفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية . . . » . (هآرتس) .

ويوجه رابين صفعة أخرى لبيريس ، بقوله : « الفشل الذي مني به الحزب في الانتخابات الأخيرة ، العام ١٩٨٨ ، يرجع إلى تحول الحزب نحو اليسار . . . » . لقد قيل الكثير من الكلام ، لكن بيريس هذا هو الذي قاد وجرّ اسحق رابين إلى اتفاق أوسلو العام ١٩٩٣ ! كذلك انجر بيريس نفسه وراء منظمة التحرير ووراء عرفات ، في حين كان نجم رابين في طريقه إلى الغروب (أنظر كتابي « المنتخب القومي ») .

رابين ، شارون والانتفاضة

٣٠ / ٦ / ٨٩ - المستشرق الراحل يهوشاع (جوش) فلمون ، الذي عمل لسنوات طويلة مستشاراً لرئيس الحكومة للشؤون العربية ، يعقب على الانتفاضة الأولى (كانون الأول / ديسمبر ١٩٨٧) ، عندما كان رابين وزيراً للدفاع واسحق شامير رئيساً للوزراء ، قائلاً :

« .. طيبو القلب على اختلاف أنواعهم... لا أريد القول إنهم خونة، ولكنهم يرتكبون خيانة بغير قصد.. من الصعب أن يعيش المرء كيهودي في عالم تسوده المفاهيم العربية، ولذلك، الآن فقط بدأت أستوعب النصيحة أنه اذا كنا نرغب في العيش وفق معايير أخلاقية سامية، لا بد أن تكون أرض إسرائيل يهودية بل وصغيرة...» (ملحق جريدة «هآرتس»).

وسئل «فلمون» في نفس المقابلة: كيف يمكن التعاطي مع الانتفاضة؟

فلمون: «أرى أن هناك إمكانيتين فقط، ويجب أن لا نخدٰع أنفسنا في هذا الصدد: يمكن القضاء عليها (أي الانتفاضة) بطريقة صبرا وشاتيلا، أو بإبقاء الرأس فوق الماء، وهذا ما يفعله رابين. فاليهود لا يستطيعون احتمال ما حصل في صبرا وشاتيلا، وعليه: نحن لا نستطيع إنهاء الانتفاضة بطريقة صبرا وشاتيلا. شارون يستطيع إنهاء هذه الانتفاضة. في حين يحاول رابين العوم فوق الماء. إذا صمدنا لمدة نصف ساعة بعدما ينال التعب منهم (أي المنتفضين الفلسطينيين)، عندئذٍ سوف ننتصر، وإن لم نستطع، فسوف ينتصرون علينا، وهذا ما يبدو لي وشيكاً..».

لقد صدق فلمون: فقد انتصر الفلسطينيون على رابين، وحصلوا على أوسلو - حصان طروادة عرفات!

ويضيف فلمون «... نحن من جهتنا لم نتعامل بشكل لائق مع العرب، لا مع أولئك الذين يقيمون بين ظهرانينا، ولا مع الفلسطينيين في المناطق... لم نفتح لهم بيوتنا وقلوبنا...».

٨٩/٧/٧ - لائحة اتهام ضد شمعون بيريس. المدعي: الصحافي غدعون ليڤي، المُدّعى عليه: شمعون بيريس. الموضوع: رسالة من المساعد السابق للزعيم الأكبر: «أية مبادرة سياسية يجب أن تراعي شرطين: القدرة على تطبيقها، أو على الأقل إرادة حازمة للنضال من أجلها.. الشرط الأول لا يتوفر في الوقت الحالي لديك (كوزير للمالية - ي.ك) أما الشرط الثاني فقد تخليت عنه من جانب واحد... لقد التزمت الصمت حيال الانتفاضة والقتلى، حيال عمليات الإبعاد ونسف البيوت، والاعتقالات الإدارية والعقوبات الجماعية، حيال اللسان السليط المتهور لإسحق رابين، عندما دعا (جنوده) إلى ضربهم (أي المنتفضين) وتكسير

عظامهم، صمتَّ على إغلاق المدارس والتعرض للأطفال، على شغب وعربدة المستوطنين، وعلى خرق سلطة القانون الآخذة بالانهيار. أنت تصمت إزاء كل شيء... نوبات تأنيب الضمير لديك لم أعرفها قط حق المعرفة...» (ملحق «هآرتس»).

١٤ / ٧ / ٨٩ - رئيس الوزراء اسحق شامير: «لا يعقل أن يصبح أرئيل شارون الرجل الأول في الليكود..» (هآرتس).

في حديث أجريته مع شامير لغرض كتابي عن رئيس الدولة عيزر وايزمان («الثرثار: عيزر وايزمان على حقيقته» والذي صدر في العام ٢٠٠٠ عن يارون غولان) سألت شامير: من هو الرجل الجديد بتزعم الليكود بعد هزيمة بيبي نتنياهو أمام ايهود باراك في انتخابات العام ١٩٩٩؟

ذكر شامير للمرة الأولى اسم موشيه آرنس باعتباره «إنساناً جيداً»، بعد ذلك أشار إلى اسم عضو الكنيست عوزي لانداو، الذي أصبح وزيراً للأمن الداخلي في حكومة شارون. وعن نتنياهو قال شامير: «آمل أن يكون نتنياهو قد انتهى».

وعندما سألته عن أريك شارون.. اعتدل شامير في مقعده بمكتبه بتل أبيب وقال: «توجد لأريك حقوق كثيرة، لكنه ليس بالرجل الأنسب للوقوف على رأس الليكود».

٢٨ / ٧ / ٨٩ - لماذا يكره الكثير من الناس في إسرائيل بيريس؟ لماذا مقته كثيراً رؤساء الحكومات الذين عمل لديهم، وتحت مسؤوليتهم؟

يقول بيريس عن نفسه معلقاً: «ربما كانوا يظنون أنني الرجل أو الخصم الأخطر عليهم. ربما كان ذلك أيضاً إطراء في صالحي. حتماً أنهم بعد موتي سيحتفلون بذلك باعتباره أعظم وأهم أمنية لديهم» («هعير»).

٦ / ١٠ / ٨٩ - بعد تأخير دام حوالي ١٣ عاماً، كشف الوزير موشيه شاحل النقاب عن أن شارون دعا في تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٧٦ إلى إجراء محادثات مع منظمة التحرير الفلسطينية.. سارع شارون (وزير الصناعة والتجارة) للتعقيب مؤكداً: «صحيح فقد صرحت بذلك قبل ١٣ عاماً. وكان الأمر مرتبطاً بوجهة نظري ومؤداها أنه وفي سبيل التوصل إلى حل للمشكلة في الشرق الأوسط، يجب أن يكون نظام الحكم في الأردن فلسطينياً لأن

الأردن هو الدولة الفلسطينية... وبنظرة إلى الوراء فقد أخطأت في تصريحي هذا...» (يديعوت أحرونوت).

٢٠ / ١٠ / ٨٩ - يوسي بيلين (نائب وزير المالية في حينه ي.ك) هو «كل شيء لكل الناس» (سيلڤي كيشت / يديعوت أحرونوت). وفي ٣٠ / ٨ / ٩١ أضافت «سيلڤي» عن بيلين «... ذو تجربة غنية بالألاعيب والفبركات القذرة...». وفي نفس عدد الصحيفة (يديعوت أحرونوت) لاحظ حاييم حفر «... الآن هو - بيلين - المسجل في المرمى، هو المثقف في حزب العمل، وما باليد حيلة. إن وجه العصر كوجه الـ«فودل». لا تستغربوا، هذه ليست أسطورة..».

ذوو «الأطواق» - استقالة شارون و«المناورة النتنة»

١٩ / ١ / ٩٠ - قائمة الأصدقاء السابقين لشارون (وعقيلته الراحلة ليلي) تتسع باستمرار، لتضم أشخاصاً مثل: سارة وميخائيل سيلع، أبرهام تامير، غيلا المغور ويعقوب أغمون، يوسي غينوسار، عيران دوليف، تسوري ساغي، وغيرهم كثيرون (معاريف).

تشتهر عائلة شارون بكونها مثالاً في الضيافة، ولكن إلى حين نشوب خلاف مع شارون، إذ منذ اللحظة التي يخالفه فيها أصدقاؤه الرأي، تتبخر الصداقة ويصبح الأصدقاء في خبر كان.

٢ / ٢ / ٩٠ - رئيس الوزراء اسحق شامير، يتهم وزراء «الأطواق» (أرئيل شارون، داڤيد ليڤي، واسحق موداعي) بأنهم يبلبلون الشعب، ويقيمون الأمور ولا يقعدونها، فقط بسبب «مشاكل واعتبارات شخصية»، وهم بذلك يعرضون إنجازات الحكومة للخطر (معاريف).

وكان ثلاثي «الأطواق» قد سعوا إلى وضع شروط تقيد خطة السلام التي بلورها في أيار ١٩٨٩ رئيس الوزراء اسحق شامير، ووزير الدفاع اسحق رابين، لإجراء انتخابات في المناطق الفلسطينية، وتقضي هذه الشروط بـ: لا لإجراء مفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية، ولا لدولة فلسطينية، ونعم لمواصلة الاستيطان في مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة، ووقف الانتفاضة، وعدم مشاركة عرب القدس الشرقية في الانتخابات.

وقد اضطر شامير - وربما أُرغم - على إضافة شروط وزراء الأطواق للمبادرة، وذلك خلال نقاش عاصف جرى في مركز حزب الليكود في تموز ١٩٨٩ .. وبذلك فقد اقتربت حكومة الوحدة من نهاية طريقها.

١٢ / ٢ / ٩٠ - شارون يقدم استقالته من منصبه كوزير للصناعة والتجارة في الحكومة، موجهاً الرسالة التالية إلى رئيس الوزراء اسحق شامير:

سيدي رئيس الحكومة،

إنني أقدم لك بذلك استقالتي.. لقد قررت الاستقالة من الحكومة لأواصل النضال من أجل تحقيق الأهداف القومية، التي أصبح تحقيقها مهدداً بالخطر نتيجة لسياسة الحكومة الحالية. سأواصل النضال كيهودي، وكعضو كنيست، وكرئيس لمركز حزب الليكود.

لقد توصلت إلى نتيجة بأنني لم أعد أستطيع من خلال استمرار عملي في الحكومة، الحؤول دون حدوث الانهيار. المسألة ليست مسألة شخصية (ولو كانت المسألة على هذا النحو، لما كنت أقدم استقالتي)، وإنما هي مسألة قومية مبدئية. في ظل حكومتك تفاقم الإرهاب الفلسطيني داخل أرض إسرائيل بأكملها، موقعاً خسائر جسيمة في الأرواح بين يهود وعرب أبرياء. لقد أدت سياسة الحكومة إلى جعل حياة اليهود مستباحة. لا أستطيع تحمل مسؤولية عن الوضع الراهن، في الوقت الذي أدرك فيه، وأنا مقتنع بذلك، أنه يمكن القضاء على هذا الإرهاب بطرق ووسائل أخرى. إن بالإمكان، في غضون فترة قصيرة نسبياً، إعادة القانون والنظام إلى أنحاء أرض إسرائيل، بما يتيح التوصل إلى سلام مع العرب، على قاعدة حقنا التاريخي في أرض إسرائيل.

سيدي رئيس الوزراء، إن خطتك السياسية قد وضعت إسرائيل على الطريق نحو إقامة دولة ثانية في أرض إسرائيل.. أنت تطالب بمجال مناورة تكتيكي، ولكن في موضوع القدس، لا مجال لأية مناورة، لا تكتيكية ولا سواها، وكذلك الحال بالنسبة لأمن وحياة اليهود. موضوع الأمن يجب معالجته فوراً...

.. هذه الحكومة المشلولة لم تعد قادرة على التعامل كما يجب مع التحدي الصهيوني الأهم، تحدي الهجرة من الاتحاد السوفييتي. هناك خطر بتفويت وإضاعة هذه الفرصة

التاريخية.

.. ليس سهلاً عليّ أن أترك منصبي في الحكومة.. هناك لحظات يجب فيها على المرء أن ينهض من مقعده ويبدأ بالسير على أقدامه.. هناك لحظات في حياة الشعب، وحياة الناس ينبغي عليهم أن ينهضوا فيها، وأن يكافحوا بكل ما أوتوا من قوة قبل فوات الأوان.. وربما كانت هذه هي اللحظة الأخيرة للقيام بذلك.

مع تمنياتي

أ. شارون»

يستطيع أرئيل شارون اليوم. كرئيس للحكومة أن يكتب لنفسه رسالة مشابهة، ليعلن فيها استقالته من منصبه للأسباب عينها تماماً - بل ولربما كانت هذه الأسباب أشد خطورة ووجاهة - التي حدته للتصرف كما فعل مع اسحق شامير في ذلك الحين.. إذ ما الذي تغير خلال العقد الماضي منذ العام ١٩٩٠؟! فوضع اسرائيل في العام ٢٠٠٢ أسوأ مما كان عليه وضعها في العام ١٩٩٠!

بعد مرور حوالي الشهر على استقالة شارون، وقعت «المناورة النتنة» التي قام بها بيريس (في آذار ١٩٩٠). عاد شارون إلى الصورة، حيث أخذ يضغط من وراء الكواليس على رئيس الوزراء (شامير) ليشكل حكومة تقتصر على حزب الليكود. عاد شارون للحكومة في تموز ١٩٩٠ ليتولى منصب وزير البناء والإسكان، في وقت كانت فيه موجة الهجرة من الاتحاد السوفييتي في ذروتها.. كذلك أُسندت إلى شارون رئاسة مجلس وزاري خاص لشؤون استيعاب الهجرة (لغاية تموز ١٩٩٢). وقد أثارت مشاريع شارون في هذا المجال الجديد، موجة انتقادات واسعة، بسبب الدوافع الشخصية التي وظفها في تلك المشاريع.

٩/٤/٩٠ - بيريس يصرح في مقابلة صحافية:

«بعد غد سأكون رئيساً للحكومة (يديعوت أحرونوت). لكن بدلاً من المتآمر كان شامير بالذات هو من عاد ليتربع على كرسي رئيس الحكومة، وذلك بعدما فشلت مناورة بيريس النتنة.. قدم شامير حكومته الجديدة في ١١/٦/١٩٩٠ بعدما أطيح بها في ١٥/٣/١٩٩٠.

١٣ / ٤ / ٩٠ - «بيريس باشيون» (passion). (يديعوت أحرونوت - سيلفي كيشت).

ولمزيد من التفصيل فإن كلمة (passion) تعني في الأدب والفن رواية تصف آلام وعذاب المسيح في قصة صلبة. وتعود جذور الرواية إلى العصور الوسطى أثناء العروض والاحتفالات التي تسبق عيد الميلاد. كذلك فإن passion اسم لـ«طائر» من الفصيلة الدجاجية (لا عرف له، أرقش طويل الذنب يُربىّ للحمه).

عموماً، هناك الكثير من التوصيفات التاريخية والميثولوجية التي يمكن أن تنطبق على شمعون بيريس، مثل «سيزيفوس» وهو ملك «كورنيتوس» اليوناني، وقد حكم عليه (مجازاً) لارتكاب خطايا، أن يدحرج حتى آخر يوم في حياته صخرة (حَجَرة) ضخمة باتجاه قمة جبل مرتفع ووعر، فكان الحجر يعود ويتدحرج على الفور نحو المنحدر، ومن هنا جاء اصطلاح «عمل سيزيفي»، بمعنى عمل شاق لا جدوى أو نهاية له.

- و«تنتالوس» وهو في الميثولوجيا اليونانية: ملك إغريقي ابن الآلهة زيوس، خالف أوامر الآلهة بإفشائه لأسرارهم، فعوقب بالأشغال الشاقة المؤبدة، أو الهلاك والموت.. وقد وضعوا بالقرب منه، أثناء عقابه، ماءً وثماراً، وحينما حاول الوصول إليها ابتعدت عنه. من هنا جاء مثل «عذاب تنتالوس»، أي: العذاب الذي يواجهه إنسان لا يستطيع التمتع بإنجاز أو نجاح في متناول يده.

- هوبريس: في الأساطير اليونانية القديمة، ترمز الكلمة إلى الكرامة أو الكبرياء الإنساني، الذي يؤدي إلى الإخلال بقوانين الطبيعة، وهي خطيئة تنزل الآلهة أشد العقوبة بمن يرتكبها.

سلاح منظمة التحرير السري..

٢٥ / ٤ / ٩٠ - من هو المسؤول الإسرائيلي الذي تنبأ قبل حوالي عشر سنوات باندلاع انتفاضة أيلول / تشرين الأول ٢٠٠٠، وحذر مما يتوقع إقدام الفلسطينيين عليه، لكن المسؤولين الإسرائيليين رفضوا الإصغاء إلى تحذيراته، فكانت صرخة في واد؟.

السيناريو الذي قدمه هذا الرجل تحقق بالكامل، وصار واقعاً. وجاء في ما قاله: «منظمة التحرير الفلسطينية تطالب باستعادة كل أجزاء أرض إسرائيل ولا تسلم بحقيقة أن هناك

يهوداً يعيشون فيها. مع من إذاً يمكن التفاوض؟! وما الذي يمكن التفاوض حوله؟ إن الهدف الواضح الذي تسعى له منظمة التحرير يتمثل في تدمير دولة إسرائيل والاستيلاء على جميع أراضيها.

إن كون منظمة التحرير تهدف إلى تحويل كامل أرض إسرائيل إلى دولة ديمقراطية - علمانية بزعامة المنظمة، إنما يشكل دليلاً على أنها (منظمة التحرير) ليست معنية على الإطلاق بالتوصل إلى تسوية إقليمية، ولذلك فإن التفاوض والحوار مع المنظمة في ظل مثل هذا الوضع، سوف يؤدي إلى زيادة الخطر، ويفضي إلى كارثة خطيرة. فالعربي عندما يشعر أن اليهود يقرون بحقوقه، وأنهم قد يتنازلون له في نهاية المطاف، سيلجأ إلى أعمال العنف والإرهاب.. وعندما يوقن أنه ليس لديه أي أمل برؤية أحلامه تتحقق، فإن نار العنف ستخبو.. ولكن عندما نقوم نحن بإذكاء وإنعاش آماله في كل يوم، وعندما ينادي بعضنا بوجوب التحدث مع منظمة التحرير (اليوم مع السلطة الفلسطينية التي تمثل منظمة التحرير المحرك الرئيسي فيها - ي.ك)، فما الذي نتوقعه عندئذٍ؟!.

«لقد أدركت منظمة التحرير بسرعة أن لديها «سلاحاً سرياً» مجانياً وهو: الجمهور الإسرائيلي في هذه البلاد. لقد تعلمت المنظمة بسرعة، كيف يمكن لها أن تحقق إنجازات من خلال هذا الجمهور، إن أكثر ما يجب أن يهمنا اليوم، هو كيف نجنح بالسفينة إلى بر الأمان.. هذا أهم في اللحظة الراهنة من محاربة منظمة التحرير بطرق ووسائل أخرى..».

لقد تكهن هذا الرجل سلفاً وقبل سنوات عديدة بـ«المساهمة» التي ستقدمها حكومة ايهود باراك - يوسيف (يوسي) سريد إلى إسرائيل بقوله:

«إذا كان القرار سيكون في يد حكومة ضيقة بزعامة المعراخ، فإن خطواته ستقودنا نحو خطر حرب فظيعة. لقد بات شبح الحرب في الآونة الأخيرة ملموساً أكثر من أي وقت مضى. إذا أعطيت شرعية للحوار مع منظمة التحرير، فسوف نشاهد في صبيحة اليوم التالي انتفاضة على نطاق لم نعهده من قبل. عندئذٍ سيبدو العرب محقون من وجهة نظرهم. نحن نعيش في وضع أصبحت فيه المسألة مسألة حياة أو موت.. لا بد إذاً من بذل كل الجهود في سبيل منع تلك العناصر (العمل - ميرتس) من إقامة حكومة تجلب كارثة خطيرة على الشعب

الإسرائيلي..».

يجب التذكر بأن حكومة باراك ورثت اتفاقيات أوسلو من حكومة اسحق رابين/ شمعون بيريس، مثلما ورثتها حكومات بنيامين نتنياهو وأرئيل شارون.

والحال، من هو الرجل الذي قرأ المستقبل في العام ١٩٩٠؟

التصريحات المقتبسة أعلاه وردت على لسان الجنرال (احتياط) يهوشواع ساغي، الذي كان رئيساً لهيئة الاستخبارات العسكرية، واليوم رئيساً لبلدية «بات يام» من طرف الليكود. وقد نشرت تصريحاته هذه بتاريخ ٢٥/٤/٩٠ في صحيفة «كفار حباد» وهي أسبوعية مغمورة.

في انتخابات العام ١٩٩٦ استخلصت النتائج من جانب غالبية الناخبين، وفي طليعتهم، أتباع حركة «حباد» الذين اصطفوا صفاً واحداً لدعم وتأييد بنيامين نتنياهو ضد شمعون بيريس تحت شعار «نتنياهو جيد لليهود..».

ولكن إلى أي حدّ كان نتنياهو حقاً جيداً لليهود؟ فهذه مسألة تبقى خاضعة للتفسيرات والاجتهادات.

«سياسي متوسط، رجل سياسة سيء...»

١١/٥/٩٠ – عضو الكنيست السابق ميخائيل بار زوهر يحمل لقب الدكتوراه في التاريخ من جامعة السوربون في باريس، وهو من نشطاء حزب «العمل». ومن طلائع «رافي»، عمل أيضاً متحدثاً باسم وزارة الدفاع بعد حرب الأيام الستة (حزيران ١٩٦٧). في العام ١٩٧٧ كان «بار زوهر» في عداد نشطاء طاقم الحملة الانتخابية لشمعون بيريس في المنافسة على الفوز بزعامة الحزب، وعضواً في الكنيست العاشرة والثانية عشرة، وفي العام ١٩٩٩ كان من ضمن المبادرين لإقامة حزب الوسط، لكنه سرعان ما انسحب قبل أن يلفظ هذا الحزب أنفاسه إلى الأبد. ويعرف بار زوهر أيضاً بكونه مؤلفاً للكتب التاريخية والقصص البوليسية، ومؤلف (واضع) سيرة حياة بن غوريون، وقد حصل في العام ١٩٦٥ على جائزة «سكولوف» للصحافة.

ينتمي «بار زوهر» إلى مجموعة آخذة بالاتساع من «المقربين السابقين» لشمعون بيريس، الذين لا يتورعون عن فضح وإشهار نقاط ضعف بيريس وعيوبه وتقصيراته على رؤوس الأشهاد - «يديعوت أحرونوت». ومما كتبه بار زوهر عن بيريس:

* بيريس سياسي متوسط.

* يحيط نفسه فقط بالمنافقين والمتزلفين.

* يتخلى عن مواقفه تحت الضغط.

* بحاجة ماسة إلى دعم ومساندة رفاقه، لكنه لا يتورع عن التخلي عنهم مقابل أمل ضعيف في أن يجتذب إلى صفه أحد خصومه اللدودين.

* مفرط في التفاؤل، لكنه يتصرف كإنسان حزين محبط سوداوي.

*

ويرسم بار زوهر ملامح عامة لشخصية أرئيل شارون على النحو التالي:

- جندي بارع تحول إلى سياسي سيء.

- يؤمن بأنه يمكن تغيير واقع سياسي عن طريق القوة العسكرية.

- صاحب طموح شخصي جامح.

- مدبر مكائد ومؤامرات سياسية، يضلل أصدقاءه وخصومه على حدّ سواء.

* رجل سياسة ماكر ومخادع وغير موثوق.

انقضت دزينة أعوام لنجد أنفسنا أمام بار زوهر من نوع جديد. لم تعد لديه أية مآخذ على شمعون بيريس وأرئيل شارون. وهو يدعو الآن إلى إقامة حزب جديد على الفور بزعامة شارون وبيريس، وذلك قبل موعد إجراء الانتخابات المقبلة للكنيست («يديعوت أحرونوت» - ١٤ / ١ / ٢٠٠٢).

ربما تغير رأيه عن الثنائي بيريس - شارون بعدما باشر قبل حوالي السنة بكتابة سيرة حياة شمعون بيريس. وهو يجتمع لهذا الغرض مع نجمه - بطله أسبوعياً. كذلك تم إيفاده من طرف وزارة الخارجية التي يتولاها بيريس، ليكون سفيراً للدعاية الإسرائيلية في الولايات المتحدة الأميركية. ويقول: إن «الثنائي شارون - بيريس يشكلان أفضل رد على وضعنا

الراهن . . . » . (هآرتس - ١٨ / ١ / ٢٠٠٢) . إنها نغمات جديدة نسمعها على لسان الدكتور بار زوهر «خريج» (رافي) وحزب الوسط !.

*

١١ / ٥ / ٩٠ - أوري فورات ، الذي عمل مديراً عاماً لسلطة البث ، يقول راثياً لـ «المناورة النتنة» (يديعوت أحرونوت) : إنها «نصب تذكاري حزين للانقلاب الفاشل الذي قام به بيريس ، والذي أخفق وتحول إلى مقبرة سياسية جماعية» .

- ٢٢ / ٦ / ٩٠ - اسحق رابين يقول معقباً على «المناورة النتنة» : لدى بيريس رغبة مستحوذة في أن يكون رئيساً للوزراء . . وهذا ما أدى لإهانة وتحقير حزب العمل . . آن الأوان ليدفع بيريس ثمن أخطائه . . » (يديعوت أحرونوت) .

٢٩ / ٦ / ٩٠ - بعد «المناورة النتنة) انتقل جميع أصدقاء بيريس تقريباً ، منذ عهد «رافي» وكذلك جميع أنصاره الشبان الذين سعى إلى إدخالهم للكنيست الأخيرة ، انتقلوا بلا وجل أو أسف إلى معسكر الأعداء (حدشوت) وقالوا «انتهى ، لقد جاء يوم الملك الفاسد . . » .

مؤيدو بيريس الذين ظلوا مخلصين له ، ابتهجوا واستمتعوا في الوقت ذاته بتوجيه «لسعات» تجاه اسحق رابين . ومما قالوه : إن الماء الذي عانى رابين من وجوده في ركبته ، نتج عن ذوبان ثلج الوسكي ، وتطويح رأسه وهو يمزج الثلج بالوسكي . واستذكر هؤلاء قادة حزب العمل الذين أطيح بهم مثل :

* بن غوريون : أطيح به من حزب العمل («مباي» في حينه) بسبب فضيحة لڤون . رحل إلى «سديه بوكر» وتوفي هناك في العام ١٩٧٣ .

* موشيه شاريت : تم التخلي عنه وإقصاؤه ليجلس على كرسي معوقين .

* ليڤي أشكول : ساموه صنوف العذاب وألّفوا عنه كتب الطرائف والنكت ، ولم ينقذه سوى موته من الانقلاب المتوقع الذي دبروه له .

* غولدا مئير : أرغمت على الاستقالة وسط شتائم ومسبات جوقة رفاقها ، بعد نكسة حرب يوم الغفران (أكتوبر ١٩٧٣) .

* اسحق رابين : استقال (من رئاسة الحكومة) بسبب حساب الدولارات الشخصي الذي

كشف عن أنه فتحه في الولايات المتحدة.

* شمعون بيريس: أقصي بعد (المناورة النتنة) محاولته الفاشلة للإطاحة بحكومة الوحدة الوطنية برئاسة شامير.

* إيهود باراك: أُجبر على الاستقالة بعد مرور حوالي سنة ونصف السنة على توليه لزمام السلطة، وهزيمته في الانتخابات أمام أرئيل شارون.

كان «أغرار» حزب العمل مثل نسيم زڤيلي، يوسي بيلين، حاييم رامون، حجاي مروم، إيلي بن مناحيم، نواف مصالحة، عمير بيرتس وأفرايم غور، هم الذين دفعوا وشجعوا بيريس على القيام بـ«مناورته النتنة» في العام ١٩٩٠. لقد دفعوا بيريس - معبودهم - نحو حل حكومة الوحدة التي أقيمت في كانون الأول ١٩٨٨ واستمرت نحو ١٥ شهراً حتى آذار ١٩٩٠. «المتمردون» اتهموا بيريس بأنه «يتشبث بمقعده متنكراً لعملية السلام».

*

٢٧/٧/٩٠ - الحنان يشاي، صديق بيريس القديم، انبرى للدفاع عنه في وجه هجمة «الشبان» الذين انقضوا على زعيمهم بعد «المناورة النتنة» التي أعادت الحزب إلى مقاعد المعارضة.

ويعد «يشاي» من بين مؤسسي الـ«غدناع» والـ«بلماح» كما عمل في نطاق مشروع التهجير غير الشرعي لليهود (إلى فلسطين في عهد الانتداب البريطاني - المترجم) وهو من مستشاري ومعاوني بيريس الأكثر قِدَماً وإخلاصاً (يديعوت أحرونوت).

وتكشف أقوال «يشاي» وجهاً مختلفاً بعض الشيء عن المألوف، لصديقه بيريس.

وقد تعرف على بيريس عندما كان مرشداً له في العام ١٩٣٨ في دار الشبيبة العاملة والمتعلمة في تل أبيب.. بعد مرور حوالي ثلاث سنوات، في العام ١٩٤١، كان بيريس قد أصبح واحداً من سكرتيري الحركة. أما «يشاي» فصار بمرور السنوات ظلاً لا يفارق بيريس. ومن أقواله:

* لقد واجه بيريس دوماً جبلاً من العداء والكراهية وعدم التفهم، لكنه تعلم وتمرّس. إنه رجل عنيد.

* كان والد شمعون بيريس (برسكي) يدير مقصفاً قرب سينما «اللنبي» (تل أبيب).
تعلم بيريس في مدرسة ثانوية للتجارة، لكن أبويه اللذين عملا بكد، لم تتوفر لهما الإمكانيات الكافية لدفع رسوم التعليم، فتوجه (يشاي) إلى داڤيد كوهين، سكرتير عام حركة الشبيبة العاملة والمتعلمة طالباً المساعدة، فلبى الأخير الطلب حيث صرف منحة أتاحت لبيريس مواصلة تعليمه في قرية الشبيبة (بن شيمن).

* يملك بيريس طابعاً متيناً كالإسمنت، وهو مهيأ فقط لصداقة يجب أن تُمتحن وتخضع للاختبار. إنه متفائل، ولن ينتهي به الأمر أبداً إلى اعتزال الحياة السياسية أو الاعتكاف في عزلة، فهو ليس مبنياً لمثل هذه الخطوة.

* على غرار بن غوريون، فإن نظرية شمعون بيريس تقول: إنه لا يجوز إقامة حكومة إذا لم تجد لغة مشتركة مع القطاع الديني.

٣/٨/٩٠ - بيريس يقول عن نفسه «أعتقد أنني إنسان وسطي جداً، وأن ما يمكّن إسرائيل من الانتقال من العهد الأمني إلى العهد السياسي هو التجربة والخبرة..».

*

١٢/١٢/٩٠ - وزير الاستيعاب الحاخام اسحق بيرتس، وجد أن شارون كوزير للبناء والإسكان غير محتمل، نتيجة «إخفاقاته في مجال الإسكان». ووصفه بأنه «دكتاتور تاريخي» (يديعوت أحرونوت).

٢٨/١٢/٩٠ - الموالون السابقون لشارون لم يقفوا مكتوفي الأيدي تجاه ما يحدث في مكتبه الحكومي، وهو يزجرهم ويوبخهم مزمجراً صارخاً، مستشيطاً. كذلك تجده يضرب على الطاولة بقبضتيه موجهاً الإهانة كلما اختلفوا معه حول آرائه وأعماله في وزارة البناء والإسكان، التي تحولت إلى مكتب عمل لخدم شارون المهانين، الذين لا تتاح لهم فرصة نيل حصة من الكعكة التي لا تكفي للجميع. ويصفه هؤلاء بأنه «ثور أهوج» (حدشوت).

١٩٩١: بلدوزر بمحرك «توستوز»

١٥/٣/٩١ - لم ينجح شارون خلال السنوات التي شغل فيها منصب وزير البناء والإسكان وعضوية المجلس الوزاري المصغر (١٩٩٠ - ١٩٩٢) في تحويل معقله إلى قوة

حزبية ذات وزن، خاصة جراء حقيقة أن مقربيه، الذين يحظون دوماً بالأولوية على حساب الجمهور، وفي أية وزارة يعمل فيها، رفضوا تقاسم قشطة الزبدة السميكة التي كانت من نصيبهم، مع زملاء آخرين في مواقع دون موقعهم، بعيدة أكثر عن الـ «بوس» شارون. وقد نعته هؤلاء في ذلك الوقت بـ «بلدوزر بمحرك توستوز - دراجة نارية صغيرة الحجم» («هعير»).

٤ / ٤ / ٩١ - شارون يطالب المجلس الوزاري (الكابنيت) بالإعلان عن القضاء على الانتفاضة، إلا أن اقتراحه لم يُطرح للنقاش (يديعوت أحرونوت).

كيف يمكن القضاء على الانتفاضة؟! سُئل شارون، فكان جوابه: «القضاء عليها سيتم عن طريق العمل والجهد المثابر والدؤوب الذي سيستمر بالتأكيد أشهراً عديدة، وهذا ناتج بالأساس عن التقصير والتقاعس الأمني المستمر، منذ أكثر من ثلاث سنوات... يجب طرد قادة الانتفاضة من البلاد. يجب فرض حظر تجول غير محدد بزمن على منطقة محدودة. يجب إقامة مواقع استيطان عسكرية (ناحال) في كل مكان تقع فيه عملية كبيرة. لدي خبرة ومعرفة في معالجة المشاكل الأمنية، وقد برهنتُ على ذلك في الماضي..».

شارون كرئيس للحكومة، لا يتصرف تجاه قادة الانتفاضة في العام ٢٠٠٢، بناء على وجهة نظره ورؤياه من العام ١٩٩١. برنامجه، حسب التخطيط الأصلي الذي بلوره قبل نحو عشر سنوات، ظل حبراً على ورق، دون رصيد.

في نفس الوقت أعلن شارون ذاته (في ربيع العام ١٩٩١) عن رؤيته تجاه المسألة الفلسطينية بقوله: «مشروع الحكم الذاتي (الذي وافق عليه مناحيم بيغن - ي.ك) يعني من الناحية العملية إقامة دولة فلسطينية، وهذا خطير جداً في نظري.. يجب (على اسرائيل) التراجع عن اتفاق كامب ديفيد.. الحل يجب ان يرتكز الى فرضية ان الدولة الفلسطينية قائمة في الاردن.. هذه هي الفكرة الوحيدة الواقعية..».

غير ان شارون كرئيس للوزراء، اعلن ايضاً بانه لا يستبعد امكانية اقامة دولة فلسطينية في يهودا والسامرة وغزة. الى ذلك فان وزير الخارجية شمعون بيريس أجرى ويجري محادثات سياسية (مع الجانب الفلسطيني) على الرغم من تأكيدات شارون ان مثل هذه المحادثات لن تتم الاّ بعد استتباب وقف اطلاق نار تام، وتوقف عمليات الارهاب.

ماذا حصل لشارون في مكتب رئيس الحكومة؟
انها لأحجية!

٣/ ٥ / ٩١- بدأ شمعون بيريس، في العام ١٩٩١، قبل حوالي عامين من التوصل الى اتفاق اوسلو، يُظهر مرونة معينة، حيث تحدث عن ضرورة التوصل الى تسوية اقليمية (يديعوت احرونوت). فقد صرح بيريس: «يجب ان يكون واضحاً ان العرب ايضاً سيوافقون على تسوية كهذه، ومثلما انه لا بديل للنصر في الحرب، فانه لا بديل للتسوية في السلام».
فليقنع عرفات بذلك!

٣/ ٥ / ٩١- الغاء لقاء بين وزير البناء والاسكان شارون، ونظيره الاميركي جاك كامب وذلك اثر اعتراض وتدخل من جانب وزير الخارجية الاميركي جيمس بيكر ومستشار الامن القومي بيرت سكوكروفت.

١٨ / ٦ / ٩١- شارون ينال علامات متدنية على أدائه كوزير للبناء والاسكان، بعد مرور سنة على توليه للمنصب.. فالتعيينات السياسية التي قام بها تركت صدى سلبياً وتسببت بالحاق اضرار. وهو يتصرف بصورة فظة وليس رسمية، وهذا شيء معروف جيداً لعامة الناس، الاخفاق الاكبر الذي وقع فيه كان في مجال الاراضي (يديعوت احرونوت).

٢١ / ٦ / ٩١- ما الذي حصل لبيريس بعد فشل «مناورته النتنة» التي فاحت رائحتها في اسرائيل؟

في جريدة «يديعوت احرونوت» كُتب عن بيريس: «منذ ان فقد بيريس رئاسة الحكومة صار وجهه عابساً متجهماً وحزيناً، كما الطفل الذي تُؤخذ منه الكرة التي يلعب بها... انه يعاني من مشاكل في طابع شخصيته.. فهو من النوع الذي لا يطرف له جفن، ومثل هذا الشخص لا يعكس اي احساس مرهف او عاطفة.. وهو عندما يتحدث يستعين بحركات ذراعيه، حركات مستديرة ورقيقة وتشي برغبة في خلق علاقة، صلة، ومع ذلك فان نظراته تبدو حائرة باردة لا دفء فيها. هذه الهوة تولد انعدام مصداقيته. وتراه يكثر من التنويه عن نفسه، كمن يسعى لكسب ثقة المشاهد، يكرر اقواله بوتيرة ثابتة، الامر الذي يعكس عناداً وليس قوة...»

في المقابل فان لشارون «ملامح الرجل الفلاح الذي عاد للتو من زريبة الاغنام.. لديه اريحية وبساطة الفلاح..».

١٩٩٢ - ١٩٩٥: رابين، اتفاق اوسلو والـ«ميتسوبيشي»

انتخابات الكنيست الثالثة عشرة جرت في ٢٣ حزيران ١٩٩٢. الحق رابين الهزيمة باسحق شامير، وفاز حزبه (العمل) بـ٤٤ مقعداً في الكنيست مقابل ٣٢ مقعداً حصل عليها حزب الليكود، حزب «ميرتس» بزعامة شولاميت الوني صعد الى ١٢ مقعداً. في ١٣ تموز ١٩٩٢ صوّت الكنيست بمنح الثقة للحكومة التي ضمت ١٧ وزيراً. اصبح رابين رئيساً للحكومة ووزيراً للدفاع، وشمعون بيريس وزيراً للخارجية.

انضمت ثلاثة احزاب للائتلاف: «العمل»، «ميرتس» و«شاس»، في حكومة رابين كثرت المناوشات بين «ميرتس» و«شاس»، ووصلت ذروتها اثناء التوقيع على اتفاق اوسلو في العام ١٩٩٣.

اشتدت مظاهرات الاحتجاج ضد اتفاق اوسلو لتكتسب مزيداً من القوة والزخم. وقام مستوطنون ومؤيدون لهم بسد الطرق، وتنظيم اجتماعات حاشدة، اطلقوا خلالها التهديد والوعيد ووتروا الاجواء.

السياسة التي اتبعها رئيس الوزراء اسحق رابين تجاه منظمة التحرير الفلسطينية واتفاق اوسلو ادت الى تقوية وتوسيع دائرة المعارضة داخل مجلس النواب (الكنيست) وخارجه، واطلقت هتافات «رابين خائن».

«شاس» قادت من جهتها حملة تشهير واساءات بشعة ضد شولاميت الوني - زعيمة «ميرتس» التي كانت وزيرة للمعارف والثقافة- التي اثارت بعدة تصريحات لها غضب المتدينين الحريديم. ولم تكد تمر عدة شهور على تشكيل حكومة رابين، حتى أُرغمت الوني على التخلي عن وزارتها في ضوء مطالب «شاس» المقرونة بالتهديد، وصمت مطبق من جانب زعامة حركة «ميرتس»، بعد ذلك عُهد لـ«الوني» بوزارتي الاتصالات، والعلوم والتكنولوجيا، التي تحولت الى وزارة العلوم والفنون.

١٢ / ١ / ٩٣- مراقبة الدولة، تتهم حزب العمل بانه «اشترى السلطة بالمال»، وهذه اسطوانة دائمة، فلكل حزب طريقته في شراء الاصوات اثناء الانتخابات، وهذا خلافاً للقانون.

١٧ / ٢ / ٩٣- بعد مرور عدة شهور على انتخاب رابين، كتب الصحافي اوري افنيري بانه «يعتذر لكل الذين قبلوا نصيحته بالتصويت لصالح رابين والتبرع لصالح «ميرتس».. فهذه الحكومة هي اسوأ حكومة تقوم في اسرائيل حتى الآن..» (معاريف).

وكتب افنيري، في مقاله الذي جاء تحت عنوان «اعتذار»، إنه كان مبهوراً في ٢٣ / ٦ / ٩٢ عندما اذيعت نتائج الانتخابات، ولكنه بعد اتفاق اوسلو كتب ان «الورق يحتمل كل شيء».

١٢ / ٣ / ٩١- نسيم زفيلي، امين عام حزب العمل، يقول: ان بيريس غير مؤهل لتبوّء موقع الرجل الثاني (معاريف)، المؤامرات ضد رابين مستمرة، كما استمرت الاتصالات السرية بين معاوني بيريس وممثلي منظمة التحرير خارج حدود اسرائيل دون علم رئيس الحكومة (رابين)، ويصف البروفيسور دانئيل بارطال، وجود رابين وبيريس معاً في حكومة واحدة بانه «المرحلة الحرجة في الزواج»، ويؤكد انه «اما ان يكون كلاهما فوق، أو أن يكونا تحت».

لقد وضع بيريس اصبعه على نقاط ضعف رابين ومحدودية تفكيره، الذي لم تكن تركيبته مهيأة لأفكار تشذ عن طابعه البليد، حيث سارع بيريس باقتراح حلول سياسية لم تلق استحساناً كبيراً لديه، لكن اليسار ضغط على رابين الذي ظل يتراجع الى ان قبل باتفاق اوسلو، الاتفاق الذي لم يكن منسجماً مع رغبته على أقل تقدير، والذي شبهه رابين بـ«الجبنة السويسرية التي تتخللها ثقوب كثيرة» على حد تعبيره.

لماذا رضخ لبيريس «المنافقون» والمذعنون وسائر اليساريين؟ هذا السؤال تردد على السنة الشعب الاسرائيلي لسنوات طويلة، لكنه ظل دون اجابة صادقة وامينة، فالشخص الذي يمتلك الاجابة قتل ودفن معه سره.

١٨ / ٦ / ٩١- مر عام على وجود حكومة رابين في السلطة، غالبية الوزراء نالوا علامات متدنية جداً، بل ومخزية، عن ادائهم. ونالت الحكومة كلها علامة (5) على ادارتها لشؤون الدولة. وبات رابين منقطعاً عن الواقع.

وعلى غرار ما فعله سلفه شامير، قام رابين بتحجيم وزير خارجيته شمعون بيريس. حيث سحب منه صلاحية معالجة شؤون العلاقات مع الولايات المتحدة ومحادثات السلام الثنائية.

أنصار بيريس لا يخافون، اما منتقدوه فقد ازدادوا عدداً بفضل «رذاذ لَسَعات» رابين الذي وقع على آذان مصغية. سكرتير عام حزب «العمل» نسيم زفيلي انتمى الى آخر مؤيدي بيريس. مقربو بيريس همسوا بانهم يعرفون ان رئيسهم (بيريس) لن يرشح نفسه بعد الآن، لكنه لم تكد تمر بضع سنوات حتى ترشحَ في مواجهة بنيامين نتنياهو في انتخابات الكنيست الـ١٤ التي جرت في ٢٩ / ٥ / ١٩٩٩، وكان على أهبة الاستعداد لمنافسة شارون في ٦ / ٢ / ٢٠٠١، الاّ ان امكانية ذلك لم تتح له، وهكذا مُني بطل المؤامرات والدسائس بانتكاستين.

بيريس، كوزير خارجية رابين، يحجم عن العمل والتحرك بهمة ونشاط، مكتفياً ببذل ٥٠٪ من طاقته. «عصابة اوسلو» تكتسب قوة وزخماً. رابين في شيخوخته، لايرى ولا يسمع ولا يعرف! جوقة الدجالين - يوسي بيلين، آري غال، اوري سافير، نمرود نوبيل، رون فونداك، ويئير هرشفيلد - تتعمق في الاتصالات مع الفلسطينيين في مكان ما من اوروبا، بعيداً عن علم ومعرفة رئيس الوزراء رابين، بيريس لا يُقدر رابين كانسان وكسياسي، ولذلك يحول دون البوح له بسر ما يُحاك من وراء ظهره، لكنه يضطر في نهاية العملية للانجرار للاتفاق كما لو ان شيطاناً قد ركبه.

١٣ / ٩ / ٩٣- التوقيع على اتفاق اوسلو في واشنطن، واقراره في الكنيست باغلبية ٦١ صوتاً ضد (٥٠) صوتاً وامتناع ممثلي «شاس» وثلاثة من نواب الليكود.

٢٨ / ٩ / ٩٣- رؤيا بيريس تحلق في الاعالي، اذا اصبح يرى امامه «شرق اوسط جديد».. حيث القى خطاباً في الجمعية العامة للأمم المتحدة، وحلق فيه الى آفاق جديدة خيالية، من قبيل «سويسرا الشرق الاوسط».

٢٦ / ١٠ / ٩٤- الكنيست يناقش مشروع قانون لتكريس قانون ضم الجولان، وذلك بهدف وضع قيود وعراقيل تحول دون قيام الحكومة باجراء مفاوضات مع سورية حول انسحاب اسرائيلي من هضبة الجولان مقابل اتفاق سلام، مورست ضغوط شديدة على نائب الوزير

الكسندر غولدفرب لكي لا يصوت الى جانب القانون او ليمتنع عن التصويت. وقد هدده رابين بانه سيقيله من منصبه كنائب وزير اذا لم يصوت ضد القانون، لكنه تصرف وفق املاء رئيسه وصوت ضد القانون. بعد ذلك علق غولدفرب قائلاً: «يؤلمني ان هناك اناساً بلغت بهم السفاهة والتفاهة حد الادعاء بانني صوت من اجل سيارة الميتسوبيشي» (معاريف).

٢٨ / ٩ / ٩٥ - الكنيست يصادق بأغلبية صوت واحد - ٦١ صوتاً مقابل ٥٩ - على اتفاق «اوسلو -ب» الذي تضمن جدولاً مفصلاً بمراحل الانسحاب. وكان الصوت الحاسم هو صوت عضو الكنيست الكسندر غولدفرب.

رئيس الدولة عيزر وايزمان يستشيط غضباً، ويقول لمجموعة من اعضاء الكنيست الذين زاروه في مقره: «انا اعارض الاتفاق. قلت ذلك لرابين وبيريس. أهذه اغلبية لاقرار الاتفاق؟! هل يُعقل ان يكون اقرار الاتفاق متوقفاً على حصول او عدم حصول نائب واحد على سيارة ميتسوبيشي؟! هل هذه اغلبية؟!».

يُشار الى ان سيارة ميتسوبيشي اليابانية الصنع كانت السيارة الفخمة التي وضعت تحت تصرف نائب وزير الاسكان غولدفرب. واكد وايزمان ان الاتفاق (اتفاق اوسلو) أُبرم بتسرع.

٤ / ١١ / ٩٥ - اغتيال رئيس الوزراء ووزير الدفاع اسحق رابين في تل ابيب بعد مرور شهر ويومين على اقرار اتفاق «اوسلو-ب» في الكنيست بفارق صوت مشكوك فيه.

يغئال عمير، قاتل رابين. سيقبع في السجن حتى آخر يوم من حياته..

وفي ١٩ / ١٢ / ٢٠٠١ اعتمدت الكنيست باغلبية كبيرة قانوناً يحظر بموجبه منح عفو لقاتل رئيس الوزراء رابين.

شمعون بيريس: مخادع كرئيس وزراء (غير منتخب)
(٢٢/ ١١/ ٩٥ - ١٨/ ٦/ ٩٦)

في ٢٢ / ١١ / ٩٥، وبعد مرور ١٨ يوماً فقط على اغتيال رابين، صادق الكنيست على تعيين شمعون بيريس رئيساً للحكومة الجديدة - السادسة والعشرين منذ قيام الدولة - والذي لم ينتخب لهذا المنصب في انتخابات عامة. حكومة بيريس ضمت ٢١ وزيراً وتسعة

نواب وزراء. بيريس تولى في نطاق حكومته هذه أيضاً حقيبة الدفاع. أما ايهود باراك «بطل الأمن» فعينه بيريس وزيراً للخارجية. العلاقات بين بيريس وباراك لم تكن طيبة أبداً.

تربع بيريس في مقعد رئيس الحكومة، وإن كـ «وريث» لرابين، كان في هذه المرة أمراً حقيقياً ملموساً. على الأقل بصورة مؤقتة، وليس كما حصل في الحادث المحرج الذي تعرض له في ٣٠ حزيران ١٩٨١، في الانتخابات للكنيست العاشرة، حيث تنافس في انتخابات العام المذكور مناحيم بيغن وشمعون بيريس.

فبعد ساعات معدودة من إقفال صناديق الاقتراع، وبينما كانت الكفة تميل مؤقتاً لصالح بيريس، سارع المتحدث باسم حزب العمل خادم بيريس الأمين يسرائيل بيلغ، إلى الإعلان للملأ في أجواء احتفالية في أحد فنادق تل أبيب عن فوز بيريس، قائلاً: «أقدم لكم رئيس حكومة إسرائيل المقبل شمعون بيريس».

ولكن، ما إن انقضت بضع ساعات حتى انقلبت الصورة، لتعم البهجة والسرور في «بيت جابوتنسكي» مقر حزب الليكود في تل أبيب، إذ فاز مناحيم بيغن في سباق الانتخابات، بل ونجح في زيادة قوة حزب الليكود في الكنيست. وكانت النكسة – وهي ليست الأولى بالنسبة للخاسر المزمن (بيريس) – محرجة للغاية.

لكن بيريس يرفض بإصرار، الإقرار بأنه لم يفز في أية حملة انتخابات لرئاسة الحكومة و / أو لمنصب رئيس الدولة. ووجد بيريس ضالته بادعاء حصول «تزوير» في نتائج الانتخابات. من هنا ربما جاء أيضاً ظهوره البائس في أيار ١٩٩٧، عندما أوشك باراك على الفوز بمنصب زعيم الحزب، حيث طالب مؤيدو بيريس، الذي أرغم على التنحي عن زعامة الحزب، بتعيينه رئيساً لحزب العمل، لكن معاوني باراك رفضوا هذا الطلب لإدراكهم التام حقيقة من هو المتآمر.

بيريس الذي يجد صعوبة في التنحي، صعد إلى منصة مؤتمر حزب العمل، ليعلن قائلاً: «لا أريد صلاحيات ولا وجاهة، ولكنني لا أريد أيضاً سماع إهانات. لقد سمعت أصدقائي يقولون: بيريس خاسر.. أحقاً أنني الذي خسر؟!». «أجل، خسرت» ردوا عليه مقاطعين من صفوف الحضور.

في كانون الاول ١٩٩٥، وبعد مرور شهر واحد على اغتيال رابين، اطلق بيريس، الذي

يلهث دوماً وراء الظهور في عناوين الصحف، اطلق الى فضاء العالم شعاراً سخيفاً من خياله الخصب داعياً الى «سلام بدون ذرة». ومع من؟ مع الدول العربية التي لم تكف عن احلامها بتدمير اسرائيل؟.

ان بيريس سياسي حالم، يغرق في افكار عبثية دون اساس واقعي: هناك من يسميه «بنتزيونير» لكونه يكثر من نسج افكار من خياله.

يوسيف الموغي، رئيس بلدية حيفا المتوفى، وهو سياسي بارع غني التجربة عمل وزيراً في حكومات اسرائيلية متعاقبة، قال لي: ان شمعون بيريس مستعد لان يخترع في كل يوم اختراعاً جديداً... فقط من اجل تصدر العناوين.

خلال لقائه مع لجنة رؤساء تحرير الصحف صرح بيريس قائلاً: «أعطوني السلام، وسوف أتخلى عن السلاح الذري».

واضاف: «اذا حل سلام اقليمي في الشرق الاوسط، سيكون باستطاعتنا تكريس شرق اوسط جديد خالٍ من السلاح الذري..».

لقد انقضى اكثر من ثلاثين عاماً، منذ ان صرح لي بيريس في مقابلة اجريتها معه في مقر اقامته بتل ابيب قائلاً: «ما يسعى اليه الفلسطينيون ليس الاعتراف بهم كشعب، وانما تحويل اسرائيل الى فلسطين»

(ملحق هآرتس - ٩ / ١٠ / ١٩٧٠).

وما الذي يريده الفلسطينيون اليوم بعد اتفاق اوسلو الذي حصلوا عليه من بيريس!

لو كان برل كتسينلسون (الذي توفي العام ١٩٤٤) ودافيد بن غوريون (المتوفى العام ١٩٧٣) ما زالا على قيد الحياة، فكيف يا ترى كانا سيعلقان على عناق «تلميذهما» لعرفات، وعلى سياسته المهادنة المتملقة الـ«تشمبرلينية» تجاه السلطة الفلسطينية التي تحولت الى منظمة ارهابية؟

*

لم يلق بيريس النجاح والتوفيق في منصبه قصير الاجل، كرئيس للوزراء. سوف يظل بيريس محط شجب وادانة بسبب عملية «عناقيد الغضب»، التي تسمى ايضاً «كشف

الحساب»، التي تولى في نيسان ١٩٩٦ الاشراف عليها، بصفته وزيراً للدفاع.

رئيس الدولة عيزر وايزمان اطلق على هذه العملية «عملية كشف الخراب» (٢٩ / ٥ / ١٩٩٦). وكانت هذه العملية التي جرت في جنوب لبنان قد اسفرت عن سقوط اعداد كبيرة من الضحايا في صفوف المدنيين اللبنانيين، وفي اليوم نفسه مني بيريس بهزيمة امام نتنياهو. ولم تعمر حكومة بيريس سوى مدة سبعة شهور.

نتنياهو: حكومة «يويو» (١٩٩٦- ١٩٩٩)

بنيامين (بيبي) نتنياهو، من مواليد القدس العام ١٩٤٩، انتخب ليكون رئيس الوزراء التاسع لحكومة اسرائيل السابعة والعشرين، وذلك في الانتخابات للكنيست الرابعة عشرة التي جرت في ٢٩ ايار ١٩٩٦.

وهو اول رئيس وزراء ينتخب مباشرة لمنصبه، حيث تغلب على شمعون بيريس بفارق ٣٠٤٥٧ صوتاً فقط- حصل على ٥٠٪ من مجمل الاصوات مقابل ٤٩,٥١٪ لبيريس، وقد خاض نتنياهو حملة انتخابات قوية وناجعة تحت شعار رئيسي: «بيريس سيعيد تقسيم القدس»، وهو ما ساعده على الفوز.

في ١٨ حزيران ١٩٩٦ نالت حكومته التي ضمت ١٨ وزيراً الثقة في اقتراع اجراه الكنيست.

تنقلات الوزراء في حكومته كانت عديدة، اذ جعل من وزرائه «العوبة»، فنقلهم من وزارة الى اخرى، تارة يقرب هذا واخرى يبعد ذاك، كما في لعب الاطفال.

انتظر ارئيل شارون حتى الثامن من تموز ١٩٩٦ ليتم ضمه الى الحكومة، وذلك فقط بعد ضغوط مارسها وزير الخارجية دافيد ليفي. شارون لم يكافئ ليفي بما يستحق بعدما اصبح (شارون) رئيساً للوزراء. اذ ترك (ليفي) خارج حكومته الموسعة، التي لم يسبق لها مثيل من حيث عدد الوزراء ونوابهم.

عين شارون وزيراً للبنى التحتية الوطنية في حكومة نتنياهو، وذلك بعدما فُصلت الحقيبة وفق مقاسه ورغباته.

تساحي هنغبي تولى منصب وزير الصحة لغاية الثالث عشر من تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٩٦، وكان (هنغبي) عين قبل ذلك، في ٦ / ٩ / ٩٦ قائماً باعمال وزير العدل يعقوب نئمان الذي استقال من الحكومة في ٨ / ٨ / ٩٦.

يهوشاع ماتسا انضم للحكومة كوزير للصحة في ١٣ / ١١ / ٩٦، اما وزير الداخلية الياهو سويسا فتحول الى وزير الشؤون الدينية.

كانت استقالة المحامي (الوزير) نئمان الاولى في سلسلة استقالات، فقد تجادل وتخاصم مع المستشار القانوني للحكومة ميخائيل بن يئير عقب قرار الاخير اجراء تحقيق ضد نئمان. في ايار ١٩٩٧، بُرئت ساحة نئمان في محكمة الصلح في تل ابيب، وفي التاسع من تموز ١٩٩٧ اصبح وزيراً للمالية عقب استقالة دان مريدور.

بنيامين زئيف بيغن، كان الثاني على قائمة المستقيلين. بيغن الابن، الذي تولى منصب وزير العلوم وكان عضواً في المجلس الوزاري للشؤون السياسية والامنية، تصادم بشكل مستمر مع رئيس الوزراء نتنياهو بسبب ما بدا لـ(بيغن) على انه توجه تفريطي من جانب نتنياهو تجاه الفلسطينيين، وفي كانون الثاني ١٩٩٧ قدم بيغن استقالته من الحكومة عقب التوصل الى اتفاق الخليل.

بعد ذلك مرت حكومة نتنياهو التي عانت من ثغرات كثيرة بارهاصات وتطورات دراماتيكية عديدة.

وزير المالية دان مريدور، كان التالي بالدور، فقد نشبت نزاعات بينه وبين كل من نتنياهو ويعقوب فرنكل محافظ بنك اسرائيل، كذلك لم ترق له قضية (فضيحة) «باراون» المعروفة. وقد ادى قرار الحكومة الذي اتخذ خلافاً لوجهة نظره بشأن مسألة تحديد سقف سعر صرف العملة الى استقالته من الحكومة في ١٨ حزيران ١٩٩٧.

هناك قضية مشابهة الى حد ما حصلت أيضاً بعد مرور أكثر من اربع سنوات في حكومة ارئيل شارون، حيث نشب خلاف بين شارون وبين وزير المالية سيلفان شالوم (في ٢٠ كانون الاول ٢٠٠١) لكن الخلاف انتهى في هذه المرة بعقد «صلحة» (بين رئيس الوزراء ووزير المالية) حتى اشعار آخر.

في شباط ١٩٩٨ انضم الى الحكومة زعيم حزب «المفدال» اسحق ليفي، وذلك إثر وفاة زبولون هامر . . وزير الخارجية ونائب رئيس الوزراء، دافيد ليفي كان الوزير المستقيل الرابع من حكومة نتنياهو، «الشراكة الحقيقية» التي أعلن عنها بين نتنياهو وليفي خبت وتلاشت بسرعة كبيرة جداً، حيث تجاوز نتنياهو نائبه (ليفي) وقام بعزله تماماً. في كانون الثاني / يناير ١٩٩٨ قدم ليفي استقالته معلناً «لم أعد أحتمل». وفي آذار ١٩٩٩ انضم ليفي الى ايهود باراك في نطاق قائمة «اسرائيل واحدة».

في تشرين الاول اكتوبر ١٩٩٨ اصبح شارون ايضاً وزيراً للخارجية. التالي بالدور، اسحق مردخاي، لم يقدم مردخاي استقالته طواعية كما فعل زملاؤه الوزراء، وانما أقيل من جانب نتنياهو في ٢٣ / ١ / ٩٩ في ضوء الاتصالات التي أجراها تمهيداً لانضمامه الى حزب الوسط (المركز). وقد حل مكان مردخاي (في منصب وزير الدفاع) موشيه آرنس، أكبر نواب الليكود سناً في الكنيست، والذي ولد في ٢٧ / ١٢ / ١٩٢٥، وبتعيين نتنياهو له، في ٢٧ كانون الثاني / يناير ١٩٩٩ اصبح آرنس للمرة الثالثة وزيراً للدفاع لغاية انتهاء فترة الحكومة، أي أقل من ستة شهور، وقد حصل آرنس على علامة ممتازة عن أدائه في وزارة الدفاع.

*

توالت الفضائح واحدة تلو الاخرى، حيث نهشت وسائل الاعلام دون هوادة رئيس الوزراء (نتنياهو) وعقيلته سارة، فنغصت حياتهما ولطخت كل ما يتصل باسم سارة وبيبي، اللذين انجرا وراء المتربصين بهما، تجسسوا عليهما وجمعوا ثرثرات عنهما مما «هب ودب»، فقط بهدف تلطيخ اسميهما في الصحافة المقروءة والمرئية.

قضية «بار -أون مقابل حبرون (الخليل)» لم تبارح جدول الاعمال الاسرائيلي، وقد تفجرت هذه القضية اثر تعيين المحامي روني بار -أون، صديق وزير العدل تساحي هنغبي، مستشاراً قانونياً للحكومة في العام ١٩٩٧. لكن «بار -أون» قدم استقالته بعد مرور يومين فقط على تعيينه.

فقد كشفت ايالا حسون، من القناة التلفزيونية الاولى، النقاب عن ان تعيين بار - أون تم

كجزء من مؤامرة واسعة ومتشعبة، شارك فيها زعيم حركة «شاس» آرييه درعي، ومدير عام مكتب رئيس الوزراء، افيغدور ليبرمان وآخرون.

وقد رهنت حركة «شاس» تأييدها لاتفاق الخليل، بتعيين «بار -أون» في المنصب المرغوب. وكان أرييه درعي، الذي سجن في وقت لاحق إثر ادانته بتهمة تلقي الرشوة وغيرها من «أعمال الخير» أمل في ان يتساهل معه «بار -أون» ازاء كل ما يتعلق بمحاكمته، سواء من خلال تقديم لائحة اتهام مخففة، أم عن طريق عفو عام بمناسبة يوبيل الخمسين للدولة (الاسرائيلية).

حققت الشرطة في القضية (قضية بار -أون) غير ان المستشار القانوني للحكومة الياكيم روبنشتاين والمدعية العامة للدولة عيدنا اربيل، قررا عدم توجيه اتهامات الى نتنياهو و«هنغبي» وليبرمان، لعدم توفر أدلة كافية لادانتهم.

اهتزت الحكومة واضطربت احوالها طيلة اكثر من ثلاثة شهور، بسبب أزمة (بار- أون)، ومع ذلك لم يبارح أي وزير السفينة (الحكومة) على خلفية القضية، لكن في كانون الاول / ديسمبر ١٩٩٨ استقال مجدداً المحامي يعقوب نئمان من الحكومة، بسبب مشاكل عصفت بالائتلاف، وحل مكان نئمان، في وزارة المالية، مئير شطريت الذي جرى ضمه الى الحكومة عشية الانتخابات في ٢٣ شباط ١٩٩٩.

*

بعد هزيمة نتنياهو أمام باراك، فتحت الشرطة تحقيقاً جديداً ضد نتنياهو وزوجته سارة، للاشتباه في ارتكابهما عدة مخالفات جنائية (قضية الهدايا والنقليات) بما في ذلك تلقي الرشوة. في اواخر ايلول / سبتمبر ٢٠٠٠، وبينما كان باراك رئيساً للوزراء، اعلن المستشار القانوني للحكومة عن اغلاق ملف القضية (بحق الزوجين نتنياهو) نظراً «لعدم توفر أدلة كافية بالقدر المطلوب لاجراء محاكمة جنائية» ولكن الحالة «جديرة بالنقد الشديد».

عصفت بحكومة نتنياهو منذ تشكيلها عدة هزات، أولها أزمة فتح «نفق حائط المبكى» في القدس القديمة، وقد جرى فتح النفق في ٢٣ ايلول ١٩٩٦، مع انتهاء عطلة «يوم الغفران» مباشرة، وذلك بناء على قرار اتخذه رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو، وعلى الفور اندلعت

صدامات دامية بين متظاهرين فلسطينيين والشرطة الفلسطينية من جهة، وبين قوات الجيش الاسرائيلي في انحاء شتى من الاراضي الفلسطينية، سقط خلالها عدد كبير من الضحايا.

اتفاق الخليل (١٥ / ١ / ٩٧) الذي ورثه رئيس الوزراء نتنياهو من حكومة العمل التي لم تقدم على تنفيذه، نجح نتنياهو في تمريره في حكومته وفي الكنيست، لكن الانسحاب (العسكري الاسرائيلي) من مدينة الخليل احدث تصدعات في معسكر اليمين، وهددت الانشقاقات التي اصابت جدار الدعم والتأييد لنتنياهو، بسقوط الائتلاف الهش، وبالاطاحة بنتنياهو اسحق شامير الذي رعى لسنوات طويلة نتنياهو ودفعه كثيراً الى الامام كنائب وزير في مكتبه، عُهد له بملف الدعاية، خرج من صمته عندما نعت نتنياهو بـ«ملاك الشر والأذى». كذلك تمادى شامير في انتقاده لنتنياهو بعد اتفاق واي ريفر.

ولم تنته المشاكل. ففي ٢٥ ايلول ١٩٩٧، حاول عميلان لجهاز «الموساد» اغتيال خالد مشعل (ابو الوليد) من كبار قادة «حماس»، الذي طرد من الكويت وتوجه الى عمان في نيسان ١٩٩٦، حيث عين رئيساً للمكتب السياسي لحركته. محاولة الاغتيال باءت بالفشل، والحقت ضرراً فادحاً باسرائيل، وبسمعة حكومة نتنياهو على وجه الخصوص.

رئيس الموساد داني ياتوم تورط في قضية مشعل، وورط معه حكومة نتنياهو، وفي اواخر شباط ١٩٩٨ قدم ياتوم استقالته، اما اسرائيل فعوقبت على فشلها الذريع، حيث افرج عن زعيم حماس احمد ياسين، ونقل الى الاردن في ٣٠ ايلول ١٩٩٧ في محاولة لارضاء حكام الاردن بعد انتهاك اسرائيل لسيادة بلادهم. وبعد مرور اسبوع عاد الشيخ ياسين الى غزة واستقبل بحفاوة.

جرت الاحداث بوتيرة متسارعة دون ان يتخللها توقف أو هدوء. في ٢٣ تشرين الاول ١٩٩٨ وقعت في البيت الابيض بواشنطن اتفاقية واي بلانتيشن، بحضور الرئيس بيل كلينتون وبنيامين نتنياهو وياسر عرفات، وفي ١١ / ١١ / ١٩٩٨ تم اقرار الاتفاقية من قبل الحكومة الاسرائيلية باغلبية ضئيلة، حيث صوت ثمانية وزراء مع الاتفاقية، وصوت اربعة وزراء ضدها، وامتنع خمسة وزراء عن التصويت.

امتنع نتنياهو عن وضع الاتفاقية موضع التنفيذ بدعوى حصول انتهاكات فلسطينية سافرة.

في كانون الاول ١٩٩٨ ، تداعى - بموجب ما نص عليه اتفاق واي - اعضاء المجلس الوطني الفلسطيني وهيئات فلسطينية اخرى للاجتماع في غزة بهدف المصادقة، في جلسة احتفالية حضرها الرئيس كلينتون، على الغاء بنود في الميثاق الوطني (البنود التي تقول اسرائيل بانها تدعو الى ابادتها وتدميرها . . .المترجم)، وهو ما اعتبر انجازاً مهماً لبنيامين نتنياهو، الذي كرس خلال محادثات «واي بلانتيشن» بدعم وتأييد اميركي معادلة مؤداها «بمقدار ما يعطون سيأخذون». غير ان اتفاق واي ريفر ظل حبراً على ورق، ولم ينفذ حتى الآن، لعدم وفاء الجانب الفلسطيني بالتزامات اخذها على عاتقه كشرط لتطبيق الاتفاق.

ويشكل اتفاق واي دعامة اضافية، للتعهد المهم الذي قدمه وزير الخارجية الاميركي وارن كريستوفر في رسالة وجهها الى رئيس الوزراء الاسرائيلي بنيامين نتنياهو يوم التوقيع على اتفاق الخليل (في ١٥ / ١ / ١٩٩٧)، حيث جاء في رسالة كريستوفر: «لقد اوضحت لعرفات ان تنفيذ التزاماته، سيكون أساساً حاسماً لاستكمال تنفيذ الاتفاقية الانتقالية».

منذ اتفاق واي، لم تحصل اية زحزحة أو تغيير في المناطق الفلسطينية. . فقد واجه نتنياهو مشاكل داخلية لا تعد ولا تحصى. . وولد صراعه ضد «اليسار» و«النُّخَب» المتنفذة خيبة أمل وإحباط. كذلك جلب نتنياهو لنفسه شراً وأذى لا داعي له، بزيارته للحاخام الكهل اسحق قدوري لينال بركته عشية الانتخابات، وقد شكل فحوى الحديث الذي همس به نتنياهو للحاخام اهانة لشرائح عديدة في المجتمع الاسرائيلي. فما حاجة شخص علماني مثل نتنياهو ببدع وهرطقات وتعاويذ، وكل هذه السخافات التافهة؟!.

في المجال الاقتصادي بالذات حقق نتنياهو بعض النجاح، فقد ورث تركة اقتصادية صعبة من عهد رئيسي الوزراء السابقين له (اسحق رابين وشمعون بيريس) ونجح في تصحيح الوضع، خاصة من خلال اجراء تقليص واسع في ميزانية الدولة المتضخمة (العجز)، كما عمل على خفض نسبة التضخم المالي. الى ذلك قام نتنياهو بتوسيع الخصخصة والليبرالية في مرافق الاقتصاد.

لكن اليمين المتطرف وزعماء المستوطنين في «يهودا والسامرة وغزة» لم يتركوا نتنياهو يمضي قدماً في طريقه، بل عملوا على تقويض سلطته (حكومته) - على غرار ما فعلوا مع

اسحق شامير، فحصلوا بدلاً منه على اسحق رابين وشمعون بيريس واتفاق اوسلو، ليأتي بعدهم ايهود باراك الذي كادت مقترحاته السخية للفلسطينيين تصل الى حدّ التنازل عن «جبل الهيكل» (الحرم القدسي الشريف) والقدس الشرقية، ناهيكم عن غور الاردن واستعداده (باراك) لاعطاء الفلسطينيين مناطق اسرائيلية بديلة في منطقة «حلوتصا» في النقب، فضلاً عن منح حق العودة لـ«بضع عشرات الآلاف» من اللاجئين...

لم يتعلم اسحق شامير مما فعله به زعماء اليمين الذين تسببوا بهزيمته في الانتخابات أمام رابين، بل تصرف مثلهم تماماً تجاه نتنياهو، الذي هزم امام باراك.

فهل سيكون الدور على ارئيل شارون، بحيث يطيح به اليمين أيضاً؟!

في ١٧ أيار ١٩٩٩ خسر نتنياهو السلطة لصالح ايهود باراك، معلناً على الفور تنحيه عن زعامة الليكود. وفي شهر تموز، من العام نفسه، استقال نتنياهو من الكنيست، بالتزامن مع قيام حكومة باراك، متعهداً: «سوف نعود»!

في منتصف شهر كانون الاول ٢٠٠٠ عاد نتنياهو الى الصورة مجدداً، بعد قرار الكنيست تقديم موعد الانتخابات واستقالة باراك. أعلن نتنياهو ترشيح نفسه لانتخابات رئاسة الوزراء، وتوقعت له جميع استطلاعات الرأي تقريباً فوزاً ساحقاً، وعلى ما يبدو، لم يعد الناخبون يتذكرون كبواته واخفاقاته. لكن نتنياهو اشترط خوضه التنافس، فقط في حال اجراء انتخابات برلمانية للكنيست ايضاً. فقد تحسَّبَ من أن تؤدي الخريطة (التشكيلة) البرلمانية القائمة الى إعاقة عمل أي رئيس للحكومة. وأبدى كذلك تحفظه على «قانون نتنياهو» الذي سمحَ لمن هو غير عضو في الكنيست، خوض التنافس على منصب رئاسة الوزراء في انتخابات خاصة.

وبالفعل فقد وفى نتنياهو بالتزامه- تعهده، إذ سحب ترشيحه معلناً عن دعمه لترشيح ارئيل شارون لرئاسة الحكومة، والذي لم يكافئ بدوره - عقب انتخابه- نتنياهو على كرمه.

عشية هزيمته امام باراك، عبر نتنياهو عن رأيه تجاه عدد من قضايا الساعة. ويستدل من ذلك ان نتنياهو لم يزل متمسكاً بنهجه حيال عرفات والسلطة الفلسطينية، وخصوصاً من حيث إنعدام ثقته بهما. من هنا جاءت القيود التي فرضها (نتنياهو) على الجانب الفلسطيني

في إتفاق واي، والتي تصب في مصلحة اسرائيل. ويتحدث نتنياهو عن «انهيار نهج» (معاريف - ٣١/٣/١٩٩٩).

ويقول: «لقد أنعش الكثيرون من رجالات الاعلام واليسار آمالاً بأن الصراع بيننا وبين العرب سيحل بضربة عصا سحرية.. نعطي عرفات منطقة، ونمكنه من اقامة دولة، وسيحل الصراع بين ليلة وضحاها.. هذا الحلم تبدد منذ عهد رابين، ذلك لان إتفاق أوسلو جلب أسوأ إرهاب عرفناه في حياتنا.

لقد اتضح ان تطلعات قسم لا يستهان به من الفلسطينيين تتعدى خطوط العام ١٩٦٧، لكن ذلك نُحِّيَ جانباً إثر اغتيال رابين. انه انهيار لنهج .. لنظرية!»

وكتب نتنياهو الذي يكثر من اقتباس وليام فيت، الذي قاد بريطانيا وهو في الخامسة والاربعين ضد نابليون، كتب يقول: «السلام أغلى من أن يتم إفراغه من محتواه، والسلام الذي لا يمكن الدفاع عنه ما هو الاّ خدعة».

«فيت» الذي ولد العام ١٧٥٩ وتوفي العام ١٨٠٦، كان أصغر رئيس وزراء بريطاني سناً في تاريخ المملكة المتحدة، حيث كان في الرابعة والعشرين من عمره عند انتخابه. وقد تولى رئاسة الوزراء مرتين (١٧٨٣- ١٨٠١ و١٨٠٤ - ١٨٠٦).

قبل عدة اسابيع من هزيمته في الانتخابات، اضاف نتنياهو: «عرفات يدرك ان باراك وبيلين وميرتس مجبولون من طينة واحدة. ان وسائل الاعلام (الاسرائيلية) معادية، يسارية ومعبأة، انها ماكنة دعاية مبرمجة جيداً تشوه الحقيقة وتقف موقف الانحياز التام لصالح مرشح اليسار...».

واردف نتنياهو مؤكداً «... لا يجوز لنا ان نقع فريسة للأوهام ولو للحظة واحدة.. ان السلام أسمى لدي من أن أصنع سلاماً وهمياً، لا يُعمِّرُ ولا يصمد لأكثر من مؤتمر صحافي واحد أو اثنين...».

وعن رأيه في مسألة الدولة الفلسطينية.. يقول نتنياهو: «.. أُعارض قيام دولة فلسطينية، لأن دولة كهذه تعني في حال قيامها، وجود دبابات ومدافع وطائرات وجنود، ومن ضمنهم جنود عراقيون، وقواعد للإرهاب والحروب.. سيكون ذلك مجرد بداية نزاع جديد..».

وعندما سئل: وماذا في حال وصل اليسار الى السلطة؟

أجاب نتنياهو: «اذا انتخب اليسار، فسوف تحدث عملية تفريط وتراجع شاملة...».

لقد تكهن نتنياهو بما سيحدث ليس على صعيد الموضوع الفلسطيني وحسب، بل وعلى صعيد الاقتصاد الاسرائيلي ايضاً. ففي آذار ١٩٩٩، أي قبل نحو ثلاث سنوات من نشوب الأزمة الاقتصادية التي واجهتها حكومة شارون على خلفية ميزانية العام ٢٠٠٢، وما رافق ذلك من مشاحنات وشجار بين رئيس الوزراء (شارون) ووزير المالية سيلڤان شالوم (في ٢٠ / ١٢ / ٢٠٠١)، صرح نتنياهو قائلاً: «لا يزال الاقتصاد الاسرائيلي يرتدي طابعاً بلشفياً يتسم بأشد أنواع المركزية صرامة في الغرب. وقد أدرج معهد اميركي أجرى دراسة مقارنة لدرجات الحرية الاقتصادية المتبعة في دول العالم، أدرج اسرائيل في مكان متدنٍ للغاية..».

في ٢٥ / ٤ / ١٩٩٩، كتبت صحيفة «نيويورك تايمز» المرموقة التي تصدر في نيويورك عن بنيامين نتنياهو في نطاق مقابلة أجرتها معه: «هناك وجه شبه بينه وبين كل من رونالد ريغان ومارغريت تاتشر».

*

شعبية نتنياهو بين أنصاره ومؤيديه المتحمسين من معسكري اليمين و«الوسط المعتدل» لم تخب حتى بعد هزيمته المدوية أمام باراك. على العكس، فهي تعلو وتزداد بصورة دائمة، مؤرقة رئيس الوزراء شارون الذي يكبره بنحو عشرين عاماً. فالتصريحات التي أطلقها نتنياهو عشية الانتخابات محذراً من «مخاطر» قيام حكومة يسارية، لا تزال أصداؤها ترن في آذان هؤلاء المؤيدين. الى ذلك فانه لا يكف عن ترديد تنبؤاته التي تبدو كالقدر المحتوم، وذلك رغبة منه في توجيه إهتمام مستمعيه للمخاطر المستقبلية المتوقعة، اذا لم يتصرفوا أولم يسيروا على خطاه ووفق نهجه، كقوله مثلاً: «المشكلة ان هناك صناعة إحباط وقنوط يعمل اليسار على تنميتها ورعايتها...». (يديعوت احرونوت - ٣٠ / ٤ / ١٩٩٩)، وقد جاء ذلك في سياق تصريحات أدلى بها نتنياهو قبل حوالي شهر من الانتخابات.

بعد الانتخابات، وعلى إثر هزيمته أمام باراك، بات نتنياهو يتوخى اكثر تفادي المس أو الاساءة لشرائح سكانية، لها خلفية اجتماعية، اقتصادية أو سياسية مشتركة - متجانسة.

ويلاحظ ان نتنياهو في العام ٢٠٠٢، يتجنب القاء خطب وتصريحات من نوع «انهم يكرهون الشعب.. يكرهون السفارديم (اليهود الشرقيين) يكرهون الأثيوبيين، يكرهون كل من ليس معهم»، وهي تصريحات أدلى بها نتنياهو في سوق «هتكڤا» (في تل ابيب) على مسمع آذان صاغية (معاريف - ٤ / ٥ / ١٩٩٩).

في شتاء العام ٢٠٠٢ لم نسمع اسحق شامير، الذي كان عدواً لدوداً لنتنياهو بعد اتفاق الخليل وعشية انتخابات ١٩٩٩، ينعت مدلله السابق بـ«ملاك التدمير».

كذلك فإن نمط التفكير الاعلامي الجماعي، الذي استحوذ على اسرائيل بكل قنواتها خلال السنوات الثلاث من ولاية نتنياهو (١٩٩٦ - ١٩٩٩)، تصدَّع بعض الشيء إثر الحقبة القصيرة المُخيِّبة والمثيرة للجدل، على أقل تقدير، التي تولى خلالها ايهود باراك رئاسة الحكومة، لينحو نحو نَهج تفكير مختلف الى حدّ ما، نهج أقل استبدادية.

في الواقع الاسرائيلي الفظ تتبدل الأزمات بسرعة. ففي فترة ١٩٩٦ - ١٩٩٩، وصفوا نتنياهو بأنه رجل خطير، محتال، كذاب، زعيم عصابة، فاسد، مفسد. كما رأوا فيه، وعلى نحو سلبي، ساحراً إعلامياً بارعاً. لكن نتنياهو ذاته يُستقبل بحفاوة ملحوظة في الخارج من جانب أوساط مختلفة ومتعددة ولدى وسائل الاعلام، بل وصار في عهد شارون - بيريس من ألمع المتحدثين الاسرائيليين واكثرهم لباقة وبراعة، في مواجهة دسائس وأباطيل عرفات وأعوانه.

وقد قرأ نتنياهو سلفاً ما يُتوقع من حكومة باراك، الذي أملى اليسار عليه النهج السياسي المتردد الذي سلكه، حيث صرح نتنياهو قائلاً: «سيحصل تقدم خطر تحت ستار مهرجانات سلام» (معاريف - ١١ / ٦ / ١٩٩٩).

*

خيبة الأمل من باراك جاءت أسرع من المتوقع. فبعد مرور بضعة أسابيع على تولي باراك لرئاسة الحكومة، كُتب عنه في احدى الصحف: «لقد اخترع له اصدقاؤه من وراء ظهره لقباً جديداً وهو: إيهود ياهو!» (جريدة «هعير» ٣٠ / ٧ / ١٩٩٩).

الكاتب موشيه شامير سارع الى التعليق على فوز باراك في الانتخابات قائلاً: «المنتصر

الأكبر هو ياسر عرفات.. حكومة باراك ستهرول مسرعة لتقديم التنازلات المطلوبة لعرفات...» (يديعوت احرونوت - ١٩ / ٥ / ١٩٩٩).

صحيح ان اسرائيل إعتادت على تصفية وإسقاط قادتها، جميعاً بلا استثناء، وهم في أوجهم وعنفوانهم، ولكن لماذا وما الذي يجعل هؤلاء الزعماء والقادة لا ينصتون للتحذيرات والنقد، ولا يصغون لنبض الجمهور؟! هل اصطفاهم الله دون سواهم للحكم؟!

لماذا يرضخون جميعهم عندما يكونون في السلطة لإملاءات المبتزين على اختلاف أنواعهم؟ ولماذا لا يرسمون لأنفسهم سياسة جريئة على الصعد السياسية والاقتصادية والاجتماعية دون طأطأة رأس وخنوع للمبتزين على اختلافهم؟!.

فكل رئيس وزراء يغدو فور وصوله للحكم في اسرائيل قابلاً للإبتزاز!

من منا يذكر او يتذكر اليوم، في سنة ٢٠٠٢، ان صاحب رؤوس الأموال المتعثر، جاد زئيفي، الذي لم يفِ أواخر العام ٢٠٠١ بالتزاماته بتسديد ديون وفوائد مستحقة عليه، كان قد نشر في ١٩ / ٥ / ١٩٩٩ اعلاناً إحتل صفحة كاملة في الصحف، عقب فوز باراك في الانتخابات، نص بعبارة حرفية «شكراً لـ ٨٠ في المئة من مواطني اسرائيل الذين صوتوا لصالح باراك... ليقود الشعب والدولة في الطريق الصحيح...».

أصحاب رؤوس الأموال والأثرياء الاسرائيليين - وهم في الاصل رأسماليون غير معروفين في الغرب- اعتادوا على معانقة واحتضان رؤساء حكومات اليسار.. فهم يأملون دوماً جني مكاسب وأرباح اضافية، من أية حكومة اسرائيلية يتزعمها رجل يساري.

وزير المالية الراحل سمحا إرليخ، الذي لم يثق بالرأسمالي الاسرائيلي المألوف، قال لي ذات مرة في مقابلة صحافية: «دموع التمساح التي يذرفونها تصب دوماً في كأس الويسكي التي يمسكون بها...».

*

الوزير ناتان شرانسكي، سارع الى اعلان الحداد على إقصاء نتنياهو عن الحكم، حيث صرح للصحافي آرييه شبيط (هآرتس - ٣٠ / ٧ / ١٩٩٩) قائلاً: «بيبي رجل رائع، يمتلك الكثير من المواهب، والقدرة على الربط بين الأمور واجراء مقارنات، كما أنه يتمتع ببعد

نظر. ولقد رأيت كيف أجهزت السياسة اللعينة شيئاً فشيئاً على الكثير من مواهبه وكفاءاته...»

آرييه شبيط المذكور أجرى عملية تقييم بعد مرور حوالي سنة ونصف السنة على تولي نتنياهو لزمام السلطة، ليخلص الى نتيجة ملخصها ان «العام ١٩٩٧ كان عام الكراهية».

فيما يلي تذكير بانتهاكات لاتفاق اوسلو وقعت في بحر الفترة ذاتها (العام ١٩٩٧)، والتي من شأنها ان تبين ماهية السلطة الفلسطينية:

- ١٤ / ٣ / ٩٧- ياسر عبد ربه يصرح بأنه يجب استبدال ملابس «الأفندية» بملابس عسكرية والانطلاق لمحاربة العدو الصهيوني (يديعوت احرونوت).

- ١٥ / ٤ / ٩٧- الفلسطينيون يعكفون على اقامة صناعة عسكرية خلافاً للاتفاقيات (قسم الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية «أمان»).

- ١٨ / ٧ / ٩٧- رئيس قسم الاستخبارات العسكرية الجنرال موشيه يعلون يصرح: «على الرغم من اتفاق أوسلو، فإن عرفات لم يتخل ولو ليوم واحد عن العنف والارهاب كوسيلة مشروعة لتحقيق أهداف وطنية» (يديعوت احرونوت).

اضافة الى ذلك، وفي الشهر ذاته (تموز ١٩٩٧)، ذكر ان السلطة الفلسطينية أطلقت منذ توقيع اتفاق الخليل (كانون الثاني ١٩٩٧) سراح ما لا يقل عن ثلاثة عشر معتقلاً من المطلوبين لاسرائيل بتهمة الضلوع في قتل ٩١ اسرائيلياً (سياسة «الباب الدوار»).

مرت منذ ذلك الوقت أكثر من خمس سنوات، ولم تزل المعضلة قائمة بعينها، إذ عمق الجيران عداءهم وكراهيتهم تجاه اسرائيل، ساعين الى إزالتها من الوجود.

عهد باراك: أوتوقراطية

في السادس من تموز ١٩٩٩، انطلقت حكومة هجينة من اليسار والحريديم تشق طريقها بخطى متعثرة. كان هناك من حذر ايهود باراك من «اللغم» الذي سعى لإبرام تحالف معه- «الثعبان» يوسي سريد- لكن دون جدوى. سارع باراك الى الاتصال مع شاس و«ميرتس» التي لا يركن اليها، خاصة بسبب شخصية سريد المثيرة للجدل، والذي يضع نفسه دوماً في

خانة الوسط. فجَريه الجامح وراء الشهره أضحى معروفاً للقاصي والداني، أما عن أنانيته وذاتيته فحدث ولا حرج..

وقد أدت خصوماته ومشاحناته المستمرة مع حركة «شاس» الى وأد حكومة باراك سريعاً، لتعيد المعراخ وحليفه المتآمر الى مقاعد المعارضة.

يوسيف سريد، الذي يدعو نفسه «يوسي»، أوقع إيهود باراك في ورطة، وهو وحده المسؤول عن تعثر باراك. كذلك فان ضم شمعون بيريس، الذي لم يكن من داع أو مبرر له، أوقع الحكومة في ورطة، ولم يكن في صالحها. وفي الواقع فان باراك لم يكن يرغب بوجود بيريس في حكومته، غير ان «رجال الخير» في حزب «العمل» مارسوا ضغوطات تكللت باعطاء بيريس منصباً وزارياً غير ذي أهمية أو شأن: وزير التعاون الاقليمي.

شمعون بيريس، اكبر اعضاء الكنيست سناً، لا يبدد الوقت، بل ينهال على ضحيته الجديدة بشن حملة تشهير وإساءات ضد باراك، على غرار سلوكه تجاه جميع رؤساء الحكومات التي عمل فيها (٩ / ٨ / ١٩٩٩). ويبدأ بيريس بتوجيه انتقادات «في مجالس مغلقة» الى طريقة ادارة باراك للعملية السياسية (يديعوت احرونوت). وتسرب محافل «قريبة» من بيريس، وغالباً ما يكون بيريس نفسه وراء ذلك، ان: باراك رجل منغلق، لا يصغي، ناقم وحاقد...

في ٣١ / ١٠ / ١٩٩٩، وبعد مرور ثلاثة شهور على انتخاب باراك، يسارع بيريس الى دس عصا في دولاب عربة حكومة باراك المتعثرة، حيث أعلن أنه يؤيد إقامة دولة فلسطينية (معاريف). وعقب ديوان باراك على ذلك بغضب واستياء: «تصريحات بيريس تلحق ضرراً بالموقف الاسرائيلي».

ويبدأ المسربون العاملون لحساب باراك بشن هجوم مضاد على بيريس، مصرحين: أوسلو إتفاق سيئ، مصاغ باهمال، ومن شأنه ان يبقي النزاع مستمراً في ظل شروط أفضل للفلسطينيين (هآرتس ٤ / ٨ / ١٩٩٩).

وهكذا قامت حكومة أُخرى في اسرائيل، الحكومة الثامنة والعشرون، التي لن تُعمّر لوقت طويل. فالخصومات والمنازعات التي لم تتوقف بين اليسار والحريديم في هذه الحكومة كانت

تُعجِّلُ نهايتها التعيسة. تألفت حكومة باراك من ٢٣ وزيراً، بما في ذلك أحدث استيراد لباراك: يعل (يولي) تامير، خريجة مدرسة اليسار (حركة السلام الآن)، التي تولت منصب وزيرة استيعاب الهجرة على حساب حركة «شاس».. الموضوع الرئيسي الذي ظل يزعج ويشغل حكومة باراك دون توقف، كان موضوع صلاحيات نائب وزير التعليم مشولام نهاري (من حركة شاس).

بعد مرور اكثر من ١٠٠ يوم على تسلم رئيس الوزراء الجديد لزمام السلطة، وهي ما يدعى بـ«فترة السماح»، بدأ زعيم المعارضة ارئيل شارون يشحذ همته، وفي ١٤ / ١٠ / ١٩٩٩ صرح قائلاً: «لم أنجح في العثور ولو على شيء واحد إيجابي في أداء باراك».

وطد شارون أركان زعامته في حزبه بعدما حصل على ٥٣٪ من أصوات الأعضاء في الانتخابات التي جرت في الليكود في أيلول ١٩٩٩، والتي حصل فيها إيهود أولمرت على ٢٥٪ من الأصوات، ومئير شطريت على ٢٢٪. وقد بلغ عدد المقترعين في هذه الانتخابات نحو ٥٠ ألفاً فقط، يشكلون حوالي ٣٣٪ من مجموع الأعضاء المسجلين.

داسوا القانون بأقدامهم..

٢٨ كانون الثاني ٢٠٠٠: إنقضى حوالي نصف عام على تسلم باراك لرئاسةالحكومة. مراقب الدولة ينشرُ تقريراً خطيراً حول الجمعيات التي شكلت عشية الانتخابات لدعم حملة باراك الانتخابية وتأمين فوزه. واشار التقرير الى: نهج استخدم على نطاق واسع في تحويل تمويل غير شرعي لحملة انتخاب باراك. وأوجز مراقب الدولة، القاضي اليعزر غولدبرغ، الأمر بعبارة مقتضبة بقوله: «لقد تعرض القانون للدوس بقدم فظة».

في اليوم ذاته (٢٨ / ١ / ٢٠٠٠) نشرت صحيفة «مكور ريشون» وهي اسبوعية موالية لليمين، مقالة تهجمية حادة كتبها إلياكيم هعتسني تحت عنوان «القسم المقفل»، ويعتبر هعتسني، الذي ولد العام ١٩٢٦ في «كيل» بألمانيا، شخصية مثيرة، وكان فيما مضى من رؤساء منظمة «مجموعة المتطوعين» التي أُقيمت في العام ١٩٥١ بمبادرة الحركة الطلابية التابعة لحزب «مباي» في القدس، بهدف المساعدة في استيعاب المهاجرين الجدد، ومراقبة

الالتزام بنزاهة المعايير في اسرائيل.

هعتسني، وهو محامٍ أنهى دراسة الحقوق في الجامعة العبرية بالقدس، صار فيما بعد واحداً من زعماء اليمين المتطرف و«أرض اسرائيل الكبرى» وانتقل للإقامة في مستوطنة «كريات أربع» (قرب الخليل)، ثم انتخب لعضوية الكنيست الـ١٢، وفي العام ١٩٩٩ كان واحداً من رؤساء قائمة «الاتحاد الوطني» (اليمينية).

ويشير هعتسني في مقالة التهجمي على شمعون بيريس، الى العديد من «خطايا بيريس» حيث يقول:

* وجدت ان بيريس يعاني من انفصام في الشخصية.. فهو كما هو معروف، ينتمي الى «الشرق الاوسط الجديد»، وبهذه الصفة أكد بيريس بانه «لا شك في ان الهدف المقبل لاسرائيل هو الانضمام الى الجامعة العربية» (هآرتس - ٢١ / ١ / ١٩٩٤).

* «من المتوقع ان تقوم سورية بمهاجمة اسرائيل، حتى اذا تم التوصل الى اتفاق سلام» (شمعون بيريس «يديعوت احرونوت» ٥ / ١٠ / ٩٤)، كذلك صرح بيريس: «تعلمنا انه لن يكون هناك سلام دائم، الاّ اذا كان مستنداً الى علاقات بين دول ديمقراطية».

هذا الكلام، كلام رجل عاقل، متزن، أليس كذلك؟! ولكن ليس عبثاً إعتادوا على نعت بيريس بـ«رَجُل الـ: نَعَمْ ولا». اليكم مثلاً على قوله لـ(الشيء وعكسه): «اذا قمنا باعادة أراضٍ في الجولان، فلن نبقي عليها مستوطنات اسرائيلية» (معاريف - ٢٦ / ٤ / ٩٤).
و: «هضبة الجولان، اراضٍ سورية» (٣١ / ٥ / ٩٥).

* في ٢ / ٥ / ٩٤، وبعد توقيع اتفاق اوسلو، تفاخر بيريس بنجاحه في إفشال قيام الدولة الفلسطينية، حيث صرح: «من خلال تكريسنا لفكرة الحكم الذاتي، نجحنا في منع قيام الدولة الفلسطينية». لكن بيريس صرح بعد مرور فترة قصيرة في كلمة القاها أمام البرلمان (المجلس التشريعي) الفلسطيني: «ان لاسرائيل مصلحة في قيام دولة فلسطينية قوية».

* في العام ١٩٩٣ دفع بيريس نحو التوصل للاتفاق مع عرفات وفي العام ١٩٩٥، حذر قائلاً: «لدى الفلسطينيين الاتفاق المكتوب يعني ٤٠٪ التزام جدي، و٦٠٪ مجرد بلاغة خطابية وبهرجة» (١ / ١٢ / ٩٥) واضاف «عملية السلام لا تهدف الى وقف الارهاب»

(«جويش بيريس» ٢١ / ٤ / ٩٥).

* «بيريس يحيك المؤامرات، انه مجرم سياسي - ايديولوجي لا يتورع عن خرق القانون في اتصالاته مع منظمة التحرير الفلسطينية الارهابية، رغم ان مثل هذه الاتصالات- كانت محظورة»- اتصالات «عصابة أوسلو».

* بيريس تآمر لإسقاط حكومة شامير- «المناورة النتنة»، وكسر التعادل الداخلي (الاسرائيلي) بين اليسار واليمين من خلال ربط اليسار بالعرب (المقصود العرب في اسرائيل).

صحيفة «الصنارة» النصراوية، ذكرت ان وزير الخارجية شمعون بيريس طلب من القيادة الفلسطينية، إفشال جولة المحادثات التاسعة بين اسرائيل والوفد الفلسطيني في واشنطن وذلك «من أجل إرغام رئيس الوزراء الاسرائيلي اسحق رابين على الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية، والموافقة على قناة المحادثات البديلة في أوسلو».

*

بعد الكشف عن قضية الجمعيات التي عملت على نطاق واسع في ضخ وتحويل تمويل غير شرعي لحملة انتخاب باراك، كتب باروخ كيمر لينغ في جريدة (هآرتس - ٢٠ / ١ / ٢٠٠٠) ان «باراك لم يعد بطة عرجاء، بل بطة مذبوحة، اذ ان كل مصداقيته ونزاهته ذهبت أدراج الرياح بين عشية وضحاها...».

الصحافي آرييه كسفي، حذا حذو كيمرلينغ، عندما كتب (في صحيفة «هآرتس»- ٤ / ٢ / ٢٠٠٠) ان الجنرال باراك أسرع رجل كاوبوي في استخدام المسدس... فحكومته التي تضم ستة جنرالات معززة بقوة إسناد تعمل في ديوانه، تبدو أشبه بهيئة أركان عامة محالة على التقاعد.

١٣ / ٢ / ٢٠٠٠- بيريس يواصل تآمره على رئيس الحكومة، حتى في مسألة تجنيد طلاب اليشيفوت (المدارس الدينية) للخدمة العسكرية، حيث صرح في مقابلة أدلى بها لمجلة «همشبحا» الحريدية ان «إعفاء طلاب اليشيفوت من الخدمة يشكل بالنسبة لي مسألة مبدئية..». كل شيء مباح في نظره في سبيل الفوز في منافسة جديدة، وهذه المرة على

منصب رئيس الدولة. لا أظن ان بيريس كشف بذلك عن وجهة نظر جديدة يتبناها في هذا الخصوص، اذ من المعروف ان بن غوريون وشمعون بيريس كمساعد له في وزارة الدفاع، كانا وراء سابقة إعفاء أبناء - طلاب- اليشيفوت من التجنيد والخدمة في الجيش الاسرائيلي، السابقة التي تميز بين دم ودم في اسرائيل.

تنصلّ باراك من تعهده عشية الانتخابات عندما أعلن: «تجنيد للجميع - شعب واحد تجنيد واحد»، ولكن هذا الشعار تلاشى من عالمه بعدما تغلب على نتنياهو منتصف العام ١٩٩٩ (١٧ / ٢ / ٢٠٠٠ - يديعوت احرونوت).

الوعود التي ينشرها المرشحون قبل الانتخابات، على اليمين والشمال دون حساب، تُصبح بدون أي رصيد حقيقي بعد إقفال صناديق الاقتراع. انهم يستخفون بعقول الناخبين.

وفي غياب انتخابات شخصية (مباشرة) في اسرائيل، لا يوجد للناخبين عنوان حقيقي ليتوجهوا اليه بالشكوى والاحتجاج على مسلكيات وتصرفات المنتخبين المنحرفة، كما هو الحال في دول الغرب.

لقد ظلت اسرائيل منذ قيامها في العام ١٩٤٨ كياناً ذا مزايا متميزة على مستوى العالم، وهي مزايا سلبية في الغالب، وذلك إزاء كل ما يتصل بحقوق المواطن، ولكنها لم تتميز في ذلك وحسب.

١٦ / ٣ / ٢٠٠٠- زعيم الليكود ارئيل شارون يشمر عن ساعديه في المعارضة، حيث بدأ بشن هجوم على اليسار، وقد اهتدى الى جواب للسؤال المُلحّ: من هو المسؤول عن «الكارثة»، كذلك عقد شارون مقارنة بين قضية (سفينة) «التلينا» وبين حرب لبنان (١٩٨٢) (يديعوت احرونوت).

شارون: «كان اليسار دوماً هو الذي يقف وراء اثارة التحريض والفتنة. بدأ ذلك في الثلاثينيات بالفرية المتعلقة بقتل حاييم أرلوزورف. وقد نجح اليسار بذلك في مواصلة تزعم الحركة الصهيونية... ولولا هذه الفرية، الاكذوبة، لكان زئيف جيبوتنسكي هو الذي تزعم الحركة الصهيونية. كان من الممكن جدا ان يبدو مصير الشعب اليهودي مختلفاً الى هذا الحد أو ذاك. ربما كان اليهود قد استطاعوا الخروج من اوروبا، وربما كانت عجلة التاريخ قد

سارت على نحو مختلف.. وبالنسبة لقضية «التلينا»، فقد اطلق أتباع اليسار صيحات الابتهاج والسرور بعدما أُغرقت سفينة رجال منظمة الـ«إيتسل».. نحن نتذكر صيحات الابتهاج التي صدرت عن اعضاء «البلماح» في حينه، عندما أطلقوا النار على الجرحى والمصابين الذين قفزوا عن ظهر السفينة التي اشتعلت فيها النيران... ونحن بالطبع نتذكر التحريض الذي مورس في فترة حرب لبنان..».

٢٠ / ١٠ / ٢٠٠٠- نشر اعلان على صفحة كاملة في الصحف، يتضمن مقالاً نشر في صحيفة «واشنطن بوست» بتاريخ ١ / ١٠ / ٢٠٠٠، وفي مئات الصحف الاميركية الاخرى، كتبه جورج ويل، احد أبرز كتاب الأعمدة في الولايات المتحدة.. وكتب «ويل» في مقاله ان رئيس الوزراء الاسرائيلي ايهود باراك «زعيم كارثي لم تعرف البلدان الديمقراطية في تاريخها مثيلاً له.. انه يقامر بوجود شعبه.. لقد تسببت زعامة فرنسا السيئة في الثلاثينيات بتعريض بلادها الى هزيمة سريعة، تلتها أربع سنوات من الذل والهوان، لكنها مع ذلك لم تتسبب بالقضاء على فرنسا أو هلاكها».

كان هناك أحداث دراماتيكية اخرى وقعت في عهد باراك، وآل معظمها الى انتكاسة سريعة لحكومته التي لم تصمد سوى سنة ونصف السنة تقريباً.

- **ففي ٢٦ / ١١ / ١٩٩٩** جاء الاعلان الصاخب عن اعتزام الحكومة تطبيق اصلاحات شاملة في نظام الضرائب، لكن الحكومة سرعان ما تراجعت عن اعلانها هذا، إثر ضغوط وتهديدات من اتحاد النقابات- الهستدروت.

- **كانون الاول ١٩٩٩** : اتفاق اسرائيل وسورية على اجراء محادثات في «شيبردزتاون» بالولايات المتحدة، وهو ما سارع المتحدثون باسم باراك الى اعتباره «انطلاقة تاريخية»، لكن بعد مرور فترة قصيرة جداً (كانون الثاني ٢٠٠٠)، زُفَّ الى الجمهور نبأ إنهيار هذه المحادثات، في الوقت ذاته، كانت المفاوضات مع الفلسطينيين تراوح في مكانها، وكانت نزاعات العمل في المرافق الاقتصادية، كالمألوف في اسرائيل، لا تبارح جدول الأعمال. وبدأت استطلاعات الرأي تقلق رئيس الوزراء الذي يعيش ويعمل على ايقاعها.

- **كانون الثاني ٢٠٠٠** : مراقب الدولة يفرض غرامة بقيمة ١٣,٧ مليون شيكل على

حزب العمل بسبب قضية الجمعيات والتمويل غير القانوني لحملة انتخاب باراك. وكان تعليق رئيس الوزراء على هذا القرار «لم أكن أعلم، لم يتم اطلاعي، لم يكن لي أي ضلع...».

- **أيار ٢٠٠٠**: خروج (انسحاب) الجيش الاسرائيلي على عجل من لبنان - فرار غير مشرف وخيانة لميليشيا «جيش لبنان الجنوبي» بعد تواجد دام ١٨ عاماً في بلاد الأرز - وذلك بقرار اتخذه رئيس اركان سابق، لم يعتبر مطلقاً في عداد رؤساء الأركان الجيدين للجيش الاسرائيلي.

- **تموز ٢٠٠٠**: القمة الثلاثية التي جمعت باراك مع الرئيس بيل كلينتون وياسر عرفات في كامب ديفيد، وقد انسحبت من الائتلاف الحكومي عشية سفر الوفد الاسرائيلي الى واشنطن، احزاب «شاس» والقومي - الديني (المفدال) و«يسرائيل بعليا»، ما أدى لفقدان باراك أغلبيته الائتلافية في البرلمان. في نفس الوقت كان هناك تسعة وزراء خارج مقاعد الحكومة، وزراء «ميرتس» الثلاثة، واربعة من «شاس» اضافة الى ناتان شرانسكي (يسرائيل بعليا) واسحق ليڤي (المفدال). وبعد مرور حوالي شهر، انضم داڤيد ليڤي الى الوزراء المنسحبين، وذلك عقب فشل قمة كامب ديفيد. وهكذا تحول باراك من رئيس وزراء «لجميع الاسرائيليين!» الى رئيس حكومة أقلية صغيرة.

- **تموز ٢٠٠٠**: الكنيست (البرلمان) المنقسم على نفسه يصادق على قانون إعفاء طلاب اليشيفوت من التجنيد.

- **١٧/٧/٢٠٠٠**: القاضي المتقاعد موشيه لاندوي/ ٩٠ عاماً، (الرئيس الخامس للمحكمة العليا) يحذر من ان «تنازلات باراك تشكل خطوة واسعة باتجاه تصفية الكيان الصهيوني» (معاريف).

- **١/٨/٢٠٠٠**: رئيس الدولة الثامن موشيه قصاب (ليكود) يؤدي يمين الولاء أمام الكنيست في ٣١/٧/٢٠٠٠، بعد تغلبه على منافسه شمعون بيريس في الانتخابات التي جرت في الكنيست، ولم ينجح الخاسر المزمن (بيريس) سوى في الحصول على ٥٧ صوتاً فقط، مقابل ٦٣ صوتاً حصل عليها الفائز.

- **أيلول ٢٠٠٠**: باراك يعلن اعتزامه اطلاق «ثورة مدنية»، وهي مجرد خدعة اخرى في

معركة الانتخابات المرتقبة، لكن هذه الخدعة لم تنفع باراك في انقاذ سفينته من الغرق، فضلاً عما أثارته من معارضة شديدة في الأوساط الدينية الحريدية وغيرها.

أخذ موعد الانتخابات يقترب، دون ان يحرز باراك أية انطلاقة تحسن وضعه.

فالانتفاضة التي اندلعت نهاية أيلول ٢٠٠٠، صارت في أوجها، في حين وقف باراك الذي لم تنفعه مراوغاته، عاجزاً لا حول له.

وفي ٩ / ١٢ / ٢٠٠٠ أعلن باراك استقالته.

عهد شارون: حكومة ثنائية

صادق الكنيست، في السابع من آذار ٢٠٠١ على الحكومة الجديدة التاسعة والعشرين، التي شكلها أرئيل شارون بعد انتصاره الساحق على ايهود باراك في انتخابات رئاسة الوزراء، التي جرت في السادس من شهر شباط ٢٠٠١. وقد حصل شارون على ٦٢,٣٩٪ من مجموع الأصوات، مقابل ٣٧,٦١٪ لباراك، وهما نصر وهزيمة انتخابيان لم يسبق لهما مثيل في تاريخ اسرائيل.

ضمت حكومة شارون ٢٨ وزيراً، وهو رقم قياسي اسرائيلي غير مسبوق، يستطيع بالتأكيد تزيين صفحات موسوعة غينس للأرقام القياسية (!). كذلك كان عدد نواب الوزراء في هذه الحكومة مرتفعاً جداً.. وقد وضعت تحت تصرف جميع هؤلاء الوزراء ونواب الوزراء سيارات ڤولڤو.

بعد مقتل الوزير رحبعام زئيفي في نهاية تشرين الأول ٢٠٠١، حلّ مكانه في الحكومة بنيامين ألون، رئيس قائمة «الاتحاد الوطني - اسرائيل بيتنا».

وهكذا، تشكلت في اسرائيل حكومة وحدة وطنية موسعة جداً، تعد من الوجهة العملية حكومة ثنائية بكل معنى الكلمة، لكنها تختلف بعض الشيء عن حكومة المناوبة التي تولت السلطة بين ١٩٨٤ و ١٩٨٨.

في حكومة الوحدة الحالية، هناك رأسان يشدان الخيوط فيها: رئيس الوزراء شارون (الغراب) ووزير الخارجية شمعون بيريس (الزرزور). ويحاول كل واحد من هذا الثنائي

كبح جماح الآخر، وسط استعانة كل منهما بالوزراء التابعين له مباشرة، كل وفق أهوائه ورغباته، كما لو كانوا دمى في مسرح الدمى الخيالي.

في مطلع آذار ٢٠٠١ وبعد مرور حوالي شهر على انتخاب شارون، قررت الكنيست الخامسة عشرة، تعديل القانون الأساس المتعلق بالحكومة، حيث تم الغاء الانتخاب المباشر لرئيس الوزراء، وقد اتخذ هذا القرار بصورة أساسية تحسباً وتخوفاً من عودة بنيامين نتنياهو الذي يمكن أن يتغلب على التوأمين السياميين في الانتخابات المقبلة ـ وفق طريقة الانتخاب المباشرة لرئيس الوزراء ـ والتي من المفروض لها أن تتم، حسب القانون، في ٢٨ تشرين الأول ٢٠٠٣، غير أنه من المشكوك فيه، في ظل الواقع الحالي لاسرائيل، أن تبقى الأمور على حالها حتى هذا الموعد.

اسحق بن أهارون، «البلشفي» العجوز الذي ناهز السادسة والتسعين، «فارس» الديمقراطية الذي حمل على الشعب (الإسرائيلي) عقب «الانقلاب السلطوي» في العام ١٩٧٧ وانتخاب مناحيم بيغين، حيث صرح قائلاً «إنها ضربة سددت بصورة غير محسوبة أو مدروسة.. وإنني لأكفر برأي الشعب وقراره.. هذا نتاج غضب ويأس وليس رأياً مدروساً. وإذا كان هذا هو اختيار الشعب بالفعل، فإنني لست مستعداً لاحترام هذا الاختيار».

«بن أهارون» هذا، عاد الى سابق عادته السيئة، وكان الضحية هذه المرة، شمعون بيريس، حيث هاجمه قائلاً: «إنه رجل عجوز كان عليه أن يتنحى ويستريح منذ وقت بعيد.. لكن يبدو أنه، ورغم حصوله على جائزة نوبل، لم يتعب أو يكلّ بعد.. بيريس رجل خاسر، لكنني كنت أتوقع منه أيضاً أن يترك المجال لباراك ليخوض السباق وحده حتى النهاية (ضد شارون ـ ي. ك). وحتى لو كانت النهاية مرّة، فقد كان على باراك بلوغها بقواه الذاتية، كأي جندي..» (معاريف ١٤ / ٢ / ٢٠٠١).

ويؤكد بن أهارون أن «... ما فعله بيريس بحق باراك في حملة الانتخابات، تعدى الحدود المعقولة. إنه ليؤسفني أن يصل الأمر الى هذا الحدّ من الإنحدار»، ويضيف: «لم يخض بيريس منافسة انتخابية على رأس حزب إلا وخسرها.. انتخابات رئاسة الدولة كانت مضمونة تماماً في صالحه، لكن بيريس، كعادته، مُني بالخسارة مرة أخرى.. أكبر خدعة مارسها بيريس

تمثلت في علاقاته مع ياسر عرفات.. جميع «الوتوتات» المتعلقة بلقاءاته الغامضة والحيوية مع عرفات انتهت دوماً بعودته خالي الوفاض..».

ايهود باراك تعلم من استاذه «بن اهارون»، فبعد هزيمته أمام شارون، وجد باراك كبش فداء، حيث صرح في خطاب اعلان خسارته «الشعب غير ناضج بعد للاعتراف بعدالة وصدقية طريقي..».

شمعون بيريس أيضاً وجد الوقت المناسب بعد فوز شارون لتصفية حساباته مع «الثعبان سريد»، حيث صرح بيريس قائلاً: «هذا اليسار الغبي الخارب أعطى السلطة لموسوليني»، وذلك عقب رضوخ «ميرتس» لاملاءات سريد، باحتضانها لباراك كمرشح لها ورفضها لبيريس.

*

نجح شارون في الابحار بسفينته في بحر هادئ نسبياً. صحيح أن نتنياهو، ظل يوجه «طعناته» هنا وهناك، لكن انتقاداته ارتدت غالباً طابع التقويم الايجابي لطريقة سلوك وسياسة شارون، أكثر مما كانت موجهة بقصد البحث عن عيوب وثغرات ليس إلاّ، كقوله مثلاً «لا يمكن النجاح في محاربة الارهاب في غياب سياسة موحدة. نحن نرى اليوم أن هناك رأسان للحكومة، ونوعان من السياسة.. كيف يمكن تحقيق النجاح بهذه الطريقة؟!» (معاريف ٢٦ / ١٠ / ٢٠٠١). ويضيف نتنياهو: «إنها حكومة برأسين توجه رسائل متناقضة.. شارون يخطئ جوهرياً وتكتيكياً بموافقته على قيام دولة فلسطينية.. لقد أعطى شمعون بيريس بتصريحاته الشرعية لعرفات..».

ايهود باراك أيضاً يقول أقوالاً مشابهة عن بيريس، الذي نغّص عليه حياته عندما كان (باراك) رئيساً للوزراء. فبعد مرور نحو شهرين على تصريحات نتنياهو المذكورة، علق باراك على الخطة السياسية التي اقترحها وزير الخارجية شمعون بيريس، بقوله: «بيريس يذر الرماد في عيون الجمهور... يجب الحذر جداً من مغبة أن يصب ذلك في خدمة عرفات. لقد بدأ العالم كله يتساءل، بما في ذلك اصدقاء عرفات في اسرائيل، ألم يحن الوقت لزحزحة عرفات وتنحيته جانباً» (يديعوت احرونوت - ٢٥ / ١ / ٢٠٠١).

ليس من المستبعد أن يسعى شارون بسرور في فرصة مواتية، الى استبدال بيريس بباراك، خاصة ان شارون كان بعد فوزه راغباً بالفعل بضم باراك الى حكومته، لكن «متآمري» حزب العمل عرقلوا هذا المسعى.

عموماً فإن باراك سيبقى بالتأكيد مرشحاً مرغوباً لمنصب وزير الدفاع في حكومة مستقبلية لنتنياهو، إذا ما قيض له أن يشكل مثل هذه الحكومة.

*

عقد الوفاق والتحالف بين شارون وبيريس يصمد بمرور الوقت، دون أن تظهر أية تصدعات ذات شأن في الشراكة بينهما، وبدا أنهما مرتبطان ببعضهما إلى الحدّ الذي لا يستطيع فيه أحدهما الاستغناء عن الآخر.

هذا الوضع يعكس الصورة السائدة لغاية شتاء العام ٢٠٠٢، لكنه لا يمكن التكهن بالمستقبل، في ظل وجود توترات اجتماعية متصاعدة، وميزانية عامة مقلصة، وهي آفات اسرائيلية متكررة في دولةٍ الكل «يهبش» فيها لجيبه، ويقول «هذا من حقي»!، دولة يرفض الكثيرون من مواطنيها (كالمتدينين الحريديم وأمثالهم) العمل، ليتحولوا الى عاطلين طواعية، وكسالى اتكاليين يؤثرون تلقي الإحسان والصدقات على إعالة أنفسهم بعرقهم.

حتى في هذه الأيام العصيبة، التي تمر بها اسرائيل ـ وأيامها، كانت كذلك على الدوام ـ نجد عواجيز السياسة الاسرائيلية ومعمريها مرتبطين ببعضهم البعض برباط وثيق. وتراهم يتشاجرون ثم ما يلبثون وأن يتصالحوا بسرعة حول وجبات افطار دسمة، يسدد الجمهور فاتورتها، يتناولونها في منزل رئيس الحكومة أرئيل شارون في القدس، أو يتسامرون ويثرثرون باستمتاع أثناء تناولهم طعام عشاء فاخراً في منزل وزير الخارجية شمعون بيريس.

ولعل الحكاية التالية تبرهن على العلاقات المزدوجة القيم، السائدة بين الثنائي شارون ـ بيريس، اللذين تختلط الكراهية والحب في علاقتهما.

عشية أعياد الميلاد المسيحية العام ٢٠٠١، راجت أنباء عن محادثات سرية يجريها شمعون بيريس مع أحمد قريع (أبو العلاء)، رئيس المجلس التشريعي الفلسطيني، وأن هذه المحادثات تبحث في امكانية اقامة دولة فلسطينية في غضون ثمانية أسابيع (!).

ووفقاً للخطة التي يعكف بيريس و«أعوانه» على بلورتها، من المقرر أن يتم الإعلان بداية عن اقامة الدولة الفلسطينية، لتجري بعد ذلك مفاوضات بين الجانبين حول التسوية الدائمة.. وبحسب الخطة ـ التي هي خطة أوسلو، لكن بديباجة جديدة ـ فمن المفروض أن تقوم الدولة الفلسطينية في المرحلة الأولى على ٤٢٪ من مساحة مناطق «أ» و «ب». بمعنى آخر، فقد كانت تجري محادثات سياسية بين الجانبين، بينما لا تزال «نار العنف والارهاب» مستعرة، وهي خطوة انقسامية تتعارض بشكل تام مع وعود وتعهدات شارون، بعدم اجراء أية مفاوضات سياسية مع الجانب الفلسطيني ما لم يسد هدوء تام لمدة سبعة أيام على الأقل في اسرائيل، ومناطق يهودا والسامرة وقطاع غزة.

هذا الكشف الصحافي ـ عن محادثات بيريس ـ أبو العلاء ـ («يديعوت احرونوت» و «معاريف» ـ ٢٣ / ١٢ / ٢٠٠١) أشعل ناراً في اسرائيل، وهناك من يعتقد جازماً أن الذي يقف وراء تسريب نبأ تلك المحادثات، ما هو إلاّ شمعون بيريس شخصياً، وذلك حتى يفوز بعنوان (مانشيت) رئيس آخر في الصحف، كدأبه في تقديس الدعاية، التي لا يهدأ له بال دونها.

سارع شارون إلى نفي هذه الأنباء بشدة قائلاً: «لم أوافق على أية خطة.. هذه خطة خطيرة.. وليس لديّ أي علم بها.. إنها خطة خيالية ينطوي مجرد طرحها على خطورة والحاق ضرر باسرائيل.. أقترح أن لا يتم أخذها على محمل الجدية..». وكرّر شارون نفيه القاطع في هذا الخصوص، أثناء جلسة وزراء حزبه (الليكود) في ٢٣ / ١٢ / ٢٠٠١.

هل عادت «عصابة أوسلو» للعمل مرة أخرى من خلف ظهر رئيس الحكومة، كما حصل في عهد رابين؟

تصريحات وبيانات النفي القاطع المتكررة التي أدلى بها شارون لم تصمد لوقت طويل، إذ اضطر للتراجع عنها باستحياء وخجل، عندما أصبح بحاجة ماسة إلى دعم بيريس لاقرار ميزانية الدولة في الحكومة. وُجّه إنذار للجنرال المتقاعد (شارون): إما أن يُقر رئيس الوزراء علناً بحقيقة أنه كان على علم بمحادثات بيريس ـ أبو العلاء، وعن بلورة خطة لاقامة دولة فلسطينية، أو أن تنسحب كتلة حزب «العمل» وفي مقدمتها بيريس، من الحكومة.

في هذه المرة أمسك بيريس بخناق رئيس الوزراء، أذلّه وعرّى أكاذيبه التي كانت معروفة لـ«بن غوريون» منذ أمد بعيد، وكما يقال: ليس صدفة أن يذهب الزرزور الى الغراب، فالطيور على أشكالها تقع.

ومن ناحية عملية فقد ضمّن بيريس خطته ما سبق وأن صرح به شارون غير مرّة في صيف العام الأول من ولايته لرئاسة الوزراء: «أنا أؤيد اقامة دولة فلسطينية في ظل شروط معينة».

صفقة شارون ـ بيريس: دولة فلسطينية مقابل اقرار ميزانية العام ٢٠٠٢!.

سارع شارون الى التراجع بمهانة معلناً في بيان رسمي أصدره في ٢٤ / ١٢ / ٢٠٠١: «المحادثات التي أجراها بيريس مع أبي العلاء تمت بمعرفتي وموافقتي». وبذلك حصل وزير الخارجية، فنان التآمر، على دعم وغطاء علني من رئيس الحكومة. من جهته، قام بيريس بعدما حظي باهانة رئيس الوزراء وحصل على دعمه الرسمي، قام بجر وزراء «العمل» الذين يفتقدون الى عمود فقري، وجرّ كتلة حزبه البرلمانية الى الوقوف وقفة رجل واحد وراء الحكومة في تمرير ميزانية الدولة، كما لو كانوا دمى أو قطيعاً من الغنم ينساق بشكل أعمى وراء الراعي الذي لا يرغبون به قطْعياً، وينتظرون بفارغ الصبر ابتعاده طوعاً عن الحلبة السياسية.

ولقد صدق هذه المرة وزير السياحة بنيامين ألون، المعروف بآرائه اليمينية المتطرفة، عندما علق قائلاً: «.. رغم أن التصريحات ـ تصريحات شارون ـ نبعت من اعتبارات تتعلق بالميزانية، إلا أن هذه تعد أسوأ من صفقة (بار-أون مقابل الخليل). إنها دناءة ثقافة الحكم، ورخاصة كلمة رئيس الحكومة..» (معاريف ٢٥ / ١٠ / ٢٠٠١).

بعبارة أخرى: دولة فلسطينية مقابل ميزانية دولة مقرّة أو العكس! على الزعماء الاسرائيليين أن يتذكروا وأن يكرروا دون توقف: الكذب حباله قصيرة، والكاذب سيبان على حقيقته طال الزمن أو قصر.

لقد ظل بيريس في جوهره فرانكفونياً متحمساً، مفتوناً بسحر فرنسا، أشد ايماناً بأوروبا، ولا سيما فرنسا وألمانيا، مقارنة مع شارون الذي لا يبدي ميلاً خاصاً لأوروبا بحكم تعاطفها الأساسي مع الفلسطينيين و(ياسر) عرفات، الذين لا يختلفون بالضرورة مع وجهات نظر

بيريس.

ويحرص كل من بيريس وشارون على تفادي حصول توترات ومشاحنات مع الإدارة الأميركية ـ راعية اسرائيل وولية نعمتها ـ وذلك بحكم الحاجة الدائمة للتزود بأسلحة أميركية متطورة، وبحكم المخاوف الاسرائيلية المتزايدة من تطوير أسلحة غير تقليدية في كل من ايران والعراق.

ويبدي هذان التوأمان السياميان ـ الزرزور والغراب ـ ضبطاً للنفس في سلوكهما السياسي والأمني، بعدما قطع كل منهما بطريقته الخاصة وعوداً للرئيس الأميركي جورج دبليو بوش ووزير خارجيته كولن باول.

دولة فلسطينية ـ كانتونات؟!

ماذا يقصد شارون بالدولة الفلسطينية!

عرض شارون بعد مرور حوالي شهرين على توليه رئاسة الوزراء، شروطه لقيام دولة فلسطينية، وهي حسبما أوردتها صحيفة «معاريف» (١٣ / ٤ / ٢٠٠١):

* أن تقوم في نطاق الحدود التي كانت قائمة في اتفاق واي ريفر ـ أي على ما مساحته ٤٢٪.

* دولة مقيدة محدودة، ومنزوعة، تحتفظ بقوة شرطية فقط، تزود بأسلحة للحفاظ على النظام.

* تتولى اسرائيل الإشراف على الحدود الخارجية ومراقبتها.

* أن لا تبرم (الدولة الفلسطينية) تحالفات أو أحلاف مع دول مناوئة لاسرائيل.

* تحتفظ اسرائيل بحق تحليق طيرانها في أجواء دولة فلسطين.

ماذا تخفي الخطة وراءها؟ قلائل هم الذين يعلمون بالسر.. أرئيل شارون يرى في السلطة الفلسطينية حقيقة واقعة يجب التعايش معها. وهو يتمسك بخطة (يغئال) ألون كحل ممكن في اطار دولة فلسطينية مقلصة مشلولة القوة. في الوقت ذاته، يتخوف شارون من ظهور «مطبات» يكون من الصعب التغلب عليها في أعقاب التخلي عن مناطق واسعة، وهو

يرغب في تجنب تعقيد الأمور بشكل يصعب ويعيق التوصل الى حل مرضٍ لاسرائيل. ولذلك قرر تبني سياسة تفادي الوقوع في مطبات. تلك هي رؤيا شارون قبل قمة كامب ديفيد الثلاثية.

في هذه الأثناء خلقت الانتفاضة واقعاً جديداً في المناطق الفلسطينية. الحل الذي يقترحه على الفلسطينيين، أو الذي سيقترحه في موعد مناسب، معقول بالنسبة لاسرائيل، لكنه غير مقبول لدى الفلسطينيين، لا سيما في أعقاب سيل الوعود التي قدمها لهم ايهود باراك.

ويسعى شارون الى تقطيع أوصال يهودا والسامرة وتجزئتها الى كانتونات بغية ابقاء أقصى حد من الأراضي تحت السيطرة الاسرائيلية، وهي خطة تعود حقوق أصولها الى رافي ايتان (الملقب بـ «النتن») الذي خدم في جهاز استخبارات «الموساد» منذ العام ١٩٥٤ وحتى العام ١٩٧١، حيث كان من كبار المسؤولين في الجهاز.

العلاقة بين شارون وإيتان بدأت في العام ١٩٦٥، عندما كان شارون رئيساً لشعبة الإرشاد، وقد صرح إيتان: «فقط شارون يستطيع وضع حد للانتفاضة».

كان إيتان، وهو من مواليد العام ١٩٢٦، رئيساً لمجلس إدارة شركة الصناعات البتروكيماوية (كيمكاليم اسرائيل) في العام ١٩٨٦، ومستشار رئيس الوزراء لشؤون مكافحة الارهاب ١٩٧٨ ـ ١٩٨٥. كذلك كان أحد المسؤولين عن جوناثان بولارد ـ الجاسوس الاسرائيلي الذي قبض عليه وحكم بالسجن المؤبد بتهمة التجسس على الولايات المتحدة ـ في فترة تولي اسحق رابين لمنصب وزير الدفاع في حكومة الوحدة الموسعة ١٩٨٤ ـ ١٩٨٨. موشيه آرنس الذي سبق رابين في المنصب، كان أيضاً على اطلاع بأمر بولارد. كذلك كان الكولونيل أبيئام سيلع، من سلاح الجو، واحداً من المسؤولين عن تشغيل بولارد، وقد اضطر في اذار ١٩٨٧ للاستقالة من منصبه كقائد لقاعدة سلاح الجو في «تل نوف» ارضاءً للولايات المتحدة.

وتولى رافي ايتان، الذي شهدت علاقاته مع شارون فترات صعود وهبوط، مسؤولية «مكتب الاتصالات العلمية» الذي أقيم في مكتب رئيس الحكومة مطلع الستينيات، ومهمته التجسس التكنولوجي وشراء المواد والوسائل غير المتيسرة في السوق الحرة. في أوائل الثمانينيات عيّن شارون رافي إيتان مسؤولاً عن «مكتب الاتصالات العلمية»، خلفاً لبنيامين بلومبرغ،

وذلك كتعويض لـ «ايتان» عن عدم تعيينه رئيسا لجهاز «الموساد». ويدير ايتان في السنوات الأخيرة أعمالاً خاصة في أميركا اللاتينية.

*

تمتد «يهودا والسامرة» على مساحة تصل الى نحو سبعة ملايين دونم، فيما يقيم حوالي ٩٠ في المئة من الفلسطينيين في ازدحام في منطقة تبلغ مساحتها حوالي مليونين ونصف المليون دونم.. وإذا قامت اسرائيل بضم مناطق من الضفة الغربية، فسوف يبقى السكان العرب متكدسون في عدد من المناطق المعزولة عن بعضها البعض مثل: الخليل، ونابلس، وجنين، وبيت لحم، ورام الله. وستكون هذه عبارة عن كانتونات، في وقت سيبقى فيه مصدر الصلاحيات في يد اسرائيل. وستتمتع هذه الكانتونات باستقلالية في ادارة شؤونها، وسيعطى لسكانها حق الانتخاب للبرلمان الأردني.

هذه الطريقة تتيح لاسرائيل سيطرة أمنية وتحول دون قيام دولة فلسطينية. جنباً الى جنب، تتيح الخطة اجراء مفاوضات مستقبلية حول مصير سكان هذه المناطق (الكانتونات) في حال أقيمت في المستقبل دولة فلسطينية في الأردن...

ذلك هو حلم شارون القديم.. أن تقوم دولة الفلسطينيين هناك فقط (في الأردن)! فحيث ان اسرائيل لا ترغب بضم الفلسطينيين أو ابقائهم تحت سيطرتها، وحيث انه لا يمكنها أيضاً تجاهل وجودهم، كما لا توجد أية رغبة أو خطة للتخلي عن جميع المناطق، يكون الحل إذن بإقامة كانتونات للفلسطينيين!.

يؤمن رافي إيتان بوجوب التعامل مع الفلسطينيين بقبضة حديدية.. وقد أدلى بأقوال واضحة في هذا الخصوص لصحيفة «يديعوت أحرونوت» في ٢٩ / ٧ / ١٩٨٨، والتي تعتبر مناسبة، بل وأشد أهمية، لهذه الأيام بالذات، من وجهة نظر شارون، حيث قال إيتان: «منظمة التحرير الفلسطينية (السلطة الفلسطينية) لا تستطيع بسبب عوامل داخلية، أن تكون شريكاً في السلام، فهي لو كانت قادرة لكانت قد بادرت قبل سنوات عديدة بالإعلان عن نبذها لطريق الارهاب، على غرار ما فعله الرئيس المصري أنور السادات، الذي جاء الى طاولة المفاوضات...».

ويتبنى شارون مبدئياً منطلقات «إيتان» الذي يؤكد على أن الفلسطينيين يتحدثون عن السلام كـ«تكتيك»، وأنه طالما لا توجد لديهم خطة سلام حقيقية، فإنه لن تتاح أية امكانية للتوصل الى حل حقيقي للنزاع.

من هنا يأتي الاستنتاج القاطع لـ«إيتان»، بأنه لم يعد أمام إسرائيل أي خيار سوى إتباع خط متصلب. وهو يعتقد جازماً أنه إذا أصرت اسرائيل على موقفها المعارض لقيام دولة فلسطينية في المنطقة، فسوف يتراجع العرب عن هذه الفكرة، لكن طالما رأوا أن ثمة شكوكاً في اسرائيل بشأن سيادتها في هذه البلاد، بما في ذلك يهودا والسامرة وغزة، فسوف يسعون الى استغلال كل ثغرة، ليواصلوا تقويض سلطتها وحقها على كل أرض اسرائيل، يجب أن يتوصل العرب الى استنتاج بأن لاسرائيل الحق في كل أرض اسرائيل وأن مكان الدولة الفلسطينية هو في الأردن، عاجلاً أم آجلاً. عندئذٍ فقط ستكون هناك فرصة لاحلال السلام في هذه الديار.

لم يتخل شارون قط عن فكرته ـ خطته القائلة بأن فلسطينيي «أرض اسرائيل» يجب أن ينتموا الى الأردن، الذي يشكل الفلسطينيون فيه حوالي ٧٥٪ من السكان، سواء عن طريق قيام دولة لهم هناك، أو في أي كيان آخر.

ولا بد من إعادة التذكير هنا أن مساحة الأردن تبلغ ٩١٨٦٠كم٢ في حين تبلغ مساحة اسرائيل ٢٢١٤٥كم٢ فقط. وبحسب «وعد بلفور» الصادر العام ١٩١٧، فقد اعتبر شرق الأردن جزءاً من أرض اسرائيل، إلا أنه تم في العام ١٩٢٢ فصل الضفة الشرقية لنهر الأردن عن ضفته الغربية، حيث وضعت إمارة شرق الأردن في إطار انتداب بريطاني من طرف عصبة الأمم من العام ١٩٢٣ وحتى العام ١٩٤٦.

إن تطبيق خطة الكانتونات من شأنه أن يجنب اسرائيل مطبات صعبة تقض مضاجع شارون. وعلى سبيل المثال: كيف سيكون رد اسرائيل ـ هكذا يسأل شارون مستمعيه ـ في حال دخول جيش مصري إلى سيناء.. هل ترد بإعلان الحرب؟! ويضيف أنه لو ظلت اسرائيل تحتفظ بسيناء لما كانت قد نشأت معضلة كهذه. وكيف سترد اسرائيل إذا قامت سورية بحشد قوات في هضبة الجولان، تشكل تهديداً على اسرائيل؟! هل تبادر اسرائيل بشن حرب؟!

هذه معضلة. وكذلك الحال بالنسبة لغور الأردن: فتخلي اسرائيل عن السيادة على هذه المنطقة يمكن أن يشكل ويولد معضلة أمنية.

من هنا يعتقد شارون أن على اسرائيل اتباع سياسة تُجنبها مثل هذه المعضلات والإشكاليات.

تلك هي رؤيا شارون.. ومن هنا يجب فهم سياسة المراوغة التي يتبعها تجاه مبادرات وتحركات شمعون بيريس من منطلق وجهة نظره (أي شارون) القائلة بأن المفاوضات ستنتهي عاجلاً أم آجلاً، بكثرة من الشركاء، لكن دون فرصة أو أمل بالنجاح.

*

منطلقات ومواقف شارون هذه، حظيت بدعم وإسناد من جانب الجنرال عاموس غلعاد، منسق أعمال الحكومة في المناطق الفلسطينية، ورئيس شعبة البحث سابقاً في قسم الاستخبارات العسكرية. وينتقد غلعاد بشدة تجاهل التقديرات الاستخبارية خلال سنوات تطبيق اتفاقيات أوسلو (وكذلك في الفترة السابقة).

التلميح هنا واضح وموجه نحو عنوان واحد وهو: شمعون بيريس (يديعوت احرونوت ٢٦ / ١٢ / ٢٠٠١). فوزير الخارجية يرفض تحذيرات الاستخبارات - على غرار سلوكه حينما كان رئيساً للحكومة - التي «تشوش» دائماً خططه بعدما يكون قد رسم سياسة خاطئة ترتكز الى أساس واهن، مؤداه أن عرفات هو الشريك الذي لا غنى عنه.

المأساة - و«بني موريس»

يؤكد الجنرال غلعاد بعد تأخير دام حوالي ثماني سنوات أنه «جرى التنبؤ بدقة بالواقع الصعب الراهن، لكن الأمر كان فقط موضع جدل وخلاف. ذلك هو أساس وسبب المأساة التي نمر بها».

سوف تُقام، عاجلاً أم آجلاً، لجنة تحقيق رسمية لتتقصى وتحدد من المسؤول عن «التراجيديا» التي يتحدث عنها الجنرال غلعاد، وهو يقصد بذلك: اتفاق أوسلو.

يقول الجنرال غلعاد: «لم يخف عرفات أبداً، حتى خلال عملية أوسلو بأكملها، نيته

تجسيد حق العودة.. كما ولم يُصرح قط أن رؤياه لسلام الشجعان تعني وجود دولة يهودية. إنه يحلم أيضاً بأن تتحول المملكة الأردنية الهاشمية، بقوة العامل الديمغرافي، الى جزء من فلسطين...».

اليوم نجد أن عدداً متزايداً من الاسرائيليين (أنظر لاحقاً مقابلة مع شولاميت ألوني وتسبي إل بيلغ) أخذوا يصحون من الوهم بإمكانية التوصل إلى سلام مع الفلسطينيين، بعد تسع سنوات من تجربة أوسلو.

*

حتى البروفيسور بني موريس، من دائرة الدراسات الشرق أوسطية في جامعة «بن غوريون» في النقب، عاد الى رشده وصوابه في نهاية العام ٢٠٠١، بعدما غرق لوقت طويل، في أوهام وفي أبحاث مغلوطة أصدرها عن الفلسطينيين، وفي مقدمتها كتابه «ولادة مشكلة اللاجئين الفلسطينيين - ١٩٤٧ / ١٩٤٩) الذي صدر عن «عام عوفيد» العام ١٩٩١، وأثار موجة انتقادات شديدة ضد اسرائيل محلياً وعالمياً.

من هو البروفيسور - موريس؟

ولد بني موريس في كيبوتس، وخدم في قوات المظليين، عمل في صحيفة «جيروزاليم بوست» وحصل على شهادة الدكتوراه في التاريخ من جامعة «كيمبريدج» المرموقة، كان موريس أول من استخدم اصطلاح «مؤرخون جدد» وذلك في مقال نشره في العام ١٩٨٨ في مجلة يهودية - أميركية («تيكون»). ويصنف في عداد «المؤرخين الجدد» كل من آبي شلايم، إيلان بابي، سيمحا فلفن، توم سيغف وآخرون.

ويتفق هؤلاء في نقض الرواية التاريخية التي كانت سائدة فيما يتعلق بأحداث رئيسية وقعت أثناء اقامة الدولة العبرية والدفاع عن وجودها. وهم يدعون ان جزءاً من التاريخ الذي كتب ودوّن في الماضي كان بمثابة دعاية صهيونية، رمت الى تصوير عملية إقامة اسرائيل في صورة ايجابية.

وكتب البروفيسور موريس قائلاً: «يبدو لي أن شعباً، يخفي عن نفسه في كتابته لتاريخه فصولاً غير مريحة من ماضيه، يتحاشى مواجهتها ولا يقوم بمراجعة للذات ولو في أبسط

صورها، إنما يكرس بذلك تلك الفصول ذاتها ويهيؤ الأرضية لاستمراريتها وديمومتها، ومواصلة اخفائها، وهكذا دواليك». (هآرتس ١٦ / ٦ / ١٩٩٧).

في نهاية العام ٢٠٠١ ولد بني موريس جديد، معلناً «التوبة»، مكفراً صراحة عن ذنوبه، وذلك في مقابلة مطولة نشرتها صحيفة «يديعوت احرونوت» (٢٣ / ١١ / ٢٠٠١). ومن أهم ما توصل إليه في تفكيره الجديد:

* الفلسطينيون يتحملون المسؤولية عمّا آلت إليه أوضاعهم.
* حق العودة: وصفة لتدمير اسرائيل، ولا يجوز التباحث حوله.
* العرب ينشدون إبادة اسرائيل، ويريدون كل فلسطين.
* لم يُشرد جميع عرب العام ١٩٤٨، السواد الأعظم منهم أجبروا على النزوح.

الزعامة العربية شجعت السكان العرب على الهرب، وقد تحول هؤلاء الى لاجئين. هناك امكانيتان لحل المشكلة: إما أن يتم ضم تجمعات من المدن والقرى العربية (الواقعة داخل الخط الأخضر) إلى الدولة الفلسطينية المرتقبة، أو الى دول عربية مجاورة، وإما أن يرحل العرب عن دولة اسرائيل طوعاً.. هذا يمكن أن يحدث أيضاً.

وعندما سئل المؤرخ (بني موريس) عن الترانسفير، أجاب قائلاً: هناك ثلاث امكانيات: ١ - إما أن تقع هنا كارثة ذرية تدمر كل شيء. ٢ - أو أن تقوم هنا دولة عربية من البحر الى النهر (نهر الأردن) تعيش فيها أقلية يهودية صغيرة. ٣ - أو أن تقوم دولة يهودية من البحر الى النهر، تعيش فيها أقلية عربية صغيرة.

بعبارة أخرى: إما أن يتم ترانسفير لليهود من اسرائيل، أو ترانسفير للعرب.

لم يهب «بني موريس» من استخدام اصطلاح ترانسفير، كما انه لا يستبعد أو يرفض هذه الامكانية. وهو، في حال جرى ترانسفير عربي (لليهود) «يجب أن يرى» (على حدّ تعبيره) إذا كان سيستطيع العيش في اسرائيل، لكنه «لا يستطيع العيش» في بلد عربي. ويقول: «إنني أرى ما يحدث في مصر والأردن، ولا أريد العيش في دول كهذه».

وعن وجهة نظره في حركة «حماس»، يقول البروفيسور موريس: «الميثاق الأساسي لحركة حماس، والذي وضع في العام ١٩٨٨، يتهم اليهود بالوقوف وراء الحروب العالمية ووراء

اقامة الأمم المتحدة. وفي منشورات أخرى، يماثل أعضاء حماس والجهاد الإسلامي بين اليهود والقرود».

*

في نفس اليوم الذي نشرت فيه «اعترافات» البروفيسور موريس، نشرت في صحيفة «معاريف» (٢٣ / ١١ / ٢٠٠١) ملاحظات وانتقادات أوري سمحوني على اتفاق أوسلو.

سمحوني، من مواليد العام ١٩٣٦، جنرال في الاحتياط، عمل رئيساً لشعبة التوجيه العسكري، وملحقاً عسكرياً في السفارة الاسرائيلية لدى واشنطن من العام ١٩٨٣ وحتى العام ١٩٨٦.

يؤكد «سمحوني» بصورة قاطعة أن: عرفات يمثل التهديد الاستراتيجي الأكبر لدولة اسرائيل. اتفاق أوسلو «عمل غير مسؤول. فقد طهرنا عرفات ولَمّعناهُ وأتينا به من تونس، في وقت كان فيه منبوذاً معزولاً، وساعدناه في الحصول على جائزة نوبل للسلام وعلى مكانة دولية...».

وينبه أوري سمحوني إلى أنه بعد انتهاء ولاية (عهد) شارون - بيريس - عرفات، سوف تحل بالتأكيد ولاية بيبي (نتنياهو) - بيريس - عرفات (بيريس سيبقى الى الأبد - ي. ك)، وأنه «لن تبدأ مفاوضات جادة» إلا بعد رحيل أو اقصاء المذكورين عن الحكم.

واضاف سمحوني بعد شهر من تصريحاته السابقة، قائلاً: «لقد لوث عرفات المنطقة لسنوات طويلة قادمة، لم يبنِ ولن يبنِ أي شيء. فبدلاً من اقامة جهاز للتعليم ومؤسسات للتعليم العالي، أقام مخيمات للانتحاريين وبنى مساجد..» (معاريف ٢١ / ١٢ / ٢٠٠١).

*

هل تعتري اليسار الاسرائيلي أيضاً أفكار وخواطر ندم على اتفاق أوسلو؟ هل تقع تحذيرات رؤساء قسم الاستخبارات العسكرية على آذان صاغية؟ هل ما زال عرفات يعتبر شريكاً في الحوار والمفاوضات؟ وهل يمكن بالاجمال التوصل الى اتفاق سلام حقيقي مع الفلسطينيين، أم ان أية تسوية معهم ستكون بمثابة الطامة الكبرى؟.

اسرائيل تفتقد إلى زعيم بمستوى بن غوريون!

سألت شولاميت ألوني، التي يعتبرونها العرابة الأولى لليسار في اسرائيل، فيما إذا كانت تشعر أن الجمهور الاسرائيلي قد تحول نحو اليمين؟ وأضفت أن أعمال عرفات تقوض اليسار وتقوي اليمين.

ألوني: «التحول نحو اليمين يجري بشكل أساسي في وسائل الإعلام الالكترونية، التي تنقل مباشرة ما يلقوننها، وبضمن ذلك الأكاذيب والمعلومات المدسوسة».

ـ أعطني مثلاً؟

ألوني: «مثل المراسل العسكري للقناة الثانية (في التلفزيون الاسرائيلي) رون دانئيل. الجمهور يمر بعملية مسح دماغ يمينية».

ـ ولكن، رغم ذلك فقد صوتت أغلبية كبيرة جداً لصالح شارون!.

ألوني: «هذا التصويت يعود الى كون الناخبين ضاقوا ذرعاً، وملوا تماماً من ايهود باراك، ومع ذلك فإن كثيرين لم يشاركوا في الانتخابات أو وضعوا ورقة بيضاء في صناديق الاقتراع. فهذه الانتخابات (انتخابات شباط ٢٠٠١) شهدت أدنى مستوى مشاركة في تاريخ الانتخابات التي جرت في اسرائيل، ويمكن القول: إن التصويت كان تصويتاً احتجاجياً».

ـ ولكن نتائج استطلاعات الرأي تثني على شارون؟

ألوني: «استخدام استطلاعات الرأي يشكل أسوأ دعاية في النظام الديمقراطي، ومن شأن ذلك أن يؤدي إلى تقويض الديمقراطية. فالاستطلاعات تستخدم عالمياً كأداة في يد الحاكم، أو الحكم، لتفحص انجازاته أو اخفاقاته. إن الاستطلاعات ما هي إلا عملية لغسل دماغ وتفكير الناس».

ـ ماذا بالنسبة للوضع الحالي في المناطق (الفلسطينية)؟.

ألوني: «الجنود الاسرائيليون ينكلون بالفلسطينيين ويزرعون الكراهية في قلوبهم. ولقد ألمح رئيس الأركان الى أن: العربي الجيد هو العربي الميت، وهو ما يولد دافعاً وحافزاً. لقد وضعنا جميع الفلسطينيين في المناطق في معسكرات محاصرة، مغلقة، لكننا في اسرائيل لا نرى ذلك لأنه بعيد عنا... إنهم ينكلون بالشيوخ والنساء والحوامل في وضح النهار. صار

كل جندي اسرائيلي يعتبر نفسه سلطة لا تحدها حدود، يتصرف كما يحلو له».

ـ ولكن اسرائيل تدافع عن نفسها في مواجهة ارهاب وحشي ضد سكانها..

ألوني: «في كل عملية تصفية موضعية، محددة، نقوم بها، يُقتل مواطنون فلسطينيون عزل. لقد غُسلت أدمغتنا في موضوع الوحدة الوطنية، وكأن هناك واجباً بالامتثال إلى نداء المصالحة والوفاق الداخلي.. إن هذا أسوأ وأفظع أمر يقترفه الشعب. لقد حصل ذلك في عهد هتلر وموسوليني وبينوشيه وفرانكو وستالين».

ـ هل أنت ضد وحدة وتوحد الشعب في هذه الظروف التي نحارب فيها الفلسطينيين الذين شنوا الانتفاضة؟

ألوني: «موضوع الوحدة الوطنية يستخدم لدينا في ظل غياب فهم سليم للديمقراطية ولدور المعارضة. عندما كان شارون في المعارضة، وحين بادرت الكتل الدينية الى طرح القانون المتعلق بالعائلات كثيرة الأولاد صوت الليكود الى جانب القانون، رغم كونه غير منصف اجتماعياً ومنافياً للديمقراطية، وقد صوت الليكود على النحو المذكور فقط من أجل التشويش على رئيس الوزراء باراك، والآن تجدهم متورطين لا يستطيعون الخروج من المأزق الناجم عن هذا القانون».

ـ مع ذلك فقد صوت الجمهور لصالح شارون واليمين.

الوني: «ميل الجمهور نحو اليمين مرده الشعور باليأس، ولذلك يحتاجون الى الوحدة والمصالحة الوطنية. إن اليهود يعيشون في ظل عقدة الخوف والملاحقة، بينما نحن في الحقيقة، الأقوياء، نحن الذين نريد القاء الآخرين في البحر. لقد خلقنا عبادة وتقديس الجيش والجنرالات ومقولات من نوع: من يعرف ويلم بالأمور أكثر من «تساهل» (جيش الدفاع الاسرائيلي). حسناً، لنفترض أن الجنرالات يعرفون قراءة الخريطة، وانهم ملمون أكثر بطبيعة المنطقة ويحسنون استخدام الوسائل الموجودة بحوزتهم، ولكن من قال انهم يفهمون في السياسة أفضل منا.. موفاز، فؤاد (بنيامين بن اليعازر)؟!».

ـ هل يجب الثقة بعرفات؟ هل ما زال يعتبر شريكاً في السلام؟

ألوني: «في العام ١٩٨٨ قرر الفلسطينيون انهم إذا عادوا الى مناطق حدود العام ١٩٦٧،

والتي تشكل حوالي ٢٢٪ من مساحة اسرائيل (بمعنى فلسطين التاريخية ـ المترجم)، فسوف يبرمون اتفاق سلام معنا.. وهم في ذلك الوقت، لم يذكروا أو يتطرقوا الى حق العودة».

ـ ربما لأسباب تكتيكية؟.

ألوني: «أنا أؤمن بالمصالح والعلاقات الدولية، فإذا ما شئنا أن نكون نزيهين منصفين، وقمنا بإعادة ما يجب إعادته، فلن يستطيع أحد عندئذٍ المس بنا، لأننا أقوى منهم، ولن تتوفر للعراق أو ايران أو سورية أية ذريعة لشن حروب ضدنا».

ـ واللاجئون؟

ألوني: «علينا أن نقر بشراكتنا في المسؤولية عن مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ومصيرهم، وأن نساهم في الجهود لحل مشكلتهم في فلسطين أو في بلدان أخرى، اضافة الى جمع شمل عائلات محدودة في اسرائيل».

ـ مؤكد أنك قرأت المقابلة التي نشرت في صحيفة «يديعوت احرونوت» بتاريخ ٢٣ / ١١ / ٢٠٠١ مع البروفيسور بني موريس، الذي كان يوصف على أنه «عقل المؤرخين الجدد» ويصنف ضمن اليسار، حيث يبدي في المقابلة الندم، و«التوبة» إن جاز التعبير، حيال أشياء كتبها في الماضي.. وأكد في المقابلة أن العرب يسعون الى إبادة اسرائيل، بل وذهب أبعد من ذلك عندما ألمح بما معناه، أن العرب في اسرائيل هم بمنزلة قنبلة موقوتة وطابور خامس.. فما الذي حصل لزعيم «المؤرخين الجدد؟!».

ألوني: «قرأت المقابلة وصدمت بما جاء فيها. لعله ينطبق عليه المثل القائل: هل يُغيّرُ الزنجي لونه والنمر جلده!.

نحن نعود اليوم إلى المنفى مع دولة الشعب اليهودي ودولة ليست لجميع مواطنيها. في وثيقة الاستقلال قال بن غوريون «نحن الشعب العبري» وهذا صحيح! ففي المنفى (الشتات) تعيش طوائف يهودية بينما يعيش هنا شعب عبري ذو سيادة.

في العام ١٩٨٥، وفي خطوة بدت ظاهرياً مناوئة لمئير كاهانا، عدنا الى الشعب اليهودي. أردنا، كما بدا، أن نصنع ونقيم ديمقراطية تحمي نفسها في اسرائيل كدولة للشعب اليهودي، حيث اعتمد قانون لا يتاح بموجبه لقائمة لا تعترف باسرائيل بصفتها دولة الشعب اليهودي

خوض الانتخابات للكنيست، ثم تبع ذلك مباشرة ما نصه أن الدولة هي للشعب اليهودي وليس دولة جميع مواطنيها».

- هل يمثل عرب اسرائيل خطراً واقعياً بحكم الأفضلية أو الميزة الديمغرافية، كما حذر البروفيسور بني موريس؟.

ألوني: «لقد منعنا تطور القرية العربية والسكان العرب. لو كانت هناك عملية تمدين وتطوير للريف، لكانت نسبة الولادة (التكاثر) قد انخفضت لدى السكان العرب. هذا ينطبق على السكان اليهود المنحدرين من الطوائف الشرقية، وهو ما يحصل أيضاً في سائر أرجاء العالم، غير أننا حلنا دون تطوير ورفع مستوى معيشة السكان العرب الذين اضطروا للبقاء والعيش في نفس البيوت والمساكن، ومع ذلك يسجل هناك لديهم انخفاض في نسبة التوالد. علاوة على ذلك فقد مارسنا ضدهم نظام فصل عنصري - «أبارتهايد» تركناهم يواجهون محاكمهم الشرعية، لم نمكنهم من ولوج حياة مجتمع مدني».

- ربما كان الحل في فصل أحادي الجانب؟ فهذه الفكرة لها اليوم الكثير من الأنصار والمؤيدين الذين ينتمون الى جميع ألوان الطيف السياسي، من اليمين واليسار، ومن المتدينين الحريديم والعلمانيين... فما رأيك بذلك؟.

ألوني: «فكرة الفصل من جانب واحد مجرد مودة جديدة لدى السياسيين، أنا ضد هذه الفكرة لأنها توقع في «الأسر» المستوطنات».

- ماذا عن الانتفاضة... هل ترين أننا نفوز فيها أم نخسر؟.

الوني: «لقد خسرنا، فاقتصادنا برمته، والذي ازدهر في ظل العلاقات التي قمنا بتنميتها مع الكثير من الدول، تعرض للضرر والخسارة. فقد اعترفت باسرائيل عشرون دولة جديدة بعد اتفاق أوسلو. اليوم كُبحت أو توقفت عملية النمو الاقتصادي.. وانهارت السياحة. نحن نخسر في الممتلكات والاقتصاد وفي الإحساس بالأمن. الشرطة لم تعد موجودة لأنها تحولت إلى جيش. هناك إحساس بالعنف والتوتر، وهناك قتلى يصرعون».

- وهل علينا أن نستسلم أمام الانتفاضة، أن نرضي عرفات وفقاً لاملاءاته؟

ألوني: «نحن ننجر وراء عرفات في ردود أفعال، وبالتالي نصعد الوضع، بينما يظهر على

الأرض مستوطنون جدد، وكرفانات ـ منازل نقالة ـ فوق كل تلة».

ـ وكيف يمكن أن ندافع عن أنفسنا في مواجهة الارهاب؟

ألوني: «اسرائيل تحول الفلسطينيين إلى عدو يجب القضاء عليه. في أي مجتمع أو بلد يقومون باقتلاع أشجار زيتون عمرها مئة سنة، وكروم وبيارات ودفيئات زراعية، هكذا بشكل تعسفي، دون اعطاء أصحابها تعويضات؟!

ـ هذا يعني أن بيريس يضفي الشرعية على أعمال وسياسة شارون؟

ألوني: «نعم، بالتأكيد، بيريس يغطي على شارون، ويوفر له شرعية في العالم وفي اسرائيل».

ـ ما رأيك ببيريس؟

ألوني: «شمعون بيريس رجل مبدع جداً، صاحب خيال وطموح، ويعرف من أين تؤتى سبل النجاح. ولا جدال في أنه و راء اقامة الصناعات الجوية والمفاعل الذري في ديمونا. لا يمكن لأحد أن ينازعه في ذلك أو في أن يسلب منه تلك المنجزات، وهو في الوقت الذي يكون فيه في الحكومة وتأخذ أفكاره بشق طريقها، تجده يشوش ويعيق رؤساء الحكومات التي يعمل فيها».

ـ هل يشوش على شارون أيضاً، هل يضر به؟

ألوني: «أضخم مظاهرة ضد شارون جرت بعد (مذابح) صبرا وشاتيلا، حيث شارك فيها ٤٠٠ الف متظاهر. بعد ذلك شكلت لجنة القاضي اسحق كاهان (للتحقيق في الأحداث التي وقعت في المخيمين المذكورين ـ ي. ك). شارون مشهور ومعروف بكونه قاتلاً ـ سفاحاً ـ منذ العملية الانتقامية التي قادها ضد قرية قبيا. ثم جاءت قضية ممر المتلة أثناء حرب العام ١٩٥٦، ثم عبور قناة السويس في العام ١٩٧٣ والمعارك الدامية في سيناء. والخسائر البشرية الجسيمة في مدينة السويس. ثم حرب لبنان».

ـ وقعت حروب، وشارك فيها شارون؟

ألوني: «شارون زعيم متطرف، مزاجي، وهو لا يستطيع التحدث عن السلام، لأنه وراء اقامة المستوطنات وتوزيعها بشكل لا يتيح ابرام أي سلام أو تنفيذ أية خطط، وكل ذلك

بهدف جعل الأردن دولة فلسطينية».

ـ مع ذلك انتخبته الأغلبية الساحقة من الجمهور في ٦ شباط ٢٠٠١ ؟!

ألوني: «انتخبوا شارون لكونه ضد باراك، إذ إن الأخير قام بخطوتين ساهمتا في اخفاقه وتعثره، الأولى: خيب الآمال بعجرفته وتبجحه وطريقة ادارته للحكومة. والثانية: أنه دمر حزب العمل واستبدله بقائمة «اسرائيل واحدة»».

ـ ماذا عن كامب ديفيد؟.

ألوني: «اكتفى باراك هناك بطرح أفكار فقط، رافضاً الاجتماع مع عرفات. وقد لحق به يوسي غينوسار وسأله وقتئذٍ: لماذا تتعمد اهانة واذلال عرفات؟ لم تكن لدى باراك أية خطة. لقد خلق آمالاً وتوقعات هائلة ولم يحقق شيئاً، تحدث مراراً عن مقدسات اسرائيل ومن الذي يجب أن تكون له السيادة على الحرم القدسي (جبل الهيكل..).. علماً أن هذه السيادة موجودة في يد المسلمين منذ القرن السابع، منذ العام ١٣٠٠». واضافت ألوني مؤكدة «لقد سمح باراك بصورة غير بريئة لشارون بزيارة الحرم الشريف، وجاء بكتيبة من الحراس، ليثبت أن السيادة على المكان في يد اسرائيل. الانتفاضة جاءت نتيجة لذلك، ومن ثم لم يستطع عرفات وقفها».

ـ ولكن عرفات استعد للحرب قبل زيارة شارون للحرم.

ألوني: «عرفات استثمر ملياري دولار العام ٢٠٠٠ في انشاء بنية سياحية، مثل مشروع بيت لحم. كان يأمل بقدوم أعداد غفيرة من السياح. لن يقوم أحد باستثمار مبالغ كهذه إذا كان يستعد لحرب. بعد ذلك انفجر كل الاحباط واليأس والمخاوف، وفقد عرفات السيطرة على الأمور وعندئذٍ التحق بمقاتليه».

ـ وباراك؟

ألوني: «بارك خيّب الآمال من جهة ودمر حزبه من جهة أخرى، وراح «يلعب» مع «شاس»، وبلغ تبجحه الذروة. حتى الآلهة في الأساطير اليونانية لا تغفر للمتكبرين...

ـ كيف ترين بنيامين نتنياهو كرئيس حكومة مقارنة مع ايهود باراك؟

ألوني: «بيبي، رغم كل نزواته وطيشه وبذخه، أبرم اتفاق «واي» وأعاد الخليل، حيث

حافظ على التواصل والاستمرارية في قرارات الحكومة، حافظ على المبدأ، في حين هدم باراك بعجرفته كل شيء، وأمعن في تحديه لنتنياهو، متهماً اياه انه أعطى الفلسطينيين أكثر مما أعطاه هو (باراك) لهم، وهو الذي يتزعم معسكر السلام.. والأنكى انه لم يتوقف عن توبيخ نتنياهو!».

أقوال ألوني هذه ـ ويا للأمر العجب! ـ انطوت أيضاً على نوع من الحنين والتشوق الى عهد مناحيم بيغن. وبحسب قولها فإن بيغن، ما كان ليعلن بعد انتخابات أيار ١٩٧٧ انه ستقام الكثير من المستوطنات المشابهة لـ «ألون موريه» و«بيت ايل» لو لم يكن «المعراخ» (حزب العمل) هو الذي بدأ بذلك. وتضيف ان بيغن كان رجل قانون ملتزماً، واقامة المستوطنات عمل منافٍ للقانون الدولي.

سألت ألوني عن صحة الأنباء التي تحدثت عن أن نتنياهو زارها في منزلها بعد استقالته، وتبادل معها حديثاً صريحاً، فأجابت: «صحيح، نتنياهو أتى لزيارتي في منزلي بعد استقالته، وكان يرغب في التحدث أكثر من رغبته في الاصغاء، لكنه أصغى مع ذلك. تحدثنا عن النخب، التي غالباً ما كان يهاجمها ويحمل عليها في أيام حكمه».

– هل تتوقعين ظهور زعيم في اسرائيل أهل للزعامة؟

ألوني: «ليس لدينا بن غوريون، كما ولا يوجد مناخ يمهد لظهور زعيم بمستوى بن غوريون. لا أظن أن الزعيم المنقذ لاسرائيل سينبثق من الفوج الحالي لأعضاء الكنيست، لكنه يوجد في البلاد أفراد وجماعات يعملون خارج اطار البرلمان».

ـ من هم هؤلاء الأفراد؟

ألوني: «هناك عامي أيالون (الجنرال احتياط الذي كان رئيساً لجهاز الأمن العام «الشاباك» وقائداً لسلاح البحرية ـ ي. ك) وعمرام ميتسناع (جنرال في الاحتياط ورئيس بلدية حيفا الحالي ـ ي. ك) وأبيشاي برفرمان (رئيس جامعة بن غوريون في بئر السبع ـ ي. ك). وتنمو حول هؤلاء وغيرهم أنوية من الناس، وهناك أشخاص لديهم طموحات».

ـ وفي الكنيست؟

ألوني: «في الكنيست يوجد أناس أعمى الجشع والطمع بصيرتهم».

ـ من هي الشخصية البارزة في قيادة حزب العمل الذي يفتقر للزعماء؟

ألوني : «أعتقد أن حاييم رامون هو الشخص المؤهل بين أعضاء الصف القيادي في حزب العمل، ولكنني لم أقل أن باستطاعته قيادة الشعب. نحن بحاجة لشخص يتحلى بالاستقامة والنزاهة، يحسن الظهور أمام الناس والتلفزيون ليخاطب الأمة بخطاب حقيقي صادق وجريء».

ـ لعله نتنياهو؟

ألوني : «المشكلة هي مع من يسير نتنياهو. إنه أسير في قبضة أعضاء الكنيست يسرائيل كاتس وأبيغدور ليبرمان وتساحي هنغبي. إنه أسير لأطروحته حول الارهاب، ينمي عقدة اضطهاد (بارانويا) يهودية تزعم أن العرب يريدون ابادتنا».

ـ وهل هناك آخرون؟

ألوني : «دان مريدور رجل عاقل متزن وذو خصال ايجابية، لكنه يفتقر الى الكاريزما التي يتطلبها الإعلام المعاصر. هذا ينطبق على يوسيف بيلين أيضاً». (أشك فيما إذا كان مريدور سيصل بعيداً بعد انسحابه من الليكود، وانضمامه إلى الحركة العابرة المتمثلة بحزب الوسط الذي آل سريعاً إلى الانهيار والتفكك.

بعض المسؤولين الكبار في الليكود وكذلك أناس من العامة يصفون مريدور بأنه «رجل على باب الله»، بمعنى انسان ساذج، «أهبل»، أو بلغة الشارع: «يورام» ـ ي. ك).

قبل أن أنهي المقابلة المطولة مع شولاميت ألوني طلبت التطرق الى موضوعين يضايقانها «إن الاحساس بالاهانة يشكل لدى الفلسطينيين شيئاً أساسياً وجوهرياً، من شأنه أن يعيق التوصل الى تسوية، وليس الجوع أو الحرمان والعوز الاقتصادي».

الموضوع الثاني يتعلق بالمستشار القانوني للحكومة، الياكيم روبنشتاين، حيث حملت عليه قائلة: إنه يكيل بمكيالين، والشيء الذي يرجح الكفة لديه هو وزن القبعة الدينية الـ «كيبا». وعلى سبيل المثال فقد قدم حاخامات المدارس الدينية (اليشيفوت) معطيات وأرقام مزورة بهدف الحصول على مساعدات ومخصصات، وحصلوا بالفعل على ملايين، لكن روبنشتاين لم يقدم أحداً منهم للمحاكمة».

تلك كانت نظرة من الزاوية اليسارية.

تسفي البيلغ: عرفات مراوغ

«ما يهدف اليه عرفات هو بالتأكيد تدمير اسرائيل. وهو مستعد لعمل أي شيء في سبيل تحقيق غايته. إنه رجل مراوغ، مخادع، ماكر.. لكنه مع ذلك رجل استراتيجي. فهو لا يستطيع التوقيع على تنازل عن حق العودة».

هذا الكلام قاله المستشرق تسفي البيلغ، الذي اكتسب سمعة وذاع صيته إثر بحوثه ودراساته في الشأن الفلسطيني، حيث ألف كتابين عن «المفتي الأكبر»، الحاج أمين الحسيني، مؤسس الحركة الوطنية الفلسطينية الذي صار زعيماً لا منازع له للفلسطينيين، وشخصية مهمة في العالمين العربي والإسلامي بين نهاية الحرب العالمية الأولى وحرب العام ١٩٤٨، واعتبر من ألد أعداء الحركة الصهيونية.

عمل «البيلغ» قائداً لوحدة المساعدة والاسناد التابعة للجيش الاسرائيلي في جنوب لبنان خلال عملية «سلامة الجليل» (حرب لبنان ١٩٨٢)، وحاكماً عسكرياً لمنطقة المثلث في الخمسينيات، ثم حاكماً عسكرياً في غزة ونابلس والسويس وجنوب لبنان، كما عمل لاحقاً سفيراً لاسرائيل في تركيا.. وكان البيلغ يعد من أنصار رئيس «روابط القرى في الضفة الغربية» المتوفى مصطفى دودين، الذي خاض حرباً مكشوفة ضد منظمة التحرير الفلسطينية.

تعرفت على «البيلغ» قبل سنوات طويلة(*). البيلغ عضو في حزب العمل كان في البداية محسوباً على معسكر رابين (في حزب العمل) ثم انتقل الى معسكر بيريس. كان «البيلغ» يعد معتدلاً في تصريحاته ومواقفه وتكهناته المتعلقة بالفلسطينيين وعرب اسرائيل، وبفرص واحتمالات التوصل الى تسوية وسلام دائم مع عرفات.

اليوم، لم يعد كذلك، فهو كحال مستشرقين آخرين، وثق بدعوة عرفات بعد اتفاق أوسلو، واكتشف انه وقع فريسة خداع وتضليل. وقد اتضح ذلك عقب المفاوضات التي جرت في

---

* عرفته في أوائل الخمسينيات، كحاكم عسكري في باقة الغربية، ثم وبمرور السنوات حاكماً عسكرياً برتبة كولونيل في جنوب لبنان المحتل من قبل اسرائيل.

كامب ديفيد (تموز ٢٠٠٠) وعقب اندلاع الانتفاضة الثانية، التي انضم اليها عرب اسرائيل في ما يشبه التمرد على دولتهم.

وبقدر ما كانت خيبة أمل «البيلغ» من عرب اسرائيل عميقة، جاء استنتاجه تجاههم، مغالياً، مفرطاً في المغالاة، لكن هناك من يشاطره هذا الاستنتاج من شتى ألوان الطيف السياسي في اسرائيل بما في ذلك مستشرقون. وبحسب ما يقول البيلغ فإن «عرب اسرائيل والفلسطينيين ما هم إلا حصان طروادة، كما قال صراحة فيصل الحسيني».

ـ ماذا تقول عن انتفاضة أيلول / تشرين الأول ٢٠٠٠ التي انخرط فيها عرب اسرائيل؟

البيلغ: «المظاهرات العنيفة في تشرين الأول ٢٠٠٠ كانت هبة وطنية مناوئة للدولة التي يعيشون بين ظهرانيها، وقد برهن ذلك على أن القواعد والمعايير المتبعة لا تستجيب الى الاحتياجات، ولنأخذ على سبيل المثال الحصانة الممنوحة لأعضاء الكنيست العرب، في الوقت الذي يجاهرون بكراهيتهم لاسرائيل، حتى أثناء تواجدهم في دمشق».

ويقول البيلغ: ان هبّة أكتوبر - تشرين الأول ٢٠٠٠ كانت دليلاً ومؤشراً على الواقع المستحيل الذي أوجدناه هنا. لقد بلغت الأمور حداً جعل محافل الأمن الداخلي تقرر (حسب فحوى محضر اجتماعها الذي نقلته صحيفة «هآرتس» في الأول من تشرين الثاني - نوفمبر ٢٠٠٠) في أعقاب أحداث شهر أكتوبر الدامية، تنفيذ خطة لتحصين وتعزيز تدابير حماية ٢٣ مستوطنة يقع الجزء الأكبر منها داخل الخط الأخضر، بما في ذلك اقامة جدران حماية وبوابات كهربائية ومخازن أسلحة ومواقع رماية، وشق طرق التفافية داخل اسرائيل، وان هذه المستوطنات «قريبة من قرى عربية معادية».. وكأننا ما زلنا في العام ١٩٣٦ وليس في العام ٢٠٠٠! خلاصة القول «عرب اسرائيل سيقودوننا نحو كارثة».

* ألا يمكن لهذا الظاهرة أن تتغير؟

العداء لاسرائيل (يقول البيلغ موضحاً) شيء متأصل لدى عرب البلاد. وكلما ارتفع مستوى الحياة الاقتصادية والتعليمية لديهم يرتفع منسوب العداء، لذلك لا نستطيع تغيير وتيرة الكراهية المتصاعدة، لكننا نستطيع اتباع أنماط حكم تمنع تحول العداء المحتقن الى عنف صريح ومكشوف.

ـ كيف يتم ذلك؟

البيلغ: «من خلال العمل فوراً على سن قانون يحد ويقيّد حصانة أعضاء الكنيست كما هو متبع في بريطانيا، حيث الحصانة هناك سارية المفعول فقط داخل البرلمان (مجلس النواب)».

– ما الذي يجعل تسبي البيلغ غاضباً ومحبطاً الى هذا الحد من الفلسطينيين؟

يقول موضحاً: «بعد اتفاق أوسلو ١٩٩٣، بدا أن عرفات يمثل اتجاهاً معاكساً للمفتي (الحاج أمين الحسيني) الذي رفض كل فكرة للتسوية والمصالحة مع اليهود. ظننا أن زعيماً جديداً قد ظهر، وأن الحل السلمي يشكل قناعة أساسية راسخة لديه، باعتباره السبيل لتسوية النزاع. لكن بعد انقضاء أكثر من سبع سنوات أو ما يزيد، اتضح أن الأشخاص الذين جلسوا على منصة أوسلو وجائزة نوبل للسلام، اعتقدوا ان عرفات هو الزعيم الفلسطيني الذي يحمل بشرى السلام، وانا كنت من بين الذين وقعوا في شرك اتفاق أوسلو والوثوق به.

بعد انقضاء تلك السنوات (السبع) استخلص «البيلغ» النتيجة المترتبة «رابين وبيريس كانا على قناعة تامة ان اتفاق أوسلو يشكل مفتاح السلام، في حين كان عرفات في المقابل ومنذ ذلك الوقت يرى في أوسلو مجرد وسيلة لتضليل وخداع اسرائيل».

ـ هل استطاع عرفات بوعوده الزائفة تضليل الولايات المتحدة وأوروبا ومصر والأردن وغيرها من الدول التي كانت شاهدة على الاتفاق؟

«نعم»، يرد البيلغ ويضيف مشدداً: «لقد كان ـ عرفات ـ يحتاج الى أوسلو بغية العودة من تونس الى المناطق والحصول على مشروعية دولية وأموال وسلاح من اسرائيل والدول المانحة حتى يتسنى له في مرحلة معينة الشروع بانتفاضة».

في تموز ٢٠٠٠ ـ يضيف البيلغ ـ نزع باراك القناع عن وجه عرفات ليبان عن حقيقته. تبين أن هدفه النهائي هو تدمير اسرائيل.

ـ لماذا وصلنا الى مثل هذا الوضع المزري؟

البيلغ: «لم يفكر أحد قبل التوقيع على اتفاق أوسلو بأنه يجب الاستيضاح من عرفات عن هدفه النهائي والغاية التي يسعى لتحقيقها. كان عليهم أن يتبينوا بأنه لن يتنازل عن حق

العودة ولا حتى عن تدمير اسرائيل. ولو أنهم تصرفوا على هذا النحو لما تم التوقيع على اتفاق أوسلو».

ـ ولماذا خرج اتفاق أوسلو الى حيز النور؟

البيلغ: «كان المزاج العام في اسرائيل يتجه نحو خطوات بانية للثقة، وكان الاعتقاد انه يمكن الوصول بصورة تدريجية الى احلال السلام، ولكن حصل ما حصل».

ـ منذ وعد بلفور في العام ١٩١٧ لم يستتب الهدوء بيننا وبين العرب.

البيلغ: «صحيح، العرب ما زالوا حتى اليوم يرفضون وعد بلفور، وكل ما يتصل بالسيادة اليهودية على أرض اسرائيل. هذا نهج ثابت متواصل لدى الاغلبية الساحقة من عرب اسرائيل منذ أيام المفتي، صحيح أنه كانت هناك أقلية من العائلات الارستقراطية الفلسطينية التي عارضت الحرب ـ التي رغبت بها الأغلبية ـ ليس بدافع الرغبة في مسالمة اسرائيل، وانما على سبيل المنافسة الشخصية بين زعماء العائلات الكبيرة». واضاف ان العرب أصبحوا بعد وعد بلفور دون راعٍ تحت حكم الانتداب البريطاني.

ولا يعفي البيلغ اليسار من سهام انتقاداته اللاذعة إذ يقول: «اليسار الاسرائيلي يعتقد أن كل من لا يناضل ضد اسرائيل لا بد أن يكون خائناً لشعبه، ومن هنا يأتي تأييد هذا اليسار المفاجئ لأطروحات المؤرخ بني موريس، الذي يحذر من امكانية ظهور طابور خامس بين العرب في اسرائيل».

ـ والحل إن وجد هو: دولة فلسطينية؟

البيلغ: «بالتأكيد، ولكن أن تكون هذه الدولة بعيدة عنا».

* ربما في الأردن، حسب خطة شارون؟.

«لقد خسرنا هذه الفرصة».

* أين ستقوم الدولة الفلسطينية إذن؟.

البيلغ: «خلف الجدار، بالعودة الى حدود ١٩٦٧، ولتضم أيضاً أم الفحم القريبة من تلك الحدود، يجب ابعادهم عنا قدر المستطاع».

* هل يمكن ترحيل عرب اسرائيل الى الدولة الفلسطينية لكي تقوم هنا دولتان: واحدة

يهودية بحتة، والثانية عربية كلياً؟.

البيلغ : «هذا أمر ممكن بالتأكيد، يجب ترحيل عرب اسرائيل الى الدولة الفلسطينية. يقينا ان هذا هو البديل».

* ما الذي حدث لعرب اسرائيل؟ لماذا تبدو كراهية الكثيرين منهم متقدة ضدنا؟.

البيلغ : «حقيقة نحن نستحق ذلك، فاسرائيل هي الدولة الوحيدة في المنطقة التي لا توجد فيها صلة بين ما تقدمه لمواطنيها، وما يقدمه مواطنوها لها في المقابل. السكان العرب فيها غير مطالبين بتقديم شيء للدولة، ولذلك ليس لديهم ولا حتى ذريعة واحدة تدعوهم لأن يكونوا مواطنين موالين للدولة.

لقد كان لدى عرب اسرائيل دوماً خياران : إما أن نلائم معاييرنا لمتطلبات جمهورهم، وإما أن نقوم بملاءمة السكان العرب لمعاييرنا. نحن نحاول منذ نهاية العام ١٩٦٦، عقب الغاء الحكم العسكري، ملاءمة السكان العرب ليتوافقوا مع معاييرنا الديمقراطية المفرطة.. ولكن لا يمكن اجبارهم على ملاءمة أنفسهم مع معايير ديمقراطية من خلال عملية مكثفة أو معجلة. وحيث ان مثل هذه العجلة تؤدي دوماً الى «شعط الطبخة»، فلا بد من التوقف وفحص ما إذا كانت هناك حاجة لتغيير الاتجاه نحو ملاءمة المعايير مع السكان، وفي حالة اسرائيل، وضع قيود وشروط بشأن المسموح والممنوع، والأهم سنّ قوانين تمنح مساواة كاملة في الحقوق والواجبات للجميع دون استثناء، حريديم ومتدينين وعلمانيين، يهوداً وعرباً. يجب فرض واجب التجنيد الالزامي على العرب قاطبة، سواء في اطار خدمة عسكرية أو خدمة لصالح المجتمع. وطالما من المستحيل تغييرهم، يجب إذن تغيير المعايير».

وأوضح المستشرق البيلغ انه يسمح اليوم للعرب بأن لا يخدموا في الجيش الاسرائيلي، وأن يقوموا باصدار وتوزيع صحف معادية ومحرضة ضد الدولة، وأن يتضامنوا مع أعداء اسرائيل والقيام بمظاهرات عنيفة ضد الدولة، بينما يتمتعون من الجهة الأخرى بكل الحقوق، بما في ذلك صرف مخصصات تأمين و طني لعائلة انتحاري. من المحبذ، حسب قوله، الزام عرب اسرائيل بقواعد ومعايير تحول دون تمرد مواطن اسرائيلي ضد دولته.

«نكبة الأجيال»

ساهم شمعون بيريس بضلع كبير في اعلاء شأن منظمة التحرير الفلسطينية، ورئيسها ياسر عرفات.

في نيسان العام ١٩٧٦، وعندما كان وزيراً للدفاع، أخل بيريس، رغم تحذيرات رئيس الحكومة وقتئذٍ اسحق رابين وغيره، بالقواعد الدولية التي تلزم بالحفاظ على الوضع القائم تحت الاحتلال. فقد تجاهل القانون الأردني وألغى المعايير المتعلقة بالهيئة الانتخابية التي كانت تتألف في ذلك الوقت من ٣٢ ألف ناخب، حيث رفع هذا العدد ـ السقف ـ إلى ٨٨ ألف ناخب، كما قام بخفض سنّ الناخبين الذين يحق لهم الاقتراع، ومنح حق الانتخاب للنساء، وبالتالي تسبب في صعود نحو ٢٠٠ عنصر من أعضاء ومؤيدي منظمة التحرير الفلسطينية الى رئاسة سلطات محلية (المجالس البلدية) حلوا مكان رؤساء بلديات ومجالس معتدلين.

قطاع غزة نجا من «الدافع اليهودي لبيريس نحو الديمقراطية» (بفضل تحذيرات منتقدي بيريس في ذلك الوقت).

وهكذا أصبح رؤساء البلديات والمجالس المحلية في يهودا والسامرة، في فترة تولي بيريس لمنصب وزير الدفاع، من مؤيدي منظمة التحرير الفلسطينية. وقد وقف هؤلاء على رأس المحرضين، وزجوا بالمناطق الفلسطينية في طريق مسدودة لم تحل عقدته حتى اليوم، كما دفعوا نحو تصفية خصومهم الذين نادوا بالسلام مع اسرائيل، وعرقلوا المفاوضات حول مشروع الحكم الذاتي (الذي توصل له الرئيس السادات في كامب ديڤيد ـ المترجم) وغيرها من «الأعمال والصنائع».

وقال لي تسبي البيلغ في مقابلة (نشرتها صحيفة «معاريف» في ٤ / ٣ / ١٩٨٣): «الأعمال التي قام بها شمعون بيريس في نيسان ١٩٧٦ شكلت نكبة للأجيال».

اعتقد «البيلغ» أنه يجب رعاية روابط القرى وغيرها من العناصر المعتدلة التي عبرت عن رغبتها في الحوار والتعايش مع اسرائيل، إلاّ أن تحركات بيريس أحبطت هذا المسعى، إذ انها أدت الى صعود أعداء اسرائيل، وتبوئهم لمراكز السلطة المحلية.

ـ وعن رأيه في بيريس اليوم ـ يقول البيلغ: «بيريس رجل عفيف ونزيه، إنساق وراء خداع عرفات. إنه ـ بيريس ـ رجل عفيف لم يسع وراء منفعة أو مكسب لنفسه. لم يخن الأمانة. كذلك الحال زوجته سونيا، على عكس المرحومة ليئا رابين، التي كدست الهدايا وعرضتها بعد ذلك للبيع..».

ـ لكن بيريس رجل تآمري أيضاً؟.

البيلغ: «وهل هناك أحد غير تآمري في السياسة، هل هناك من بلغ القمة، ولم يخلف وراءه ضحايا سحقهم في طريقه..».

ـ ماذا تقول عن أرئيل شارون؟.

البيلغ: «شارون رجل ايجابي للغاية. وهو يتصرف بالشكل السليم في ضوء الظروف التي تمر بها الدولة».

* في أي اتجاه تسير الأمور برأيك؟.

البيلغ: «هناك خياران أمام منظمة التحرير / أو السلطة الفلسطينية، فإما أن تغير نهجها السياسي باتجاه المفاوضات مع اسرائيل والاعتراف بها، أو أن تخلي الساحة».

* هل يذكرك عرفات بالمفتي؟

البيلغ: «المفتي يتميز عن عرفات باستقامته وتشبثه بموقفه. فقد كان المفتي الوحيد في العالم العربي الذي رفض «الكتاب الأبيض» الذي صدر في أيار العام ١٩٣٩، والذي كان يهدف في جوهره الى وضع حد للمشروع الصهيوني، وذلك لأنه (المفتي) لم يكن مستعداً لأية مساومة، ولأنه لم ير في الكتاب الأبيض أيضاً نهاية للمشروع الصهيوني.

هذا في حين ان عرفات يتبع طريقاً ملتوية ليثق به محادثوه. المفتي لم يسلك هذا الأسلوب.. المفتي قال: لا مساومة على الوطن، في حين يتظاهر عرفات بأنه يقبل المساومة علماً أن هدفه هو نفس هدف المفتي».

* هل تتصرف الحكومة على النحو المطلوب في محاربة الانتفاضة؟.

البيلغ: «ليس أمامنا خيار سوى مواصلة النهج الذي تتبعه الحكومة، حتى لا تتسع رقعة النزاع المحلي لتشمل الدول العربية. إذ إن الحركات الإسلامية المتطرفة ستهب عندئذٍ لتهدد

استقرار الأنظمة هناك لدرجة تعريض وجودها وبقائها للخطر، فالمصلحة الموضوعية للدول العربية أضحت متماثلة مع مصلحة اسرائيل. سوف تسعى هذه الدول الى وضع حد للفلتان الفلسطيني إذا أصبحت أنظمتها عرضة لتهديد وخطر الإسلام الأصولي، ولا شك أن عرفات يتمتع برؤية استراتيجية، وهو يخاطب جماهير العالم الإسلامي متخطياً رؤساء وزعماء تلك الدول».

* المصريون لا يحتملونه، لكنهم يوفرون له الدعم في مواجهة اسرائيل.

البيلغ: «في المجتمع العربي العناق وضرب السكاكين يسيران جنباً الى جنب. لن تتورع الدول العربية عن خنق عرفات قبل أن يؤلب الجماهير العربية ضد الحكام».

* إذن، هل ثمة أمل لاسرائيل؟.

البيلغ: «من الملاحظ الآن أن هناك أعداداً كبيرة من الفلسطينيين الذين ضاقوا ذرعاً وملوا هذا الوضع، الذي يجدون أنفسهم فيه مطالبين بالتضحية، بينما يُشيّد زعماؤهم وقادتهم القصور لأنفسهم، الكراهية لبعضهم البعض أصبحت تفوق كراهيتهم لاسرائيل».

اليسار الاسرائيلي - مريض!

لست مخولاً بذكر اسم المتحدث التالي، كل ما استطيع قوله أنه خبير عسكري - أمني يعمل في وظيفة رسمية في مجالات حساسة، لكنه لا يلبس الزي العسكري. أثناء خدمته في الجيش الاسرائيلي كان ضابطاً ذا رؤية ثاقبة ومحللاً في أوقات الضرورة. بين أفراد عائلته عساكر ورجال أمن برتب عالية. وهو يصنف مع مؤيدي شارون لكن بضمان محدود. إنه يميني في الأصل، لكنه ليس متطرفاً.

يسرد الرجل على مسامعي مسلسلاً يمتد تاريخه لسنوات طويلة عن شارون، ويقول: أرئيل شارون اليوم في وضع أصعب بكثير من أيام الانتفاضة الأولى، التي كان خلالها وزيراً للصناعة والتجارة. فاليوم أصبح لدى الفلسطينيين مأوى وقواعد انطلاق، وعندما يتوفر لمقاتلي حرب العصابات ملاذ يأوون إليه يصبح من الصعب أو غير الممكن قهرهم. فالسبيل الوحيد للتغلب عليهم هو الضغط على القادة الميدانيين، وهو ما كنا سنفعله لو كنا نسيطر

على المنطقة. يجب مواجهة الارهاب بوسائل أكثر حزماً وقوة، مما كان عليه الحال في عهد اسحق رابين، الذي لم يكن موفقاً في تصديه للانتفاضة الأولى، وعلينا أن لا ننسى أن الوضع العالمي اليوم أصبح أكثر تعقيداً وصعوبة مما كان عليه في أواخر الثمانينيات.

في الانتفاضة الأولى كانت سيارة الجيب أثقل آلية استخدمها الجيش الاسرائيلي، أما اليوم فإنه يستخدم الطائرات والدبابات. إن الذي يقاسي اليوم من «تراث رابين» هو أرئيل شارون، وهو مطالب بابداء حكمة وبراعة أكبر بكثير مقارنة مع ذلك الوقت. ولعل احدى مزايا شارون الرائعة تتمثل في قدرته على الاستفادة من التجربة. وهو الوحيد من وجهة نظر الجيش الاسرائيلي، الذي ينتمي الى عينة القادة الجادين حقاً، بل ويتفوق من هذه الناحية على يغئال ألون، الذي كان قائداً لقوات «البلماح» وارتقى الى رتبة جنرال. فعندما يتحدثون في الجيش الاسرائيلي عن معارك الخداع والمناورة، يستذكرون معركة «أبو عقيلة» والمعارك التي خاضها شارون وخاصة خلال عملية (طبريا) ضد السوريين.

شارون يدرك مغزى العمليات الثأرية، وما تعنيه من خلق عامل له جوانب وانعكاسات متعددة، وخاصة عامل التفوق النفسي. إن محاربة الارهاب أضحت منوطة الآن بالكثير من الأدوات والآليات. فلا بد من تضافر جهود شتى أجهزة الاستخبارات، والقدرة على تفعيل كل هذه الآليات والوسائل في جهد مشترك. هذه الأدوات متوفرة الآن، كما أن المستوى السياسي (الحكومة) يعطيها الحرية الكاملة وكذلك المستوى القضائي.

شارون لم يكتسب سمعة رجل ضليع في نظرية القتال، ولم يتلق دورات كثيرة، لكنه خاض وخطط ونفذ عمليات عسكرية من هذا الطراز، كما لو كان يحفظ عن ظهر قلب أسس ومبادئ النظرية العسكرية. لا ريب في أن شارون أفضل المؤهلين في الوقت الحالي، لكن هذا لا يعني انه موفق في كل ما يقوم به.

شارون كرئيس حكومة لا يكف عن التفكير بشأن كيفية التغلب على الارهاب والقائمين عليه. هكذا يتصرف جنرال حقيقي، إذ بإمكانك عندئذٍ، وبضربة بسيطة نسبياً تقويض العدو، دون أن تحتاج لسفك دمائه بمطرقة عاتية جبارة.

سألت الخبير الملم بحروب الجيش الاسرائيلي، وبما يدور في الأجهزة الأمنية: هل تصرف

شارون على هذا النحو أيضاً خلال حرب لبنان، عندما كان وزيراً للدفاع؟.

فأجاب قائلاً: إن الحرب في لبنان كانت الأولى، والأخيرة حتى الآن، التي خرجت اليها اسرائيل مسلحة بأهداف ايجابية ترتكز على أساس واقعي، وقد تحققت هذه الأهداف، حيث خرج عرفات من لبنان العام ١٩٨٣، وعاد الهدوء الى شمال اسرائيل، وتم ابرام اتفاق سلام مع لبنان.. من الذي حول هذاالانجاز الضخم في لبنان الى فشل ذريع؟! يتساءل الخبير العسكري، ويتبع باجابة مقتضبة بكلمتين: الساحة الداخلية (في اسرائيل).

شارون - في حرب لبنان - لم يقم وزناً كافياً للمعارضة الداخلية. عندما اندلعت الحرب كنا شعباً موحداً خلال الأسابيع الأولى، لكن شارون لم يدرك كفاية، ما المعنى الحقيقي لليسار، ومن هو اليسار منذ العام ١٩٨١، بعد اعادة انتخاب مناحيم بيغن لرئاسة الحكومة مرة ثانية.

في العام ١٩٧٧ ادعى اليسار، بل اعتقد أن «الانقلاب السياسي» كان مجرد حادث عرضي. إذ من كان يصدّق في ذلك الوقت انه سيطاح بـ«مباي» من الحكم؟ كان ذلك أشبه بأن تشرق الشمس من الغرب وتغيب في الشرق، تغيير قوانين الطبيعة، لكن في العام ١٩٨١ أدرك اليسار أن فوز اليمين لم يعد مجرد حدث عابر غير متكرر.

وينبه الخبير الى وجوب تذكر أن «مباي» فقد السلطة في العام ١٩٧٧، لكنه لم يفقد السيطرة، إذ لا تزال حتى اليوم معظم المؤسسات في قبضة «حزب مباي» (العمل) ومحافل يسارية أخرى، كمؤسسات وسائل الإعلام والاقتصاد والجامعات والاكاديمية ونقابات العمال - الهستدروت -.

شارون يدرك ذلك الآن جيداً، فالذي هزم الليكود في لبنان، هو المؤسسات والأجهزة بما في ذلك القضائية التي تميل في غالبيتها الى اليسار. المؤسسات وليس الشعب، هي التي هزمت الليكود، وهذا رغم ان الشعب انتخب الليكود، فالذي يسيطر أو يوجه، ليس الأغلبية وانما المؤسسات.

الاستنتاج الذي توصل اليه شارون، كما يقول الخبير الذي فضل عدم ذكر اسمه، مؤداه: انه ولأجل دفع سياسته قدماً، لا يجوز له أن يؤلب المؤسسات ضده، بل ينبغي له أن يجتذبها

الى جانبه.

من هنا، يأتي التحالف الذي عقده شارون مع شمعون بيريس.. فبيريس هو المؤسسة المنظمة، وعندما يقول للمؤسسات من موقعه في الحكومة انه عضو في حكومة راشدة، فإنه لن يبقى هناك من يستطيع محاربة شارون بنجاح.

*

اليسار في اسرائيل مريض، فـ«بن غوريون» لم يكن ليوافق على اعلان قيام الدولة، لو كان مناحيم بيغن في ذلك الوقت مرشحاً ليكون رئيساً للحكومة. كان «بن غوريون» رجلاً رسمياً بالنسبة لنصف شعب فقط.. وهو ما يعكس مرض اليسار (الاسرائيلي) الذي لم يكن من الواضح له إذا كان قد أتى الى هذه البلاد ليجسد الحلم الصهيوني، أم انه جاء لتحقيق طوباوية شيوعية مراهقة، على غرار الكيبوتس (رحمه الله) الذي شكل ذروة ابداع هذا اليسار.

كيف سعى شارون الى الوحدة الوطنية؟ خلافاً لبيريس وأمثاله، فإن لدى شارون رؤية ووجهة نظر متماسكة. وهو ليس مرناً مثل بيريس.. ومن الجدير بنا أن نذكر في هذا السياق، ان موشيه ديان وشمعون بيريس حالا دون قبول حكومة «مباي» بخطة ألون، لأنها بدت لهما تنازلية أكثر من اللازم.. كانا يجنحان تارة نحو الصقور وتارة أخرى نحو الحمائم، كحال الساسة الانتهازيين.

بعد مفاوضات كامب ديفيد التي قادها ايهود باراك، ادرك شارون ما حدث ويحدث لليسار. فقد خلق عرفات وضعاً جعل فيه حتى اليسار الاسرائيلي يشعر اليوم بوجود خطر داهم. فقد قضى عرفات على كل ذرائع اليسار وركله بقدمه. أدرك شارون في الحال الطريقة التي يجب عليه أن يستفيد فيها من سلوك عرفات. لم يتبجح شارون بقهر اليسار والانتصار عليه، ولم يرش الملح على الجروح المفتوحة.

لم يكن اليسار قد نهض من الهزيمة (التي طوحته من الحكم) تعامل شارون معهم من جهته باحترام حقيقي، منغصاً بذلك حياتهم. ولعل علاقاته مع بيريس تبرهن فقط على هذه الظاهرة.

ويستطرد الخبير في حديثه: أجرى بيريس بطريقته مقارنة بين شارون واسحق رابين وايهود باراك، ووجد أن خلافاته مع شارون سياسية في جوهرها، في حين أن رابين وباراك تعمدا اهانته والاساءة له في كل فرصة أو مناسبة. وها هو شارون لا يألوا جهداً مبدياً استعداده للتنازل هنا وهناك، وبيريس خير من يقدر أية لفتة كريمة. فتعامل شارون مع بيريس، كما يقول الرجل ـ الخبير الذي يعرف شارون جيداً ـ ليس ضرباً من التظاهر أو لمجرد الاستهلاك فقط.

إنها لمتعة كبيرة رؤية كيف يرقص هذا الثنائي العجوز بعد كل الهموم والتجارب والأهوال التي مرت عليهما، برشاقة (راقصات الباليه) على حبل رفيع دون مشقة، ووسط القدرة على تخليص نفسهما من أية ورطة. إنها نتاج تجربة وفهم وادراك للواقع. وفي اعتقادي فإن جميع الظروف والأسباب متوفرة لصمود تحالف شارون ـ بيريس حتى نهاية فترة الحكومة الحالية.

لقد أفلح شارون في أن يستغل لفائدته ما فشل باراك في الإفادة منه، بجعل عرفات المنقذ لليهود، «هرتسل الثاني». فعرفات، وفق المصطلحات الاسرائيلية ارتكب خطأ شنيعاً برفضه اقتراحات باراك في كامب ديفيد. فلو قبلها لكانت قد اتيحت له امكانية تقويض اسرائيل تدريجياً.

وعده باراك باعطاء سلطة للفلسطينيين في معابر الحدود، وهو وضع جد خطير بالنسبة لاسرائيل. لقد برهن عرفات لليسار ومؤسساته انهم يواجهون خطراً شخصياً وان شيئاً لن ينفعهم. كذلك فقد نجح في طمس الحد الفاصل بين اسرائيل والمناطق الفلسطينية، بين «نتساريم» (مستوطنة وسط قطاع غزة ـ المترجم) و«شدروت» (بلدة اسرائيلية مجاورة للحدود الشمالية لقطاع غزة ـ داخل الخط الأخضر). بين كفار داروم والعفولة. وقد استغل شارون بصورة موفقة هذه الحالة، ومن هنا أضحت الوحدة الوطنية أمراً تلقائياً.

كان باراك مستعداً للتخلي عن أبو ديس واجزاء واسعة من القدس الشرقية، وعن أكثر من ٩٥٪ من مساحة الضفة الغربية وقطاع غزة، زائد منطقة «حولوت حالوتسا» (على تخوم قطاع غزة في النقب). أما اليوم، فقد بات ينظر الى قيام الجيش الاسرائيلي بسحب دباباته

من مركز المدن الفلسطينية على أنه تنازل كبير.

* هل ستقوم دولة فلسطينية؟ علماً أن شارون لا يمانع في ذلك؟.

يجيب الخبير البارز قائلاً: ربما، ولكن بصيغة «حداش» [الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة] ومنظمة التحرير الفلسطينية والرئيس بوش، بمعنى: دولتين لشعبين في «أرض اسرائيل الغربية»، سيكون اليهود مواطنو الدولة اليهودية، وسيكون «العرب الاسرائيليون» مواطنين في الدولة العربية ـ الفلسطينية ـ فالجغرافيا زائد الديمغرافيا هما ما سيحدد طابع الدولتين اللتين ستعيشان فوق بقعة الأرض ذاتها. يجب أن نذكر ان ديمغرافيا العرب في اسرائيل مهيمنة. لكن الدولة العربية التي ستقوم الى جانب الدولة اليهودية لن تستطيع تهديد اسرائيل، لأن معابر الحدود لن تكون تحت سلطاتها أو سيطرتها، وكذلك منطقة غور الأردن.

*

لقد تعلم شارون التعامل بصورة سليمة مع الأميركيين فالدخول ـ دخول القوات الاسرائيلية ـ الى مناطق «أ» لم يعد يزعج الولايات المتحدة. إنه ـ شارون ـ يدرك فن استغلال النجاح، فحصوله أو تمتعه بتأييد الجمهور الاسرائيلي أهم بالنسبة له من موقف الولايات المتحدة.

ويضيف الخبير إن سلوك عرب اسرائيل خلال اضطرابات تشرين الأول - أكتوبر ٢٠٠٠ أحدث تغييراً ما انفكت آثاره وانعكاساته قائمة حتى اليوم في نظرة الاسرائيلي ـ اليهودي الى العرب ـ المسلمين. فقد كفّ اليهود بشكل غير معلن عن القيام بأعمال مع العرب ومن هنا ارتفاع معدلات البطالة.

ويؤكد محدثي ان شارون يبذل قصارى جهده في مواجهة الارهاب، في ظل المعطيات والظروف القائمة مشيراً الى أن سياسة التصفيات (الاغتيالات لقادة وكوادر الانتفاضة ـ المترجم) التي تقوم بها حكومة شارون ليس لها نظير في العالم. ويضيف (مثنياً على هذه السياسة) إن السياسة التي يتبعها عرفات تثبت انه ليس لدينا خيار آخر. فهو ـ أي عرفات ـ يسهم في وحدة الشعب الاسرائيلي، ويكشف حقيقة العرب.

ويقول: إن عرفات يجسد التوجه الوطني الفلسطيني الحقيقي الساعي لتدمير اسرائيل.

فهو لغاية العام ١٩٦٧ لم يطالب باقامة دولة في حدود ١٩٦٧ التي كانت متاحة له أو في متناوله، إنه يريد استعادة كل «فلسطين»، وما الاكتفاء المؤقت بحدود العام ١٩٦٧ سوى مرحلة أكيدة على طريق تدمير اسرائيل.

*

ويمضي المحدث: ان أعمال الارهاب تنخفض بشكل مستمر مع مرور الوقت، وذلك بفضل عمليات ونشاطات الجيش الاسرائيلي. ويضيف: يمكن التغلب على الارهاب وحرب العصابات. شارون يتصرف كسياسي بشكل أفضل من بن غوريون، الذي لم يكن ليجرؤ على القاء خطاب اعلان حرب. هذا هو شارون الحقيقي كما نعرفه.

كانت المؤسسة العسكرية الاسرائيلية تميل الى اليسار، لكن أعمال عرفات جعلتها يمينية. لقد سَخر عرفات من جميع اليساريين الذين منحوه فرصة دون جدوى. إنهم يعون الآن ان عرفات وشركاءه يخدعون ويضللون. كذلك فإن الولايات المتحدة توصلت الى نتيجة بأن الفلسطينيين يسعون الى تدمير اسرائيل.

لقد قبلت قيادة الجيش الاسرائيلي بروح أوسلو إلى أن أقنعها عرفات ورجاله حقاً وحقيقة انه ليس هناك شريك للحوار..

سألت محدثي عن رأيه بـ «توبة» البروفيسور «بني موريس»، الذي لم يعد يؤمن بالعرب، ويعتقد أن غايتهم هي تدمير اسرائيل.

«بني موريس أكثر تطرفاً من (غاندي) رحبعام زئيفي.. ولكن ليس له مكان في الليكود» قال في اشارة ساخرة. وأضاف ان على شارون أن يحدد بوضوح ما هي مصالحنا القومية، الحيوية لوجودنا، التي لا يجوز التخلي عنها للعرب سواء في الحرب أو السلام.

- ولكن هل سنعيش الى الأبد بحد السيف؟.

«إذا لم يوافق العرب على العيش معنا في اطار التسليم بمصالحنا التي تشكل بالنسبة لنا مسألة حياة أو موت، فسوف نحارب.. الولايات المتحدة لا تزال أيضاً تحارب من أجل مصالحها - «الجدار الحديدي» الذي تحدث عنه جابوتنسكي يجب أن يشكل منطلقنا الأيديولوجي، إنه المنطلق الصحيح، المفهوم الحقيقي للرؤية التي يفتقر اليها شارون اليوم.

في المفاوضات مع العرب علينا فقط أن نقدم مطالب، والذي تسول له نفسه شن حرب علينا سيدفع الثمن. يجب أن لا نطرح أية خطة للتفاوض بل الاصرار على مطالبنا فقط. فالعدو يتم القضاء عليه، أو التفاوض معه فقط في ظل انعدام الخيارات.

جدير بنا أن نتعلم من حروب الولايات المتحدة في فيتنام وكوريا. فعندما عجز الأميركيون عن تحقيق أهدافهم في ظل القيود التي فرضوها على أنفسهم، لجأوا الى التفاوض. واليوم، عندما أصبحت الولايات المتحدة تعتبر الارهاب يشكل تهديداً لوجودها، نرى أنها لا تتورع عن إبادة بلد بأكمله (افغانستان). إنها تخوض حرباً لا حدود لها على الارهابيين ومن يقف وراءهم ويأويهم، وتعلن أنها ستجلبهم الى العدالة أحياء أو أمواتاً.

على هذا النحو، يتعين ويجب على اسرائيل أن تتصرف..

*

وما رأي المسؤول الكبير في بنيامين نتنياهو؟

«نتنياهو فنان الدعاية والاعلام رقم واحد، سواء على الشاشة أو وراء المايكرفون، مثقف مميز كسائر أبناء عائلته. مشكلته تكمن في طابعه، كذلك فإنه يفتقر الى ماضٍ كماضي شارون والخبرة التي اكتسبها، كما انه ليس هنا ما يؤكد أنه تعلم من ماضيه وتجربته. وهو لا يهاجم شارون وانما ينتقد سياسته. ولا يمكن لأحد اتهامه بتقويض أسس الحزب أو التآمر على الليكود، وهو يتمتع بشعبية واسعة، وليس هناك سبب مفهوم للاعجاب الكبير الذي يحظى به في عيون الكثيرين، كذلك فإنه يفتقر الى المقدرة السياسية التي يتمتع بها شارون.

* قلت، ولكنه أحرز اتفاق «واي»، وهي ورقة ليست سيئة كثيراً بالنسبة لاسرائيل؟.

«أجل، في اتفاق «واي» تخلى ـ نتنياهو ـ عن ١٣٪ من مساحة الضفة الغربية، ولكن في مقابل شيء تعهد به الفلسطينيون ولن يعطوه لاسرائيل أبداً. لقد حصل نتنياهو بهذه الطريقة على غطاء ودعم أميركي، بأن لا يحصل الفلسطينيون على شيء إلا إذا أوفوا بالتزاماتهم في اتفاق أوسلو».

* وكيف ترى شارون مقارنة مع نتنياهو؟.

لشارون أفضلية على نتنياهو، فقد أقام حكومة وحدة ونجح في التغلب على رواسب الماضي،

فضلاً عن أنه صاحب تجربة وخبرة غنية وخلفية عسكرية.

في العام ١٩٧٠ طالب شارون بتمكين عرفات من السيطرة على الأردن، لكن اسرائيل حالت دون ذلك، وساعدت الملك حسين في ضرب منظمة التحرير (أيلول الأسود).

*

ويجمل المسؤول الكبير في ختام المقابلة قائلاً: هل هناك شيء اسمه شعب فلسطيني.. لم يكن هناك مطلقاً كيان اسمه شعب فلسطين.. إنه شعب وهمي مفبرك.. فقرار الأمم المتحدة العام ١٩٤٧ بشأن تقسيم البلاد يتحدث عن دولة عربية وليس فلسطينية. هكذا تعاملت أيضاً اللجنة العربية العليا في أيام المفتي، عشية قيام الدولة، غولدا مئير قالت: لا وجود لشعب فلسطيني، قاموا بفصل مصطنع: عرب وفلسطينيون وهذا لا يعنينا.. هناك دولة عربية (فلسطينية) واحدة وهي الأردن، ولن تكون هناك دولة عربية ثانية.

أوري ميلشتاين: شارون زعيم ملهم

د. أوري ميلشتاين، كاتب وباحث في شؤون الحروب الاسرائيلية، لا يؤمن بالمسلّمات. وهو وبسبب عدم سيره أو مجاراته للتيار، يدفع ثمناً باهظاً لدى النخبة الاسرائيلية الممسكة بمراكز النفوذ في مجتمعنا الفئوي. ميلشتاين من مواليد البلاد في شباط ١٩٤٠، وهو كاتب وصحافي وباحث، حاصل على الدكتوراه في الفلسفة، درس الاقتصاد في الجامعة العبرية بالقدس. خدم في قوات المظليين وتخصص في بحث تاريخ حرب الاستقلال (حرب العام ١٩٤٨) وقيام الدولة.

كتب ونشر العديد من الكتب التي كشفت القيادات العسكرية الاسرائيلية على حقيقتها ودون رتوش، وليس هناك في نظره «بقرات مقدسة».

فوجئت، في المقابلة المطولة التي أجريتها معه، ازاء آيات المديح والاطراء التي كالها لأرئيل شارون، ولعل شارون من القلائل بين النخبة السياسية والأمنية في الدولة، الذين لم يرمهم ميلشتاين بسهامه الجارحة. وتربط د. ميلشتاين علاقات معينة بشارون منذ أواخر الخمسينيات، عندما كان رئيساً لأركان قيادة المنطقة الشمالية.

ويعتقد ميلشتاين أن اثنين من زعماء اسرائيل فقط ـ وقد عرفهم جميعاً ـ امتلكا كاريزما الزعامة: بن غوريون وأرئيل شارون، وهي أشبه بشيء جيني موروث.

يقول ميلشتاين: «شارون يملك القدرة على اجتذاب الجمهور في الاتجاه الذي يريده ويرغبه. هذا لا يعني أنه رجل ذو حسنات ومزايا فقط، أو أنه يقود ويوجه في اتجاهات صحيحة».

* وماذا تقول عن شمعون بيريس؟.

ميلشتاين «بيريس هو النقيض لشارون. فهو لا يمتلك كاريزما مطلقاً. صحيح أنه سلس اللسان مقارنة مع أسلوب حديث شارون المتلعثم وغير الفصيح بعض الشيء، لكن الكلام والخطب ليسا بيت القصيد. على سبيل المثال، فإن شلومو بن عامي، الذي كان وزيراً للخارجية، ووزيراً للأمن الداخلي، يتحدث ويحاور بشكل رائع، لكنه كوزير، وكما بيّن نفسه أثناء شهادته أمام «لجنة أور»، لا يفهم الواقع على الاطلاق. بيريس أيضاً لا يفهم تماماً، وكما يجب واقع الشرق الأوسط («الجديد» الذي يتحدث عنه ـ ي. ك)، ولعل عناقه ومغازلته لعرفات خير دليل على ذلك.

ثمة لكل من شارون وبيريس تاريخه الخاص. في فترة فرقة الـ (١٠١) والمظليين، فضل بيريس، عندما كان في وزارة الدفاع، مردخاي غور لتولي قيادة الفرقة. كان العدو المشترك لبيريس وغور في ذلك الوقت، أرئيل شارون الذي حظي بتقدير بن غوريون.

ويضيف ميلشتاين: «بيريس كان ولا يزال ـ منذ قيام الدولة، عندما كان في وزارة الدفاع مساعداً لـ بن غوريون وفي جميع الوزارات التي عمل فيها ـ رجل حزب محترف. وعلى العكس منه فإن شارون يشكل رمزاً للروح القتالية».

ويرى أن الفرق بين الرجلين، بين الزرزور والغراب يتمثل في أن «بيريس كسياسي يحذر وينأى عن الدخول في مشاحنات مع الخصوم، حيث بنى مركزه من خلال التعاون والتحالف، في حين كان شارون دوماً قائداً ميالاً للشك، وتصفية الحسابات، يضمر الضغينة والحقد والانتقام ولا يثق بأحد. بيريس ليس لديه أصدقاء حقيقيون، كأصدقاء شارون وإن كانوا قلائل. أصدقاء بيريس، بين قوسين، يستغلونه لأغراضهم ومصالحهم الذاتية، مقابل دعمهم له في معاركه الملتوية. بيريس مستعد دوماً للقيام بما يجده مجدياً ومفيداً له. شارون له

معجبون مخلصون، وفي نفس الوقت كارهون يكنون له البغض، وهو الحال أيضاً بالنسبة لشارون نفسه.. وقد قال لي ذات مرة: أنت أكرم اللئام».

ويضيف ميلشتاين: إن شارون ليس بالرجل المفكر الألمعي، ولا يبالي بإعمال الفكر كوسيلة لتحقيق الأهداف.. فهو رجل عملي ذو حنكة ودراية، تقوده ثقافته الى المكر والدهاء والخداع، لكنه يفتقر الى العمق الثقافي. وبجملة مقتضبة فإن شارون سياسي بارع يحسن التنفيذ».

ويقول ميلشتاين: ان الجنرال (احتياط) يسرائيل طال، صرح له أن ارئيل شارون أفضل قائد عملي ميداني عرفته اسرائيل، وان رفائيل ايتان أفضل قائد تكتيكي عرفه الجيش الاسرائيلي، ولكن شارون في الأمور الاستراتيجية، من قبيل ادارة وتخطيط حرب والمناورة، ليس إلا «مراهقاً» على حدّ تعبير الجنرال طال.

* سألت ميلشتاين، ما هو الشيء اللافت أو المميز الذي يجده لدى شارون، ليكون معجباً به الى هذا الحد؟!.

فقال: «لديه فهم لواقع وطبيعة المنطقة.. غالبية الجنرالات لا يدركون ما تعنيه المنطقة الجبلية (المقصود في الضفة الغربية ـ المترجم) ومنطقة غور الأردن، شمال أو جنوباً، لا يفهمون ما تعنيه الحرب البرية».

ولكن ما الذي حصل في حرب لبنان التي قادها شارون اياه؟.

ميلشتاين: «في لبنان زجوا بست أو سبع فرق عسكرية في بلد يتميز بطبوغرافيته الجبلية الوعرة، توجد فيه ثلاثة ممرات ضيقة. لم تكن الخطة ملائمة لطبيعة المنطقة. وقد مني شارون بالفشل لكونه وكوزير للدفاع، لم يقم باجراء التعديلات اللازمة على خطة الاجتياح.

لقد ظنّ أن الحرب برمتها في لبنان ستكون بمثابة نزهة قصيرة، ولم يتكهن المنحى الذي ستنحو إليه الأمور». واضاف ان «شارون ذهب الى لبنان بنفس الجيش الاسرائيلي الذي لم يشهد أي اصلاح منذ العام ١٩٤٨، حيث شكل استمراراً لمنظمة الهغناه، باستثناء ما طرأ عليه من تضخم واتساع في العدد والعدة. اعتقد شارون انه لن يواجه مشكلة في لبنان، لكنه سرعان ما تبين له أن أياً من وحدات الجيش الاسرائيلي من مستوى كتيبة فأدنى، لم تؤد مهامها بالشكل المطلوب.

وبحكم ما آلت اليه خطط الحرب من تعثر ومصاعب، فقد فقدت الحكومة الإجماع الذي حظيت به في بداية الحرب (مرحلة الـ ٥٠ كم) لتبدأ «حروب اليهود» الداخلية بشأن الحرب ذاتها، حيث رددت هتافات من قبيل: «أرئيل قاتل»، و«بيغن قاتل». أحد أخطاء حرب لبنان تمثل في غياب الاجماع الشعبي حول تلك الحرب. فالشعب لم يكن مهيئاً لذلك. وقد توصل شارون بعد ذلك الى استنتاج مؤداه: «إن المعارضة ستطحنك في غياب وحدة وطنية. لقد سقط باراك ونتنياهو وقبلهما غولدا مائير وبن غوريون لعدم ادراكهما هذا الدرس، في حين ان الوحدة الوطنية فرضت على ليفي اشكول. من هنا جاء التحالف الذي عقده شارون مع بيريس».

يوصف أوري ميلشتاين بـ«الولد الشقي» أو المزعج، لكن منتقديه يسرعون إلى رفع أيديهم ازاء استنتاجاته الخطيرة، وهو لا يعفي شارون من انتقاداته اللاذعة، لكنه يؤكد ان «سمة الزعامة الطبيعية لديه تلقائية، والقلائل من الناس، ربما ١٠٪ فقط، يمتلكون سمة زعامة طبيعية، ومثل هذا الطراز يدرك ما تعنيه الأرض».

*

كيف تدار الحرب ضد الارهاب الفلسطيني؟.

ميلشتاين: «في حرب الأيام الستة (حزيران ١٩٦٧) كان شارون أحد الذين قادوا ما عرف بتمرد الجنرالات ضد رئيس الحكومة في ذلك الوقت، ليفي اشكول. ولكن شارون توصل بعد ذلك الى استنتاج بأن اشكول كان محقاً في سياسة ضبط النفس التي اتبعها. فقد وقف العالم الى جانبنا ولم يقم بسلب أو مصادرة الانجاز الذي حققناه. وفيما يتعلق بالصراع مع الفلسطينيين، فقد ساعد انتحاريوهم على خلق اجماع في صفوف الشعب الاسرائيلي حول وجوب رد الصاع صاعين. كما أن العالم يبدي تفهماً وتأييداً لما تقوم به اسرائيل».

* ما هي العلامة التي تعطيها لشارون على محاربته للارهاب؟.

ميلشتاين: «ثمانية مقابل خمس علامات لبيريس ورابين وشامير».

* لماذا لا يقوم شارون باجراء اصلاحات في الجيش الاسرائيلي، والتي تقول انها ضرورية جداً؟.

ميلشتاين: «الجنرال يسرائيل طال قال لي: إن اجراء اصلاح في الجيش الاسرائيلي يستدعي

وجود رئيس حكومة يتمتع بحكمة وثقل في آن واحد.. حديثي مع الجنرال «طال» جرى في نهاية العام ١٩٧٠، ولكن جميع رؤساء الحكومات الذين تعاقبوا منذ ذلك الوقت افتقدوا للجمع بين هاتين الصفتين معاً وفي آن واحد».

ويضيف ميلشتاين: إن اجراء الاصلاح العسكري يتطلب وجود رجل حكيم ومنظر عسكري ومفكر. التاريخ لم يعرف إلا قلة من هذا النوع. وشارون ليس من هذا الطراز. «بن غوريون» أدرك المشكلة لكنه لم يكن مؤهلاً لاجراء الاصلاح اللازم في الجيش، وكانت النتيجة الرئيسية التي ترتبت على ذلك: عجز الجيش عن تجسيد أهداف قومية، ويعتبر شارون شريكاً ضالعاً في هذا الوضع..».

وعن النتائج المترتبة على هذا الوضع يقول ميلشتاين إن «رئيس الأركان ووزير الدفاع ينساقان وراء الواقع في ردود فعلهما، في حين نلاحظ تحسناً في التكتيك الذي يتبعه الارهابيون.. إن الانجاز الأكبر الذي حققه عرفات في الانتفاضة يتمثل في خلق توازن استراتيجي في حرب الارهاب ضد اسرائيل.. فمن ناحية فعلية، لا تزال اسرائيل، ولأسباب مختلفة، تحجم عن توجيه ضربة قوية للعدو. ليس هناك أدوات ووسائل لتوجيه ضربة موضعية مؤلمة وشديدة من قبيل تصفية ٢٠٠ مطلوب فلسطيني في اليوم على سبيل المثال».

* ما الذي يعيق شارون اليوم عن القيام بالاصلاح اللازم داخل الجيش الاسرائيلي؟ وما هي المشاكل والصعوبات التي يواجهها الجيش الاسرائيلي في غياب هذا الاصلاح؟

ميلشتاين: «الجيش الاسرائيلي أخفق في مواجهة «فتح» عرفات في لبنان، كما أخفق في مواجهة حزب الله الذي لم يزد عدد مقاتليه عن ٥٠٠ عنصر، وذلك لأن الجيش الاسرائيلي لم يؤد عمله ومهامه بالشكل المطلوب. الساسة هم الذين أعاقوا شارون عندما كان يتبوأ منصب وزير الدفاع. صحيح أنه تمتع بدور عسكري قيادي، غير أن القوى السياسية وعجز الجيش رجحا الكفة في غير صالحه. ولم تتوفر لشارون أية فرصة لاستمالة اليسار الى جانبه، مثلما هرول اليمين وراءه، ذلك لأن اليساريين وقفوا سلفاً ضده في حرب لبنان، ونعتوه بوصف «قاتل بالفطرة»، فضلاً عن أنه ـ أي شارون ـ ليس من خريجي «البلماح»(*). فلا تزال

* البلماح: كتائب الكوماندو أو الذراع الضاربة لمنظمة الهاغاناه الصهيونية قبل قيام اسرائيل، والتي اندمجت في الجيش بعد اعلان قيام الدولة.

لعنة «البلماح» تلاحقه حتى اليوم ذلك لأنه خطف من رجالها المجد والشهرة من خلال الوحدة (١٠١) التي قادها وقاد عملياتها الثأرية (مطلع الخمسينيات) ، مثبتاً أن الجيش الاسرائيلي بقيادة خريجي وضباط كتائب «البلماح» قد انهار، في حين انه (شارون) نجح في بث روح القتال في الوحدة (١٠١) وفرقة المظليين ليصبح مدلل بن غوريون».

* لكن في ظل غياب الاصلاح، كيف تسير أمور الجيش الاسرائيلي اليوم؟.

ميلشتاين: «نظراً لعدم تطوير نظريات قتالية في الجيش الاسرائيلي فإن أمور الجيش تدار بعقل راشد، كما كانت تعمل سائر الجيوش قبل مئات وآلاف السنوات.. القيام بعمليات بسيطة، لكن البراعة والاحتراف يتطلبان آفاقاً علمية وثقافية وهو ما لا يتوفر للجيش الاسرائيلي. شارون كوزير دفاع لم يفعل شيئاً من أجل تغيير الوضع. لقد باتت المشاكل التي يواجهها الجيش اليوم مشابهة للمشاكل التي يواجهها جراح الدماغ. وفيما يمتلك الجراحون العمق والأساس العلمي - الثقافي، حيث يستعينون بمنجزات الصناعة، فإن العقل في الجيش الاسرائيلي يعمل بالطريقة القديمة التي أتبعت قبل مئات السنين، أما العقل بتركيبته الأساسية فلم يتغير».

* رئيس الوزراء شارون أعلن في نهاية تشرين الثاني - نوفمبر ٢٠٠١ أثناء لقائه بأعضاء لجنة محرري الصحف في «بيت سوكولوف» في تل أبيب، ان «وضعنا الأمني اليوم جيد بالتأكيد، وقد وجدنا الطريق، التي لن تكون قصيرة أو سهلة، الكفيلة بتمكيننا من مواجهة الارهاب ومحاربته».. فهل هذا صحيح برأيك؟.

ميلشتاين: «لست واثقاً من أن أرئيل (شارون) محق في قوله ان وضعنا الأمني اليوم جيد، بما يوحي بوجود وتحقيق انجازات.

فالغلبة في الانتفاضة الحالية لعرفات كما أرى. لقد أعطيت شارون علامة ٨ + لأن الوضع اليوم أفضل مما كان عليه أثناء حربنا ضد حزب الله، وأثناء الانتفاضة الأولى. ولا يجوز لنا أن ننسى أو نتناسى أن اتفاق أوسلو ولد بعد هزيمة الجيش الاسرائيلي في الانتفاضة الأولى. عرفات يمتلك استراتيجية للمدى البعيد، في حين لا تتوفر مثل هذه الاستراتيجية لأرئيل شارون».

* حسب كلامك لا يمكن اشفاء الجيش الاسرائيلي من علته؟.

ميلشتاين: «هناك حاجة لتنفيذ اصلاح عن طريق سنّ قانون في الكنيست يصادر احتكار وثائق الجيش الاسرائيلي من الجيش والموساد والشاباك والشرطة والمؤسسة الأمنية برمتها. يجب اقامة معهد للتراث القومي يضم أعضاء من جميع التخصصات، ممن مروا باختبار أمني. بعد اطلاع هؤلاء على الوثائق السرية سيكون بالإمكان صياغة نظريات ومفاهيم عسكرية. أما آليات التوجيه في الجيش والحكومة فيجب الغاؤها وتحويلها الى المعهد. ولعل المؤسسة العسكرية هي الاطار الوحيد في النظم الديمقراطية الذي تبقى المواد والمعطيات المتعلقة به سرية وغير خاضعة لمراقبة النظام، وهو ما يغيب النقد المطلوب. واما القدر القليل من الرقابة (من خلال مراقب الدولة ووسائل الاعلام) فهو أشبه بالفقاعات التي تظهر على سطح الماء، وحيث ان معظم المعلومات والمواد تبقى سرية، فإنه لا تتوفر المقدرة على تطوير أية رؤية أو نظرية جدية في أي مجال. وفي الجيش الاسرائيلي، كما هو الحال في جيوش دول العالم، يكون الجميع مرتبطين برئيس هيئة الاركان، وحتى إذا كانوا يلمون بالوقائع، فإنها لن تُكشف بحكم التبعية. نتيجة لكل ذلك لم تطور أدوات نظرية، لفهم ما يعنيه الجيش وما تعنيه الحرب».

* وهل يستسلم شارون كرئيس للحكومة ازاء هذا الوضع؟.

ميلشتاين: «ارئيل شارون وغيره يهابون الاصلاح، لأن خطوة من هذا القبيل من شأنها أن تؤلب ضدهم أعداء كثيرين وأقوياء. اسرائيل لا تمتلك قوة كافية ازاء النفوذ واللوبي اللذين يستطيع الجيش الاسرائيلي استخدامهما لمقاومة الاصلاح والتشريع البرلماني اللازم لتحقيق هذا الاصلاح».

الجنرال (احتياط) فاتسي: نحن ننتحر

الميجر جنرال احتياط أماتسيا حين (يناديه الجميع فاتسي)، الذي يعزى له دور مهم في القضاء على ظاهرة العمل الفدائي في قطاع غزة، العام ١٩٧١ ـ هو ضابط مظلي تولى قيادة فرقة شكيد، وقاعدة تساءليم ورئاسة قلم الشؤون الاستراتيجية في كلية الأمن القومي..

ويحذر «فاتسي» قائلاً: «نحن ننتحر!».

ذهبت إليه بناءً على نصائح، حيث رغبت في الاستماع منه إلى تقديرات بشأن ما يحدث في اسرائيل، وعن حكومة الوحدة وعن رئيس الوزراء شارون ووزير الخارجية بيريس، اللذين يعرفهما جيداً.

الميجر جنرال «حين» الذي استقال من الجيش في العام ١٩٨٨، متزوج وله أربعة أولاد، ترك الكيبوتس في العام ١٩٦٥ بينما كان في الخامسة والعشرين. وكان بين الذين ساهموا في تأسيس حزب «رافي»، بينما كان يحتفظ في الوقت نفسه ببطاقة عضوية حزب «مباي». وقد ترك الحزبين عندما عاد للخدمة في الجيش النظامي العام ١٩٦٧، حيث توقف منذ ذلك الوقت عن مزاولة أي نشاط حزبي، اليوم تحول «حين» الى رجل أعمال، يملك محاجراً.

يقول أماتسيا: «الوضع الذي تمر به اسرائيل حالياً يعتبر وضعاً شاذاً في تاريخ الجنس البشري» ويضيف موضحاً «لقد زودت الدولة أعداءها بالسلاح، وهي تتيح لهم مواجهتها بكل الطاقات الممكنة. والأنكى أن الدولة تكبل أيديها، وفوق ذلك تدمر نسيجها الداخلي الذي يعطل عمل جميع أجهزة المناعة الداخلية، التي تمكن الجسم من الصمود والبقاء في مواجهة الأوبئة. إننا ننتحر بأيدينا.. فكل ما حدث كان يجب أن يحدث بالضرورة».

* ما الذي حدث؟

فاتسي: «لم يعد ثمة ارتباط بين الرأس والجسد. فمنذ حرب الاستقلال وحتى اليوم لم تُستخلص دروس وعبر الحرب، ولهذا لا يوجد أساس للنتائج والمشاريع التي جاءت في أعقاب تلك الحروب.

بمعنى أن الأجهزة تستند بوتيرتها وتركيبتها الحالية الى معطيات وهمية، فيما تظهر المعطيات الحقيقية من حين إلى آخر بشكل دائم بصورة مفاجئة..

إن زعماءنا الذين تبنوا اصطلاح المفاجأة كدليل لتهوين وتخفيف وقع الأمور أثناء مثولهم أمام لجان تحقيق رسمية، لا يلاحظون كما نلاحظ نحن، أن المفاجأة تنتج أولاً و أخيراً عن غياب الجاهزية، وهذا ما يتيح وقوع المفاجأة.

* ما هي النتيجة المستخلصة من ذلك؟

فاتسي : «اسرائيل لا تملك قوة عسكرية كافية من أجل التوصل لاتفاق مثل اتفاق أوسلو، بحيث تتيح لها هذه القوة ردع أية محاولة للاخلال بالاتفاق، وحيث انه ليس لدينا جيش فإنه ليس لدينا قوة ردع عسكرية.

لدينا جيوش وليس جيش. والفارق في براعة وتدرج استخدامها في المكان والزمان الملائمين».

* والدليل؟

«الدليل يكمن في التغييرات الكثيرة التي تجريها المؤسسة الأمنية في المبنى التنظيمي المسؤول عن دمج وحشد الطاقات.. وبطبيعة الحال فإن هذه التغييرات في حد ذاتها تشكل دليلاً على انعدام قدرة الجيش والأجهزة الأمنية على تنفيذ هذه المهمة بالمستوى المطلوب».

* وهل يدرك شارون ذلك؟

فاتسي : «احدى الميزات اللافتة التي يتسم بها شارون، تتمثل في قدرته على رؤية الصورة والفصل بين مكوناتها».

ويدين الميجر جنرال احتياط اماتسيا، جنرالات الاحتياط الذين ترأسهم شلومو لاهط (أعضاء ما يدعى بـ«المجلس للسلام والأمن» ـ المترجم) وحالياً داني روتشيلد، الذين أشاروا على الجمهور في نطاق وجهة نظر مهنية ـ عسكرية بقبول اتفاق أوسلو كخيار استراتيجي.

* وبعد انهيار أوسلو؟!.

فاتسي: «أجرى هؤلاء الضباط أنفسهم تحليلاً للوضع ليقدموا توصية تكتيكية تدعو لـ: الفصل! وهم بذلك لا يقرون بخطأهم، ليس على سبيل تحمل المسؤولية، بالذات، بل بغية اعادة تحليل طابع توصياتهم بحيث تسهم وتخدم، لا أن تضر بأمن اسرائيل.

ويحظى أفراد هذه الزمرة من أعضاء جماعة «السلام والأمن» بلقبهم المريب، ليس فقط بسبب انهيار أوسلو، وإنما أولاً وقبل كل شيء بسبب المصيبة الأخلاقية، التي تلزم أي متقاعد من الأجهزة الأمنية في دولة ديمقراطية بالخضوع لحد سيف المراقبة والمحاسبة والنقد العام في مجال الأمن، هذا المبدأ انتهك بصورة فظة عشية حرب يوم الغفران (أكتوبر ١٩٧٣)، علماً أنه من الجدير بهؤلاء، بعد كل هذا الثمن الباهظ الذي دفعته اسرائيل، استخلاص تلك

العبرة المتمثلة بالخضوع لسيف النقد والمحاسبة الأمنية، التي لم تجر في شأن حرب يوم الغفران».

*

في أواخر العام ١٩٧١ قتل في غزة أبناء الاعلامي «ال رويو»، وقد شكل ذلك الحادث نقطة تحول في محاربة الارهاب، فقد تبين لوزير الدفاع في ذلك الوقت، موشيه ديان أن استراتيجيته بترك السكان العرب ينضجون في قدرهم الخاص، لا تسير حسب رغبته ومشيئته... كانت هذه الاستراتيجية تقضي بفرض السيطرة الاسرائيلية على محاور الطرق، دون تواجد لقوات الجيش الاسرائيلي في مخيمات اللاجئين، والمدن، في قطاع غزة.

في تلك الأيام كان الميجر جنرال أماتسيا قائداً لفرقة «شكيد» (والكلمة اختصار لـحراس خط الجنوب).

وقد تولى قيادة الفرقة في قطاع غزة، عقب حرب الاستنزاف على قناة السويس. التحول في توجه الجيش الاسرائيلي جاء اثر بدء الهجمات المسلحة (على قوات ودوريات الجيش الاسرائيلي) على طرق القطاع، حيث شرعت قوات الجيش بالدخول الى مخيمات اللاجئين هناك، والتي شكلت قاعدة «للمخربين والارهابيين». وبعد مرور عدة شهور من النشاطات العسكرية المحسوبة والحذرة جداً في مخيمات القطاع، وفي ظل رقابة مدروسة، عبرت عن نفسها في لقاءات شارك فيها قادة وعقول الجيش، تم التوصل الى صيغة عمل أدت الى الحد من العنف في القطاع، وخفضه بأكثر من ٨٠ بالمئة، الى أن قُضي بشكل تام على الارهاب. كان هناك بضع مئات من المسلحين الذين أتى قسم منهم الى القطاع من لبنان، وكان هؤلاء ينتمون بشكل أساسي الى حركة «فتح» والجبهة الشعبية.

وبغية القضاء على دابر الارهاب في قطاع غزة، قام الجيش الاسرائيلي بحشد خمس كتائب نظامية. وفي خضم نشاطها أقامت فرقة «شكيد» فرقة أخرى أطلق عليها بداية فرقة السواحل، ثم دعيت لاحقاً بـ«فرقة زيكيت». وقد شكل أفراد الفرقة البنية المقاتلة ونواة قوة «المستعربين»، الذين عملوا تحت قيادة الجنرال (احتياط) مئير دغان بمعاونة ضباط وجنود من فرقة «شكيد».

ويقول فاتسي: «توجد في الجيش الاسرائيلي هوة لا يمكن ردمها بين النظرية والتطبيق العسكري، تشخيص هذه الفجوة أثار اهتمامي وجعلني أنصرف لبحث ودراسة مسألة

الانفصام القائم بين العقل والجسد. لقد كرست جل وقتي لموضوع بحث مسألة الأمن القومي ومكانة الجيش الاسرائيلي كعامل حاسم. المستند أو المرجع الأول كان دراماتيكياً بصورة منقطعة النظير، وهو تقرير لجنة «أغرنات» التي حققت في ظروف حرب يوم الغفران (١٩٧٣). الجزء الثاني من التقرير تضمن تحقيق ضابط قسم العمليات في قيادة المنطقة الشمالية في حينه، والذي كان وقت تلك الحرب برتبة «مقدم» ولاحقاً الجنرال أوري سمحوني.. موضوع التحقيق: مسألة استخدام الاحتياط القيادي، اللواء المدرع رقم ٧.

ويضيف فاتسي: «بعد حوالي تسع سنوات اندلعت حرب لبنان، وشكلت لجنة القاضي اسحق كاهان، التي قررت ما قررت. كتبت لرئيس الوزراء مناحيم بيغن انه وبناءً على نظرية الجيش الاسرائيلي القتالية، لا يجوز لنا قبول استنتاجات اللجنة، وهي توصيات تتناقض والنظرية المذكورة. من هنا فإن الاتهامات التي حددتها اللجنة بالنسبة لقائد الفرقة عاموس يارون (جنرال احتياط يتولى اليوم منصب مدير عام وزارة الدفاع - ي. ك). تعتبر غير مقبولة لسببين:

الأول: خلال الحرب تتوارد المعلومات بكميات هائلة، والقيادة العسكرية تقوم بغربلة هذه المعلومات - لترسم صورة المعركة والقرارات المطلوبة بموجب نسق الهدف.

السبب الثاني: في شباط ١٩٨٢ نفذت الفرقة العسكرية التي قادها عاموس يارون مناورة أطلق عليها «الرداء الأحمر»، قرر رئيس الأركان رفائيل ايتان في نهايتها أهلية وجاهزية الفرقة للمشاركة في الحرب، رغم وجود ثغرات لا تحصى أشار لها مراقبو المناورة. المنطق السليم يقول: ان اعطاء شهادة الأهلية يعني الاقرار بأن جميع الثغرات ذات صلة، ولذلك يتعين على أي قاضٍ أو لجنة تحقيق مراعاة هذه الحيثيات وأخذها بالحسبان كنقطة انطلاق، في حين ان اهمالها فقط ربما يتيح توجيه اتهام».

ويستطرد فاتسي، لاحقاً. وفي العام ١٩٨٤، حيث كنت قاضياً في المحكمة العليا للجيش الاسرائيلي، قلت للقاضي أهارون باراك والقاضي يعقوب كدمي أثناء استراحة لتناول القهوة: أخطأتم خطأ فادحاً في لجنة كاهان. قال لي القاضي باراك: إفصح! أخبرته عن مناورة «الرداء الأحمر» وعن الفجوة القائمة في الجيش الاسرائيلي منذ وقت بعيد بين النظرية والتطبيق

العسكري».

* سألت فاتسي : أننا ننتقد الجيش الاسرائيلي، ولكنه رغم ذلك معروف بكونه الجيش الذي لا يقهر..

فاتسي : «يجدر الانتباه الى أن اسرائيل تتعرض منذ تشرين الأول / أكتوبر ١٩٨٢، الى هزائم في أية مواجهة عنيفة مع أعدائها، كالهزائم التي أفضت الى الانسحابات الانتقالية في لبنان، وهزيمة العام ١٩٨٧ في الانتفاضة الأولى، والفرار من لبنان في ايار ٢٠٠٠. والانتفاضة الثانية (انتفاضة الاقصى) في أيلول ٢٠٠٠، وفي مقابل كل هذه الهزائم يجب الانتباه للحروب السابقة للعام ١٩٨٢، التي استطاعت اسرائيل فيها ـ عن طريق الحسم الموضعي ـ أخذ استراحات طويلة. بمعنى أن غياب القدرة العسكرية بعد العام ١٩٨٢ جر اسرائيل الى شلال دامٍ لم يتوقف حتى اليوم، لقد ضُربت مناعة وقدرة اسرائيل.. عندما تحدثت عن فقدان اسرائيل للقدرة العسكرية، كنت أقصد هذا الوضع».

* لماذا حدث ما حدث بعد العام ١٩٨٢؟.

فاتسي: «لقد بدأ كل شيء عقب المظاهرة الضخمة، المسماة بـ«مظاهرة الـ ٤٠٠ ألف» التي جرت في ميدان رابين («ملوك اسرائيل» في ذلك الوقت) بتل أبيب. وقد أدت هذه المظاهرة الى تفكيك وتقويض الاجماع القومي كلياً. وانعكس الضرر على الداخل والخارج. اعتباراً من تلك اللحظة أصبحت اسرائيل مكشوفة عارية، واختفى الدرع الذي حماها وذاد عنها كما لو لم يكن. وبحسب مفهوم الأمن القومي فإن الخيار كان بالأساس في أيدينا، وأنه يجب الحفاظ على هذا الخيار باعتباره حجر الأساس في واقع أمننا القومي».

* وبعد المظاهرة؟.

فاتسي : «خلال حرب لبنان حصل تمرد غير ديمقراطي في الجيش الاسرائيلي حمل لواءه الميجر جنرال (في ذلك الوقت) عمرام متسناع، والعقيد ايلي غيبع والعقيد يئير يورام (قائد لواء المظليين). هؤلاء الثلاثة شكلوا طرف الجليد، الذي أفضى بدرجة كبيرة الى مناخ مغاير تماماً للمناخ القائم. وقد التقى «يورام» برئيس الحكومة مناحيم بيغن ليطالب بتنحية (وزير الدفاع) شارون. لم يخلع الضباط الثلاثة المذكورون ملابسهم العسكرية، وانما راحوا

يخوضون نضالاً ديمقراطياً بزيهم العسكري.. وهذا يعني انهم داسوا الديمقراطية بشكل مهين. وفيما استهدف تمرد الجنرالات الذي حصل في العام ١٩٦٧، عشية حرب «الأيام الستة» حث الزعامة السياسية على أخذ زمام المبادرة والقيام بتحرك عسكري بمقتضى نظرية الأمن القومي الاسرائيلية، كان تمرد جنرالات العام ١٩٨٢ ضد الحرب».

* وما هو الاستنتاج؟.

فاتسي: «في ظل الواقع الوهمي للقدرات الاسرائيلية، تحول الدمج بين الوضع الحقيقي وتلك الأحداث (المظاهرة) في ساحة (ملوك اسرائيل) الى عامل مدمر فتاك. فاليسار، كحال اليمين، لا يدرك ولا يعي أن القوة العسكرية ليست فقط من أجل الحفاظ على اسرائيل في حدود آمنة، أو الذود عن سيادتها في حدود العام ١٩٦٧. فالشعور العام يدور حول قوة وهمية مصدرها الأساطير والأكاذيب. ان اسرائيل أخطر عدو لنفسها ولوجودها عندما تتبنى قواعد عمل خاطئة.

فالنهج الخاطئ، لا يكفل للإنسان مهما كانت مؤهلاته عالية، سوى جني المزيد من الأضرار والنتائج السلبية، وتلك هي مشكلتنا».

* من يستطيع تغيير مثل هذا الوضع المزري؟.

فاتسي: «في خضم الانزلاق في المنحدر والانسياق غير الواعي صوب الكارثة، يصبح التغيير محصوراً في يد الجمهور فقط، ذلك لأن المؤسسة أو الطبقة السياسية تكون جزءاً فاعلاً في عملية الانزلاق، من خلال تجربة ازمات الماضي وردود فعل الجمهور ازاءها، وبناءً على القواعد الديمقراطية المطلوبة، باستطاعتنا تقدير حجم قوة ومساهمة الجمهورفي ظروف الأزمات.

فلولا ضغط الشارع لكان تمرد الجنرالات عشية حرب «الأيام الستة» قد انتهى قبل أن يبدأ. فضغط الشارع فقط هو ما أدى لإقامة حكومة وحدة وطنية، وبعد ذلك تشكيل لجنة «أغرانات» واستقالة غولدا مائير وموشيه ديان، ولاحقاً، ورغم الفارق الشديد، لجنة كاهان واستنتاجاتها الخاطئة بشأن احداث مخيمي صبرا وشاتيلا خلال حرب لبنان.

* هل يستطيع شارون وقف الانحدار، وتغيير الاتجاه؟.

فاتسي: «بدون شك فإن شارون قائد عسكري لم يظهر مثيل له منذ فترة اقامة الدولة

اليهودية، فكفاءاته القيادية وقدرته على التحليل الدقيق للوضع يؤديان الى استنفاد وترجمة مؤهلاته وكفاءاته بصورة مثالية في استقرار الوضع على أبعد تقدير، لكنها لا تفضي الى التغيير المنشود، لأن ذلك لا يمكن ان يتم في واقعنا القومي إلا عن طريق الشارع، كما حصل في أزمات حصلت في الماضي (مثل «حرب الأيام الستة»)».

* ماذا عن شمعون بيريس؟.

فاتسي: «بيريس، كآخرين، موجود في مركزه، بناءً على التوزيعة المألوفة في اسرائيل منذ سنوات طويلة، بمعنى أنه لا يوجد دلالة أو ارتباط بين موضوع الوظيفة أو المنصب، وبين شكل تجسيده. وقد دلت على ذلك ممارسات الوزراء الاسرائيليين في الماضي، باستثناء قلة قليلة - مثل شارون وبنحاس سابير وحاييم جبتي - ممن تركوا بصماتهم بحكم المناصب التي تقلدوها، بينما أدى الباقون عملهم بصورة روتينية، ودون بذل مجهودات ملموسة».

* هل يعيق بيريس رئيس الوزراء شارون، أم يقدم له العون والمساعدة؟.

فاتسي: «في مسرح اللامعقول هذا، يؤدي بيريس دوره ومهمته وفق معايير الحضور وليس النتائج، وبطبيعة الحال فإن معيار الحضور، الذي لا يخضع لاختبار النتيجة، منصب على درجة الحضور في وسائل الاعلام وجدول الاعمال الدعائي، وفي ظل وجود وضع كهذا في السلطة التنفيذية، حيث تؤدي الغالبية العظمى من الجهات المعنية عملها بصورة طبيعية، ليس على أساس خطة عمل ودون قواعد ومعايير ملزمة، فإن دور المؤسسة برمتها يكون تلقائياً معتلاً وغير قويم. ولولا ذلك لما كان وزير مثل بيريس يستطيع العمل خلافاً لقرارات الحكومة، وان يمضي الى معانقة عرفات. وحيث ان المؤسسة السياسية الاسرائيلية منعزلة تماماً، وتبدو كما لو أنها تعمل في دائرة مقفلة بينما غاية العمل تتلخص في البقاء (الخلود) السياسي، فإنه من الطبيعي عندئذ نشوء حالة التشرذم والانقسام داخل المؤسسة أو النظام السياسي. على هذه الأرضية يمكن فهم سلوك بيريس وغيره من الوزراء، الذين يرون في بقائهم قيمة عليا حتى ولو على حساب مصالح قومية».

* سألت فاتسي: ألا يفعل شارون كل شيء في سبيل البقاء؟.

فأجاب: «ما يتميز به شارون في معترك السياسة، يتمثل في استعداده للتضحية سواء في

ساحة القتال أم في ساحة السياسة. وقد رأيناه منذ العام ١٩٧٤ كيف قاد الى اقامة الليكود، وكيف صنع أهم انقلاب سياسي في اسرائيل سنة ١٩٧٧، ومع ذلك آثر أن يعين قائداً لفرقة عسكرية في الاحتياط، على أن يكون عضواً في الكنيست، وبعد ذلك استقال أيضاً من حكومة شامير العام ١٩٩٠ على خلفية مبدئية».

* هل تعتقد أنه سيصمد؟.

فاتسي: «اريك يهودي حقيقي وسيصمد لولاية أخرى، ويا حبذا لو يصمد لولايتين أخريين. شارون ليس من النوع المتبجح أو المتفذلك. لقد اجتاز اختبارات صعبة للغاية».

* ألم يتغير شارون منذ أن أصبح رئيساً للوزراء؟.

فاتسي: «كلا، إنه أريك نفسه، الذكي، الممحص، العنيد، المندفع بهمة. إنه كما هو، يأخذ بالحسبان مواجهة متربصين في طريقه، بمن فيهم شمعون بيريس».

*

لا يمكن لأحد أن ينسى «فاتسي» في كيبوتس «حولدا» حيث ولد، عندما ظل وحيداً يقف الى جانب بن غوريون ضد بنحاس لڤون في قضية «فضيحة لڤون». كان معجباً بـ«العجوز».. وينتمي «فاتسي» الى مؤسسي وطلائع «رافي»: «هناك أدركت للمرة الأولى الخطر الذي يشكله بيريس» على حدّ قوله.

حقاً إنه لشيء لافت للنظر.. فكل من عرف بيريس عن قرب، رأى ويرى فيه خطراً. سمعت أموراً واضحة بهذا الخصوص من اسحق شامير واسحق رابين وارئيل شارون ويوسيف الموغي، كما ولغرض تأليف هذا الكتاب، انضمت شولاميت ألوني الى منتقدي بيريس بتأكيدها انه «كارثة لاسرائيل»، وهذا بطبيعة الحال حسب منطلقاتها وأسبابها.

حسبنا أن نقرأ مذكرات موشيه شاريت وغولدا مئير وآخرين، ولا داعي لذكر مقابلات صحافية مع ليفي اشكول و«العجوز» بن غوريون في آخر أيامه، عقب انسحابه من حزب «مباي»، حتى نتساءل: ما دواعي هذه الكراهية العميقة تجاه شمعون بيريس؟.

«فاتسي» قدم شيئاً من التوضيح رداً على سؤالي بقوله: «بحثت طويلاً عن تفسير لهذه الظاهرة ولماهية هذا الخطر الكامن في هذا الرجل على اسرائيل، وكنت أتوصل في كل سنة

الى اجابة تفسر وتعلل ماهية الظاهرة.. فبيريس ومنذ صباه وجه جل اهتمامه وشغفه نحو معترك السياسة. بداية كسكرتير لحركة الشبيبة العاملة والمتعلمة (منذ العام ١٩٤١) ومن ثم استغل بيريس ماضيه في الحركة ليتفرغ كمساعد لـ بن غوريون. منذ ذلك الوقت وضع بيريس نفسه في قوقعة معزولة تماماً، موجهاً جل اهتمامه نحو حماية وتعزيز مركزه. وقد برهن بيريس طوال تلك الفترة على كفاءاته الشخصية العالية في خلق صورة رجل جليل لنفسه، خدمة لتقدمه وارتقائه الشخصي».

ويسرد «فاتسي» نبذة قصيرة عن سلوك بيريس، حيث يقول: «تجدر الاشارة الى أن بيريس كان كنائب لوزير الدفاع شريكاً فاعلاً في بلورة نظرية الأمن القومي، وفي دعم وتزكية خطى ووسائل أسهمت في ترجمتها ونقلها الى حيز التنفيذ، ومن بينها اقامة الصناعات الجوية والمفاعل النووي في ديمونا. في العام ١٩٦٧، وبعد فترة ما من نشر يغئال الون لكتابه «ستار من الرمال..»، نشر بيريس مقالاً لخص فيه محاضرة القاها في الجامعة العبرية بالقدس عن أمن اسرائيل بشكل عام، وعن الأسباب التي تدعو اسرائيل الى المبادرة بشن الحرب، بصورة خاصة، وأوضح ان حرباً واحدة فقط كانت مطابقة تماماً للحجج التي أوردها يغئال الون في كتابه، وهي الحرب التي وقعت فعلياً بعد مرور سنوات طويلة، حرب سلامة الجليل (حرب لبنان ١٩٨٢)..».

* لكن بيريس نفسه هاجم هذه الحرب بغضب عارم؟.

فاتسي: «في الواقع فقد شارك بيريس عشية حرب سلامة الجليل، حيث كان رئيساً لحزب العمل في لقاء مع بيغن حضره اسحق رابين، عرض خلاله رئيس الوزراء مخطط الحرب. وقد وافق الثنائي (بيريس-رابين) على الخطة بالكامل.

في اليوم التالي للحرب، وبينما كان رابين يتواجد في جبهة القتال مقدماً النصح لوزير الدفاع أرئيل شارون، عقد بيريس اجتماعاً لقادة حزب العمل في مقر الحزب بشارع اليركون ١١٠، وصف انه الاجتماع الأكثر درامية في تاريخ الدولة، حيث حلل فيه رؤساء وقادة الحزب الحرب ونتائجها المحتملة. وبحسب شهادة يوسي سريد، فقد لخص بيريس الوضع على النحو التالي: إنهم - أي الليكود - سوف ينتصرون».

ويضيف فاتسي : هذا الوغد ـ بيريس ـ الذي تبنى مخطط الحرب لأغراضه السياسية، يظهر فوراً، وبشكل خاطئ مضلل، في صورة زعيم معسكر اليسار، في حين أن المنفعة الشخصية هي الفيصل لديه في حقيقة الأمر. فبعد تخوف بيريس من أن «مباي» سيفقد زمام السيطرة والقيادة، «لأنهم» ـ الليكود ـ سينتصرون في الحرب، جاء تأييده لمهرجان ـ تظاهرة ـ الـ ٤٠٠ الف التي أفضت الى التحول والانعطاف الدراماتيكي.

لقد غيّر بيريس جلده، إذ تحول من تأييد الحرب الى معارضتها، وقد تخوف من أن انتصار الليكود في الحرب سيضع حداً لحياته السياسية، ويقضي على امكانية خوضه المنافسة على السلطة ورئاسة الوزراء، مثلما اراد وخطط لنفسه.

ومن هنا كانت الطريق قصيرة لينصّب نفسه على رأس معسكر السلام. إن مجرد معارضته لحرب «سلامة الجليل» تتناقض في حدّ ذاتها مع نظرية الأمن القومي، وهو (بيريس) الذي يعد واحداً من الذين عملوا على رعايتها وتطبيقها في الحروب الاسرائيلية في الماضي تحت جناحي مظلة بن غوريون وسواه».

* ما الذي يخبئه لنا المستقبل؟.

فاتسي: «لديّ شعور أنه سيكون هناك اتفاق مع الفلسطينيين على اللااتفاق.. بحيث تعود اسرائيل الى وضعيتها الاستراتيجية، التي كانت قائمة بعد اتفاقية الهدنة في العام ١٩٤٩، أي أنه ستكون هناك تفاهمات استراتيجية، وخروقات للتفاهمات على المستوى التكتيكي وهكذا دواليك».

* وعندئذٍ؟!.

فاتسي : «سنعود الى مبدأ جدار الفولاذ بمعنى الردع في مواجهة العرب، الارهاب ينحسر بعض الشيء إثر استخدام القوة، لكنه يتجدد بعدما يسترد الارهابيون قوتهم».

* والسلام، ألن يحلّ؟.

فاتسي : «ستكون هناك تسوية، لكن من سينعم بها هم جيل أحفادنا أو أبناء أحفادنا». وبالمناسبة فإن لـ «فاتسي» خمسة أحفاد.

*

فؤاد (بن اليعازر) مقابل شارون

عدت الى الدكتور أبرهام ولفينزون، المطلع على خبايا سياسة حزب العمل الداخلية، وسألته: ما هي فرص فؤاد (بنيامين بن اليعازر) المستقبلية، بعدما تغلب الى حدّ ما على ابرهام بورغ وأصبح زعيماً للحزب؟.

ولفينزون: «في الصراع بين فؤاد وبورغ يمثل الأول الاتجاه الصحيح. إنه يحظى بتأييد حوالي ٥٠٪ من الجمهور العام، ومكانته كوزير للدفاع تتعزز باستمرار، بورغ لا يحظى بتأييد ٥٠٪».

* ألا يوجد مرشحون آخرون لتزعم حزب العمل؟.

ولفينزون: «سيكون هناك بالتأكيد آخرون، مثل حاييم رامون وشلومو بن عامي، وستحدث حالة تشرذم وانقسامات داخل صفوف الحزب، ولكن حتى في ظل مثل هذه الحالة سيتمكن فؤاد من الفوز بتأييد ما بين ٣٠ و ٤٠ في المئة. يمكن أن يتبلور تحالف أو ائتلاف داخلي بين المرشحين، إلا إذا حصل أحدهم على تأييد ٤٠٪ وبذلك يفوز بالأغلبية».

يعتقد ولفينزون أن حاييم رامون يختزن كفاءة قيادية واضحة، وذلك لأن الناشطين الحزبيين هم الذين يعترفون به بشكل أساسي كزعيم، ويتعاملون معه على هذا الأساس، لكن «هذا الرجل ليس ملائماً بأي شكل من الأشكال لتولي أي منصب في الحكومة. إنه لا يفعل شيئاً ما عدا تحطيم حزبه وجره من سيء إلى أسوأ، ومع ذلك لا يمكن تجاهل حقيقة ان له تأثيراً كبيراً لدى كوادر الحزب ومراتبه الوسيطة».

وفيما يتعلق بـ بنيامين بن اليعازر، يعتقد ولفينزون ان لـ «فؤاد» نفوذاً كبيراً لدى بسطاء و«غلابة» الحزب، وهو وبكونه أكثر ميلاً نحو اليمين يفلح أيضاً في كسب مزيد من القوة، سواء في حزبه أو على مستوى الجمهور الواسع. وهو لن يفقد قوته. أما بورغ فسوف يسحق من قبل فؤاد ورامون، في حين ان شلومو بن عامي سيبقى ظلاً أعمى لـ رامون».

على أية حال، فإن «فؤاد» لن يتمكن من هزيمة شارون أو حتى نتنياهو في سباق انتخابي لرئاسة الوزراء، وسيكتفي بضمه الى الحكومة المستقبلية كوزير للدفاع، وهو منصب لا

يتخلون عنه بسهولة في اسرائيل.

* ما هي فرص شارون أمام نتنياهو؟.

ولفينزون: بغية التغلب على نتنياهو يتعين على شارون تحقيق انجازات بمساعدة الرئيس الأميركي بوش. فإذا واظب الرئيس بوش واستمر في حربه على الإرهاب، بما في ذلك ضد «حماس» وحزب الله والفلسطينيين، حسب رغبة شارون، فإن للأخير فرصاً كبيرة في أن يكون مرة أخرى مرشح الليكود لرئاسة الوزراء، باستطاعة شارون التغلب على نتنياهو بشرط أن تكون جعبته مليئة.

لغاية الآن، في شتاء العام ٢٠٠٠، لم تسجل انجازات جديرة بالاشارة في حرب شارون ضد «الارهاب» الفلسطيني، الذي يشهد حالات مدّ وجزر في صالح الطرفين، هذا ناهيكم عن ذكر الأزمة الاقتصادية ـ الاجتماعية المتفاقمة، منذ أن تسلم شارون زمام الحكم.

ويعتقد ولفينزون أن اليسار سيساند شارون ضد نتنياهو الذي سيدعمه اليمين. في الليكود هناك أغلبية لليمين، وفي اليسار هناك تأييد لليمين المعتدل.

* وعن رأيه في خطة الفصل التي قد تفرز أو تولد حركة جديدة تخوض الانتخابات المقبلة للكنيست، يقول: ان الفصل الأحادي الجانب قد يكون مفيداً جداً من ناحية أمنية. ويقتبس ولفينزون عن المرحوم رحبعام زئيفي قوله: نحن هنا وهم هناك. ويبقى السؤال: أين «هناك»؟.

ويحاول ولفينزون انعاش الذاكرة بقوله: قبل انهيار الشيوعية في الاتحاد السوفييتي، كانت تقوم في دول الكتلة الشرقية جدران فصل وحقول ألغام، ودوريات ونقاط مراقبة، اضافة الى جدار برلين سيء الصيت. وقد كانت هذه الوسائل مجدية لحماية سلطة الاتحاد السوفييتي في أوروبا الشرقية، ولم يتمكن الغرب من تقويض جدار برلين الذي انهار فقط عقب تحولات داخلية جرت في الاتحاد السوفييتي ذاته، لقد برهن الفصل على جدواه في أوروبا الشرقية أمام الغرب.

بيريس وعرفات: كل منهما متعلق بالآخر

بيريس وعرفات مرتبطان أحدهما بالآخر أشد الارتباط، كما لو انهما ولدا توأمين موصولين

لا يمكن الفصل بينهما. لا شك أن الصلة بين بيريس وعرفات وثيقة. فكلاهما شريكان في اتفاق أوسلو، الذي أعلن افلاسه منذ فترة طويلة، وصار غير ذي صلة أو غير عملي في عهد كل من بنيامين نتنياهو وايهود باراك، بيد أن الاثنين بيريس وعرفات لم يمتلكا الشجاعة الكافية للاعتراف بإخفاقهما، الذي حصلا نتيجته على جائزة نوبل للسلام، وتسببا في أعقابه باندلاع حريق وحرب وسفك دماء بين الفلسطينيين والاسرائيليين.

ويتشبث بيريس وعرفات باتفاق أوسلو بكل قواهما، وذلك في سبيل انقاذ نفسيهما من غضب أبناء شعبيهما. وفي الواقع فقد ظهر اتفاق أوسلو على حقيقته كأحد الوثائق أو المعاهدات الأكثر سطحية، التي وقعت في التاريخ بين سلطتين ليس في اسرائيل وحسب، بل وفي العالم قاطبة.

لا ريب في أن اتفاق أوسلو، يشكل فشلاً ذريعاً بكل المقاييس، وقد أصر القائمون عليه، على التوصل اليه من وراء ظهر الولايات المتحدة ودون علمها. كما أن رئيس الوزراء اسحق رابين كان معظم فترة المفاوضات خارج الصورة.

الصحافي ناحوم برنياع سخر من بيريس عقب ظهوره المخجل أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة، حيث كتب برنياع قائلاً: «بيريس أشبه بلاعب بوكر يلعب بأوراق لا يمتلكها.. كما لو أن هناك في اسرائيل تأييداً لفكرة الدولة الفلسطينية، علماً أنه لا يوجد ولا حتى موقف رسمي للحكومة».

(يديعوت احرونوت ١٦ / ١١ / ٢٠٠١).

كل شيء مباح في نظر وزير الخارجية الاسرائيلي في سبيل الظفر بعنوان أو دعاية.

كيف ولدت اتفاقات أوسلو المليئة بالمطبات المعيقة؟.

يقول بيريس: «في العام ١٩٩٢ هاتفني صديقي العزيز عاموس عوز، وقال لي: عرفات يعاني من ضعف شديد قد يؤدي الى اختفائه من الساحة...

أذكر انني فكرت بيني وبين نفسي على هذا النحو: إذا اختفى عرفات بالفعل فإن شوكة «حماس» ستقوى عندئذٍ. اتصال عاموس عوز دفعني للتحرك، وفي الواقع فقد شكل حافزاً عجل التوصل الى اتفاقيات أوسلو...» (معاريف ١٩ / ٩ / ١٩٩٩). بعد ذلك، أضاف

بيريس: «الخيال هو القوة الدافعة لكل الأمور الكبيرة والصغيرة التي قمت بها في حياتي...».

ما هو الخيال؟ الخيال شيء غير واقعي يتجلى في التفكير.

هذه الـ «فانتازيا» (الخيال الواسع) لدى بيريس هي التي تقف أيضاً وراء تسويق مشروع أوسلو الفاشل كـ «لحم نيء» في العام ١٩٩٣ لرئيس الوزراء اسحق رابين الذي كان يغذ الخطى نحو أفوله، ويستغرق في سكره المفرط. (قابلت اسحق رابين، عندما كان وزيراً للدفاع، مرتين في مكتبه بتل أبيب خلال العام ١٩٨٧ لغرض كتابي «المنتخب القومي». لم يكن ممكناً استكمال المقابلة دفعة واحدة، لأنه لم يكن بوعيه في ذلك الوقت نتيجة افراطه في الشرب. كان يكثر من مزج الويسكي في كوب الشاي الموجود على طاولة عمله).

*

كان اتفاق أوسلو بمثابة «مشروع العمر» بالنسبة لبيريس (هآرتس ٧ / ١٢ / ٢٠٠١). وهو يخشى من أنه إذا انهار هذا الاتفاق اللعين واختفى من الوجود نهائياً، فإن حياته السياسية أيضاً (بيريس) قد تصل أخيراً الى منتهاها، وانه قد يجد نفسه بالتالي متهماً أمام لجنة تحقيق محتملة باختراع وثيقة تلحق أشد الضرر بأمن اسرائيل.

وقد عثر بيريس على كبش فداء لخطايا أوسلو، تمثل في أجهزة الاستخبارات والمؤسسة الأمنية الاسرائيلية. فالتوقعات المتشائمة التي تطرحها أجهزة الاستخبارات تعكر مزاجه، وتشوش الحقيقة المنتهية لديه، وهي ان اتفاق أوسلو عملية غير قابلة للتغيير!.

إن اقتباس عدد قليل من الآراء ووجهات النظر التي وردت على لسان رؤساء أجهزة الاستخبارات والتجسس الاسرائيلية، يكفي للوقوف على حجم الضرر الذي يجلبه بيريس على اسرائيل منذ تسع سنوات على التوالي، باصراره على تنفيذ اتفاق أوسلو الذي يخل عرفات بكل بند من بنوده. ويتولد الانطباع بأن بيريس هرول للتحالف مع أرئيل شارون حتى يضمه لحكومة وحدة وطنية، وذلك من أجل انقاذ أوسلو وشريكه عرفات، إذ إن اتفاق أوسلو ربما كان قد تحول الى خردة من مخلفات الماضي فيما لو تشكلت حكومة قومية (يمينية) فقط بمعزل عن مشاركة اليسار فيها.

٧ / ١٢ / ٢٠٠١ : «عرفات يشكل تهديداً خطيراً لدولة اسرائيل. الاضرار التي قد تنجم

عن اختفائه أو غيابه عن الساحة أقل من الاضرار المترتبة على بقائه ووجوده..».

هذه الأقوال أدلى بها شبتاي شبيط، رئيس «الموساد» الذي استقال في العام ١٩٩٦، بعد حوالي ثلاث سنوات من توقيع اتفاق أوسلو، حالياً يتولى «شبيط» منصب رئيس مجلس ادارة المعهد الدولي لبحث الارهاب، في المركز المتعدد المجالات في هرتسليا، ومستشاراً لشؤون الارهاب في مجلس الأمن القومي الاسرائيلي، واللجنة الفرعية لشؤون أجهزة الاستخبارات المنبثقة عن لجنة الخارجية والأمن التابعة للكنيست.

ويقول شبيط «يجب التوقف عن التعامل مع عرفات، هذه فرصتنا المواتية لاحالته على التقاعد، علينا أن ننبذه كي لا يعود شريكاً بعد الآن. إنني أعرف عرفات منذ العام ١٩٦٥.. لم يقل في حياته كلمة واحدة صادقة. وهو منذ أوسلو ١٩٩٣ يمارس الخداع.

إذا أنقذنا عرفات هذه المرة، فإنني لا أدري ماذا سيحل بمصير حكومة الوحدة.. أعتقد أننا سنواجه كارثة حقيقية إذا قمنا بانقاذه هذه المرة..».

١٦ / ٧ / ٢٠٠١ - رئيس الموساد افرايم هليفي: «عرفات يلجأ للارهاب» (من محاضرته أمام مؤتمر هرتسليا الثاني).

١٨ / ١٢ / ٢٠٠١ - رئيس هيئة الاستخبارات العسكرية الجنرال عاموس مالكا يقول في معرض تعقيبه على خطاب عرفات في ١٦ / ١٢ / ٢٠٠١، والذي دعا فيه الى وقف العنف «عرفات أعطى شيكاً دون رصيد».

١٩ / ١٢ / ٢٠٠١ - ايهود باراك (في مؤتمر هرتسليا الثاني): «عرفات لا يعترف بحق وجود الشعب اليهودي بشكل عام، وحق وجود دولة اسرائيل بشكل خاص. لا اعتقد انه يمكن التوصل الى تسوية معه، لا الآن ولا في المستقبل..».

٢٦ / ١٢ / ٢٠٠١ - الجنرال عاموس غلعاد، منسق أعمال الحكومة في المناطق الفلسطينية، يوجه انتقادات شديدة اللهجة ازاء تجاهل تقديرات أجهزة الاستخبارات خلال السنوات التي طُبقت فيها اتفاقات أوسلو، ويقول: «هذا الواقع الصعب تم التكهن به بدقة، اللهم ان هذه التكهنات كانت موضع خلاف. ذلك هو مصدر التراجيديا التي نعيشها اليوم..».

خلال توليه لمنصبه السابق كرئيس لوحدة البحث في قسم الاستخبارات العسكرية، القى

«غلعاد» (بتاريخ ٢٥ / ١٢ / ٢٠٠١) كلمة في مركز تخليد تراث الاستخبارات في «غليلوت» قال فيها: «عرفات لم يُخفِ أبداً عزمه على تجسيد حق العودة بما في ذلك طيلة عملية أوسلو، لقد صرح دوماً ان حق العودة واحد من أربعة أركان لن يتم التوصل بدونها الى اتفاق دائم ومستقر. في المقابل لم يصرح عرفات اطلاقاً أن رؤياه حول سلام الشجعان تعني أو تتضمن وجود دولة يهودية. إنه يرمي الى احضار ٣٠٠ الف لاجئ فلسطيني من لبنان (الى داخل اسرائيل) ونصف مليون لاجئ الى مناطق السلطة (الفلسطينية)، وعلينا أن نتذكر ان المسافات الجغرافية بين شمال اسرائيل ومناطق يهودا و السامرة ليست بعيدة، كذلك فإن رؤياه ـ حُلُمه: أن تتحول المملكة الأردنية الهاشمية بحكم عامل الديمغرافيا الى جزء من فلسطين..».

بعد يومين (٢٨ / ١٢ / ٢٠٠١) صرح رئيس قسم الاستخبارات الجنرال عاموس مالكا ان «عرفات غير مؤهل في تكوينه للتوصل الى تسوية تاريخية.. فهو لم يتخذ قراراً استراتيجياً بوقف الارهاب بصورة تامة.. لا أعتقد أن هناك فرصة للتوصل في عهد عرفات الى تسوية دائمة، يعترف الفلسطينيون في اطارها باسرائيل كدولة يهودية..». (يديعوت احرونوت ـ ٢٨ / ١٢ / ٢٠٠١).

أما شمعون بيريس فيمضي في العزف على مواله، مصرحاً أن «عرفات يتملص ويراوغ كثعبان الماء، لكنه يمكن في نهاية المطاف ايضاً صيد ثعابين الماء اذا تحليت بالصبر اللازم..» («نيويوركر» ـ ١ / ١ / ٢٠٠٢).

لكن الصياد بيريس لن يفلح أبداً في ايقاع عرفات ـ ثعبان الماء المتملص ـ في شباكه. ربما يكون العكس هو الصحيح!.

في ٣ / ١ / ٢٠٠٢ أوجز مجلس الأمن القومي العامل في مكتب رئيس الوزراء، وفي لهجة قاطعة شديدة الوضوح: «فرضية العمل تقضي أنه طالما ظل عرفات في السلطة، فإنه لا أمل في التوصل الى تسوية دائمة مع الفلسطينيين...» (هآرتس ٤ / ١ / ٢٠٠٢).

*

تحذيرات الاستخبارات وقعت لدى اليسار على آذان صماء. لا بل حتى الانطباعات المباشرة

التي كونها الوسيط الأميركي الجنرال المتقاعد انطوني زيني عن عرفات لم تزحزح هذا اليسار عن موقفه التقليدي الموالي لعرفات، حيث صرح زيني: «لم أصادف طيلة حياتي انعدام مصداقية الى هذا الحد..».

في ١٠ / ١٢ / ٢٠٠١ تعانق نشطاء يساريون مع مبعوثي عرفات في حاجز قلنديا العسكري، وذلك في لقاء أطلق عليه «تحالف السلام»، والعياذ بالله الذي يضم: يوسي بيلين، موسي راز، ياسر عبد ربه، حنان عشراوي، وزياد أبو زياد، اضافة، بطبيعة الحال، الى اليسارية المعروفة موريا شلوموت سكرتير عام حركة «السلام الآن» والتي دعت الى «ابقاء الباب مفتوحاً للحوار، والاعلان ان قرار الحكومة غير مقبول لدينا..».. وافق شن طبقة!.

بعد مرور بضعة أسابيع، ضبط الجيش الاسرائيلي في عملية محكمة سفينة أسلحة لحساب السلطة الفلسطينية في البحر الأحمر، الكاتب داڤيد غروسمان سارع الى التعقيب في صحيفة «هآرتس» (١٦ / ١ / ٢٠٠٢) متهماً اسرائيل بأن احتلالها الذي مضى عليه ٣٥ عاماً، هو المسؤول عن كل ما يحدث، لأن حكام اسرائيل يقمعون الفلسطينيين «ولا يتركون أي بصيص أمل.. حقاً إنها لأيام مقرفة عصيبة هذه التي نمر بها..».

جواب لكل سؤال

أرئيل شارون رئيس وزراء موهوب، وتتجلى مواهبه في المعارف والخبرات الواسعة التي يمتلكها في شتى المجالات تقريباً، حتى خصومه الألداء لا ينكرون مواهبه وكفاءاته المتعددة، وروح الدعابة المدهشة التي يتمتع بها. صحيح أنه يشكو من ضعف ما في احدى عينيه، لكنه يرى في الثانية، السليمة، بصورة ماكرة ما يحتاج ويريد أن يراه، كما أن لديه دقة ملاحظة عالية، وهو مغرم جداً بالنساء، وخاصة المعجبات والمعجبين الذين يحيطون به بشكل دائم. ومن لا يكون معجباً مفتوناً به سرعان ما سيجد نفسه خارج معسكره. شارون يجيد «اللسع» وتوجيه النقد، وهو لا يتورع عن استخدام سياطه بحق «أبناء عصاة» سواء في مكتبه أو خارجه.

يؤدي شارون مهامه بصورة جيدة كرئيس للحكومة، في ظل الظروف الاسرائيلية المُحجّمة

أو الكابحة. وتراه يتخبط متأرجحاً تبعاً للضغوط التي تمارس عليه من الداخل والخارج. ليس لديه سياسة واضحة أو خطة أساسية، أما الحياة في مكتبه المحاط بالسرية فتجري بصورة ارتجالية حسب اتجاه مهب الريح.

يفتقد شارون الى القدرة على الحسم بشكل واضح وقاطع. وفي غياب نهج واضح سواء على الصعيد الأمني والسياسي، أم على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي، فإن رئيس الوزراء شارون، لا يعرف بوضوح الوجهة التي يقصدها حقاً. هناك ضغوط شديدة تمارس عليه، وهذا ناتج أيضاً عن تركيبة الائتلاف الواسع جداً، الذي يضم ٤١ وزيراً ونائب وزير، والذي كان ثمرة كرمه المسرف. وهو سريع الغضب والانفعال، كما انه يحب توجيه الاهانة والاساءة لمحيطه. ويظهر شارون في أية مواجهة مباشرة مع كل ذي حجة، عاجزاً مهزوماً، كما كان يحدث مثلاً أثناء اللقاءات مع الوزير المتوفى رحبعام زئيفي. كان شارون يهاب مواجهة زئيفي، ففي أي حوار بين الاثنين كانت الغلبة دوماً لزئيفي، الذي يعتبر أكثر ذكاءً ووعياً أيديولوجياً من شارون.

شارون من برج الحوت..؟!

«الاهتمام بفكرة أهملت قليلاً في الفترة الأخيرة، سينبعث مجدداً، ورغم انه يكاد يكون قد تخلى عن تحقيقها، إلا أنه سيشعر فجأة برغبة جامحة نحو تجسيدها. فهو يمتلك الآن، أكثر من الماضي، الوسائل اللازمة لذلك، وبضمنها الموارد المالية التي سيكون تجنيدها أسهل من الماضي. الناس المحيطون به، سيبدون روحاً ايجابية تجاهه واستعداداً للتعاون معه. هناك مشروع جديد يمكن أن يساعده كثيراً من ناحية مالية، قد يطرح على بساط البحث خلال الأسابيع المقبلة. يجدر به، الى جانب الحماس الأساسي، التحلي بالحذر والحيطة. عليه أن لا يتسرع بالمجازفة بمبالغ كبيرة، على الأقل الى أن يكون مطمئناً للنتائج. أي سوء فهم أو أخطاء من شأنها أن تؤثر سلباً على علاقته مع شخص قريب والتسبب باحتكاكات وتوترات لا داعي لها. ربما ستفسر بعض الأمور التي سيخبرونه بها بصورة غير سليمة أو العكس. كذلك فإن شائعات سترد من مصدر آخر، من طرف ثالث ما، يمكن أن تعيق وتُسيء دون مبرر. في أية حالة شك من الأجدر بمواليد هذا البرج أن يتحروا الأمور بأنفسهم من أجل

اصلاح العلاقة واعادتها إلى مجاريها .. أيام السعد المتوقعة: السبت والأحد..». وليبشر الذين يؤمنون بالحظ: فشارون، حسب النجوم، إنسان محظوظ.

ولكن، إذا كان الحظ يبتسم له، فإن الواقع الرمادي مغاير كلياً، فرئيس الوزراء شارون لا يعرف حقاً ما يريد الوصول إليه، لكنه متمسك بحلم واحد، هو كل ما يصبو إليه في حياته وهو: البقاء في منصب رئيس الحكومة.

ينطوي شارون على مكر قروي كحال فلاح (كولاك) روسي. صحيح أنه كان في الجيش الاسرائيلي جنرالاً ميدانياً لامعاً، لكن ادارة الحكومة ليست تماماً كادارة ميدان القتال. فقد تغيرت المقاييس والمسؤوليات، وكذا الاعداء.

في المجالس الخاصة، تجده يلقي مسؤولية أي فشل أو اخفاق على كاهل الجيش الاسرائيلي. وهو يروي في كل مناسبة ذكريات تعكس الحنين للماضي، للفترة التي كان فيها (شارون) قائداً للفرقة (١٠١) أيام شبابه الحلوة. شارون يُلقي المسؤولية على الجيش الاسرائيلي، لكنه يمتنع في الوقت ذاته عن اصدار أوامر واضحة للجيش، وهو لا يكف عن عادته توجيه اللوم والاتهام لرئيس الأركان والجيش، أثناء النقاشات الداخلية. إنه دوماً الوحيد الذي لا يتحمل مسؤولية عما يقع من تقصيرات أو أخطاء. وهو لا يكنّ أي تقدير لوزير الدفاع بنيامين بن اليعازر.

وفي غياب رقابة وثيقة على لسانه تراه يُطلق خبط عشواء تصريحات وبيانات تستدعي الاسراع الى تصحيحها وتوضيحها، أو الاعراب عن الأسف والاعتذار عنها، ومنها ما يوقع معسكر مؤيديه في حرج، كإعلانه في صيف العام ٢٠٠١ عن تأييده لاقامة دولة فلسطينية، وهو اعلان ما انفك يلاحقه حتى اليوم ويثير حنق واستياء حتى مؤيديه في معسكر اليمين. ومن جهته يجني نتنياهو بسرعة فوائد من زلات لسان كهذه حال صدورها عن شارون، كما جاء في مقال حول محاربة الارهاب نشره نتنياهو في صحيفة «معاريف» (٢٨/١٢/٢٠٠١)، حيث كتب يقول: «... من الواضح أن المفاوضات التي يجريها وزير الخارجية (بيريس) بموافقة رئيس الوزراء (شارون) حول اقامة دولة فلسطينية برئاسة ياسر عرفات، تمثل خطأً شنيعاً. فهذه المفاوضات توحي للفلسطينيين، ليس فقط أنه لا ثمن للارهاب، بل

وانه موعود بمكافأة عظيمة، معقل إرهاب ذو سيادة في قلب البلاد. نحن بذلك لا نكتفي بعدم ابعاد عرفات، بل و نمنحه أيضاً، بموافقتنا على اصطلاح [الدولة] كل صلاحيات السيادة (من قبيل السيطرة على الحدود والمجال الجوي) المترتبة على هذا الاصطلاح، والتي بمقدورها، ويمكن لها، أن تجلب الخراب والدمار لاسرائيل..».

وللعلم فإن روبين أدلر، الإعلامي الذي قلما يظهر أو يرد ذكراسمه في وسائل الاعلام، هو الذي يملي ويصيغ الاجابات والردود لأرئيل شارون على أيّ سؤال محتمل قد يوجه إليه في أية ساعة من ساعات النهار، ولا شك أن «أريك» تلميذ مجتهد للغاية، يحفظ عن ظهر قلب، ويكرر كالببغاء الاجابات الواردة تباعاً الى مكتبه. ويعتبر «أدلر» صديقاً حميماً لأرئيل شارون..

فمن هو روبين أدلر، الساحر الذي يصنع العجائب لحساب شارون؟!

وُلد أدلر، البالغ (٦٧ عاماً)، في طشقند، وترعرع وكبر في حيفا.. يتحدر من عائلة تتبع التيار الاصلاحي، أنهى دراسته في كلية «بتسلئيل» ثم سافر للعمل في لندن ونيويورك.. في مطلع السبعينيات عاد الى تل أبيب إثر عرض عمل تلقاه من بنيامين غيبلي («من يا ترى الذي أوعز بذلك؟!») الذي تولى في ذلك الوقت منصب مدير شعبة التموين في المفاعل النووي في ديمونا، والذي كان يعد من أصدقاء شارون.

ويعتبر «أدلر» أيضاً من اللامعين في تصميم الرسوم البيانية.. وهو، حسب المعلومات والأوصاف النادرة التي تنشر عن شخصيته، ذو «نمط أوروبي، وفظاظة أو خشونة يهود القدس»، وهو في الوقت نفسه رجل ظريف، سريع البديهة، لا تفارق الابتسامة وجهه، وهو متزوج من ابنة المحامي المتوفى أمنون روزنشتاين من القدس.

لم يحدث أن وجه سؤال لشارون إلا وخطر ببال أدلر سلفاً، معطياً الاجابة المرغوبة.. ففي أثناء لقاءاتهما التي تجري دون توقف أو انقطاع، يثير أدلر أسئلة ويجيب عليها في الوقت نفسه، فيما يسرع شارون إلى حفظ الاجابات عن ظهر قلب كالببغاء. لكن التلميذ المجتهد شارون لا يظهر أي ابداع في اجاباته، (التي يمليها عليه أدلر). لذلك، وفي غياب الرقابة الدائمة من جانب أدلر، تراه (شارون) يزلُّ زلاته.

*

العلاقات بين شارون ونتنياهو سيئة جداً.. وكان (بيبي) قد نصب شارون خليفة له (في زعامة الليكود) لأنه لم يكن يخشاه.. ومن الذي خطر بباله أصلاً في ذلك الوقت، أن شارون سينتخب رئيساً للحكومة؟!.

في السابق، كانت هناك صداقة وثيقة بين شارون ودافيد ليفي، لكن هذه الصداقة تحولت الى خصومة شديدة. فـ«ليفي» الذي تهمه كرامته الشخصية أكثر من مقعد في الوزارة، لن يغفر لشارون الاهانة، التي وجهها له عندما تركه خارج حكومته، رغم أن ليفي وعندما كان وزيراً للخارجية في حكومة نتنياهو، عمل كل ما بوسعه في سبيل ضم شارون للحكومة، لادراكه أن ذلك سيكون بمثابة «لحن خلوده» بالمعنى العاطفي.. غير أن ليفي اكتشف أن ما يظهره شارون غير ما يبطنه.

يتفوق نتنياهو على شارون في كفاءاته المتعددة، وفي استقامته. فهو لا يسيء ولا يهين أحداً.. إنه رجل موهوب وواسع الاطلاع، لديه خط، توجُّه، وبراعة في الحديث والتعبير عن أفكاره، اضافة الى ظهور تلفزيوني لافت للنظر. وهو (أي نتنياهو) يعرف جيداً كيف يميز الغث من السمين.

«أريك» رجل حساس منفعل، في حين أن «بيبي» بارد الأعصاب كبرودة الجليد، فيه بهاء وجمال، لكنه يفتقد الى الجاذبية، وقد تجلى ذلك أمام عدسات الكاميرا التي تدغدغ عواطفه. كذلك يفتقد نتنياهو الى روح الدعابة.

في المقابل، فإن شارون مماحك شرس، ينعت بيبي بـ«الكلب». وقد أصبحت الكراهية مستفحلة بينهما منذ أن احتل شارون مكتب رئيس الوزراء. وشارون كرئيس للوزراء يسعى للاقلال من مشاحناته مع نتنياهو، لأنه يحتاج لمساعدة الآخرين ضد منافسه القوي المحتمل، ومع ذلك فإن كل من يحاول في محيطه (محيط شارون) اظهار استقلالية ويكون ذا ثقافة، يواجه إما الطرد والابعاد، وإما الابتعاد من تلقاء نفسه.

مكتب أوري شيني (مدير عام مكتب رئيس الوزراء شارون) ظل معزولاً محاصراً.. فالطاقة التي يختزنها «شيني» هي كل ما يعول عليه شارون. إنه الـ«بولدوغ» المطيع لسيده. ويسمح

له شارون بالعمل بالأسلوب الذي يرتأيه في المجالات التي لا يرغب شارون التعامل معها، أو بعبارة أخرى، مهام «ساعي المراسلات». أما «الدمى» المتواجدون في المكتب الى جانب أوري شيني، فلا ضرر من وجودهم. فهؤلاء كانوا ولا يزالون مجرد سعاة ومبعوثين ليس إلا. إنهم يقومون فقط بدور جوقة المشجعين، كحال خبيرة المكياج اللصيقة بشارون، التي تباشر عملها كل صباح وترافق شارون طيلة النهار، حتى أنها أصبحت من المعجبين به. وهو يتجول غالباً بصحبة معجبين ومعجبات...

جميع الشؤون المالية الحساسة تسوى عادة بين «أريك» وأوري (شيني) على انفراد. موظفو المكتب الذين يتمتعون بشخصية قوية انتهى بهم الأمر إما إلى الاستقالة أو الإقالة، مثل إيتان بن تسور، رافي بيلد، يوسي غال، أوداليا كرمون، وغابي فيشمان. كان هؤلاء يمتلكون خلفية ملائمة من حيث الثقافة والتحصيل العلمي واستقلالية التفكير، وهي مواصفات غير مرغوبة في مكتب خدمٍ وسعاة..

أوري شيني ونجل شارون «عومري» لا يمتلكان تحصيلاً علمياً عالياً. عومري له ابن غير شرعي، وليس له ماضٍ في أي مجال. إنه يلتصق بوالده كما لو كان يقوم بدور الزوجة ـ الأم «ليلي» التي وافتها المنية في آذار ٢٠٠٠.

كانت «ليلي» بالنسبة لشارون رفيقة درب لا تبارحه ولا تفترق عنه، كانت امرأة غير عادية، قدست التراب الذي يمشي عليه زوجها. وقد اعتاد «أريك» على حُقن الإعجاب لا سيما التي يتلقاها من النساء. بعد وفاة «ليلي» حُرِمَ شارون من جرعات الاعجاب والمساندة اليومية. وهو على أية حال، يجيد مغازلة النساء.

ويفضل «أريك» أن يترك لحوذييه (نجلهُ عومري وخادمه أوري) إدارة الأمور التي يواجه صعوبة في التعامل معها. عندما ينهالون على شارون بآيات الاعجاب تجده «يسيح» كالزبدة ابتهاجاً وغبطة. وإذا سحب رعايته ودعمه لشخص ما، يسارع «الحوذيان» إلى التصرف ضد الشخص المعني والعمل على طرده من المكتب.

أوري شيني وعومري شارون اعتادا على التسريب لوسائل الإعلام، لكن الذي يحظى غالباً بقصب السبق هو الصحافي «بن كسفيت» من صحيفة «معاريف». ويمكن القول: إن

شارون يقوم بنفسه بمهمة تسريب المعلومات، حيث يجد دوماً ما يحتاجه لإطلاع الصحافيين وكتّاب الأعمدة في الصحف. وقد دأب على ذلك أيضاً أثناء حياته العسكرية، فهو يقوم بصورة يومية تقريباً بتزويد معلومات لكل من يوني بن مناحيم، شمعون شيفر، ناحوم برنياع، يارون ديكل ويوئيل ماركوس. وبشكل عام يقوم شارون بنفسه بالاتصال بهؤلاء الصحافيين على مدار ساعات اليوم.

وبطبيعة الحال، فإن شارون سرعان ما يقطف الثمار.. فوسائل الإعلام تبدي بوجه عام اعجابها بسلوكه وسياسته تجاه الفلسطينيين وعرفات وشمعون بيريس وبنيامين نتنياهو. كما أنها تهضم فلسفته وأفكاره، وغالباً ما تتبنى أيضاً تأملاته وخواطره. وتراها (وسائل الإعلام) تردد مراراً وتكراراً: «شارون لم يفشل بعد..»، في حين أنها تنتظر بنفاد صبر أية كبوةٍ لافتة.

*

حالة شارون الصحية ممتازة، باستثناء بدانته الملحوظة. وهو في الواقع مصاب بالنقرس (داء المفاصل) منذ سنوات طويلة، وهو مرض روماتيزمي ينتج عن الإسراف في تناول اللحوم، يتسبب بانتفاخ وتورم الساقين وآلام في ابهام الرجلين، كذلك أجرى شارون عملية جراحية في كيس المرارة، وليس من المعروف إذا ما أجرى جراحة البروستاتا.

لكن الجلوس على كرسي رئيس الحكومة يعود على شارون كما يبدو، بالصحة والعافية والرشاقة، وتقوم اخصائية مكياج ترافقه بشكل دائم بتجميله بالمساحيق لإخفاء آثار وتجاعيد الهرم. شارون لا يعتزم ولا يستعد للرحيل عن مكتبه (مكتب رئيس الوزراء) بسرعة، وهو يعلم أن مؤيدي نتنياهو يهمسون بأنه (أي شارون) «يلعب في الوقت الاضافي».. يوئيل ماركوس يراه كـ«تمثال بوذا» (هآرتس ١٦ / ١١ / ٢٠٠١)، لكن يبدو لي أنه يشبه أكثر الـ «بولدوغ» (كلب شرس ضخم الرأس قصير الشعر..).

ويقوم شارون بين حين وآخر بـ«لفتات كريمة»، مثل قيامه بإعادة ٤,٧ مليون شيكل حصل عليها كتبرعات غير قانونية لتمويل الانتخابات التمهيدية في الليكود، وذلك في أعقاب ما كشفه مراقب الدولة في هذا الخصوص. وفي حالة أخرى، رهن شارون مزرعته الضخمة

«حفات هشكميم» مقابل قرض مالي حصل عليه، وذلك ضمانة لتسديد القرض، وهو تصرف نزيه قلّ نظيره لدى رؤساء الحكومات السابقين له، والذين كثيراً ما حصلوا على تبرعات غير قانونية لتمويل حملاتهم الانتخابية.

لا يوجد لشارون، كرئيس للوزراء، مؤيدون متحمسون على شاكلة «زعران» متعصبين، كما كان عليه الحال عندما أقام حركته الفاشلة «شلوم تسيون» في العام ١٩٧٧، والتي ما لبث أن حلها بعد وقت قصير. كذلك لم يعد هناك اليوم معسكر خاص لشارون داخل حزبه، مثل المعسكر الذي وقف إلى جانبه عقب تحالفه مع معسكر دافيد ليفي في العام ١٩٨٨ ضد معسكر شامير - آرنس في الليكود. وقد تخلى شارون عن ليفي لكنه ظل مديناً له. في تلك الأيام الخوالي وقفت الى جانبه زمرة من بلطجية وزعران الليكود، الذين كان الحزب، كغيره من الاحزاب الاسرائيلية، يمتلئ بهم. أما اليوم فإن أوري شيني وعومري شارون هما درعه الحصين.

شارون وبيريس يتحايلان على الزمن..

من الواضح أن أريك شارون وشمعون بيريس يتحايلان على الزمن. فهما حبيسان منذ سنوات طويلة داخل جدران نظريتهما السياسية - الاجتماعية - الاقتصادية ولا سبيل إلى حرفهما أو زحزحتهما عن طريقهما. وفي غياب استراتيجية وخطة عملية مقبولتين لدى غالبية الناخبين، سواء على الصعيد الأمني أو الاقتصادي أو على الصعيد الاجتماعي، تجد هذا الثنائي (شارون - بيريس) يداور ويناور في سبيل البقاء. لقد أضحى الخط المتعرج أو المنحرف بمثابة إكسير الحياة في السياسة الاسرائيلية الداخلية.

عندما عبر أرئيل شارون قناة السويس في حرب «يوم الغفران» أكتوبر ١٩٧٣، أطلق عليه المعجبون به لقب «الملك»، في حين نعتوا دوماً شريكه (الحالي) في السلطة شمعون بيريس بالـ«كارثة»، والآن ها هما «الملك» و«الكارثة» يقودان اسرائيل في طريق غامض ودون رؤية واضحة.

في حزيران ١٩٩٩، اتهم عضو الكنيست يسرائيل كاتس أرئيل شارون بأنه يخطط لعملية

«فرار» من الليكود، قبل يوم واحد من انتخابات رئاسة الوزراء، تمهيداً للانضمام الى ايهود باراك الذي فاز في تلك الانتخابات. وفي الوقت الحالي يتوجس مؤيدو نتنياهو بأن زعيم حزبهم، شارون، قد يقوم إذا انتخب مرة ثانية كمرشح لحزب الليكود لرئاسة الحكومة المقبلة، بتنفيذ مخططه الانشقاقي، ولكن في هذه المرة بالتحالف مع شمعون بيريس، ليعملا معاً على اقامة حركة سياسية جديدة تدعو نفسها حركة أو حزباً وسطياً، وذلك في مغامرة أو مناورة مريبة أخرى من مناورات هذين العجوزين اللذين يتلكآن في التنحي.

لا شك في أن الرجلين؛ شارون ـ القائد العسكري الذي ذاع صيته في (حرب) العام ١٩٧٣، ثم صار المهزوم والممقوت في (حرب لبنان) ١٩٨٢، وبيريس، السياسي المحنك والخاسر الدائم، والمتآمر الذي لا يكل ـ على استعداد للقيام بأية حيلة أو مناورة في سبيل البقاء، لا سيما انهما عرفا ما تعنيه متعة السلطة والحكم.

شارون، وكرئيس للوزراء، ينجح في قيادة وتوجيه دفة ائتلافه الموسع بهدوء نسبي مقارنة مع حكومتي نتنياهو وباراك، اللتين اتسمتا بالاضطراب والتوتر. كذلك أفلح شارون في تحقيق عدد من الانجازات الملموسة التي لا يجوز الاستهانة بها على الاطلاق، وأهمها الحفاظ على العلاقات الجيدة التي أقامها شارون مع الرئيس بوش، عقب الهجمات الارهابية التي تعرضت لها الولايات المتحدة الأميركية في الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١.

ولا ريب في أن الحظ يساعد شارون، فبعد اعلان الولايات المتحدة حربها على الارهاب العالمي، تعمق التعاون الأميركي ـ الاسرائيلي، واستقبل شارون بحفاوة وترحيب كبيرين في البيت الأبيض في الثاني من كانون الأول ٢٠٠١.

وفي الاجتماع الثنائي الذي عقد بينهما، أعطى الرئيس بوش ضوءاً أخضر لرئيس الوزراء شارون، الذي فهم الاشارة بسرعة وراح يصعد حربه ضد عرفات، ويوسع سياسة الاغتيالات، ما أتاح له بالتالي جني ثمار ومكاسب.

بعد ذلك، وفي ضوء تصاعد ارهاب الانتحاريين، جاء قرار الحكومة الذي اعتبر السلطة الفلسطينية سلطة تشجع وتدعم الارهاب، ينبغي العمل ضدها بمقتضى ذلك (٣ / ١٢ / ٢٠٠١). وكان شارون أعلن في خطاب موجه للشعب الإسرائيلي، عقب عودته من واشنطن

ان «عرفات مسؤول عن الارهاب، وهو الذي فرض علينا الحرب، ومن يسعى لقتلنا سنقتله...» شعبية شارون سجلت في أعقاب ذلك ارتفاعاً كبيراً في جميع استطلاعات الرأي في اسرائيل. غير أن التصريحات والأقوال التي جاءت بنبرة عالية وحماسية متهورة، لم تتمخض عن الكثير من الأفعال الحقيقية الملموسة، فعملية تدمير الطائرتين المروحيتين الخاصتين بعرفات، وتدمير وتجريف مطار الدهنية (قرب رفح)، كانت حركة استعراضية، أكثر منها توجيه ضربة حقيقية للرئيس الفلسطيني.

من جهته واصل الرئيس بوش تقديم دعمه اللامحدود لسياسة وأعمال شارون، حيث صرح قائلاً: «إن لإسرائيل الحق بالدفاع عن نفسها».

عرفات، الذي لم تعد حكومة اسرائيل تأخذه بالحسبان كطرف أو شريك، حوصر في رام الله، لكن المناطق (الفلسطينية) لم تبلغ الهدوء والسكينة.

أما تهديدات شمعون بيريس المتكررة بالاستقالة، فلم تعد تنطلي على أحد.. كانت للاستهلاك فحسب.. لأغراض الدعاية والشهرة الذاتية، في حين كان الناس يعرفون الخبير المتفنن في سياسة البقاء حق المعرفة.

بيريس من النوع الذي لا يهدأ ولا يستريح.. وهو لا يحتاج للنوم ساعات طويلة.. إنه وزير خارجية دائم التحليق والترحال.. حتى عندما كان يحط بعيداً في بوخارست (كانون الأول ٢٠٠١) صرح مهدداً أنه لا ينوي «الاشتراك في تشييع جنازة السلطة الفلسطينية».. فهو لا يريد أن يدخل التاريخ بصفة من ساهم في قبر السلطة الفلسطينية، وهو الذي يعتبر قابلها.. ويؤكد الوزير شلومو بينزري في هذا الصدد قائلاً: «كلما كان أحد الوزراء يقوم بانتقاد عرفات في جلسة الحكومة، كان محاميه (بيريس) ينبري للدفاع عنه، كما لو كان هؤلاء المنتقدون، قد قتلوا شقيقته..».

جوقة منتقدي بيريس في صفوف اليسار، يتصدرها عضو الكنيست يوسي سريد، الذي لا يتورع عن نعت بيريس باستمرار بـ«الخرقة (الممسحة)»، أو حسب تعبير سريد: «عندما يختارون السير في طريق الخِرْقة، فإنهم يفقدون الحياء ويوافقون على قيام رئيس الوزراء بتلميع حذائه بالحزب الذي تحول إلى خِرقة بالية..» (معاريف ٥ / ١٢ / ٢٠٠١).

لقد كان شمعون بيريس دوماً في نظر سريد «عَرضاً تافهاً» غير أن ذلك لم يحل دون أن يكون «الثعبان» (هكذا ينعتون سريد في الكنيست) ناشطاً في «معسكر بيريس» عندما تُرك مهمّشاً لدى رابين الذي نعته سريد بـ«السكران». (هذان «الإطراءان» ـ الخرقة والسكران ـ رددهما سريد على مسامعي في حديث ـ مقابلة ـ أجريته معه في مقهى ڤيتمان سابقاً في تل أبيب في ٢٦ / ١٠ / ١٩٨٠).

*

في نهاية العام ٢٠٠١ أعرب غالبية مواطني اسرائيل (٦٤٪) عن عدم رضاهم من أداء وزير الخارجية شمعون بيريس، مقابل ٣٠٪ فقط قالوا إنهم راضين من أدائه. لقد عاد بيريس ليكون «كيس ملاكمة» الاسرائيلي المتوسط وربما الأغلبية الصامتة، فهو: المتآمر الذي لا يكل، الذي يحتضن عرفات ولا يكف عن عناقه. كما أن اندفاعه الجامح نحو عقد اللقاءات والاجتماعات مع الرئيس عرفات جعل اليسار المتعقل، الذي يحاول التخلص من الانتهازية التي التصقت به لفترة طويلة، يبتعد عنه. فأوساط هذا اليسار باتت ترى في بيريس «ورقة التين»..

لقد عاد بيريس ليقول «نعم» و «لا» حسب املاءات شارون. لم يعد أحد يفهم هذا الرجل لما يعانيه من عقد نفسية. حتى أن ملمعته الوزيرة داليا إيتسك ـ اللاهثة دوماً وراء مقعد أو منصب ـ نعتته في جلسة الحكومة بلهجة تنم عن سخرية وتهكم بـ«البارع» (في كانون الأول ٢٠٠١) وذلك بعدما ألقى خطاب دفاع واضح عن عرفات.

التفاهم الذي يسود بين شارون وبيريس أعمق مما يظهر في وسائل الإعلام. فكلاهما يعارضان اقامة جدار الفصل (بين اسرائيل والأراضي الفلسطينية)، كما يمقت كلاهما معظم أعضاء كتلتهما في الحكومة والكنيست.. لقد اتحد «زعيم عصابة أوسلو» والـ«قاتل بالفطرة» في نضالهما الخفي ضد احتمال عودة بيبي نتنياهو الى رئاسة الحكومة. فمثل هذا السيناريو المحتمل من شأنه أن يهدد بقاءهما في السلطة، ويحيلهما أخيراً لقضاء اجازة أو عطلة طويلة في منزليهما. فنتنياهو هذا «نبيُّ الكذب» و«كلب» و«عارض الأزياء» وأي وصف آخر يُدمغ به، سيكون مبرراً ومشروعاً في نظر ثنائي الديناصورات اللذين شارف زمنهما في الحكم

على بلوغ نهايته.

هنري كيسنجر، وزير الخارجية الأميركي في عهد الرئيس ريتشارد نيكسون، يؤكد في كتاب جديد له أن انهيار المفاوضات مع الفلسطينيين مرده الانسحاب الاسرائيلي المتسرع من لبنان في ايار ٢٠٠٠، والذي عكس حالة ذعر وفزع.

شارون من جهته رفض مطالبة بيريس بالامتناع عن الدخول الى المناطق الخاضعة لسيطرة السلطة الفلسطينية الكاملة، في الحالات التي تستدعي القيام بعمليات عسكرية تهدف الى ضرب المخربين والقتلة. ويعقب بيريس قائلاً: «العمليات العسكرية التي يقوم بها شارون أحياناً تثير الرعب لديّ». لكن شارون لا يتأثر بمثل هذه الأقوال، بل سيكبح أي تحرك متسرع من شأنه أن يولد آمالاً كاذبة لدى العدو.

*

حكومة شارون-بيريس لا تؤدي عملها بالشكل المطلوب، كما أنها لا تسيطر على وزرائها كما يجب. كل شيء متعثر.. جودي موزيس، زوجة وزير المالية سيلڤان شلوم، تتهم شارون بأنه لا يدعم - ولا يقف - خلف زوجها، ومن هنا تنبع كل مشاكل ميزانية الدولة لسنة ٢٠٠٢، حيث تقول جودي «شارون عجوز منهك، وربما يهمه أكثر أن يداعب الخراف في مزرعته» («صوت اسرائيل»-٢٠ / ١٢ / ٢٠٠١).

صحيح أن الفائدة انخفضت بنسبة ٢٪، لكن الدولار «في العلالي»، والأسعار في ارتفاع، والبطالة في تفاقم، والسياحة انهارت، والاضرابات مستمرة، والاقتصاد في تراجع على كل الجبهات والصعد، وفوق كل ذلك يعود محافظ بنك اسرائيل ليرفع نسبة الفائدة.

هذه الحكومة، التي تضم عشرات الوزراء ونواب الوزراء، والتي يقف على رأسها كهلان، لا تنجح في الحكم.

لقد ظن شارون عندما شكّل حكومته الموسعة بأنه سينجح في تحقيق استقرار وأداء بالشكل المطلوب، لكن الحكومة لا تؤدي عملها كما يجب. لم تستطع تحقيق نتائج أو منجزات في أي مجال من مجالات مسؤوليتها تقريباً، ورغم كل ذلك فهي (حكومة شارون) تمنح شعوراً مريحاً للغاية للشعب الاسرائيلي، يوحي بأن هناك حكومة، فضلاً عن أن رئيسها ينال علامة

تقدير عالية في استطلاعات الرأي، شيء غير مألوف.

ينتمي شارون وبيريس إلى ذات الرعيل في الصهيونية. شارون يواجه مشكلة شرعية على المستوى العالمي، ولذلك فهو يستعين ببيريس لتخفيف حدة الانتقادات الموجهة إليه، غير أن بيريس تحول الى ذراع لعرفات في الحكومة، كما أنه لم يعد منذ وقت بعيد يرى في نفسه ممثلاً للمصالح الاسرائيلية وحسب، وإنما بصفة من ينتمي إلى الأوليغاركية الأوروبية، التي جعل من نفسه ممثلاً لها في حكومة اسرائيل أيضاً. إن باستطاعة بيريس مواصلة الاضطلاع بدوره لسنوات عديدة مقبلة، في ظل غياب بديل كاريزماتي في زعامة حزبه، إلى ذلك فإن حالته الصحية ممتازة. وكان قد أقلع عن التدخين في العام ١٩٨٧، بعدما تشافى على يد «ساحر» ايطالي. أجرى بيريس ببلوغه السادسة والستين من عمره جراحة البروستاتا، وهو مواظب على تمارين الرياضة الصباحية، يحافظ على وزنه ويتبع نظام تغذية صارماً. صحيح أنه يواجه صعوبة في الاقلاع عن شرب الخمرة، خاصة الكونياك، لكنه يراعي حدود الشرب. وهو عموماً شديد الاهتمام بمظهره. وتقول شولاميت ألوني التي تعرف بيريس منذ الأربعينيات: انه أصبح في شيخوخته أجمل وأبهى مما كان في شبابه. هناك اشكالية في تحصيله العلمي، إذ من المعروف أن بيريس تعلم عدة سنوات في المدرسة الثانوية للتجارة في تل أبيب، لكنه لم يقيض له انهاء دراسته هذه جراء الضائقة المالية التي عانتها أسرته. انتقل الى قرية الشبيبة «بن شيمن» وهي مؤسسة زراعية-تربوية لا تصدر شهادات تخرج (بغروت) كحال المدارس الثانوية الاعتيادية. بيريس نفسه يقول: إن تحصيله جامعي: جامعة «نيوسكول» في نيويورك، وجامعة «هارفرد» بضواحي بوسطن.

لكن هذا الكلام غير دقيق، فقد تعلم مدة سنتين في مدرسة ليلية في «نيوسكول»، ودرس الإدارة لمدة أربعة شهور في هارفرد؛ أي أنه غير حائز على أي لقب أكاديمي، لكنه رجل عصامي بنى مستقبله بنفسه.

في الآونة الأخيرة، انضم الى لائحة منتقدي بيريس الطويلة، الصحافي شبتاي تيبت، الذي كان يعد من أنصار بيريس المتحمسين والبارزين في عهد «رافي» وما بعده. ويؤكد كاتب سيرة حياة بن غوريون، في مقال نشره في صحيفة «معاريف» (٢٨ / ١٢ / ٢٠٠١):

إن بيريس معروف بعدم دقته وأمانته.. إنه يعاني من ضعف في الذاكرة. بعبارة أخرى يمكن القول إن لدى بيريس ذاكرة انتقائية.

ويعتبر بيريس من المحاضرين المطلوبين أو المرغوبين في الولايات المتحدة الأميركية.. بعد هزيمته أمام نتنياهو في انتخابات العام ١٩٩٦ تقاضى بيريس مبلغ ٤٠ ألف دولار لقاء محاضرة ألقاها أمام جمهور يهودي متعاطف، وبحسب أحد التقديرات فقد جنى بيريس من جولة محاضرات قصيرة قام بها خلال السنة الأولى عقب هزيمته في الانتخابات (انتخابات ١٩٩٦) حوالي ٤٠٠ ألف دولار أميركي.

والحال فإن بيريس، لن يصبح عاطلاً أو دون عمل بعد انتهاء فترة الحكومة الحالية، حيث يكون قد بلغ الثمانين من عمره.

*

لقد عقد اليمين الموغل في التطرف، واليسار الحالم، الحافل بالرومانسيين والمنافقين، اتفاقاً غير مكتوب بينهما، على «عدم الاتفاق». ستمر سنوات طويلة قبل أن تظهر في اسرائيل زعامة متزنة عاقلة، قد يكتب لها النجاح في انقاذ هذه الدولة المعتلّة من أوجاعها، وقيادتها إلى بر الأمان.

الحصيلة: فشل!

في السابع من آذار ٢٠٠٢ «احتفلت» حكومة شارون ـ بيريس بمرور سنة على توليها لزمام السلطة. حصيلة هذه السنة تمثلت بالفشل التام. فـ«الارهاب» الفلسطيني ما انفك يبطش باسرائيل بلا رحمة أو شفقة. ففي غضون سنة واحدة (من ١١ / ٢ / ٢٠٠١ إلى ١١ / ٢ / ٢٠٠٢) أُحصي سقوط ٢٠٨ قتلى اسرائيليين و ١٥٢٣ جريحاً، ولا تزال هذه الحصيلة في ارتفاع مطرد، حيث وصلت الى حوالي ٣٥٠ قتيلاً بحلول بداية السنة الثانية لحكومة شارون.

من جهة أخرى، فإن التشرذم والتفتت الداخلي في اسرائيل يتعمق باستمرار، وأخذت ظاهرة رفض الخدمة العسكرية في الأراضي الفلسطينية تتسع أكثر فأكثر، فيما أضحت قدرة

الردع الاسرائيلية واهنة ضعيفة، وبات انهيار وتداعي المناعة القومية مبعث قلق حتى لدى الولايات المتحدة الأميركية. إلى ذلك، صار المزيد من العرب في اسرائيل يُظهرون عدم ولاء لدولتهم، ويضعون أنفسهم في خدمة المنظمات «الارهابية» الفلسطينية.

أما الجريمة في اسرائيل، فحدث ولا حرج، حيث تخطت معدلاتها أرقاماً قياسية على الصعيد العالمي.

خطة بيريس - أبو العلاء السلمية، بين قوسين، قائمة على فراغ. الرئيس الأميركي جورج بوش، كبّل من جهته أيدي رئيس الوزراء أرئيل شارون. فقد دُعي شارون خلال لقائهما في واشنطن مطلع شباط ٢٠٠٢ إلى عدم التشويش على خطة الإدارة الأميركية الرامية الى سحق نظام الحكم في بغداد والقضاء على الرئيس صدام حسين، بمعنى أن محاربة اسرائيل للارهاب الفلسطيني - وخلافاً للطريقة التي تدير بها الولايات المتحدة حربها على الارهاب - يجب أن تتم على نار هادئة، هذا في الوقت الذي تدفن فيه اسرائيل قتلاها في كل يوم.

ازدادت الدعوات الصادرة عن أوساط اليمين واليسار (الاسرائيلي) على حدّ سواء، والتي تطالب باستبدال شارون، من خلال اجراء انتخابات جديدة، بيد أنه لا يلوح في الأفق زعيم جديد. فالأغلبية الصامتة في اسرائيل لا تزال متمسكة بالثنائي العجوز شارون - بيريس، بكل قواها، مبدية بذلك خشيتها من زعامة جديدة مجهولة.

يقود شارون الحرب ضد الارهاب بطرق وأساليب عقد الخمسينيات، كما لو أنه ما زال قائداً للوحدة (١٠١) الميثولوجية برتبة رائد. لكن عمليات الرد العسكري على غرار العمليات التي كانت تقوم بها الوحدة المذكورة، لم تعد منذ وقت بعيد تلائم العصر الحالي. تفكير شارون يحتاج الى تجديد وانعاش، لكن من المشكوك فيه أن ينجح وهو في هذه السن، في تغيير نمط تفكيره، أو في ارساء أنماط جديدة في طريقه المتعرج بحيث تؤدي الى التغيير المطلوب في واقع الحياة بالغة الصعوبة التي تعصف باسرائيل جراء الانتفاضة والأزمة الاقتصادية - الاجتماعية التي لم تستطع الدولة الاسرائيلية منذ قيامها في العام ١٩٤٨ الفكاك منها.

*

بيريس جعل شارون متعلقاً به أكثر فأكثر، لدرجة أن شارون بات يفضل زعيم «عصابة أوسلو» على أفيغدور ليبرمان وبني إلون ورفاقهما اليمينيين. لقد تراجع ٣٦٠ درجة عن وعوده وتعهداته لجميع الناخبين بعدم اجراء مفاوضات (مع الفلسطينيين) في ظل اطلاق النار، لكنه كبا وتنازل، لم يعد يُصرُّ على سبعة أيام هدوء قبل استئناف المفاوضات مع الفلسطينيين.. لقد ظهر شارون في صورة الرجل الذي لا يثبت على موقفه لفترة طويلة. بدأت سفينة شارون تغرق ببطء. وها هو اليمين يظهر مجدداً في صورة من يقود تحركاً للاطاحة بشارون من رئاسة الحكومة، لكن في هذه المرة ـ على عكس ما حدث لدى الاطاحة بكل من اسحق شامير وبنيامين نتنياهو ـ بحذر شديد، وبتمهل مدروس. هناك شكوك في إمكانية نجاح شارون بالبقاء حتى الموعد القانوني المحدد للانتخابات المقبلة، وهو شهر تشرين الأول ـ أكتوبر ٢٠٠٣.

ولكن السؤال: هل لدى اليمين، المتمرد دوماً ضد زعمائه، ضمانة بأن نتنياهو سيكون أفضل من شارون كرئيس وزراء مقبل؟! وما الذي دعا هذا اليمين للاطاحة بنتنياهو في العام ١٩٩٩، وتنصيب ايهود باراك مكانه؟! ثم من الذي جلب لليمين خطة أوسلو؟!.

«النواة الصلبة» المتشددة في معسكر اليمين، المكونة من تحالف «اسرائيل بيتنا» و«موليدت».. و«تكوما (النهضة)»، طلّقت والى الأبد أرئيل شارون، بعد مضي سنة على حكمه. اضافة الى ذلك، فإن قرار الحكومة بفك الحصار الذي فرضه شارون على عرفات في رام الله وذلك عقب اعلان الأخير عن اعتقال جميع الضالعين في قتل (اغتيال) الوزير رحبعام زئيفي، هذا القرار لم يرق لليمين على أقل تقدير. ولا يتورع اليمين المنسحب من الحكومة عن وصف شارون بـ«الانهزامي» أو «المتخاذل»، بعدما كان هذا اليمين ذاته يصف شارون في الماضي بـ«ملك اسرائيل».

في محاولة منه لتبرير جنوحه نحو اليسار، صرح شارون في جلسة الحكومة بتاريخ ١٠ / ٣ / ٢٠٠٢، قائلاً: «هناك مسؤولية تقع على عاتقي، لقد غيرت رأيي، وليس هناك أحد يمكنه أن يكون أكثر وطنية مني. هذا قرار لا يتخذه إلا زعيم...». لاحظوا أن شارون يعتبر نفسه «زعيماً»، لكنه حري به أن يتذكر المثل القائل: «بعد البلاء يكون الثناء»، أو بعبارة

أخرى: لا يجوز للإنسان أن يتفاخر بعمل يهم بالقيام به إلا بعد أن يتكلل بالنجاح.

خلال احدى جلسات الحكومة، لفت الوزير ناتان شرانسكي الانتباه، عقب تصاعد موجة عمليات الانتحاريين الفلسطينيين، وما توقعه من ضحايا في صفوف الاسرائيليين، الى أن الحكومة تحولت الى مؤسسة لدفن الموتى، توفد كل يوم ممثلاً عنها الى جنازات ضحايا الارهاب.

بعد انسحاب قائمة «الاتحاد الوطني / اسرائيل بيتنا» من الائتلاف، قل عدد وزراء الحكومة اثنان، وهي خطوة، وإن كانت لها حسنات، أبقت شارون على رأس ائتلاف يتكون من ٧٥ نائباً في الكنيست، ما يعني بالتالي فقدان شارون للأغلبية في حال غياب دعم أعضاء كتلة حزب العمل البرلمانية البالغ عددهم ٢٤ نائباً. من هنا، أضحى تعلق شارون ببيريس وفؤاد (بن اليعازر) ورفاقهما تعلقاً مطلقاً.

شارون يعود الى سياسة ضبط النفس التي أرستها مدرسة حزب «العمل» منذ عهد «مباي» في فترة الانتداب البريطاني. ولكن ماذا كان مصير رؤساء الحكومة الثلاثة السابقين: اسحق رابين وبنيامين نتنياهو وايهود باراك - الذين لم يثبتوا على مواقفهم الأيديولوجية، ووعودهم للناخبين، وتصرفوا كمؤشر اتجاه الريح فداوروا وناوروا دون توقف إلى أن أطيح بهم؟ لقد مالوا مع الاتجاه الذي هبت فيه الريح في وسائل الإعلام، نحو تحديد توجه جديد، وهو ما أفضى في نهاية المطاف الى سقوطهم.

مصداقية رؤساء الحكومة المذكورين انهارت بشكل كامل. عرفات يجر مجدداً رئيس الوزراء الاسرائيلي لينساق في الطريق التي يختارها، وهو (عرفات) الذي يحدد جدول الأعمال القومي الإسرائيلي، مُرغماً شارون على اتباع سياسة معاكسة للسياسة التي تعهد باتباعها. فهل يعكس ذلك برغماتية وأهلية زعامة لدى رئيس الوزراء الإسرائيلي، أم أن ذلك يعكس فقط غياب استراتيجية، ورضوخاً للضغوط وللانتحاريين وارهاباً فلسطينياً ناجحاً؟.

لقد ضل شارون في بداية السنة الثانية من ولايته الطريق التي لم يكن يمتلكها أصلاً. فهو لم يُختبر في إدارة حرب محكمة، متطورة ضد الارهاب، تحتاج الى مناورة وبراعة في استخدام الخداع والتكتيك في سبيل تحقيق الهدف. لقد أضعفته الانتفاضة، أعيته.. وما وقف اطلاق النار إلا خشبة انقاذ لرئيس الوزراء حتى ينجو بنفسه.

الجزء الثاني

شمعون بيريس على حقيقته (١٩٨٤ - ١٩٨٨)
أرئيل شارون على حقيقته (١٩٨٤ - ١٩٨٨)

• شمعون بيريس : خطير، متآمر، إنتهازي



والحال، فإن اسرائيل تفتقد إلى زعيم !.

أخذ اسحق رابين يبدي، بحلول نهاية العام ١٩٨٠، دلائل قلق وعصبية ما بشأن امكانية فوز «المعراخ» في الانتخابات للكنيست العاشرة، والتي قُدّم موعدها الى الثلاثين من حزيران ١٩٨١. وفي نهاية العام نفسه (١٩٨٠) مُني رابين بهزيمة في منافسته لشمعون بيريس على زعامة الحزب، حيث انتخب بيريس ليحتل مكان الرجل الأول، ومرشح «المعراخ» لرئاسة الحكومة مقابل مرشح «الليكود» رئيس الوزراء مناحيم بيغن. وقد ساعدت وفاة يغئال ألون المفاجئة في أوائل شباط ١٩٨٠، في فوز بيريس على خليفة قائد «البالماخ» السابق وتلميذه المخلص، اسحق رابين، الذي أُنتخب كمكمل لطريق ألون، وزعيماً لمعسكره في المواجهة ضد بيريس.

قبل نحو شهر أو ما يزيد بقليل من المنافسة ـ المواجهة بين الخصمين، ذهبت لأستمع لما لدى اسحق رابين من أقوال عن خصمه (بيريس) وعن أيديولوجيته (أيديولوجية رابين) وبرنامج معسكره. كان قد مضى على وجود رابين في المعارضة ثلاث سنوات، منذ فوز «الليكود» على «المعراخ» في انتخابات العام ١٩٧٧. وكان رابين قد اتخذ مقراً له كرئيس وزراء سابق، في مكتب متواضع في مقر وزارة الدفاع في تل أبيب، مستعيناً بعدد من مساعديه المخلصين. قال لي رابين:

---

(١) مذكرات اسحق رابين (مع دوف غولد شتاين) ـ مكتبة «معاريف» أيلول ١٩٧٩).

«شمعون بيريس خطر على اسرائيل». رابين كتب وحذر بروحية مشابهة في كتاب مذكراته[1].

في ١٩ آذار ١٩٨١، وقبل حوالي ثلاثة شهور ونصف من موعد الانتخابات للكنيست، التقيت برابين مرة أخرى في منزله. في هذا اللقاء أسهب بعض الشيء في حديثه عن خصمه بيريس، الذي كان قد هزم رابين في المنافسة التي جرت بينهما في كانون الأول ١٩٨٠، وأكد رابين انه «يفضل» بقاء مناحيم بيغن، في رئاسة الوزراء لفترة ثانية، على أن لا ينتخب بيريس «الذي ينطوي على خطر لاسرائيل»، حسب تعبير رابين.

بعد الانتخابات أحسّ رابين بالارتياح بعض الشيء، فقد فاز بيغن على بيريس بفارق حوالي عشرة آلاف صوت. حيث حصل «الليكود» على ٤٨ مقعداً في الكنيست، مقابل ٤٧ مقعداً لـ «المعراخ».

في ٨ آب ١٩٨١، قال لي رابين في حديث أجريته معه: انه «مرتاح» لنتائج الانتخابات، ربما بحكم حقيقة أن خصمه بيريس مُني بالهزيمة أمام منافسه رئيس الوزراء مناحيم بيغن.

الوزير السابق يوسيف الموغي، الذي كان من قادة «رافي» قال لي في آب ١٩٨٧، بعد ست سنوات من الأقوال التي صرح لي بها رابين ان «كل من يعرف شمعون بيريس كما أعرفه، يدرك كم هو خطير هذا الرجل. لن استغرب إذا ما قام بجلب أو ادخال الروس للشرق الأوسط».

* لماذا يفعل ذلك؟.

الموغي: «بيريس عندما ينهض من نومه في كل صباح يبحث عن عناوين ودعاية لنفسه. إنه مستعد للقيام بكل ما هو نافع ومفيد من وجهة نظره في سبيل الفوز بعنوان في الصحف». واضاف مؤكداً «بإمكانك أن تقتبس هذه الأقوال حرفياً على لساني».

لماذا يكرهون بيريس إلى هذا الحد؟!

موشيه شاريت، رئيس وزراء اسرائيل الثاني (من كانون الثاني ١٩٥٤ وحتى تشرين الثاني ١٩٥٥) قال عن شمعون بيريس الذي عرفه شاريت عن قرب وعلى مدى فترة طويلة عندما تولى منصب مدير عام وزارة الدفاع:

«قلت إنني أرفض شمعون رفضاً تاماً، وأرى في صعود نجمه مصيبة أخلاقية في منتهى الخطورة.

---

(٢) موشيه شاريت «مذكرات شخصية» (مكتبة «معاريف» ١٩٧٨).

سأمزق ثوبي حزناً على الدولة إذا رأيته يتبوأ منصباً وزارياً في اسرائيل»[٢].

من جهته أيضاً، رأى رابين ـ كما رأى ذلك الموغي من بعده ـ في تقارب بيريس مع الروس خطراً داهماً على اسرائيل، لكنه سبق الموغي في تحذيره من هذا الخطر بسنوات عدة.

في صيف العام ١٩٧٥، واجهت الحكومة الاسرائيلية عشية الجولة المكوكية التي قام بها في المنطقة وزير الخارجية الأميركي هنري كيسنجر، طريقاً مسدوداً في شأن امكانية التوصل الى تسوية انتقالية بين اسرائيل ومصر.

فقد رفض المصريون المقترحات الاسرائيلية، التي عرضها رئيس الوزراء اسحق رابين خلال محادثاته في واشنطن مع كبار المسؤولين في الادارة الأميركية، ومن ضمنهم الرئيس الأميركي ووزير خارجيته. في حزيران، وبعد عودته من الولايات المتحدة، اقترح بيريس على رابين فكرة فيها شطط، أثارت القشعريرة لدى رابين، ومؤداها: أن «يُقام في منطقة الممرين في سيناء ما يشبه المربع الجغرافي، بحيث يشمل الجزئين الغربي والشرقي من الممرين، وأن ترابط فيه قوة عسكرية أميركية ـ سوفييتية مشتركة، على أن تكون منطقة المربع خارج نطاق أية سيادة، وغير خاضعة لسيطرة المصريين أو الاسرائيليين».

وقد كتب رابين في مذكراته (الجزء الثاني ص٤٨٠):

«لكي يعطي (بيريس) اقتراحه أهمية زائدة، تسلق بيريس شجرة عالية وقال: لقد تحدثت حول هذا الموضوع مع موشيه ديان وأعرب من جهته عن تأييده للاقتراح..

لقد كنت أعلم من قبل بأن وزير الدفاع يطلع سلفه على أسرار المعلومات الاستخبارية والسياسية ويتشاور معه في أحيان متقاربة. حديثهما في فندق «دبلومات» بالقدس، الذي تباحث فيه بيريس وديان حول المنطقة السوفييتية ـ الأميركية، دار أيضاً حول حادث محرج: فبعد انتهاء حديثهما عثر النادل في المكان الذي جلسا فيه على برقية تضمنت معلومات سرية للغاية، فألقى نظرة عليها ووجدها معنونة بـ «سري للغاية»، فسارع الى ضابط أمن الفندق وسلمه البرقية».

شمعون بيريس، بصفته قائماً بأعمال رئيس الحكومة ووزيراً للخارجية، يعمل دون كلل، من أجل ادخال الروس الى الشرق الأوسط عن طريق عقد مؤتمر دولي لاجراء مفاوضات

سلمية مع الملك حسين، وربما مع دول عربية أخرى. بدأ بيريس بمغازلة الكرملين في الفترة التي تولى فيها رئاسة الحكومة (١٩٨٤ - ١٩٨٦) في نطاق اتفاق المناوبة على رئاسة الوزراء (مع زعيم الليكود اسحق شامير) ثم واصل مسعاه في هذا الاتجاه عندما أصبح قائماً بأعمال رئيس الحكومة ووزيراً للخارجية (١٩٨٦ - ١٩٨٨). وكان بيريس بصفته وزيراً للدفاع العام ١٩٧٥ قد أثار غضب رئيس الوزراء في ذلك الوقت اسحق رابين، مثلما يثير الآن غضب رئيس الوزراء اسحق شامير.

وقد صرح رابين في وقت لاحق قائلاً: «لقد ذهلت.. فـ«التفكير السياسي» لدى وزير الدفاع بلغ هذه المرة حداً غير متوقع. ولولا أنني سمعت بأذني أن وزيراً رفيعاً في الحكومة، يقترح أن تبادر اسرائيل بنفسها للمطالبة بمرابطة جيش سوفيتي في سيناء ليكون قوة فصل بينها وبين مصر، لكنت قد اعتقدت أن المتربصين ببيريس يُشهِّرون به. وعندما أخبرت الوزير يسرائيل غاليلي عن اقتراح بيريس، وجدت نفسي مضطراً للقول: إن بيريس كان يتحدث بجدية، وحتى في هذه اللحظة لم أكن واثقاً من أن غاليلي يصدقني..».

من هنا تغدو المسافة قصيرة للاستنتاج الذي توصل اليه رابين والموغي وشاريت وآخرون غيرهم، في الماضي والحاضر، بأن «شمعون بيريس يشكل خطراً على اسرائيل».

أكثر من ذلك، فإن وزير الخارجية الأميركي الأسبق هنري كيسنجر، يرى أيضاً في بيريس ـ أو أعماله ـ «خطراً شديداً على اسرائيل».

في أيار ١٩٨٧، وبعدما راجت في أنحاء العالم أنباء خطة بيريس الخيالية بشأن المؤتمر الدولي ـ أو «المظلة» الدولية حسب تعبير بيريس ـ الهادف الى دفع المفاوضات بين اسرائيل والأردن، علق كيسنجر قائلاً: «... بذلت جهوداً مضنية من أجل اخراج السوفييت من الشرق الأوسط، كما قدمت اسرائيل تضحيات كبيرة في حرب يوم الغفران (١٩٧٣) لتساهم بذلك في تحقيق هذا الهدف. لا أدري لماذا يريدون الآن إعادة الاتحاد السوفييتي الى المنطقة؟ سيكون السوفييت مدافعين عن الجانب العربي، وسيدعم الأوروبيون والصينيون موقفاً مشابهاً لموقف السوفييت، في حين ستأخذ الولايات المتحدة على عاتقها القيام بدور الوسيط، وبذلك ستجد اسرائيل نفسها معزولة. ستكون هذه مخاطرة كبيرة، خاصة بالنسبة

لدولة صغيرة لا تملك هامش صمود وبقاء. هل يصدق أحد أن سورية ستوافق على السلام دون استعادة كل هضبة الجولان أو معظمها؟! هل يصدق أحد أن الأردن سيقبل بالسلام دون استعادة الضفة الغربية والحصول على مكانة في القدس؟!».

صحيفة «نيويورك تايمز» الأميركية المعروفة عالمياً بمصداقيتها العالية، وجهت أيضاً بتاريخ ٢٣ ايار ١٩٨٧ انتقادات لوزير الخارجية شمعون بيريس، محذرة من أن المؤتمر الدولي الذي يقترحه قد يكون، إذا عقد خلال وقت قريب «خطيراً بنفس الدرجة التي يبدو فيها ـ المؤتمر ـ سهلاً ومريحاً».

وقد ظهر بيريس في موضوع المؤتمر الدولي، على حقيقته وبموقفه المألوف: «نعم» و «لا»؛ وبتآمره على رئيس الوزراء، وسعيه الى «شراء» أعضاء كنيست من أجل الاطاحة بالحكومة وتقديم موعد الانتخابات، أو التوجه كخيار آخر نحو تشكيل حكومة ضيقة تستند بشكل أساسي الى المعسكر الديني وأحزاب اليسار، لكن الأدهى من كل ذلك، هو انعدام مصداقية بيريس، هذا المرض المزمن الذي يعاني منه منذ أن شبّ على قدميه، في الفترة التي كان فيها ناشطاً في منظمة «الشبيبة العاملة» أواسط الأربعينيات.

بيريس في العام ١٩٨٥ ليس كبيريس في العامين ١٩٨٦ و ١٩٨٧. عندما كان رئيساً للوزراء قال في بيان سياسي تلاه أمام الكنيست في ١٠ / ٦ / ١٩٨٥:

«بموجب هذه الخطة ستأتي الولايات المتحدة للمؤتمر، وهي شبه منحازة للموقف الأردني وموقف منظمة التحرير الفلسطينية، وعندئذٍ فقط ستكون اسرائيل المدعوة الأخيرة لحضور المؤتمر بصفة مراقب، وستكون مطالبة بتقديم تنازلات اقليمية للمتحلقين حول موائد المؤتمر. إنها خطة لتركيع اسرائيل وليس للتفاوض معها».

«نعم أم لا ـ يا شمعون بيريس؟!» كتبت متسائلة ليمور ليڤنات، محررة «بين السطور»، وهي النشرات الدعائية لحركة «حيروت». وتجيب ليڤنات على السؤال بقولها: بيريس (أ) قال: إن المؤتمر الدولي هو «خطة لتركيع اسرائيل»، وبيريس (ب) قال: إن من يعارض المؤتمر الدولي يكون «مجرماً بحق السلام». فبعد مرور عدة شهور على رفضه لفكرة المؤتمر الدولي، عاد رئيس الوزراء بيريس ليغير رأيه، حيث طرح الفكرة في الخطاب الذي ألقاه بتاريخ ٢٢

تشرين الأول ١٩٨٥ أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك، ومن ثم في بيانه المشترك مع الملك الحسن عاهل المغرب في تموز ١٩٨٦. فبيريس، المعروف بكونه سياسياً يتكيف مع أي وضع بحكم افتقاده للمبادئ، ويتمشى مع الواقع ليحظى بهالة دعائية في كل وسيلة إعلام متاحة، يستبدل بين الفينة والأخرى التسميات والأوصاف التي يخلعها على اختراعه: ١ ـ مؤتمر دولي ٢ ـ منتدى دولي ٣ ـ مظلة دولية ٤ ـ مرافقة دولية ٥ ـ افتتاح دولي ٦ ـ مساندة دولية.

ويرد رئيس الوزراء اسحق شامير على كل سفسطات بيريس هذه بعدة جمل مقتضبة ولاذعة من قبيل: «رضوخ دولي» و «كارثة دولية» و «تصفية دولية».. ولكن من يا ترى صاحب الأقوال التالية:

«... ما الذي سيحدث في مؤتمر كهذا؟ سيرتقي الاتحاد السوفييتي الى مرتبة وسيط، على الرغم من أنه قطع علاقاته مع اسرائيل، وأقفل أبوابه أمام خروج اليهود.. ولنقل انه (الاتحاد السوفييتي) لا يعترف دبلوماسياً باسرائيل، لكن اسرائيل ستضطر للاعتراف علناً بموضوعية الاتحاد السوفياتي. في مستهل المؤتمر قد يعلن الاتحاد السوفييتي بأنه يساند المواقف العربية، يساند الموقف السوري الذي يعد أكثر المواقف تطرفاً بين الدول العربية. سوف يسوغ السوفييت التطلعات السورية والميثاق (الوطني) الفلسطيني. والحال، ما هي فرصة أو امكانية اقدام الأردن أو الوفد الفلسطيني عندئذٍ على اتخاذ موقف أكثر اعتدالاً من موقف الاتحاد السوفييتي...» الذي صرح بهذه الأقوال هو شمعون بيريس رئيس الوزراء الأول بالتناوب في ١٠ حزيران ١٩٨٥ أمام الكنيست الاسرائيلي. لم تكد تنقضي أربعة شهور، وإذ برئيس الوزراء ذاته يُصرح بأقوال معاكسة أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة.

بيريس: «نعم» و «لا» في الوقت ذاته!

وماذا قال بيريس عن الصين الشعبية التي دعاها أيضاً من فرط أدبه وكرمه الى مائدة مؤتمره الدولي؟!.

قال بيريس أمام الكنيست في حزيران ١٩٨٥: «... الصين الشعبية أيضاً ستحظى

بالمشاركة والاعتراف بدورها كوسيط، وهي التي لم تعترف باسرائيل قط، وتساند، علناً على الأقل موقف منظمة التحرير الفلسطينية. اسرائيل لا تشكل تهديداً للصين، والصين لا تشكل تهديداً لاسرائيل.. لكن إذا أرادت الصين لعب دور في عملية السلام بالشرق الأوسط، فإن عليها الاعتراف بأولوية السلام، على مصالح الدول الرافضة للسلام...».

في ردها على فكرة بيريس اللحوحة، أكدت ليمور ليڤنات باسم «حيروت» ان «لهاثه وتهافته على المؤتمر الدولي يدفعان دول العالم نحو التطرف، ويحشران اسرائيل في خانة الدفاع عن النفس، ويُسهمان في تعزيز وتقوية المكانة السياسية لمنظمة التحرير الفلسطينية، بعدما تضعضعت هذه المكانة في حرب لبنان..».

بيريس الذي قال في حزيران ١٩٨٥ أمام الكنيست بأن «المؤتمر الدولي خطة لتركيع اسرائيل، وليس للتفاوض معها»، صرح في كانون الأول ١٩٨٤ في خطاب سابق أمام الكنيست ان «فكرة المؤتمر الدولي رفضت في اسرائيل من جانب الجميع. فهي تهدف في واقع الأمر حرمان إسرائيل من امكانية إجراء مفاوضات في ظل شروط متكافئة. إن مؤتمراً يشارك فيه ممثلون يُعدون الأشد تطرفاً في العالم العربي، سيجبر الدول العربية قاطبة على اتخاذ مواقف متشددة، وربط أي تحرك بمجموعة من التحركات والخطوات الشائكة الصعبة، وبالأساس ممارسة الضغط على اسرائيل بدلاً من التفاوض معها. إن اسرائيل تعتقد أنه لا جدوى في إجراء مفاوضات حول المفاوضات.. الأفضل أن تلتقي الأطراف وجهاً لوجه دون عوامل ضغط أو روافع رفض..».

وتعلق ليمور ليڤنات، الساعية للفوز بمقعد لها في الكنيست بعد انتخابات العام ١٩٨٨، بقولها «لا جديد تحت الشمس.. إن من تآمر على أحد رؤساء الحكومة عندما كان وزيراً للدفاع، لن يتورع عن التآمر على رئيس حكومة آخر، عندما يكون وزيراً للخارجية. لقد بدل شمعون بيريس ذاته آراءه ومواقفه خلال أقل من سنتين. هذه ليست المرة الأولى التي يهذي فيها بيريس بأحلام وخزعبلات سياسية.. نحن نتذكر خطة «مارشال» المعروفة أيضاً باسم «صندوق تنمية الشرق الأوسط».. نتذكر لهفة وتحمس بيريس بعد لقائه مع عاهل المغرب، الذي اشترط عقد اللقاء بمناقشة «مشروع فاس» الذي يعني انسحابا اسرائيلياً كاملاً حتى

حدود العام ١٩٦٧ ، بما في ذلك التخلي عن القدس الشرقية ، واقامة دولة فلسطينية مستقلة تكون القدس عاصمة لها . نحن نذكر عناوين الأخبار بعد كل رحلة يقوم بها بيريس إلى الخارج . في كل مرة يطل شيء جديد ، ولكن في العناوين فقط . نذكر لهاثه المذل وراء الرئيس المصري حسني مبارك ، كي يوافق على الاجتماع معه قبل المناوبة في رئاسة الحكومة . بيريس يعمل ويتحرك تحت الضغط ، وهو يُوجه من قبل مستشاري الإعلام المحيطين به » .

وبمرور أيام العام ١٩٨٧ - عام تحرك بيريس واندفاعه الجنوني نحو عقد مؤتمر دولي للسلام بين اسرائيل والاردن - تكشفت أكثر فأكثر اخفاقات بيريس في هذه القضية المريبة .

فقد دعت قمة عمان ، التي عقدت بحضور غالبية الدول العربية ، في ختام أعمالها بتاريخ ١١ تشرين الثاني ١٩٨٧ إلى عقد « مؤتمر دولي بمشاركة منظمة التحرير الفلسطينية » ، المصالحة التي تحققت في هذه القمة العربية بين « الحمائم » و« الصقور » كانت وهمية حسب رأي المعلقين ، وقد عقب رئيس الوزراء شامير مؤكداً أن « الدول العربية العشرين التي اجتمعت في قمة عمان لم تغير موقفها .. إنها تتحدث عن حشد العالم العربي ضد اسرائيل ، وعن عقد مؤتمر دولي بمشاركة منظمة التحرير الفلسطينية » .

الولايات المتحدة عقبت أيضاً بروحية مشابهة لأقوال شامير . مسؤولون كبار في وزارة الخارجية بواشنطن أضافوا إن « قرارات القمة لا تساعد في تحريك عملية السلام » . في المقابل سارع يوسي بيلين ، مدير عام وزارة الخارجية الاسرائيلية إلى حث واشنطن على « إيفاد مبعوثين إلى المنطقة بهدف دفع فكرة المؤتمر الدولي قدماً » ، وذلك لتخوفه - وفقاً لمصادر أميركية - من أنه إذا لم يتم احراز تقدم في القمة الأميركية - السوفييتية فإن « الموضوع برمته قد يُهمل ، ما سيؤدي إلى عواقب وخيمة » .

تضمن البيان الختامي للقمة العربية في عمان ، والذي تلاه الأمين العام للجامعة العربية ، عدداً من البنود والمواقف المتعلقة بالنزاع العربي - الاسرائيلي والمؤتمر الدولي ، والتي جاءت مناقضة لوعود وتعهدات بيريس ، الذي أضفى عليها دوماً نغمة تفاؤل ورؤية وردية ، لكنها كانت تفتقد إلى رصيد حقيقي .

ففي الفقرة الخاصة بالنزاع العربي - الاسرائيلي ذكر في البيان : ناقشت القمة النزاع

العربي - الاسرائيلي ومستجداته في الساحتين العربية والدولية، وأكدت مجدداً أن القضية الفلسطينية هي جوهر الصراع، وأن السلام في الشرق الأوسط لن يتحقق دون اعادة جميع الأراضي العربية المحتلة وعلى رأسها مدينة القدس، واعادة الحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني، وحل القضية الفلسطينية بكل جوانبها.

أكدت القمة أن تعزيز قدرة العرب وبناء قوتهم الذاتية وتكريس تضامنهم وموقفهم الموحد، تشكل عناصر أساسية في مواجهة الخطر الاسرائيلي الذي يتهدد أمن العرب جميعاً ويهدد وجودهم ومستقبلهم».

وحول المؤتمر الدولي، صنيعة شمعون بيريس، ذكر البيان :

«في نطاق دعم المساعي والجهود السلمية الرامية لإحلال سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط، في إطار الشرعية الدولية وقرارات الأمم المتحدة على قاعدة اعادة جميع الأراضي الفلسطينية المحتلة واعادة الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني، أيد الزعماء والقادة العرب عقد مؤتمر للسلام تحت رعاية الأمم المتحدة، وبمشاركة جميع الأطراف ذات الصلة، بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية، الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، كطرف متكافئ مع بقية الأطراف، وبمشاركة الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن، إذ أن المؤتمر الدولي هو السبيل الوحيد الملائم لتسوية النزاع العربي - الاسرائيلي من خلال التوصل إلى حل سلمي عادل وشامل. وجه القادة العرب تحية تقدير واعتزاز للشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلة، وأشادوا بصموده وكفاحه وتشبثه بأرضه، وسط تأكيدهم مجدداً على التزامهم بدعمه ومساندته».

ما هو البديل للمؤتمر الدولي؟

يمكن الإستناد إلى أقوال صرح بها شمعون بيريس في خطابه أمام الكنيست في حزيران ١٩٨٥، وصرح بها أيضاً سابقوه - وهم خصوم ألداء له - غولدا مائير، اسحق رابين واسحق شامير، وهم رؤساء حكومة ينتمون إلى المعسكرين الكبيرين، حيث قال بيريس في خطابه :

«أعتقد أنه يمكن القول لأصدقائنا وراء البحار وجيراننا شرق النهر، إن اسرائيل، ورغم كل العقبات والصعاب التي تقف على الطريق، تؤمن أنه يمكن التوصل إلى اجراء مفاوضات

مباشرة، وأن هذه المفاوضات قد تتمخض عن نتائج مثمرة، وأن اسرائيل مستعدة للمساهمة بشكل كبير، في سبيل دفع هذه المفاوضات قدر المستطاع».

هذا هو بيريس «نعم» وبيريس «لا» بفارق سنتين!

في نهاية العام ١٩٨٧، انضم خصم جديد إلى قائمة خصوم بيريس، وهو مسؤول حزب «العمل» في لواء تل أبيب، رئيس لجنة الاقتصاد التابعة للكنيست، الياهو شبايزر، الذي لعب دوراً أساسيا في فوز بيريس في المنافسة الحامية الوطيس على زعامة الحزب، والتي جرت أمام اسحق رابين آواخر العام ١٩٨٠. وقد وصف شبايزر، في مقابلة مع حاني كيم نشرتها صحيفة «هعير» في ١٣ / ١١ / ١٩٨٧، المؤتمر الدولي، كما «طَبَخه ويطبُخه» زعيم حزبه بـ «البطة العرجاء»، وأضاف قائلاً:

«أنا مع المؤتمر، لكن بيريس تصرف كلاعب بوكر. لم يكن لديه «بول هاوز» وإنما زوجان فقط. من حق كل لاعب بوكر أن يقامر، ولكن ليس باسم الدولة. لقد أملى رجل واحد خطوة عرجاء، وهو يريد اعتماداً على ذلك خوض الانتخابات. وقد قيل عن كل ذلك: لكل زعيم نزوته. كانت هناك فترة طيبة وانتهت. لا بد من إحداث تغيير قبل أن تغرق هذه السفينة».

في تشرين الثاني ١٩٨٠، قبل سبع سنوات بالضبط من انتقادات عضو الكنيست شبايزر، سمعت عن «خطر على اسرائيل» اسمه شمعون بيريس، وذلك على لسان اسحق رابين ومؤيديه الذين صرحوا لي بالأقوال والأمور التالية في نطاق سلسلة مقالات نشرتها في صحيفة «معاريف» تحت عنوان: «بيريس أم رابين: أن تكون أو لا تكون»: خلال العام ١٩٧٨ الذي شهد أزمة في محادثات السلام الاسرائيلية - المصرية، سعى بيريس دون علم حزبه ودون علم حكومة بيغن، للتوصل إلى تفاهم مع القيادة المصرية عبر نائب رئيس الوزراء المصري في ذلك الوقت حسن التهامي، الذي التقى موشيه ديان في المغرب عشية زيارة السادات للقدس، وقد أعدت، في نطاق مساعي بيريس، وثيقة تفاهم احتوت على «تنازلات كبيرة» لمصر، تتخطى وثيقة فينا التي اقترحها بيريس على السادات خلال اجتماعهما في النمسا، الذي توسط فيه المستشار النمساوي برونو كرايسكي. كان أبا إيبان، مرشح بيريس لمنصب وزير الخارجية، على اطلاع بهذا التحرك. منظر معسكر رابين، اسحق بن أهارون

صرح في ذلك الوقت (أواخر ١٩٨٠) إن هذا الـ «بيريس لم يتغير».

وأضاف، في لهجة ساخرة إنه (بيريس) الحمامة البيضاء الذي «تخلو حمائميته من المبادئ» واصفاً إياه بـ «التصفية». نشطاء معسكر رابين قالوا أيضاً عن بيريس في نهاية العام ١٩٨٠: إنه وأتباعه «يعكسون انعدام ثبات، ضبابية وغموضاً، وهي سمات لا يجوز أن تتحول إلى ملامح وسمات تميز الحزب وزعامته». في صيف العام ذاته جرى نقاش في «حزب العمل» حول اتفاقات السلام. أقوال زعيم الحزب شمعون بيريس أثارت غضب موشي حريف، أحد رؤساء الحركة الكيبوتسية الموحدة، نجم صاعد في حزب العمل، انتخب للكنيست العاشرة في صيف العام ١٩٨١، ولاقى حتفه في حادث طرق مأساوي في الجليل. وقد سارع «حريف» للرد على بيريس بكتابة عدد من أبيات الشعر المقفية، على قصاصة ورق أعطاها لصديق جلس بجانبه، وهو وزير سابق في حكومات «العمل»، جاء فيها:

يتكلم بسبعة ألسن
لساناً بعد لسان
حسب النغم الرّنان
ولكن ... ما الذي يريد قوله؟!

كذلك انضم إلى منتقدي بيريس في العام ١٩٨٠ - والذين يقولون في العام ١٩٨٨ إن «الرجل لم يتغير بل على العكس أصبح أكثر سوءاً، ولا يطاق كزعيم ووزير، إنه مليء بالخداع والمكائد ونهجه سيئ وخطير على اسرائيل» - العديد من مؤيديه في ذلك العام، مثل عضو الكنيست شبايزر الذي قال في نفس المقابلة سالفة الذكر:

إذا كانوا غير راضين عن شمعون بيريس، ويريدون تغييراً .. لماذا يبكون بصمت؟! لقد أيدته طيلة الوقت، بما في ذلك في صراعه مع رابين. اليوم أشعر بتأنيب ضمير إزاء الطرق والأساليب التي أتبعت في ذلك الوقت من أجل تأمين الأغلبية.. أصبحت قريباً جداً لرأي رابين في ذلك الحين .. هناك شعور لدى كل زعيم بأنه هو الأساس، الجوهر. بيريس أيضاً يتصرف إلى حدّ كبير كما لو كان هو الحزب. لقد تحولت الديمقراطية إلى ملكية، وليس مهماً كيف نسمي ذلك.

سرنا مع بيريس ودعمناه في وقت لم يكن يشكل فيه كنزاً أو ثروة انتخابية في حزب العمل، بل عاش عشر سنوات عجاف، وظهر في نظر الرأي العام كعائق أمام الحزب .. كل ما إدعاه بيريس ضد غولدا مائير وليفي أشكول وسابير، وكل اللغط عن انعدام الديمقراطية في الحزب وكم الأفواه التام، عاد ليطل برأسه من جديد خلال السنوات العشر الأخيرة.. وفي اللحظة التي صعد فيها بيريس إلى السلطة، اختفت كل المجموعات والتكتلات التي احتواها الحزب. اليوم لم يعد هناك سوى جماعات وشِلَل لتقاسم الغنائم تتستر بقناع أيديولوجي.. كذلك فإن التحالف بين بيريس ورابين قضى عملياً على أية فرصة أو امكانية لخوض نضال جديد، وعزز النزعة المحافظة والابقاء على ما هو قائم...».

شمعون بيريس لم يتغير، إنه كما يقال: «نفس السيدة بزينة مختلفة». قد يكون مؤيدوه ومنتقدوه هم الذين تغيروا في نظرتهم له. بيريس، ومنذ أيام شبابه في «أرض اسرائيل» بعد هجرته العام ١٩٣٤ من مسقط رأسه «فيشنيڤا» في بولندا، كان ولا يزال مُخادعاً وانتهازياً، وأصبح بعد قيام الدولة، لا سيما منذ أن اكتسب قوة سياسية، «خطراً على اسرائيل».

من هو شمعون بيريس ؟

ذات مرة سافر شمعون بيريس برفقة الكاتب شاي عغنون إلى «سديه بوكر» لزيارة دافيد بن غوريون، الذي اعتكف في هذا الكيبوتس الواقع في قلب صحراء النقب، وذلك عقب استقالته من الحكومة. وفي الطريق دار حديث بين بيريس وعغنون، حيث قال الأخير لبيريس «انت يا سيدي توحي بثقة مفرطة، لدرجة أنه يمكن لها ايقاع المرء في شرك».

بعد مرور عدة سنوات، وفي أحد اجتماعات حزب «رافي» وصل بيريس، حسبما يروي ذلك يوسيف الموغي، متأخراً لكن بمعنويات عالية. قال: إنه عائد من حديث مع شاي عغنون الذي قال له (على ذمة بيريس): «أنت أيها الشاب اليافع خطير لأن لسانك عذب سلس».

شمعون بيريس (فراسكي) ولد في الأول من آب ١٩٢٣، في مدينة «فيشنيفا» في بولندا، حيث عمل والده تاجراً للأخشاب. وببلوغه الحادية عشرة (العام ١٩٣٤) هاجر الى البلاد مع شقيقه غرشون (غيغي)، وذلك بعد حوالي ثلاث سنوات من هجرة والده «فراسكي». بعد عدة سنوات من تلقي التعليم في مدرسة «بلفور» قبل شمعون بالواسطة، بينما كان

عمره ١٤,٥ ، أي بعد ثلاث سنوات ونصف من هجرته ، في مؤسسة «قرية الشبيبة - بن شيمن» وهي ليست مدرسة ثانوية اعتيادية كحال مؤسسات التعليم الأخرى. وكان بيريس حاول قبل ذلك دون جدوى الالتحاق بالمدرسة الثانوية للتجارة في تل أبيب. عندما بلغ الثامنة عشرة (العام ١٩٤١) كان يخرج من «قرية الشبيبة» لتلقي تأهيل في كيبوتس «غيبع». لم يحصل بيريس قط على تعليم عالٍ. وببلوغه الثانية والعشرين، (العام ١٩٤٥) تزوج سونيا غيلمان، ابنة معلم النجارة في «بن شيمن»، وكانت أيامها مجندة مسرحة من الجيش البريطاني خدمت في الجبهة الاوروبية كسائقة. أما عريسها الجديد (بيريس) فكان في ذلك الوقت عضوا في كيبوتس «ألوموت» (الذي انضم اليه العام ١٩٤٢) الكائن في الجليل الأعلى، لكن بيريس لم يلبس قط في حياته زي الجندية.

منذ وجوده وعضويته في الكيبوتس صار بيريس ناشطاً حزبياً، حيث عمل سكرتيراً وأمينا للصندوق. بعد مرور سنتين على زواجه، وحتى في السنوات السابقة، كان يمضي وقتاً خارج البيت اكثر من مكوثه فيه، بداية في حركة «الشبيبة العاملة والمتعلمة»، ثم في «الهاغناه» وبعد ذلك في وزارة الدفاع. عندما كان مرشداً في الحركة، حصل على دراجة نارية من الحزب ليتسنى له التنقل بسرعة بين فروع الحركة. كان ليڤي شكولينك (أشكول) مسؤولاً عنه في ذلك الوقت، حيث كلفه بالعمل كواحد من أربعة أمناء لحركة «الشبيبة العاملة»، وكان الأمناء الثلاثة الآخرون يمثلون حزب «أحدوت هعفودا» الذي كان يتمتع بثقل كبير في تلك الأيام في «حركة الشبيبة»، التي تحولت بعد عدة سنوات لتصبح واحداً من معاقل حزب «مباي». فلم يكد يمر عام على تولي بيريس لمهمته في الحركة، حتى صار الأمناء الثلاثة الآخرون في خبر كان .. (هكذا اعتاد بيريس نفسه على التباهي بانجازاته في آذان أي مستمع يصادفه في طريقه !). فقد أفلح بيريس في تهميش الثلاثة وتجريدهم من صلاحياتهم بطريقته التآمرية التي نالت اعجاب أشكول، الذي سارع في أيار ١٩٤٧ إلى دعوة بيريس لتولي وظيفة غامضة في «البيت الأحمر» (مقر حزب «مباي») في شارع اليركون في تل أبيب، والذي اتخذت منه منظمة «الهاغناه» مقراً لها.. الوظيفة التي أنيطت ببيريس هي رئيس قسم الطاقة البشرية. بعد مرور عشر سنوات، في العام ١٩٥٧، قررت الجمعية العامة

لكيبوتس «الوموت» الغاء عضوية بيريس في الكيبوتس نظراً لتغيباته وانقطاعه الطويل. (في العام ١٩٦٨ تمت تصفية الكيبوتس وحله نهائياً بعدما تركه غالبية أعضائه، ولم تخفّ تعزيزات جديدة لنجدته أو انقاذه).

بعد عدة سنوات من زواج شمعون وسونيا ولدت في الكيبوتس ابنتهما البكر تسابيا (تسيكي)، خبيرة فقه اللغة المتزوجة من الدكتور رافي ڤلون، اخصائي أمراض الدم، ولهما ثلاثة أولاد. انتقلت عائلة بيريس من كيبوتس «الوموت» لتقيم في حي «ياد الياهو» في تل أبيب، حيث رزقا بابنهما يهونتان (يوني) خبير البستنة، مطلق الصحافية فيليس غلزر، ثم رزقا بعد ذلك بابنهما الأصغر نحميا (حامي) الذي سمي على اسم نحميا ارغوب سكرتير «بن غوريون» العسكري الذي أقدم على الانتحار. نحميا بيريس طيار تزوج فتاة (يهودية) من أصل مغربي وله ولد واحد.

سونيا وشمعون يمثلان عالمين مختلفين، فهو ملهوف على الدعاية والشهرة الذاتية، وعلى تنمية عبادة شخصيته، مغرم بلا حدود بمشاهدة نفسه على شاشة التلفزيون، وباختصار، يحب الشهرة كي يتسنى له في كل يوم تزيين عناوين الصحف، والظهور في التلفزيون والحديث في الراديو، في حين أن «سونيا» متقوقعة إلى حد غير معقول.

ويقول عالمون بخبايا الأمور: إن سلوك «سونيا» ربما يكون رد فعل ناتج عن مسلكيات زوجها التي لا تعجبها، ومن هنا هربها وابتعادها عن الأضواء، وتركها لبيريس يخرج وحده في الزيارات الرسمية أو الاجتماعية داخل البلاد وخارجها! وتعرف «سونيا» جيداً إحدى صفات زوجها، وهي وقوعه السهل في حب الناس (..).

لقد خبا نجم شمعون بيريس في «مباي» وفي دولة اسرائيل عموماً. في حرب الاستقلال (حرب العام ١٩٤٨) تولى بيريس رئاسة جهاز سلاح البحرية بصفة مسؤول مدني (غير عسكري)، وفي منتصف العام ١٩٤٩ توجه إلى الولايات المتحدة الاميركية، ومكث فيها لغاية مطلع العام ١٩٥٢، بصفة ناشط أمني. وبعد مرور سنة (العام ١٩٥٣) عين مديراً لوزارة الدفاع. وباعتباره الرجل الثاني في وزارة الدفاع، تحت قيادة رئيس الوزراء ووزير الدفاع بن غوريون، صار لبيريس - وهو في الثلاثين من عمره فقط - والذي تميز عن الآخرين من

أبناء جيله بجريه ولهاثه وراء الشهرة والمجد عبر تحقيق مصالحه الذاتية، وامتلاك المزيد من القوة والنفوذ، أعداء كثيرون وفي طليعتهم بنحاس لافون، خليفة بن غوريون في منصب وزير الدفاع (من العام ١٩٥٤ وحتى ١٩٥٥ في حكومة شاريت. استقال في شباط ١٩٥٥)، وموشيه شاريت الذي أصبح ثاني رئيس وزراء، عقب استقالة بن غوريون في كانون الأول ١٩٥٣ (من كانون الثاني ١٩٥٣ ولغاية تشرين الثاني ١٩٥٥).

بالامكان التعمق في التعرف على شخصية شمعون بيريس، من خلال تصفح مذكرات موشيه شاريت المثيرة التي جاءت في ثمانية أجزاء. كان شاريت، كرئيس للوزراء ووزير للخارجية، مراقباً ثاقب الرؤية، فصيح اللسان وذا قدرة على التحليل. الصورة التي يرسمها عن بيريس على امتداد سنوات من التعارف والعمل المشترك في نفس الحكومة، ظهرت بمرور السنوات صورة بمنتهى الدقة. فشاريت الذي حذر من بيريس بلهجة لا تقبل التأويل (... سأمزق ثيابي حزناً على الدولة إذا رأيته يجلس على كرسي وزير في اسرائيل.. الخ) رأى المستقبل قبل سنوات طويلة من وصول الرجل، الذي جزع كثيراً من مكائده، إلى تبوّء منصب رئيس الوزراء (١٩٨٤ - ١٩٨٦) وقائماً بأعمال رئيس الوزراء ووزير الخارجية (١٩٨٦ - ١٩٨٨)، وقبل ذلك وزيراً للدفاع، والنقل، والاتصالات، والاعلام، وغيرها من المناصب الرفيعة، التي ترك فيها كلها وراءه رواسب قاسية وخطيرة.

أخبار صنائع مدير عام وزارة الدفاع شمعون بيريس، بدأت تتناهى إلى مسامع شاريت منذ شهر تشرين الأول العام ١٩٥٣. فقد أخبره المتحدث باسم الجيش الاسرائيلي المقدم نحمان كارني، الذي دعاه شاريت في مذكراته (الجزء الأول) باسم «الضابط الأجذم» إن «مدير عام وزارة الدفاع يتآمر على القائم بأعمال وزير الدفاع (لڤون) دون توقف، ويتحايل ليسلب منه مجالات عمل لينقلها..

■ ٥ كانون الثاني ١٩٥٥، الجزء الثالث: في المساء جاء «كاسا» إلى البيت [يونا كاسا من قدماء مباي ومن مؤيدي لڤون] وتناول الطعام معنا، ثم بدأ مجدداً بالحديث عن قضية لڤون. حسب روايته (لڤون) فقد تآمر عليه رئيس الأركان (ديان) ومدير عام وزارة الدفاع،

بهدف القضاء عليه سياسياً. رئيس الأركان في نظره يشبه (أديب) الشيشكلي، فهو مستعد لأن يزيل من سكته كل من يقف في طريقه.

■ ٩ كانون الثاني ١٩٥٥ : تيدي كوليك الذي تولى منصب مدير عام مكتب رئيس الحكومة، يقوم بزيارة ليلية لشاريت: قدم تيدي وصفاً مقلقاً جداً لوضع العلاقات في القيادة الأمنية. وزير الدفاع معزول كلياً، ولا يستطيع أحد من القادة الكبار أن يبادله حديثاً ودياً. في أثناء التحقيق [في شأن «القضية المخزية» في القاهرة] تواطأوا على التشهير بالوزير وافشاله. التقطوا الرجل الذي جاء من الخارج (قائد الوحدة في مصر أبرهام زايد نبرغ («باول فرانك» «إلعاد»، و«الشخص الثالث») الذي هرب من مصر بعد أسبوعين من اعتقال أفراد الشبكة) ولقنوه بالتفصيل كيف يرد على الأسئلة، بما في ذلك كيف يكذب، وحرصوا عموماً على تنسيق الشهادات كي تدور الدوائر على لڤون وتجريمه.

■ ١٠ كانون الثاني ١٩٥٥ : ألقت جريدة «لمرحاڤ» (لسان حال كتلة «أحدوت هعڤودا» في «مبام») بـ«قنبلة» بنشرها لخبر مفاده أن بن غوريون أدار الظهر لـ«لڤون» وأعلن أن تعيينه له يشكل أفدح خطأ في حياته. وكتب شاريت مقتبساً ما كتب عنه في الصحيفة المذكورة: أنا الذي تآمرت ونجحت في تحريض بن غوريون ضد لڤون .. الخ .. الخ. نسيج من الافتراءات والكذب السافر.. أنا عالق أيضاً في جهودي الرامية لـ«تجنيد» بن غوريون، ومعي الحق أيضاً بشأن قرار الحكم الجائر الذي أصدره بن غوريون ضد خليفته. ياعل ڤيرد [موظفة في وزارة الخارجية] أتت ثائرة غاضبة ازاء نشر هذه التلفيقات. فهي واثقة أن شمعون بيريس خدع وضلل صحيفة «لمرحاڤ». ويتضح أن نفس العبارة التي يرددها بن غوريون الآن، عن خطئه الفادح، قيلت أيضاً لبيريس. إن محاولة إلقاء تهمة التحريض عليّ. ربما ضُخمت باضافة من اتباع كتلة بن غوريون، وربما كانت أيضاً من صنع أعداء لڤون في وزارة الدفاع.

■ في ١٤ كانون الثاني ١٩٥٥ كان شمعون بيريس قد كشف أمره كمسرب للمعلومات، يستغل وسائل الاعلام لأغراضه، وخصوصاً بهدف تصفية حسابات مع خصومه، وآخرين عبر شبكة من «صحف البلاط» التي تخضع لإمرته. وهو بهذه الطريقة أيضاً يحقق دعاية ومنفعة لنفسه. ففي كل صحيفة، وفي الراديو والتلفزيون، توجد لبيريس عيون مخلصة.

ويكتب شاريت في مذكراته:

بعد الظهر حضر شمعون بيريس ثائراً إزاء قصاصة ورق ارسلتها له، وحذرته فيها من اطلاق العنان للسانه في الشؤون الخطرة المطروحة على بساط البحث. فسرت إتهامي - بلغني أنه تحدث علناً وعلى رؤوس الأشهاد عن قضية التحقيق [في قضية فضيحة التجسس في مصر] واعتراف بن غوريون بأن «تعيين لڤون كان أكبر فشل أو خطيئة في حياتي». وقد وصل الكلام نقلاً عنه كما يبدو، إلى «لمرحاڤ». أنكر شمعون التهمة بشدة وعزا المسؤولية إلى آخرين. امتنعت عن الخوض معه في غمار الأمر، لكنه أرغمني على الاستماع إلى أن العلاقات مع وزير الدفاع تقوضت تماماً، وأنه منذ أسبوعين لم تعقد جلسات، وإذا مضى اسبوع آخر على هذا المنوال فسيشيع أمر الوضع، ولا يعود في الامكان اصلاحه. [رئيس الوزراء اسحق رابين أيضاً خاض مثل هذه المكاشفة مع وزير الدفاع بيريس، بسبب تسريبات لأسرار الدولة، وقد رفض بيريس أن يخضع لفحص بجهاز كشف الكذب - أنظر لاحقاً].

■ ١٨ كانون الثاني ١٩٥٥: قال أشكول: إنه يجب إبعاد شمعون بيريس، كما ولم يدّخر في كلمات التهجم على رئيس هيئة الأركان العامة.

■ ٦ شباط ١٩٥٥: عقد «اجتماع الخمسة» في شقة شاريت، وذلك لاتخاذ قرار في قضية لڤون. المشاركون في الاجتماع هم: رئيس الوزراء، والوزراء ليڤي أشكول، زلمان أران، غولدا مائير وبنحاس لاڤون. وقد كتب «شاريت» في مذكراته / الجزء الثالث: لم يحاول لڤون إنكار ذنوبه السابقة، لكنه قال وكرر القول: إنه لا يمكن أن يطلب منه العمل مع أشخاص يتآمرون عليه ويدبرون له المكائد دون توقف، ويحيطونه بالخداع والتزييف.. وأنه لن يستمر في العمل مع شمعون بيريس في وزارة الدفاع، ومن خلال اعتماد كلي على رئيس الأركان، فيما يتعلق بجميع الشؤون العسكرية. روى لي أمثلة لا تعد ولا تحصى عن مكائدهما وأساليبهما القذرة، خاصة مكائد وأساليب بيريس.

■ ١٠ أيار ١٩٥٥: كشف شاريت للمرة الأولى عن أن بيريس يتجاوز صلاحياته كوزير للخارجية، وأنه يدير سياسة خارجية مستقلة في مضمار المشتريات العسكرية. وقد وجهت لبيريس اتهامات مشابهة لا حصر لها، عندما حلت غولدا مائير مكان شاريت في وزارة

الخارجية. كتب «شاريت» في الجزء الرابع من مذكراته: إتضح أن رئيس الأركان ومدير عام وزارة الدفاع (بيريس) أجريا بهذا الشأن محادثات مع السفير الفرنسي في اسرائيل، من دون علم وزارة الخارجية. إنه عمل أهوج لا يمكن حدوثه إلاّ عندنا فقط، وعلى أي حال ليس في فرنسا ذاتها. قررت في المشاورات أن لا أدع هذا التصرف المستهجن يؤثر عليّ، وأن أناقش جوهر الموضوع بملموسيته.

[الموضوع: بيع مدافع وطائرات نفاثه لاسرائيل، وازالة القيود التي تعيق وصول شحنات الأسلحة من فرنسا].

■ ٤ تشرين الأول ١٩٥٥: كتب شاريت عن شمعون بيريس «المُسرِّب والخطير»: نشر في الصحف خطاب مدو لمدير عام (وزارة) الدفاع في الاجتماع السنوي لموظفي الوزارة، خطاب حافل بالتباهي والتفاخر بانجازات الجيش الاسرائيلي في (مجال) مشتريات الأسلحة وتصنيعها، في تناقض صارخ مع التوجه الذي قررناه بالأمس، أنا وبن غوريون، في أعقاب جلسة الحكومة، بأن نبرز في البيان الرسمي تفوق تسليح مصر، وتخلف أسلحة وعتاد الجيش الاسرائيلي. فم شمعون بيريس المفتوح على مداه، نطق على سبيل المثال بالدُّرر التالية: «في مجال سلاح المدفعية بلغنا تقريباً نقطة الإشباع». أي مظهر مخجل هذا لفقدان التنسيق بين الحكومة بمجملها - بما في ذلك وزارة الخارجية طبعاً، وبالقطع وزير الدفاع أيضاً - وبين وزارة الدفاع في حدّ ذاتها! إنها شهادة على التسيب في هذه الدولة، وبالذات على الصعيد الخارجي، والأنكى في مجال الأمن، وفي هذا الوقت بالذات!.

■ ١٤ نيسان ١٩٥٦، الجزء الخامس: شاريت يتهم «رجالات وزارة الدفاع» والمقصود واضح هنا ومكشوف - بتقديم رشاوى: حديث مطول مع يعقوب تسور [سفير اسرائيل في فرنسا] حول نشاطات ممثلي وزارة الدفاع في فرنسا.

بيريس سافر، تآمرات ديان، المصطلحات [مصطلحات رجالات الأمن] رشاوى وما شابه. كل شيء جائز..

■ ٣٠ كانون الثاني ١٩٥٧، الجزء السادس: موشيه شاريت يكتب ليعقوب تسور، سفير اسرائيل في فرنسا عن «تزوير التاريخ» بالنسبة له من جانب بن غوريون ومن خلال

مؤامرات بيريس المستمرة. في تلك الأيام هاجم ب. غ علناً في «جبعات حاييم» عهد شاريت كرئيس للحكومة في شؤون مشتريات الأسلحة. ويعلق شاريت في رسالته قائلاً: تم تشويه سمعتي أمام الشعب كلّه وذلك إثر .. تمسك بالتوافه من جانبي فيما يتعلق بقواعد وأحكام السلطة والنظام، وأكثر من ذلك بسبب حرصي الزائد على الشكليات والبروتوكول، و.. منعت أو أعقت جهوداً لانقاذ الدولة عن طريق شراء أسلحة في الوقت المناسب .. هذه الأمور قيلت أمام جمهور مكون من ألف شخص كما أنها نشرت في «معاريف»، أنا لم أصل بعد إلى هذه الدرجة من التفريط بسمعتي وشرفي، ومن الاسهام في تزوير التاريخ.. أحاول تكهن ردة فعل «الطرف المضاد» بما في ذلك شمعون بيريس، ازاء نفيي ودحضي لهذه الأمور.

ليس هناك أي سبب يدعو شمعون بيريس للتغاضي عني أو عنك.. عملياً فقد تآمر بيريس في كل الاتجاهات، بما في ذلك قبل استقالتي..

■ ٢٣ حزيران ١٩٥٧ – الجزء الثامن – شاريت يتحدث عن بيريس المُسرِّب: في الصحف تصريحات مدوية لشمعون بيريس في أمسية أسئلة وأجوبة نظمتها رابطة الصحافيين في «بيت سكولوف».

إنها صورة مذهلة للتسيب السياسي في دولة ديمقراطية! موظف اداري يجيز لنفسه – وعملياً الحكومة تجيز له – اطلاق تصريحات صاخبة حول نوايا الحكومة، وإتحاف الرأي العام بمفاجآت من شتى الأنواع: إذا استخدم عبد الناصر الغواصات السوفييتية ضد اسرائيل، فإن اسرائيل ستلجأ إلى سلاح فتاك أكثر. التحرشات المستمرة لن تمر دون رد، وليس بالذات بالطريقة السابقة. ولكن الرد سيأتي لا محالة.. ليس هناك أية جدوى لارسال سفينة اختبار إلى قناة السويس، إذ سبق وأن ضحينا بـ«بات غليم» لن نضحي بسفينة أخرى عبثاً. التصريح الأخير (من جانب بيريس) طائش تماماً، لأنه يتناقض بصورة تامة مع موقف رئيس الحكومة ووزارة الخارجية وموقف بعثتنا في الأمم المتحدة.. وبذلك فإن الحكومة تتخذ صيغة معينة لتحديد سياستها تجاه مسألة ملحة مطروحة على بساط البحث، في حين نجد أن مدير عام (وزارة) الدفاع يدوس على تلك الصيغة ويستخف بها، ويقدم للجمهور صيغة خاصة به. من الصعب وصف هذا المستوى من العبثية والوقاحة.

بعد الظهر حديث مطول مع غيور [غيورا يوسبيتال الذي كان من رؤساء «مباي» ووزيراً من طرف حزب العمل في الكنيست الرابعة]. سألته عن تسيب شمعون بيريس. فقال: إنه كتب صباح اليوم في هذا الخصوص إلى ب. غ وغولدا، لكنه واثق من أن رسالته لن تجدي نفعاً. فـبن غوريون يترك بالتأكيد الحبل على غاربه لأشخاص مثل بيريس والموغي دون التفكير بالعواقب.

■ ٢٤ حزيران ١٩٥٧: لا حدود للتسيّب والفلتان السائدين، ويتضح اليوم أن شمعون بيريس ونحميا ارغوب ويوسيف الموغي هم الذين يحكمون الدولة.

■ ٢٣ آب ١٩٥٧: شاريت يضرب على وتر بيريس الحساس، الجهل.. حيث كتب يقول: صحيفة «دافار» تبرز مقال شمعون بيريس حول مشكلة مركزية في السياسة الخارجية، وهي الاتصالات والعلاقات مع أوروبا.. وفيما عدا أن المقال من ألفه إلى يائه مألوف ومعروف للشعب في اسرائيل - وإن تضمن بعض الأفكار الجديدة - فإن ما يثير الدهشة هو قيام مدير عام في وزارة الدفاع بالتحدث علناً في منبر عام عن مشكلات السياسة الخارجية، دون رادع أو خجل!.

■ ١٨ أيلول ١٩٥٧ - شاريت يتهم بيريس بممارسات فاسدة. في نفس اليوم التقى مع ليفي اسحق هيورشلمي، من مؤيدي بنحاس لفون (حالياً مساعد محرر صحيفة «معاريف»). وقد تحدثا عن الحزب والصحف.. وكتب شاريت عن هذا الحديث: جل ما قصدته هو التحذير مرة أخرى من اصدار صحيفة مسائية تحت راية الحزب، سواء كصحيفة رسمية ناطقة باسم الحزب، أو كمشروع خاص لعدد من أعضاء الحزب «معاريف» سترى في ذلك اعلان حرب وسترد بناء على ذلك. فوجود عدد من موظفي وزارة الدفاع ضمن المجموعة المبادرة يعد أمراً مشبوها في نظر الصحيفة يستدعي المساءلة. إن جنون الدعاية الذاتية لدى شمعون بيريس أمر معروف للجميع.. إنه «يبني ويقوي نفسه» دون توقف، بصورة مدروسة، ومن خلال مواظبة لا يحدها عائق، عن طريق اقامة علاقات شخصية مع صحف وصحافيين، ونشر مقالات واجراء مقابلات والاهتمام بترويج الدعاية لنفسه، وسط قيامه بالخفاء باغداق الأموال والمخصصات من الميزانيات السرية الموجودة تحت تصرفه. ألا تشكل يقظة عدد من الرفاق

المخلصين لسد النقص في ميزان دعاية الحزب عن طريق اصدار صحيفة مسائية، ولو بادعاء أن ذلك سيتم على عاتقهم الشخصي، غطاء لمؤامرة بيريس؟!

■ ٣٠ أيلول ١٩٥٧: زئيف [زئيف شرف، سكرتير الحكومة] ذكر أن غولدا تعيسة بشكل لا يوصف. معزوفة سمعتها كثيراً ولا تثير أية شفقة في قلبي. قلت: إنها تستحق ذلك، لأنها تسلمت المنصب الجديد (منصب وزيرة الخارجية بعد استقالة شاريت) وهي تعي وتعلم مسبقاً أن عليها أن تتكيف مع بن غوريون في كل شيء، دون أن تنبس بكلمة. قال زئيف: إنها بالتأكيد لم تتوقع إلى أي حدّ يمكن أن تصل الأمور، وإلى أي مدى من التجاهل والإذلال. الآن عليها أن تغض الطرف عن مهمات وسفريات شمعون بيريس إلى فرنسا وما يتعلق بالمنظمة الأوروبية وحلف الناتو والقضايا التي تتصدر اهتمام العالم، دون أن تحاط علماً حتى بفحوى تلك اللقاءات.

■ ١١ تشرين الأول ١٩٥٧: في هذه الأثناء حصل شيء جديد يثير الدهشة والتساؤل. الرئيس (رئيس الدولة اسحق بن تسفي) حصل على قلادة شرف من وزير خارجية سلفادور الذي يزور البلاد. الانطباع (الذي تثيره الصور التي نشرت في الصحف) يشير إلى تسيب تام في مراسمنا الدولية. فقد تقرر في السابق مبدأ يقضي بأن لا نتلقى هدايا وأوسمة تقدير أجنبية، لأننا لا نستطيع أن نكافئ بالمثل. هكذا تتصرف أيضاً الولايات المتحدة. بناء على ذلك رفضت السماح لعدد من ممثلينا الحصول على أشياء من هذا القبيل من حكومات أجنبية، كما رفضت ذلك شخصياً أثناء زيارتي لأميركا الجنوبية. لكن واضح أن شمعون بيريس، مدير عام (وزارة) الدفاع المبجل، شخصية استثنائية، حيث سمح له بالحصول على «وسام الشرف» الفرنسي، وها هو الآن رئيس الدولة بنفسه يتشرف بالحصول على وسام من السلفادور! إنه استهتار يعكس التسيب الحاصل في مفاهيم أساسية تتعلق بشرف الدولة.

هذا ما ورد في مذكرات موشيه شاريت.

انتخب شمعون بيريس العام ١٩٥٩ للمرة الأولى عضواً في الكنيست من طرف حزب «مباي» بتشجيع وضغط من بن غوريون، وعين بعد ذلك في منصب نائب وزير الدفاع.

وراحت الصراعات بينه وبين وزيرة الخارجية غولدا مائير - وليس معها وحسب - تتعمق أكثر فأكثر. كذلك فقد قُيِّضَ لـ «إيسار هرئيل»، الذي تولى منذ العام ١٩٥٢ ولغاية استقالته في العام ١٩٦٣ منصب رئيس جهاز «الموساد» ومسؤول أجهزة الأمن، ولرئيس هيئة أركان الجيش حاييم لسكوف، معرفة بيريس على حقيقته كمخادع دساس، ومتآمر لا يكل على مركزهما الرفيع.

قبل أكثر من عام على تولي بيريس لمنصب نائب وزير الدفاع، أخذ نفوذه يزداد ويقوى من وراء ظهر وزير الدفاع «العريض» دافيد بن غوريون. كانت غولدا مائير ضحية دائمة لمؤامرات بيريس الهادفة إلى التعدي على صلاحياتها، كما فعل بـ «موشيه شاريت»، بل وبصورة أشد خطورة وازعاجاً. في آذار ١٩٥٨ انفضح بشكل مدو أمر صفقة الأسلحة التي حاكها بيريس على عاتقه مع جمهورية الدومينيكان، خلافاً لتعليمات وزيرة الخارجية غولدا مائير، حتى أن المتتبع الرسمي لسيرة حياة بيريس، الصحافي ماتي غولان، سكرتير تحرير صحيفة «هآرتس» (الذي استقال في الأول من أيار ١٩٨٨ ليحل مكانه حانوخ مرمري) وجه له في كتابه انتقادات في هذا الخصوص، حيث كتب يقول:

لن يكون باستطاعة جميع المبررات الانتقاص أو التقليل من شأن حقيقة أنه أخل بأوامر صريحة. لولا الخلل الذي حدث، ربما كان سيحظى بالثناء والمديح في وقت لاحق، على ما فعل.. لكن حيث أن الخلل حصل، فقد وقع ضرر سياسي جسيم. وكانت هذه الفرصة الذهبية التي انتظرها الكثيرون في وزارة الخارجية، وعلى رأسهم غولدا مائير، للانتقام من بيريس.

ويضيف غولان:

«لقد عارضت غولدا منذ أن حلت مكان موشيه شاريت في وزارة الخارجية، تحركات بيريس وأسلوب عمله. وأضحت المشاحنات بين الاثنين عادة روتينية استدعت في الكثير من الحالات تدخل بن غوريون..».

كان شمعون بيريس في ذلك الوقت من قادة الأعضاء «الشباب» الذين ناضلوا بضراوة ضد «الشيوخ» بل ووصفوهم بـ «الحرس القديم». وكان نائب وزير الدفاع (بيريس) في نظر

هؤلاء شخصاً بغيضاً ممقوتاً أكثر من أي «شاب» آخر من شبان الحزب. ويذكر يوسيف الموغي في المقابلة أن «بيريس نغص حياة غولدا مائير».

وأضاف: أن «غولان» أسقط من كتابه «عدة سطور مهمة عثرت عليها في مذكرات بن غوريون». فبعد الاستيضاح من بن غوريون بشأن قضية بيع الأسلحة للدولة المعنية (الدومينكان) في أميركا الجنوبية، والتي أكد فيها موقف غولدا محذراً بيريس من مغبة الاقدام على عقد صفقات بيع أسلحة دون ابلاغه والحصول مسبقاً على موافقته، «منع بن غوريون - حسب قول الموغي - نائبه بيريس من السفر إلى لندن وباريس إلى حين عودة غولدا». ويعتبر الموغي هذا الاجراء الذي اتخذه بن غوريون بحق نائبه «أفضل دليل على الصورة التي رأى فيها بن غوريون شمعون بيريس، حيث اعتبر أنه يثير الفتن ضد غولدا».

وقد تطرق ماتي غولان، الذي قام خلال عامي ١٩٨٧ و١٩٨٨ باعادة تدقيق السيرة التي كتبها عن بيريس، وذلك بغرض اصدار كتاب جديد توطئة لانتخابات الكنيست في العام ١٩٨٨، بحيث يتضمن السنوات التي أمضاها بيريس في المعارضة وفي الحكم اعتباراً من العام ١٩٨١؛ تطرق إلى المقاطع التي أضافها لكتابه «بيريس» حول العلاقات بين غولدا مائير وشمعون بيريس. ووفقاً لما ذكره «غولان» فقد «استند» إلى مقابلات أجراها مع شخصيات مختلفة، ولكن «دون الاستناد ولو إلى كلمة واحدة على لسان بيريس نفسه» وذلك توخياً منه لالتزام الموضوعية.. وأضاف أنه استعان بمذكرات بن غوريون «التي أطلعني عليها ميخائيل بار زوهر» (الذي كان عضو كنيست من طرف «حزب العمل»)، واضع سيرة حياة بن غوريون(*)، الذي أطلعه أيضاً على «المقاطع ذات الصلة».

سألت ماتي غولان إذا كان لا يرى ضيراً في حقيقة أنه، وكسكرتير تحرير في «هآرتس» و«موظفه» عكيفا ألدار في نفس الصحيفة الذي يعمل في وظيفة حساسة وهي المراسل السياسي للصحيفة في القدس، يقومان بشكل مشترك بتأليف كتاب جديد عن سيرة حياة شمعون بيريس، الذي يقومان يومياً بالكتابة عنه وعن أعماله أيضاً في صحيفتهما «هآرتس»؟!.

(*) ميخائيل بار زوهر «بن غوريون» - عام عوفيد - الجزء الأول (١٩٧٥) والجزئان الثاني والثالث (١٩٧٧).

إجابة غولان، تثير التساؤلات بشأن شخصية وطابع الصحافي والاعلامي البارز في اسرائيل، حيث قال: «هنا في اسرائيل، هذا مقبول جداً. فبهذه الطريقة تكتب الكتب حول الشؤون الاقتصادية أيضاً. حسناً، أنا أعرف آراءك، ولكن ليس هناك كثيرون يفكرون بالطريقة التي تفكر بها. فالغالبية يتصرفون مثلي بالذات. في العام ١٩٨٢ أيضاً، عندما صدر كتابي عن بيريس، كنت مراسلاً سياسياً للصحيفة في القدس».

لعله من الجدير هنا التذكير مجدداً بأقوال موشيه شاريت في العام ١٩٥٧ عن شمعون بيريس والصحافيين الاسرائيليين حيث قال: إنه يبني نفسه دون توقف .. من خلال بناء وتوطيد علاقات شخصية مع الصحف والصحافيين.

بيد أن الكثيرين من الصحافيين والمحررين في اسرائيل، يستسلمون طوعاً، ولا يحتاجون مطلقاً لأية رعاية.

*

في العام ١٩٦١ استقال حاييم لسكوف من منصب رئيس هيئة الأركان العامة، وذلك بعد فترة قصيرة نسبياً من توليه لمنصبه الرفيع الذي تسلمه في العام ١٩٥٨. استقالة لسكوف جاءت على خلفية نزاع وخلافات نشبت بينه وبين نائب وزير الدفاع شمعون بيريس. وتعتبر الشهادة التي أوردها في كتابه اسحق رابين، الذي كان من كبار ضباط الجيش الاسرائيلي في ذلك الوقت، على درجة كبيرة من المصداقية في نظر الكثيرين، حيث كتب في هذا الخصوص:

«كان بامكان حاييم لسكوف أن يخدم سنة أخرى، وربما سنتين، لولا أن علاقاته قد ساءت مع نائب وزير الدفاع شمعون بيريس - وهي تجربة قاسية عاشها رؤساء أركان آخرون - وكذلك، مع رؤساء أقسام آخرين، مثل حاييم هرتصوغ وغدعون شوكن..». لقد سد بيريس طريق لسكوف، الرجل العصامي، إلى وزير الدفاع بن غوريون. سعى بيريس إلى الحد من صلاحيات وتأثير لسكوف لدى بن غوريون، على نفس المنوال الذي اتبعه مع وزير الخارجية موشيه شاريت وغولدا مائير التي خلفته في وزارة الخارجية. وقد اعترض «لسكوف» على حق بيريس باستدعاء ضباط كبار في الجيش الاسرائيلي للاجتماع والتباحث معه، لكن بن غوريون رفض قبول رأي لسكوف.

بيريس لا يطيق وجود أناس أقوياء ذوي كبرياء مثل حاييم لسكوف، في محيطه. لم يستطع بيريس تركيع «لسكوف» أو لي ذراعه، لذلك راح يضايقه وينغص حياته إلى أن حمله على الاستقالة. في حزيران ١٩٦١ عين «لسكوف» في منصب مدير عام سلطة الموانئ، لكنه اضطر في تشرين الأول ١٩٧٠ للاستقالة، وفي هذه المرة أيضاً بسبب بيريس، الذي أصبح وزيراً للمواصلات. فقد لاحقه في سلطة المطارات أيضاً، ليستوفي اشفاء غليله من الرجل القوي العزيمة الذي أبى الانحناء للوزير بيريس في منصبه الجديد أيضاً.

عشية انتخابات الكنيست السابعة آواخر العام ١٩٦٩، كان هناك اضراب في الموانئ. وقد دُعي المضربون، الذين لهث رؤساء وقادة الأحزاب والوزراء وراء أصواتهم، إلى تعليق اضرابهم والعودة إلى مزاولة العمل كالمعتاد. أوساط «المعراخ» تخوفت من أن نضال العمال ضد «لسكوف»، الذي كان يتمتع بشعبية كبيرة في صفوف الجمهور العام، قد يتسبب للمعراخ بخسارة عشرة مقاعد. اثر ذلك تعهد وزراء للعمال المضربين باعطاء «الضوء الأخضر» لهم بعد الانتخابات .. وكان حاييم لسكوف كبش الفداء. فبعد مرور سنة على الانتخابات قدم لسكوف استقالته في تشرين الأول ١٩٧٠، حيث وجه له وزير المواصلات بيريس الضربة القاضية، دون أية شفقة أو رحمة.

في تلك الأيام كنت أعمل مساعداً لرئيس تحرير جريدة «هآرتس»، جاء حاييم لسكوف، الرجل القوي، إلى مكاتب هيئة تحرير الصحيفة والدموع في عينيه، وكان في غاية الانفعال والغضب. سعيت إلى تهدئة روعه، لكن دون جدوى. قال لي بصوت واهن حزين «بيريس يدمر الدولة».

بعد عدة أيام من لقائي بحاييم لسكوف، لقاء من الصعب أن أنساه، ذهبت لمقابلة وزير المواصلات شمعون بيريس لأستمع إلى وجهة نظره. وفي ٩ تشرين الأول ١٩٧٠ نشرت المقابلة في ملحق صحيفة «هآرتس».

* هل تسدد بذلك ديناً قديماً لـ «لسكوف» من الفترة التي كنت فيها نائباً لوزير الدفاع، وهو رئيساً للأركان؟ من المعروف أنك سعيت في ذلك الوقت لاقناع بن غوريون باقالته، وفي الواقع فقد اضطر لسكوف للاستقالة من منصبه قبل سنة من انتهاء فترة ولايته، وذلك

بسبب موقفك.

بيريس كعادته لفق اجابته، التي كانت الحقيقة فيها بعيدة بعد الشرق عن الغرب، حيث قال: «لا أريد التعليق على ثرثرات. أنا لا أعرف إن كنت مطلعاً على القضية. من فضلك أترك ذلك للناس القادرين على تحري الأمور على حقيقتها. انني أكن تقديراً كبيراً لـ «لسكوف». وكنت آمل أن نتمكن من العمل سوياً.. فضلاً عن ذلك فقد بدأ نوع من التعاون بيننا في «رافي». يجب ترك الماضي للمهتمين بالبحث فيه».

لكن حاييم لسكوف، الذي كان «ملماً بالقضية» تحدث لي عنها، كذلك فقد تطرق له اسحق رابين في كتابه، كما أن ميخائيل بار زوهر، واضع سيرة حياة بن غوريون، لم يغفلها.

سارع بيريس إلى تعيين خليفة لـ «لسكوف» في سلطة الموانئ، وهو خادمه المطيع، أهارون ريمز، نصير «رافي» الذي أنهى مهام منصبه كسفير لاسرائيل في لندن. الاستنتاجات التي توصلت إليها «لجنة تقصي العلاقات الانسانية» في الموانئ والتي ترأسها الوزير حاييم غباتي، جاءت ملائمة لطابع شخصية «ريمز» كما لو أنها فُصلت على مقاسه.. فقد نصت هذه الاستنتاجات على: وجوب تغيير قانون سلطة الموانئ [الذي أعاق بيريس] بما يتيح ايجاد سبيل للحوار والتفاهم، بمعنى الرضوخ للعمال وافساح المجال لتدخل وزارة المواصلات على نطاق واسع، ومنح صلاحيات أوسع للوزير، وعندما كان «ريمز» يتعرض للضغط من جانب العمال، كان يسارع إلى تعديل الخط والسياسة تبعاً لذلك.

حاييم لسكوف قرأ المستقبل، لكن تحذيراته لم تلق آذاناً صاغية. كان عهد بيريس - ريمز في الموانئ بائساً محبطاً، كلّف دافعي الضرائب أموالاً طائلة.

في ١٢ تموز ١٩٧٣، استولى (العمال) المهاجرون من أصل جورجي بقيادة أبرهام سفياشڤيلي على (ميناء) أشدود. وزير المواصلات شمعون بيريس، الذي خاف على نفسه، تحصّن في ميناء أشدود وفي معقل مجلس العمال. لقد خشي التجول في بؤر التوتر والتمرد وسارع إلى عقد صفقة تحت الضغط رضخ فيها إلى مطالب العمال الفورية، مكرساً بذلك أنماطاً جديدة في استيعاب العمال في إسرائيل على حساب دافعي الضرائب، مما شكل مصيبة للأجيال. الزعيم العمالي المحنّك أبرهام سفياشڤيلي - كان الجميع يدعونه بـ «الجينجي»

- الذي كان عمره ٣١ عاماً فقط، استطاع هزيمة رئيسة الوزراء غولدا مئير، وبالدرجة الأولى المسؤول المباشر، وزير المواصلات شمعون بيريس. فبمقتضى صفقة الرضوخ التام لمطالب عمال الميناء المضربين، أصبح أي عامل جديد يتم استيعابه في الميناء يحصل أوتوماتيكياً بعد مرور ثلاث سنوات على صفة عامل ثابت. وهكذا اختفى عمل المياومة والعمل المؤقت من إسرائيل بشهادة رسمية بإمضاء شمعون بيريس. فبسبب رعونة بيريس وخنوعه برهن العنف واللجوء إلى القوة، وإغلاق المدينة، على جدواه في أشدود.

بعد المهاجرين من أصل جورجي في أشدود جاءت قضية الدروز في «بيت جن». فقد سعى بيريس، على غرار ما حاوله في أشدود، إلى شراء دروز «بيت جن»، حيث تعامل معهم باعتبارهم مصوّتين محسومين لصالح «حزب العمل» - كمكسب انتخابي. في صيف العام ١٩٧٣، وعندما لاذ بالهرب أمام غضب المضربين في أشدود، كان بيريس وزيراً للمواصلات. ولكن في تموز ١٩٨٧ - بفارق ١٤ عاماً - كان بيريس قد أصبح قائماً بأعمال رئيس الحكومة ووزيراً للخارجية. فقد رضخ لعنف الدروز في بيت جن، بتعهده لهم باستثناء أو إخراج أراضٍ زراعية من حدود المحمية الطبيعية في جبل ميرون.

حتى أن صحيفة «هآرتس»، التي تقف على رأس الداعمين لبيريس، علقت في مقال افتتاحي في ١٣ / ٧ / ١٩٨٧ بقولها: «لا يمكن تفادي الاستنتاج بأن الخطوة البائسة التي قام بها السيد بيريس ورفاقه، وبضمن ذلك التساهل غير المألوف الذي أبداه السيد «بارليف» إزاء الإهانة المخجلة لأفراد شرطته، إنما جاءا في نطاق المنافسة الدائرة بين «المعراخ» و«الليكود» على كسب واستمالة أبناء الأقليات... فالرضوخ يولد الابتزاز.. ينبغي إبلاغ وجهاء القرية (بيت جن) أن الاتفاق الذي توصلوا إليه مع بيريس ووزراء «حزب العمل» غير ملزم للدولة، وأن قضيتهم يجب أن تبحث من جديد، دون ضغوط وتهديدات، بالطرق المتعارف عليها وعبر السلطات المختصة».

*

بعد مرور عامين على استقالة حاييم لسكوف من رئاسة هيئة الأركان العامة، سعى بيريس ومؤيدوه في وزارة الأمن للنيل من إيسار هرئيل (رئيس الموساد). فقد وقف هرئيل في طريقهم

في القضية المتعلقة بحرب «الموساد» ضد العلماء الألمان الذين عملوا في مصر، وساعدوا عبد الناصر في تطوير سلاح فتاك ضد إسرائيل، بما في ذلك صواريخ موجهة. وكان بيريس وحليفه، رئيس قسم الاستخبارات العسكرية الجنرال مئير عميت، قد قالا لـ بن غوريون إن «خطر العلماء الألمان زال ولم يعد له وجود في مصر». وبتأثير بيريس، أوعز بين غوريون إلى «هرئيل» بوقف عمليات جهازه ضد العلماء الألمان الذين تصدر أمرهم اهتمام وسائل الإعلام العالمية في ذلك الوقت. غير أن رئيس «الموساد» الذي لم يقبل الرضوخ، رد بتقديم استقالته في رسالة خطية أرسلها بتاريخ ٢٥ آذار ١٩٦٣ إلى وزير الدفاع بن غوريون. وروى «هرئيل» أن رئيس الاستخبارات العسكرية، عميت «تصرف حسب توجيهات بيريس» لينقض ويدحض تقديراته (تقديرات - هرئيل) بشأن العلماء الألمان في مصر، وذلك بهدف «ضرب وتشويش» عمليات «الموساد».

ويروي هرئيل في مقابلة معه ملابسات ولادة «المؤامرة» للإطاحة برئيس جهاز «الموساد»، قائلاً: إنها ثمرة تآمر من جانب نائب وزير الدفاع شمعون بيريس.

وأضاف «كان بيريس يواجه أزمة في ذلك الوقت جراء سياسته الألمانية (بمعنى مساعيه للتقارب مع ألمانيا - المترجم) واعتماده على فرانتز جوزيف شتراوس. وقد سعى (بيريس) إلى اصلاح وتلميع صورته، معتقداً أن بإمكانه التسلق على سلم بن غوريون الذي حرضه على خلفية حملة انتقادات مناحيم بيغن، زعيم المعارضة في حينه، وكل ذلك في وقت كنا فيه (في «الموساد») قد شارفنا على نهاية الطريق في المواجهة والصراع ضد العلماء الألمان. عندئذٍ حصلت المؤامرة (الداعية لإجراء - «إعادة تقييم» - لنشاطات «الموساد» ضد العلماء الألمان في مصر) كما نسجها بيريس».

وكان بيريس، الذي حاك «المؤامرة» ضد إيسار هرئيل، قد جند لمساعدته رئيس قسم الاستخبارات العسكرية مئير عميت، الذي أصبح بعد استقالة هرئيل رئيساً لجهاز «الموساد».

وكحال أهارون ريمز، كان عميت أيضاً خادماً مطيعاً لبيريس.

*

يعمل الدكتور أبرهام ولفينزون مديراً لمدرسة نشطاء «الهستدروت» في تل أبيب. في

فترة حزب «رافي» اعتبر ولفينزون في عداد المقربين جداً من بن غوريون، وتولى تحرير صحيفة «مباط حداش» لسان حال «رافي» في الستينيات. كانت جعبته حافلة بكنز دفين، حيث جمع دفاتر مذكرات ووثائق وشهادات وذلك من خلال أحاديث واتصالات أجراها مع شخصيات مركزية في «رافي» ومن خارج «رافي»، خاصة مع «العجوز» بن غوريون. عَمِلَ ولفينزون، قبل انضمامه إلى «رافي» محاضراً في دائرة العلوم السياسية والفلسفة الاجتماعية في فرع الجامعة العبرية بتل أبيب إضافة إلى عمله كمدير لشعبة البحوث الاستراتيجية في وزارة الدفاع، والتي كانت تخضع مباشرة لـ بن غوريون. أما نائب وزير الدفاع، شمعون بيريس، فلم تكن له أية صلة بالشعبة المذكورة.

في صيف العام ١٩٦٢، وعندما كان بن غوريون رئيساً للوزراء ووزيراً للدفاع، اتصل سكرتير «مباي» روبين بركات تليفونياً بالدكتور ولفينزون، الذي كان يحاضر في ذلك الوقت في «معهد التعليم والبحوث» في «بيت بيرل» المتفرع عن مدرسة نشطاء «الهستدروت». لم يكن ولفينزون وقتئذٍ نشيطاً في الحزب على الرغم من أن «شباب» مباي سعوا إلى استمالته، حيث دعي في العام ١٩٦١ إلى «منتدى الشباب» الذي برز في عداد أعضائه الكاتب يزهار سميلنسكي، شولاميت ألوني، غاد يعقوبي، وآخرون. معظم اللقاءات الحزبية جرت في مكتب رسمي - حكومي، وهو مكتب نائب وزير الدفاع شمعون بيريس. عندما كان هؤلاء «الشباب» يلتقون عند بيريس كان وزير الزراعة في حينه موشيه ديان يغادر المكان، وهذا ما كان يفعله بيريس أيضاً عندما يلتقي «الشباب» في مكتب ديان. فقد كان ديان وبيريس منذ ذلك الحين، العام ١٩٦٠، يضمران كراهية متبادلة. سكرتير «مباي» بركات دعا ولفينزون إلى لقاء أكاديميين مع بن غوريون، عقد في تموز ١٩٦٢ في تل أبيب.

خلال العامين السابقين للقاء الأول الذي تم بين بن غوريون وولفينزون بواسطة روبين بركات، تمكن المثقف الشاب من التعرف بشكل مباشر على الشخصيات المركزية الفاعلة في مسرح «منتدى الشباب» في حزب مباي. وقد كان ولفينزون شاهداً على المؤامرات والدسائس والمكائد والكراهية المتقدة التي ضمرها كل فريق للآخر. في إحدى الجلسات التي جرت في مكتب الوزير ديان، قال الكاتب س. يزهار لرفاقه الذين انتظروا قدوم وزير الزراعة «هناك

طيور جارحة من مختلف الأنواع في «أرض إسرائيل». هناك العقاب والرخمة، وهناك الـ «بيريس» - النسر - وغيرها من الطيور الجارحة التي يجب الحذر منها».

كانت شولاميت ألوني تتأرجح في ذلك الوقت بين تأييد بيريس وديان. وبصورة عامة فقد كانت الأغلبية تقدر ديان أكثر من تقديرها لبيريس. حيث رأى هؤلاء في ديان زعيماً مؤثراً يتمتع بكاريزماتية، في حين وصف بيريس بأنه «موظف رفيع». كانوا يعلمون أن لديه عكازين يتوكّأ عليهما: منكبي بن غوريون القويين. أما ديان فكان مستقلاً يعمل وحده. مردخاي ينسياهو قال إن «منتدى الشباب» لن ينجح إلاّ إذا ترأسه شخصية من طراز جون كنيدي، الذي خبا نجمه في الولايات المتحدة وأصبح بعد ذلك رئيساً. بيريس «شطح» بعيداً، شيد لنفسه قصوراً في الهواء، وراح يتحدث عن جنات النعيم. دعا إلى الانتقال والتحول من دولة فقيرة إلى دولة رخاء ترنو إلى اللحاق بركاب التطور التكنولوجي. بعد عدة سنوات وعد بيريس بتوفير «سيارة لكل عامل» في إسرائيل، وعندما أصبح رئيساً للوزراء دعا أيضاً إلى «مشروع مارشال» لتنمية المنطقة العربية، و«قناة البحرين» بالتعاون مع الأردن في البحر الأحمر. وعلق «نسياهو» بنوع من السخرية قائلاً: إن برنامج بيريس يشكل في الواقع نسخة شبيهة ببرنامج كنيدي، لكن «كنيدي الإسرائيلي هو موشيه ديان».

في أيلول ١٩٦٠، وعندما أخذت أصداء «فضيحة لافون» تتردد علناً، كان «نسياهو» يبيت في القدس في منزل ولفينزون الذي مضى على إقامته في المدينة سنتان، حيث استكمل دراسته تمهيداً لحصوله على شهادة الماجستير. وقد كرّس «نسياهو» الكثير من وقته لإجراء حديث ودي وصريح مع ولفينزون، ساعياً إلى التكهن بخطوات بن غوريون المتوقعة في الصراع ضد بنحاس لافون، بصفته من أنصار بن غوريون، كيف سيتصرف إزاء «منتدى الشباب» المتردّد في قضية لڤون، (لڤون طالب بإعادة اعتباره عقب إقالته من منصب وزير الدفاع العام ١٩٥٥). السؤال الذي واجهه «منتدى الشباب» شغل بال «نسياهو» وذلك بصفته أيضاً - إضافة إلى كونه ناشطاً في «منتدى الشباب» - مديراً لمدرسة نشطاء الهستدروت في تل أبيب، وكان السؤال: هل يتعين على «الشباب» الوقوف مع لافون في صراعه ضد ديان وبيريس، أم الوقوف مع ديان وبيريس ضد لڤون؟!

كان «منتدى الشباب» قد تأسس قبل فترة طويلة من بروز دور ديان وبيريس الرئيسي والمؤثر في المنتدى. فأعضاء المنتدى الذين كانوا يفتشون عن زعيم ملائم، نصبوا بيريس وديان بدون انتخابات، كزعيمين للمنتدى. من جهته وقف ولفينزون متفرجاً ولم يتدخل في هذا الموضوع. واعتبر «الشباب» أن ديان وبيريس تعيين مصطنع (بالتزكية) على رأس المنتدى، وعليه فإن لأعضائه الحرية في اتخاذ الموقف أو القرار في شأن مسألة تأييد لڤون أم تأييد ديان وبيريس.

ولفينزون قال: إنه يعتقد أن بن غوريون لن يتخلى عن ديان وبيريس، ولكن إذا تحداهما لڤون فإنه سيجد نفسه في مواجهة بن غوريون أيضاً.

وكان قرار «منتدى الشباب»: مساندة «العجوز» بن غوريون.

أخذت علاقات ولفينزون تتوطد مع بن غوريون، منذ أن توجه له «بركات»، وقد استمرت هذه العلاقات بعد ذلك أثناء نشاطهما وعملهما المشترك في «رافي».

كان ولفينزون يزور يومياً منزل رئيس الوزراء (بن غوريون) في جادة الكيرن كييمت في تل أبيب، ليتبادل معه حديثاً صريحاً يستمر ساعة أو ساعتين، كذلك كان ولفينزون يأخذ على عاتقه القيام بمهام يكلفه بها رفاقه لتسوية مسائل معينة مع بن غوريون، خصوصاً - في تلك الفترة من العام ١٩٦٢ - في ظل العلاقات المتوترة التي سادت بين ديان وبيريس، حيث كان الأول يسخر من الثاني جهاراً نهاراً. شاريت وغولدا مائير كانا يهاجمان أيضاً شمعون بيريس، بيد أن المستهدف بذلك كان بن غوريون نفسه، فسهامهما وجهت صوبه.

وقد نجحا في ذلك، وهو ما يعود الفضل فيه بدرجة كبيرة إلى تجاوزات نائبه، بيريس، لصلاحياته، حيث تجاوز وزارة الخارجية منتهجاً سياسة مستقلة، لا سيما في صدد العلاقات التي تعمّقت وازدهرت في ذلك الوقت بين إسرائيل وفرنسا. فبيريس لم يترك وزيري الخارجية (شاريت وغولدا) لحالهما أبداً بعدما نهل من «شجرة المعرفة». لقد سلبهما دون توقف صلاحياتهما، ولم يتورع عن منافستهما والمضاربة عليهما في مجالات مهمة من مجالات عملهما الدبلوماسي، حيث انتهج سياسة خارجية وأمنية خاصة به، وسط استغلاله البشع لمواطن ضعف شخصيات قديمة ومهمة في حزبه (وهو ما فعله بيريس أيضاً بعد سنوات بحق

اسحق شامير) . شاريت وغولدا ارتابا في أن بيريس يقوم بـ «العمل القذر» (العمل الأسود) لحساب بن غوريون ، لكن لا تحذيراتهما ولا حتى الهمسات الصادقة (حسب تعبير ولفينزون) التي أسرّ بها إيسار هرئيل في أذني بن غوريون بدعوته إلى «الحذر من بيريس - الداهية» كانت مجدية .

بن غوريون ، من جهته ، إستغل لقاءاته الكثيرة مع ولفينزون للتحدث باسهاب عن أفلاطون وسبينوزا ، بكون جليسه محاضراً في الفلسفة . كان الحديث بينهما ينتقل من موضوع إلى آخر ، ولاحظ ولفينزون أن بن غوريون يدون كل كلمة تصدر عنه في إضبارة (ملف) إحتوت أيضاً على ورق كربون لغرض الإحتفاظ بأكثر من نسخة .

ذات صباح باكر توجه ولفينزون إلى منزل بن غوريون ، الذي لم يكد يفرغ بعد من مطالعة صحف الصباح كعادته . تضمنت الصحف تحاملاً عليه من جانب رئيس الوزراء ليڤي أشكول أمام الكنيست : «رئيس الوزراء السابق ايضاً إرتكب أخطاء» وغير ذلك . وجد ولفينزون بن غوريون ، في حالة غضب شديد . جلس في صمت وهدوء في الطابق الثاني وكان وجهه عابساً متكدراً . بسط أمامه ثمانٍ من صحف الصباح ليقرأ الإهانة القاسية الموجهة إليه من خلفه ليڤي أشكول ثماني مرات وبكل اللغات . . قال متسائلا وهو يشتعل غضباً «ليبين ما هي الأخطاء التي ارتكبتها ؟ لماذا لم يبين ذلك ؟ لماذا هذا الإتهام العمومي ؟ ! وأضاف «أي أخطاء ، ومتى ؟ !» .

قال له ولفينزون : خطأك الأول لاڤون ، والثاني-أشكول ، خليفتك .

بن غوريون : عليك أن لا تنطق الاسمين معاً . . فشتان بين أشكول ولافون . . لقد كان «لاڤون» واحداً من ألمع وأذكى السياسيين في إسرائيل . . وفي اعتقادي أنه كان أنجح سكرتير عام للهستدروت على الإطلاق ، وأنا أقول لك ذلك لأنني كنت أيضاً سكرتيراً عاماً . . فقد تصرف بحكمة وذكاء شديدين ، ربما أنه لم يكن يجب أن يفكك شركة «سوليل بونيه» إلى أربعة فروع ، لكنه قام بذلك بذكاء كبير إلى هذا الحد أو ذاك ، كان رئيس حركة طليعية ، ريادياً ، برلمانياً يملك كفاءة خطابية ، كان وزيراً بلا حقيبة ، ووزير زراعة جيداً ، فلماذا لا أوصي به ؟ ! كذلك فإن أشكول كان من طلائع المستوطنين الذين قدموا في موجة الهجرة

الثانية إلى البلاد، تولى إدارة شعبة الاستيطان والقرى (الاستيطانية) التعاونية، أمين صندوق الوكالة اليهودية ووزيراً ممتازاً للمالية، فلماذا لا أوصي به هو الآخر؟!

ولفينزون: ما الذي حصل لهما إذن؟

بن غوريون: هذا سؤال آخر.. وباختصار، أُصيبا برهاب المرتفعات.

دون وليفينزون- تاريخ الحديث: ١٩٦٦

*

خصص روبين بركات لـإبرهام ولفينزون مدة سبع دقائق لالقاء كلمته، أمام لقاء الأكاديميين في تل أبيب، مؤكداً على أهمية حضوره ومشاركته.

لم تكن لـ«ولفينزون» في ذلك الوقت أية صلة أو علاقة سابقة مع بن غوريون، وقد كان منفعلاً جداً قبيل اللقاء. شَرَّح ولفينزون في كلمته، التي أعدها خطياً وتمرن على إلقائها غيباً، بدقة ورشاقة مبضع جرّاح، جمهور الأكاديميين بطريقة إيجابية، لكن وسط تأكيده على أربعة مخاطر روحية واجتماعية تهدد هذه الشريحة: الحرص على وضع إجتماعي وهمي، وهن وترهل ضميري، محدودية الآفاق الثقافية، وإنحدار الاكاديميين نحو أنماط تفكير عدميّة وشكّية تمشياً مع الموضة.

بن غوريون الذي جلس مشدوداً في القاعة، لم يُحوّل أو يرفع بصره عن ولفينزون طيلة وقوفه على المنصة. وفي ختام الاجتماع، اكتفى بن غوريون، في رده على مداخلات المتجادلين، بالتطرق فقط الى أقوال ولفينزون مثنياً عليها. يسرائيل كوهين، الذي عمل محرراً للسان حال مباي «هبوعيل هتسعير» خطف من يد ولفينزون الورقة التي تضمنت كلمته، ليقوم بنشرها كاملة في صحيفة الحزب الاسبوعية في تموز ١٩٦٢. وقد اعتبر بن غوريون وعن حق حديث (كلمة) ولفينزون بمثابة أطروحة مضادة لرجال الفكر والمثقفين الذين ساندوا لافون تمشياً مع التيار السائد في الشارع الاسرائيلي. صديق ولفينزون، مردخاي نسياهو، روى له لاحقاً، أن بن غوريون سارع إلى طلب «ملفه» (ملف ولفينزون) من أرشيف «مباي». «لغاية اليوم-قال ولفينزون في مقابلة معي-لا أعرف عن أي ملف تحدث.. فهل كان هناك، أو هل يوجد لي مثل هذا الملف؟!».

قبل إقامة حزب «رافي» أواخر العام ١٩٦٤، تحادث ولفينزون بتكليف من «بيت بيرل» مع بن غوريون حول تغيير طريقة الانتخابات. وفي أحد هذه الأحاديث طرح بن غوريون إمكانية حصول انشقاق في «مباي»، وقال: إنه لا يعرف كم سيؤيده وأنه واثق من صوته فقط. ولفينزون طمأنه قائلاً له: إن هناك في الحجرة التي ضمتهما شخص آخر سيسير معه. فحذره بن غوريون قائلاً: «إياك أن تفعل ذلك، فأنت تقوم بعمل مهم في المؤسسة الأمنية وفي الجامعة، وانضمامك إلى حزب معارض من شأنه أن يخرّب عليك في هذين المجالين، وأنا لا أؤيد ذلك».

في ٢٩ حزيران ١٩٦٥ ذهب ولفينزون إلى منزل شمعون بيريس، إثر استقالة الأخير من منصبه كنائب لوزير الدفاع لدى ليفي أشكول الذي ترأس الحكومة. في تلك الفترة كان بيريس يقيم في تل أبيب، في «شارع أرلوزوروف ١٨٦» فوق مقهى «أنجل». لم تكن هناك بين بيريس، السياسي المخادع، وبين ولفينزون، البروفيسور الشاب البسيط، أية صلة سابقة. في نيسان ١٩٦٥، دعي ولفينزون إلى لقاء مع مئير أبيزوهر وغاد يعقوبي من نشطاء «منتدى الشباب» وذلك في مطعم «بيت لسين». وقد حضرت أيضاً د. رفكا بار يوسيف، من دائرة علم الاجتماع في الجامعة العبرية. قالوا لـ «ولفينزون»: إن الأقلية في «مباي» ترغب في تقصي فرصه في خوض الانتخابات للكنيست في اطار قائمة مستقلة برئاسة بن غوريون، وأنهم كلفوا د. بار يوسيف إجراء استطلاع للرأي العام في هذا الخصوص. وطلبوا من د. ولفينزون فهم نتائج الاستطلاع والعمل على ترجمتها إلى لغة سياسية بغية طرحها للمناقشة. اتفق ولفينزون مع «بار يوسيف» بأن تسرع في إطلاعه تليفونياً على نتائج العينة الأولى، إذ أنه لم يكن متاحاً لهم وقت طويل لاتخاذ الاستعدادات والخطوات اللازمة. وقد أبدت عالمة الاجتماع تعاطفاً مع الأقلية، حيث سارعت في أيار ١٩٦٥ إلى موافاة ولفينزون بالنتائج الأولية للاستطلاع. وبدوره قام ولفينزون بإطلاع بن غوريون على الأمر، حيث علّق الأخير متسائلاً: من الذي يحتاج إلى استطلاع؟! سوف تتشكل قائمة مستقلة، هذا شيء مؤكد. فـ «ترومان» اجترح النصر من الهزيمة في انتخابات الرئاسة الأميركية العام ١٩٤٨، على الرغم من الاستطلاع المتشائم الذي أجراه حوله في ذلك الوقت معهد «غالوب»، في أنحاء الولايات

المتحدة. رفض «بن غوريون» رؤية نتائج الاستطلاع التي لم تُطْرِهِ أو تأت في صالحه تماماً، إذ أعطت النتائج قائمة برئاسته ٨٪ أو ما يعادل نحو ١٥ مقعداً، وقد كانت هذه النتيجة الفعلية التي حصلت عليها القائمة في الانتخابات.

يوم التاسع والعشرين من حزيران ١٩٦٥، سيذكر كيوم تاريخي. ففي مساء ذلك اليوم، التقى في منزل بن غوريون في تل أبيب قرابة خمسون شخصاً من قادة الأقلية في «مباي». كذلك كان ابرهام ولفينزون، المراقب المخلص الذي يسجل الأحداث، في تعداد الحضور.. مقابل المتحلقين جلس ديان وبيريس على أريكة إلى جانب بن غوريون. وكان الجميع يترقبون سماع ما إذا كانت ستتشكل قائمة جديدة، فسارع «العجوز» إلى الإعلان دون تأخير أو تباطؤ: قررت مجموعة من الرفاق وأنا من ضمنهم تشكيل قائمة مستقلة. أود معرفة من سيسير معي، لكي نبحث سبل تنظيم صفوفنا.

قال ديان: أنا لست سائراً في هذا الطريق.

خرج ديان من الحجرة وغادر منزل بن غوريون، في حين ظل بيريس جالساً متجمداً بعض الشيء، غارقاً في صمت مطبق. كانت الأجواء مشحونة.

توجه بن غوريون بالسؤال إلى بيريس: ماذا تقول يا شمعون؟

بيريس: بن غوريون، يجب مناقشة الأمر قبل اتخاذ قرار كهذا.

هناك مجموعة من الرفاق الذين ساروا معك ورافقوك طيلة الوقت ويريدون التفكير نعم أم لا.

قاطع بن غوريون أقوال بيريس: ليس هناك ما يحتاج المناقشة. فقد أعلنت أن هناك مجموعة من الرفاق وأنا من بينهم، قرروا العمل بصورة مستقلة. أنا لا أعِد بنتائج، ما عدا صوت واحد لشخص واحد سيصوت لصالح القائمة، ولا أضمن أكثر من ذلك.

قاطع بيريس حديث «العجوز» وقال: بن غوريون، يجب أن نناقش إذا ما كانت هذه الخطوة سليمة.

بن غوريون: تستطيع أن تناقش كما يحلو لك.. أنا باقٍ هنا مع الرفاق السائرين معي، ومن يعارض ليس ملزماً بالبقاء هنا.

بيريس: كلا. لن نغادر، ولكن لا بد من مناقشة الأمر.

بن غوريون: هناك مسألة واحدة تحتاج لمناقشة وهي: كيف ننظم صفوفنا ونضمن النجاح في الانتخابات.. لحظة، أنت هنا يا حاييم شراعبي، وأنت يا يعقوب أورنشتاين [كلاهما عضو في هيئة تحرير صحيفة «داڤار»، انظر لاحقاً حديثاً مع شراعبي] ستكونان المتحدثان المؤقتان باسم القائمة، وعليكما أن تبلغا الليلة الصحف بأن قائمة جديدة قد شكلت.

أنهى بن غوريون كلامه، واقترب منه المذكوران للتشاور حول صياغة البيان. صبيحة اليوم التالي، ٣٠ حزيران ١٩٦٥، زف العنوان الرئيسي الذي تصدر كامل عرض الصفحة الأولى في جريدة «يديعوت احرونوت» الخبر التالي: «قيادة «مباي» دعيت للاجتماع هذا المساء.. الأقلية: سنخوض الانتخابات للكنيست و«الهستدروت» والسلطات المحلية.. لا ننوي الإنشقاق عن «مباي» ولن نعيد بطاقات عضويتنا».

بعد إنفضاض الاجتماع في منزل «العجوز»، بدأ المجتمعون بمغادرة المكان، وكان بن غوريون يقف في وداعهم.. أعلن أحدهم، وهو أهوڤيا ملكين، أنه لا يعتزم الانضمام إلى قائمة مستقلة.

سأل بن غوريون مَلْكين: كم عمرك؟

مَلكين: ٥٠ عاماً.

بن غوريون: هل بلغت الخمسين؟ ما الذي فعلته في حياتك؟!

تمتم ملكين بجملة غامضة وسارع للانصراف، بعدما صافحه العجوز، ليتوارى في الظلمة. خرج ولفينزون بعده، وسمع في باحة المنزل بيريس ينادي على عدد من أصدقائه مثل مردخاي بن فورات وغاد يعقوبي واسحق ناڤون.

قال بيريس لأصدقائه: تعالوا معي الآن إلى «اكسودوس» لنتشاور في كل هذا الموضوع. هذا غير معقول.. إنه (بن غوريون) يضعنا أمام الأمر الواقع. يجب أن نناقش ونتدارس الأمر. ولفينزون الذي لم يكن بين المدعوين، سارع للعودة إلى منزله في ريشون ليتسيون. لم يستجب التلميذ، بيريس، لنداء معلمه وراعيه داڤيد بن غوريون.

فقد سعى، وهو الفاقد لشرش الحياء، لإظهار استقلالية موقفه كما فعل موشيه ديان، مع أنه لا يُشبه ديان في شيء على الاطلاق.

مرت بضعة أيام.. تراجع بيريس عن معارضته لينضم إلى الأقلية. دعي ابرهام ولفينزون إلى حديث في مقر الأقلية الذي تمركز في «بيت إل عال». قال له بيريس: أنا سكرتير عام القائمة الجديدة («رافي»)، وأريد منك أن تعمل في مجال الدعاية.

لم يكن باستطاعة ولفينزون الاستجابة للطلب لكونه موظف دولة يعمل في مجال البحث بوزارة الدفاع. نصحه بيريس بأن يأخذ إجازة لمدة ثلاثة شهور بدون راتب و«نحن سنُعوضك..». بعد الاستفسار، أبلغوا ولفينزون أنه لا يحق له الحصول على إجازة وفق طلبه. حثه بيريس على تقديم استقالته واعداً بضمه إلى قائمة المرشحين للكنيست في المكان الـ ١٠٠ أو الـ ١١٠، وهو بطبيعة الحال مكان غير واقعي، وذلك ليتسنى له الحصول على تعويضات، وقال له «نحن أيضاً سندفع لك مرتباً».

سأل ولفينزون بيريس: ألا تستطيعون تدبر الأمر مع شخص آخر، متفرغ؟

بيريس: كلهم متفرغون.. كنت نائب وزير وها أنا الآن جالس هنا. وبن غوريون كان.. والآن أصبح في القائمة. الموغي أيضاً كان وزيراً وناشطاً حزبياً.. أنت كذلك ستضطر الى الاستقالة. لا أحد عندي ما عدا طاولة ومقاعد، سنضطر للكفاح بأيدٍ خاوية..

سمع ولفينزون أقوال «العجوز» (بن غوريون) على لسان بيريس، وقدم استقالته. بعد ذلك وجد نفسه في غرفة واحدة مع آري أبنر، الذي أخذ إجازة من عمله في «صوت إسرائيل» (عمل ابنر أيضاً مستشاراً لرئيس الوزراء ليڤي أشكول) ومئير أبيزوهر، المحاضر في جامعة تل أبيب في قوانين وأحكام العمل. تولى الثلاثة إدارة حملة الدعاية لـ«رافي» وقاموا باصدار وتوزيع مواد الدعاية الأولية.

*

في أحد الأيام من العام ١٩٦٦، طلب بيريس من ولفينزون مرافقته في زيارة لـبن غوريون. وعندما سأله ولفينزون عن الغرض الذي يجعله بحاجة إليه، سارع سكرتير عام «رافي» ليوضح أنه «بدون مساعدتك لن أحصل من بن غوريون على مرادي».

ولفينزون: على ماذا تريد الحصول منه؟

بيريس: بن غوريون يهاجم طيلة الوقت رئيس الوزراء أشكول، وأريد مطالبته أن يهاجم

أيضاً غولدا مئير وبنحاس سابير، إذ لولا تأييدهما ودعمهما لكان أشكول يتصرف على نحو مختلف.

ولفينزون : حسناً، ولكن ما حاجتك إليّ؟

بيريس : أريد إقناع بن غوريون باصدار تصريح ضد غولدا وسابير، لأنني إذا نقلت الحديث الثنائي بيني وبين «بن غوريون» فلن يثقوا بكلامي. أما أنت فيثقون بك في الحركة، وعلى صعيد الرأي العام، ولذلك فإن شهادتك مهمة بالنسبة لي.

كان بيريس يعي الانطباع عن ضعف مصداقيته لدى زملائه وفي نظر الرأي العام.

ذهبا معاً إلى بن غوريون الذي رحب بهما، وبعد حديث عام توجه «العجوز» بالسؤال إلى بيريس: ما الخطب يا شمعون؟

بيريس : أنت يا بن غوريون تحمل كثيراً على أشكول، لكنك تتجاهل غولدا وسابير وهما المحرضان الرئيسيان ضدك. جدير بك أن تصرح بشيء ضدهما.

حدج «العجوز» بيريس بنظرة حادة، ثم إلتفت نحو أبرهام ولفينزون كما لو كان يسأله: ما لَكَ ولكل هذه القذارة؟!.

وبعد برهة قصيرة، توجه مخاطباً ولفينزون، متجاهلاً بشكل تام ومتعمد بيريس، كما لو لم يكن متواجداً في الغرفة: «قبل قيامي بتعيين بنحاس سابير وزيراً، توجهت إلى القطاع الخاص وسألت: هل سأحسن صنعاً إذا قمت بتعيين سابير وزيراً اقتصادياً رفيعاً، وزيراً للتجارة والصناعة؟.. فقالوا: ممتاز. بعدئذٍ عينته في هذا المنصب، ولم أشعر ولو للحظة واحدة بخيبة أمل، لأنه قام بمهامه الاقتصادية بكفاءة عالية. أما أنه صوّتَ ضدي في قضية لافون، فهذا شأن آخر ليس له صلة بالموضوع. بعد إقالة لافون، وتصويت غولدا وسابير ضد إقالته، جلست شخصياً معهما عدة ساعات، وأقنعتهما بالانضمام إلى الحكومة (في العام ١٩٦١) وقلت لهما: [في الحزب لا ضير في أن يكون هناك خلاف في الآراء، ولا يجوز أن يحاسب أحد عليها بعد ذلك، وأنتما تقومان بعملكما في الحكومة على أفضل وجه، ولذلك أريد منكما أن تبقيا في منصبيكما..] لم أشعر قط بالندم على موقفي هذا أو على عملهما وخدمتهما الرائعة في الحكومة...».

في هذه الأثناء، بدأت تظهر على بيريس دلائل عصبية، وراح يتململ في مقعده مبدياً بشكل واضح عدم ارتياحه، غير أن «العجوز» ظل يتجاهله ويتجاهل حركاته وايماءاته التظاهرية، كما لو لم يكن له وجود. وتابع بن غوريون حديثه إلى ولفينزون، وقد بدت على وجهه ابتسامة ساخرة: «أنت تقول إن غولدا تكرهني [وكان يقصد بذلك بيريس..]، لا أدري ما داعي الكراهية، أنا شخصياً لا أكرهها.. ربما عاشت طفولة قاسية، ما يجعل حديثها وكلامها مطبوعاً بنوع من المرارة، ولكن ثمة في نظري شيء أهم من كل ما سواه: فغولدا تعد أحد أهم زعيمين للشعب اليهودي في عصرنا».

لم يعد بيريس يستطيع احتمال سخرية واستهتار بن غوريون به، نهض من مقعده وجذب ولفينزون نحوه ممسكاً بيده، لملم نفسه وتمتم بكلمات وداع ليغادر الشقة مسرعاً، تاركاً وراءه بن غوريون في لا مبالاته.. من جهته أبدى «العجوز» أدباً وسلوكاً نبيلاً تجاه ضيفيه، حيث خَفَّ لاصطحابهما حتى مدخل المنزل، تداعب محيّاه إبتسامة ساخرة.

لقد رأى بن غوريون في بيريس ـ قال ولفينزون موضحاً - أداة عمل طيعة ليس إلاّ. في حالات كثيرة، قام بن غوريون بتوبيخ بيريس اثر تجاوزه لصلاحياته كنائب لوزير الدفاع، بل وأوقفه عند حدّه. كان «العجوز» يعي حقيقة أن علاقاته المميزة والحميمة على الدوام مع غولدا مئير لم تتعكر أو تسوء إلاّ بسبب تآمر ودسائس بيريس، الذي تدخل في مجالات عملها بوزارة الخارجية.

ذات مرة، في غضون العام ١٩٦٦، توجه عدد من الزملاء إلى ولفينزون، عقب انتهاء جلسة أمانة قائمة «رافي»، والتي كانت تعقد أسبوعياً بعد ظهر يوم الخميس. موشيه نتسار والحنان يشاي أخبرا ولفينزون أن بيريس يعاني من حالة اكتئاب، ولذلك طلبا منه أن يتوجه للتحدث مع بن غوريون في هذا الخصوص. قالا له: إنه الوحيد الذي يستطيع التحدث مع بن غوريون مباشرة وصراحة حول أمور حساسة وشخصية.

ـ ما سبب هذا الاكتئاب؟ سأل ولفينزون مستفسراً.

فرد نتسار ويشاي موضحين أن «العجوز» صرح في أحد اللقاءات أنه لو نشأت ظروف أو فرصة لقيام حكومة برئاسة «رافي»، فإنه لن يتولى شخصياً رئاستها، لأنه «يرغب بالتفرغ

لكتابة التاريخ»، وإنما سيوصي بأن يكون موشيه ديان مرشحه لرئاسة الحكومة.. هذا التصريح شكل إهانة أصابت بيريس، (الذي كان أميناً عاماً لقائمة رافي)، في الصميم، ذلك لأنه اعتبر نفسه مرشحاً طبيعياً لرئاسة الحكومة.

«اذهب إلى بن غوريون واستصدر منه بياناً أو تصريحاً لصالح بيريس» قالا في طلب من أبرهام ولفينزون.

تردد ولفينزون في البداية، لكنه عاد ونزل عند رغبتهما، وتوجه الى منزل بن غوريون.

- ما وراءك؟ سأله بن غوريون.

ولفينزون: بيريس يمر بحالة معنوية صعبة جداً.

بن غوريون: لماذا؟

ولفينزون: أنت صرحت في مكان ما، أن ديان يمكن أن يصبح رئيساً للحكومة.

بن غوريون: هذا ليس دقيقاً، ولكن ما علاقة ذلك بمزاج بيريس وحالته المعنوية؟!.

ولفينزون: بيريس يرى في ذلك تفضيلاً، من جهة، وغُبناً له من جهة أخرى.

ابتسم بن غوريون وقال: هل قلت في أية مرة ان بيريس لا يصلح لأن يكون وزيراً للدفاع؟ أعتقد أنه كان نائب وزير دفاع لا بأس به، وليس هناك أي سبب يمكن أن يحول دون أن يصبح في المستقبل ربما، وفي وضع ما، وزيراً للدفاع.

هنا انتقل بن غوريون للحديث مع ولفينزون، عن سبينوزا وأفلاطون.. عاد ولفينزون إلى مقر «رافي» في شارع اليركون ٥٣.

بيريس، الذي كان على علم بالمهمة التي كلف ولفينزون القيام بها لدى بن غوريون، وقد يكون هو الذي يقف وراءها، استدعاه إلى مكتبه، بعد أن لم يذهب ولفينزون إليه من تلقاء نفسه، ليطلعه على فحوى حديثه مع بن غوريون. لم تكن لدى ولفينزون بشرى سارة، وظن أن بيريس سيفهم بالتلميح أو الاشارة، لكن دون جدوى.

قال بيريس لولفينزون: علمت أنك زرت بن غوريون.

ولفينزون: صحيح.

بيريس: ما رأيه حولي؟

ولفينزون: بن غوريون يعتبرك مرشحاً ملائماً لمنصب وزير دفاع.

صاح بيريس غاضباً: لماذا يعاملني هكذا؟ هل هذا ما أستحقه؟ لقد ساندته ووقفت إلى جانبه على طول الطريق. عندما كان ديان يقف متفرجاً، حملت على كاهلي تأسيس واقامة «رافي»، والآن هل هذه هي مكافأة لي؟!

أسرع ولفينزون لمغادرة المكتب تاركاً بيريس في حالة معنوية متردية، محبطاً وحزيناً. لم يفلح في رفع معنوياته. يمكن معرفة بيريس على حقيقته أثناء غضبه. فهو عندما يعتريه الغضب، لا يصون لسانه، بل يتمادى في الافتراء والنميمة على رفاقه. وقد قال عن موشيه ديان «أي طراز متوحش من الناس هو ديان؟ فهو يستطيع الجلوس في غرفتك، وأن يحدق مباشرة بعينيك، وفي الوقت نفسه يمكنه أن يسلخ جلدك أثناء الحديث دون أن يرمش له جفن». كان الحسد تجاه ديان يشتعل داخله..

بعد حرب الأيام الستة (حزيران ١٩٦٧)، وعندما كان ديان وزير دفاع مكللاً بهالة النصر، وكان أبرهام ولفينزون محرّراً للسان حال «رافي» («مباط شني»)، وصلت إلى طاولة المحرر صورة لبيريس يحتل عرضها عمودين في الصفحة الأولى... ولما طالع بيريس كعادته النسخة الأولى من الصحيفة مباشرة بعد خروجها من ماكينة الطباعة، سأل بغضب: «هل يعاني ولفينزون أيضاً من عبادة الشخصية؟!».

يوسيف الموغي، الذي لا يختلف الكثيرون حول خصاله ومساهماته الجليلة في خدمة الدولة عندما كان عضواً في الكنيست وزعيماً عمالياً ورئيساً لبلدية حيفا، أنشأ يقول في كتابه إنه: بينما كانت المحادثات تتواصل حول شروط الوحدة (بين رافي ومباي) عمل بيريس انقلاباً في لسان حال رافي «مباط حداش»، حيث استبدل المحرر أبرهام ولفينزون بـالكناغناي، وهو من أنصار بيريس المعروفين. كان ولفينزون من قادة الأقلية، في «مباي» الذين انضموا إلى «رافي»، ولم يكن هناك أحد يختلف على أن ولفينزون شاب ذو ثقافة وقيم، جذوره راسخة في «حركة العمل»، ومع ذلك فقد ارتأى بيريس استبداله في الأسابيع الأخيرة من وجود وصدور الصحيفة الحزبية.

قدماء رافي ومباي لم يلتزموا الصمت إزاء أمين عام «رافي»، شمعون بيريس، الذي يسيء

لكرامة الكثيرين، ويدمغهم بأوصاف وألقاب، ويمعن في إهانتهم. لم يسع هؤلاء للانتقام من المهين أو الثأر لكرامتهم، بل اكتفوا بانتقاء وصف أو نعت يتألف من كلمة واحدة دأبوا على استخدامه إزاء بيريس: «منحط»، وقالوا إنه عديم القيم والأخلاق.

في أيلول ١٩٦٧، عقدت في تل أبيب جلسة مركز «رافي» التي ناقشت اقتراح بيريس بالاتحاد مع «مباي» و«أحدوت هعفوداه». جلس بن غوريون في ركن من قاعة الجلسة وإلى جانبه ولفينزون. طالت الجلسة لتستغرق خمس ساعات،.ألقى بيريس خطاباً امتد ساعة ونصف الساعة معلناً تأييده للاتحاد، وهو الموقف نفسه الذي عبر عنه يوسيف الموغي. عندما ألقى الأخير كلمته، همس بن غوريون في أذن ولفينزون «المتحدث الآن إنسان مستقيم. لا أوافقه بأن «مباي» قد يتغير نحو الأفضل، ولكنني واثق من صدقه. إنه رجل مخلص موثوق، ومثال للشهامة، لم يخيب أملي قط».

وعندما تحدث بيريس، أبدى بن غوريون ضجراً ونفاد صبر. ولما بلغ بيريس ذروة خطابية بحديثه عن الحاجة للوحدة مع «مباي»، أخذ بن غوريون يشيح بوجهه ليعبر ضمناً، ودون كلام، عن امتعاضه واستيائه، وراح يهمس في أذني ولفينزون دون توقف، مكرراً عدة مرات كلمة «أي غبي، أي غبي أخرق.. غبي.. غبي».

في الشهر نفسه، عشية الوحدة مع «مباي»، قام بيريس بإعداد مذكرة متطرفة، ظهر فيها للمرة الأولى بتطرفه الأمني والسياسي، الذي كان سافراً وأكثر حدة من تطرف صقور «حيروت». وقد سعى بطريقته ليظهر لشركائه الطبيعيين في «مباي» و«أحدوت هعفوداه» أن هناك في «رافي» من يمكن التحدث معه، وأنه العنوان الأهم والأعلى في شؤون الخارجية والأمن، وليس فقط موشيه ديان الذي اعتادوا التشاور معه بالذات في تلك الشؤون.

ان من يقرأ أدناه مذكرة بيريس الأمنية-التي تنشر هنا للمرة الأولى-سرعان ما سيتساءل بالتأكيد: ما الذي حدث للصقر شمعون بيريس-الذي غير جلده منذ العام ١٩٦٧ ولغاية أيامنا هذه مرات عديدة، لدرجة التعري الذاتي الفاضح من اليمين المتطرف إلى اليسار المنادي بمؤتمر دولي، وسط إغوائه لحمائم حزبه المعتدلين، رغم استياء واحتجاج صقور «حزب العمل» الصاخب، الذين زعموا عبثاً «نحن الحزب..».

كان كل شيء مشروعاً في نظره في ذلك الوقت، في سبيل نيل إعجاب صقور «مباي» وفي مقدمتهم غولدا مئير، فقط كي يوصوا باستيعابه من جديد بين صفوفهم-الاندماج المنشود الذي يتوق إليه، لإدراكه أن هذا الطريق هو ما تبقى له فقط من أجل تحقيق تطلعاته الذاتية، طريق الشراكة الثلاثية: مباي-رافي-أحدوت هعقوداه.

فيما يلي نص بنود برنامج بيريس بتاريخ ١٧ / ٩ / ١٩٦٧ كما دبَّجه باسم «رافي»، بينما كانت علاقته (بيريس) مع بن غوريون قد بلغت ذروة التوتر على خلفية جره لـ«رافي» بقوة للعودة إلى أحضان «مباي»، خلافاً لموقف بن غوريون الذي آثر الصمت. «حرب الأيام الستة أنقذت اسرائيل من الحصار ومن خطوط الهدنة، وعمقت الصلة بين الشعب اليهودي وماضيه، وفتحت آفاقاً جديدة لبرنامج عمل سياسي واجتماعي واستيطاني، تتلخص مبادؤه الأساسية بالتالي:

أ- عدم التوجه نحو إجراء مفاوضات مع أي طرف حول حدود دائمة في المنطقة، وانما مفاوضات حول إحلال السلام.

ب- مفاوضات السلام بيننا وبين الدول العربية ستكون مفاوضات مباشرة.

جـ- إلى حين إجراء مفاوضات السلام تكون الاحتياجات الأمنية، هي الموجة والمرشد لتحركات دولة اسرائيل.

د- اسرائيل لا تتوقع ولا تنتظر قيام شعوب أخرى أو جيوش وأساطيل أجنبية، أو ضمانات خارجية، بالدفاع عنها وحمايتها.

اسرائيل ملزمة وقادرة على الاعتماد على قوتها الدفاعية وقدرتها الذاتية الرادعة.

هـ- ستأخذ اسرائيل زمام المبادرة لحل مشكلة اللاجئين (المتواجدين في أراضيها) وستقوم بدفع وتشجيع جهات دولية على الانخراط في جهودها الرامية إلى إيجاد حل دائم لمشكلة المواطنين العرب الذين يعيشون في مخيمات اللاجئين، عن طريق إعادة توطينهم في الإطار القائم أو خارجه، وفقاً للظروف، وحسب إتفاق مع الجهات ذات الصلة.

و- اسرائيل كانت وستبقى دولة اليهود، دولة الشعب اليهودي، وسيتمتع المواطنون العرب فيها بمساواة تامة في الحقوق، وستحترم احتياجاتهم الدينية، وتصان أماكنهم المقدسة

وحقوقهم الثقافية.

ز- المهمة المركزية للدولة في السنوات المقبلة، هي زيادة وتصعيد وتيرة الهجرة اليهودية، وسيصار إلى نقل مسؤولية متابعة الهجرة من الوكالة اليهودية إلى الحكومة. كذلك ستتم ملاءمة الاقتصاد لمتطلبات اجتذاب واستيعاب الهجرة، وسط التركيز على تكريس النهج العلمي، والتعليم والسكن، وعلى هيكلة اقتصادية وضريبية تشجع المبادرة والهجرة. وفي النشاطات الخارجية يتحول التركيز لينصب على حركة الهجرة بدلاً من التبرعات المالية.

ح- يقام استيطان يهودي في القدس الشرقية، شمال وجنوب المدينة-دون ان يؤدي ذلك إلى طرد سكان عرب.

ط- إحياء الاستيطان في الأماكن التي تركت مثل «بيت هعرابا»، «قاليا»، الخليل، غوش عتصيون.

ي- يكون نهر الأردن حدود اسرائيل. أولويات الحكومة، في حال كانت تتعلق بالسكان المقيمين غرب نهر الأردن، تكون مسألة أو شأنا بين هؤلاء السكان وبين حكومة اسرائيل.

قوات جيش الدفاع الاسرائيلي لن تنسحب من حدود نهر الأردن، الذي سيكون حدود اسرائيل.

ك-يتم الاستيطان في هضبة الجولان.

ل- تقام في منطقة سيناء مستوطنات ومواقع استيطان عسكرية، بمقتضى متطلبات الأمن والإمكانيات الاقتصادية.

م- تعزيز قوة اسرائيل العسكرية والأمنية، واستنفاد وتنمية الإمكانات العلمية والتكنولوجية لتطوير وتحديث المؤسسة الأمنية. دعوة الجيل الشاب إلى مواصلة التطوع في الجيش النظامي وقوات «ناحال». توسيع وترسيخ الصناعات العسكرية الجوية والالكترونية.

ن- بذل جهود لإستئناف الصداقة مع فرنسا من دون أن يؤدي ذلك إلى إضعاف العلاقات مع دول أخرى.

لقد أظهرت حرب الأيام الستة وحدة الشعب.. فهذه الوحدة ممكنة حسبما أكدت التجربة، وهي مطلوبة وضرورية كما تثبت الإحتياجات. إن الوحدة قابلة للتحقق عن طريق تصحيح

واصلاح النظام السياسي الاسرائيلي ذاته، وذلك من خلال تغيير طريقة الانتخابات إلى نظام انتخابي مناطقي يعتمد على الأغلبية وإتباع نظام حكم الحزبين في اسرائيل».

توجه بيريس مرة أخرى إلى ولفينزون بطلب «توسط» جديد، حيث قال له: بحكم علاقاتك الجيدة مع بن غوريون أود منك أن تُطلعه على وثيقة الـ ١٤ مبدأ، كي يبدي ملاحظاته عليها، والأهم مباركته لها.

أخذ ولفينزون البرنامج استجابة لطلب السكرتير العام، وتوجه به إلى بن غوريون. وعندما بلغ «العجوز» أثناء مطالعته للوثيقة الكلمة الثامنة «ومن خطوط الهُدْنة» إبتسم إبتسامة ماكرة ورسم بقلمه دائرة، وألقى بالورقة جانباً معبراً عن قرفه وإشمئزازه وسأل ولفينزون: «ما هذا الذي يقوله؟! إنه يريد القضاء على استقلالية «رافي». ما جدوى البرنامج إذا كان يريد الإنضمام فعلاً إلى مباي؟!».

عند عودته إلى مقر «رافي» أرسل ولفينزون قصاصة ورق لمسؤولة، كتب له فيها:

«شمعون، لقد جلست مع ب.غ وتحادثت معه في موضوع البرنامج الأمني («بيان المبادئ» الذي صغته) وطلب إرجاء الأمر يوماً أو يومين (لحين البت بشأن الوحدة)، وهو يعتقد أنه إذا أُقر إقتراح الوحدة، فلن يكون من الضروري أو المناسب البت في شأن البرنامج في إطار «رافي» وذلك عشية الوحدة».

رد بيريس على نفس الورقة، حيث كتب:

«أبرهام،

هل تحدثت معه بخصوص موقفه عشية الحرب؟!

ش.ب»

ولكن، ما العلاقة بين هذا وذاك؟ ما وجه الصلة بين تعليق بن غوريون على برنامج بيريس الأمني وبين رأي ب.غ عشية حرب الأيام الستة؟

ملاحظة بيريس الخبيثة هذه كانت أكثر من حقيرة تجاه معلمه وراعيه. وكانت قد راجت شائعات عشية حرب الأيام الستة، مفادها أن ب.غ يعارض الحرب. والآن، يقوم بيريس، وكرد فعل على قيام ب.غ بالقاء «وثيقته» المتطرفة بازدراء، ورفض مجرد قراءتها، بدس

ملاحظة «إنطوت على ما هو أكثر من مجرد قدح وذم، بل وربما أكثر من تشويه للسمعة. إنها إساءة في غير محلها كشفت عن نزعته الانتقامية وأسلوبه الذي يقوم بكليته على الثرثرات» حسب قول ولفينزون، الذي أضاف مؤكداً أن بيريس علم أيضاً أن «بن غوريون لم يعارض الحرب عبثاً.. بل كانت لديه ملاحظات بشأن كيفية إدارتها. لقد رغب في إقامة تحالف مع الغرب، وإهتم بمسألة المظلة الجوية».

صحيح أن تقويم الوضع من جانب «العجوز»، الذي لم يتم وضعه في الصورة كما يجب، ظهر كتقويم خاطئ كلياً، لكنه فضل الانتظار لفترة أخرى من أجل التسلح بالشكل المطلوب، على الخروج فوراً للحرب، بحيث تختار اسرائيل الموعد المناسب لذلك.

لقد ظهر بيريس، مجدداً على حقيقته، وهذه المرة في نظر أبرهام ولفينزون للمرة كذا... كمتآمر وكخائن غدربالذات بالرجل الذي أحسن له كثيراً وَرَقَّاه إلى منصب نائب وزير الدفاع.

في نطاق مبادئ برنامجه الأمني، عكس بيريس موقفاً في منتهى التشدد والتطرف والتصلب، يضاهي ربما مواقف «غوش ايمونيم». ولا شك في أن تحول بيريس اللاحق نحو الحمائمية والاعتدال السياسي تم بتأثير مستشاره المقرب يوسي بيلين، لكن هذا التحول ينبع أيضاً- كما يقول د. ولفينزون-من حقيقة أنه «لم يمتلك قط موقفاً مبدئياً مستقلا، ومن كونه إنتهازياً إلى أبعد حدّ يسير في الإتجاه الذي تهب فيه الريح، وعلى إيقاع من يعزف بجانبه».

*

في تموز ١٩٦٧، وعندما عاد ولفينزون من خدمة الاحتياط في حرب الأيام الستة، وعلم بانعطاف بيريس الحاد نحو مساندة الوحدة الاندماجية مع «مباي» ودون شروط تقريباً، سارع إلى الاعراب عن دهشته في إجتماع أمانة «رافي» بحضور بيريس نفسه، على اثر ذلك نشأ صدع عميق بين الإثنين بيريس، الحاقد والميال للانتقام، أخذ يتربص بـ«ولفينزون» حيث قام في نهاية العام ١٩٦٧ باقصائه عن تحرير «مباط حداش» (لسان حال «رافي») واستبداله بـ«الكناغناي» من رجال بلاط بيريس والمسبحين بحمده، والذي لم يكد يجلس على مقعده بضعة شهور معدودة حتى أصبح محرراً للصحفية لغاية اغلاقها وتوقفها عن الصدور. وكان

ولفينزون تولى تحرير الصحيفة مدة سنتين تقريباً، إبتداء من كانون الأول ١٩٦٥.

بعد مرور حوالي عشر سنوات، وفي غضون العام ١٩٧٦، حيث كان اسحق رابين رئيساً للوزراء وشمعون بيريس وزيراً للدفاع، أتى مبعوث جديد من طرف بيريس إلى د. ولفينزون، وهو موشيه غلبوع من وزارة الخارجية، تقابلا في مقهى «اكسودوس» في تل أبيب، طلب غلبوع من ولفينزون تأييد بيريس ضد رابين وأضاف: تحدثت عنك مع شمعون، وسيكون على استعداد لإستقبالك والتحدث معك في مكتبه.

قال ولفينزون لـ غلبوع: لا يوجد أي أمل في أن يقنعني. أنا أرفض تآمر وزير ضد رئيس حكومته، خاصة إذا كان يتولى في حكومته منصب وزير الدفاع. إضافة إلى ذلك، وإذا كان لا بد من الإختيار بين الإثنين، فإنني سأتبع المثل الايرلندي القائل: ما الفرق بين رجل السياسة والسياسي؟ الثاني يفكر في الانتخابات المقبلة، بينما يفكر الأول في الأجيال المقبلة.. وبحسب علمي ومعرفتي فإن بيريس قد يكون سياسياً، لكنه أبعد من أن يكون رجل سياسة.

في ٣٠ آذار ١٩٨٠ نشر ولفينزون مقالاً في صحيفة «معاريف» تحت عنوان «داڤيد بن غوريون عن يغئال ألون» وذلك بمناسبة مرور شهر على وفاة الزعيم الاسرائيلي، قائد «البالماح» ي.ألون. وقد تضمن المقال عدة جُمل أثارت قلق شمعون بيريس، من قبيل... « ..هذا الحديث فتح نافذة لساعات طويلة من الأحاديث «الشخصية» مع ب.غ، تمكن خلالها من إطلاعي على نظرته الحقيقية للعديد من الشخصيات في الساحة السياسية الاسرائيلية (حبه وتقديره لـ تيدي كوليك واسحق ناڤون، إعجابه باخلاص واستقامة يوسيف الموغي، نظرته الحقيقية لشمعون بيريس، تقديره لغولدا مئير.....)..»

إجتمع بيريس، عقب نشر المقال، مع قيادات «حزب العمل» في حيفا، بصفته زعيماً للحزب. كان متخوفاً من منافسة رابين، خليفة يغئال ألون. جرى اللقاء في منزل راحيل أديب، مديرة دائرة العضوية السابقة من طرف «مباي» ومن شخصيات الحزب الأخير البارزات في حيفا. تجمع نحو عشرة أشخاص ومن بينهم ولفينزون واليعازر مولك، سكرتير مجلس العمال في حيفا بين عام ١٩٧٠ و١٩٧٧ (مولك طلب من ولفينزون كتابة مقال مشترك معه، بغية تهدئة الخواطر في الحزب، والوصول إلى لغة مشتركة بين الخصوم، والحؤول بذلك

دون حدوث مواجهة بين رابين وبيريس، وبالفعل نشر المقال المشترك في «معاريف» في الثاني من أيار ١٩٨٠ . أيد «مولك» بيريس فيما أيد ولفينزون رابين. صحيفة «داڤار» نشرت مقالاً مشابهاً أيضاً) .

سأل بيريس «مولك»: هل تكتب مقالات مشتركة مع أبرهام ولفينزون؟

مولك: ولفينزون شخص موثوق بالنسبة لي، وكانت نواياه حسنة نحو تحقيق الوحدة في الحزب.

وسأل بيريس ولفينزون: كيف تكتب ان بن غوريون يحب يغئال الون؟! بن غوريون أحبني أنا وليس «يغئال». ولماذا كتبت ان بن غوريون صارحك برأيه إزاء شخصيات مختلفة، وأنك كنت مقرباً منه؟!

أنا الذي عَرَّفتك به («كَذِب»، علق ولفينزون) فكيف تكتب ضدي مُلمحاً ان بن غوريون كشف لك عن رأيه الحقيقي تجاهي؟! هل كشف لك عن ذلك حقاً؟ لقد حضر إلى منزلي مُتوسلاً قبل موافقتي على الانضمام لـ«رافي» ولم يأتِ إليك.. من أين أتتك أسراره؟

ولفينزون: منزلي لا يبعد سوى خمس دقائق من هنا، في وسط الكرمل، إذا وافق الحضور فإنني مستعد للذهاب للبيت، لإحضار جميع الوثائق والمستندات، لأثبت لك كل ما كشفه لي بن غوريون والعلاقة المتينة بيننا.

تدخل الحضور ليحولوا دون استمرار هذا الجدل العقيم، وسارع بيريس للإنتقال بالحديث إلى موضوع آخر.

لقد ضبط بيريس مرة أخرى متلبساً بالكذب، حينما أكد أن «بن غوريون حضر إلى منزلي متوسلاً قبل موافقتي على الإنضمام لـ«رافي» أي بعد تردده في تلك الليلة في منزل ب.غ في ٢٩ حزيران ١٩٦٥.

فالحقيقة، حسب المتتبع الرسمي لسيرة حياة بيريس، ماتي غولان، مختلفة ومغايرة، حسبما ورد في كتاب غولان «بيريس»

ص١٣٦:

«صبيحة اليوم التالي للاجتماع الذي تم في منزل بن غوريون، استيقظ بيريس من نومه

على جرس الهاتف. على الجانب الآخر من الخط بن غوريون.. قال إنه يريد القدوم حالاً إلى منزل بيريس كي يعتذر له على ما بدر منه من تصرف أثناء اللقاء. وأضاف، ان الأمر نتج عن التوتر الشديد الذي كان يعتريه، فرد بيريس انه لا داعي لأن يتحمل بن غوريون المشقة، وأنه-أي بيريس-سيذهب إليه.. وما أن تخطى (بيريس) عتبة منزل بن غوريون، حتى عانقه «العجوز» بحرارة معرباً مرة أخرى عن اعتذاره له...».

ثمة روايات أخرى لتلك الواقعة، لكن أين هذا من ذاك؟!.

في ٣١ آذار ١٩٨٠، عشية عيد الفصح اليهودي، وبعد يوم على نشر مقال ولفينزون في «معاريف» عن يغئال الون، هاتفه صباحاً حاييم يسرائيلي، من مكتب وزير الدفاع، والذي كان من المقربين جداً لـ بن غوريون، مرت عبره مراسلات «العجوز» لكونه مدير مكتب جميع وزراء الدفاع. في السابق استفسر «يسرائيلي» من ولفينزون عن أسباب معارضته لبيريس، وحاول التوسط بينهما. فرد عليه ولفينزون أنه ليس لديه أية مشكلة شخصية مع بيريس، لكنه وجده غير موثوق. في ذلك الصباح قال يسرائيلي لولفينزون:

قرأت مقالك عن يغئال ألون، وعلي أن أقول لك: إن بن غوريون سيبصم لك بالعشرة، لو كان حياً، على كل ما كتبت وبضمن ذلك وصفك للشخصيات، باستثناء شيئين: الأول، ان يغئال ألون كبا ذات مرة عندما اتصل مع مناحيم بيغن بهدف بلورة أغلبية في الكنيست في فترة «القضية» (فضيحة التجسس في مصر)، لكنني أتفق معك أن هذا الأمر لم يغير من نظرة بن غوريون تجاه ألون، وكل ما كتبته كان صحيحاً، ليس فقط بالنسبة لـ يغئال الون، وإنما حول الشخصيات الأخرى ايضاً..

بالنسبة للأمر الثاني، ليس لدي برهان على ذلك، ولكن لو كان بن غوريون على قيد الحياة، لما كان أيد إسحق رابين، وذلك بسبب حساب الدولارات الذي تبين أنه احتفظ به في الولايات المتحدة عندما كان رابين يعمل هناك سفيراً لإسرائيل.

عندما هاتف حاييم يسرائيلي أبرهام ولفينزون، كان عيزر وايزمان، وزير الدفاع، من منتقدي رابين، وهو الذي سرب لوسائل الاعلام عشية حرب الأيام الستة عن «إنهيار» رئيس الأركان (رابين).

مقال ولفينزون ذاته، في «معاريف»، وَلّد قضية أخرى.. فبعد فترة وجيزة من نشر المقال، إتصل بـ«ولفينزون» الصحافي شبتاي تيبت، داعيا نفسه لزيارته. حيث أخبر ولفينزون أنه يكتب عن سيرة حياة بن غوريون، وأنه سمع أن في حوزته وثائق من الفترة التي كان فيها ولفينزون قريباً من ب.غ، طالبا الحصول عليها إن أمكن، بما في ذلك صور ونسخ عن الوثائق. وتعهد «تيبت» بالحفاظ على هذه الوثائق، لكن ولفينزون الذي أدرك المقصود وتكهن باسم من جاء الرجل، أجاب ان الأمر غير وارد بالحسبان وأن الوثائق محفوظة في عُهدته، لكنه وافق من جانب آخر على الاجابة على أسئلة ذات صلة خلال الحديث الذي دار بينهما، أعطاه وليفنزون عدة وثائق وصور مرتبطة بعمله وبأشياء أخرى. فجأة طلب منه «تيبت» وثائق من فترة العلاقات المميزة التي جمعته مع بن غوريون وبيريس. لكن ولفينزون ردَّ طلبه لأنه (تيبت) لم يصل بعد في ما يكتبه لتلك الفترة.

«تيبت» قال لولفينزون (حسب شهادة الثاني): أُنظر، لقد أردت الحصول على شهادة من يغئال ألون، لكنه توفي فجأة، لذلك أريد أن أضمن نفسي.

سارع ولفينزون للرد على صفاقة المراسل، ومساسه به قائلا: ليس لدي خطط من هذا النوع، وعندما تصل إلى تلك الفترة سنتحدث.

وأكد ولفينزون في مقابلة معي قائلا «كنت أعلم أن تيبت أتى إلي في مهمة غامضة كلفه بها بيريس، الذي سعى بكل الطرق لمعرفة ما قاله لي بن غوريون عنه، كتلك العبارة التي ألمحت إليها في مقالي عن يغئال ألون، والتي أتى إليّ في أعقابها مبعوثه تيبت».

حديث ولفينزون مع «تيبت» ترك لديه أثراً سلبياً قاسياً، خاصة وأن «تيبت» أُعتمد، خلافا لرغبة ولفينزون، كمحاضر عن بن غوريون في جامعة تل أبيب. في الفترة نفسها، أتى إلي ولفينزون، رعنان كوهين، الذي عمل مديراً للدائرة العربية في «حزب العمل» ويتولى حاليا رئاسة قسم الانتخابات في الحزب. عرض عليه «رعنان» أطروحة كتبها عن موقف بن غوريون من المسألة العربية مرفقة بملاحظات «تيبت» عليها، والذي كان قد أعطى دورة حول الموضوع نفسه في الجامعة، حيث كان كوهين أحد طلابه. قرأ ولفينزون ملاحظات «تيبت» ووجد أنها تنطوي على «جهل تام». وأكد ولفينزون أن «تيبت لا يعرف بن غوريون ولا

المسألة العربية، وفي اعتقادي فقد أخطأ تماماً في كل تصوره، لكن ذلك لم يحل دون قيامه بابداء ملاحظات على أطروحة أحد طلابه من موقف إستعلائي، والأنكى أنه ألف بعد ذلك كتاباً في الصدد ذاته».

يعتبر «تيبت» منذ سنوات عديدة من رجال بلاط بيريس، إلى جانب عدد آخر من الصحافيين مثل ماتي غولان وأبرهام شفايتسر من صحيفة «هآرتس». كذلك كان «تيبت» يعتبر طيلة سنوات عديدة من أنصار موشيه ديان، الذي رأى فيه-هكذا قال لي خلال حديث في مكتب وزير الدفاع-«سوبر بلاط». وبحسب ما يقوله مقربون فإنه (تيبت) يجري مع بيريس «أحاديث ذات طابع فكري». ويشير يوسيف الموغي في كتابه «في الصميم» إلى أن الصحافيين ابرهام شفايتسر وباروخ بار (عمل الأخير محرراً إقتصادياً في صحيفة «هآرتس» وقد خَلَفَهُ الثاني في هذه الوظيفة، حيث كانا عضوين في هيئة التحرير) شاركا في اعداد برنامج «رافي» عشية الانتخابات للكنيست السادسة العام ١٩٦٥. هذه الحقيقة «أدهشت» الموغي، الذي يُنبهُ في كتابه قائلاً «لم أترك مباي لأنضم إلى «الصهيونيين العموميين»، ويضيف مؤكداً «باروخ بار كان مستشاراً اقتصادياً في اتحاد الصناعيين».

في المقابلات التي أجريتها معه صيف العام ١٩٨٧، تذكر أبرهام ولفينزون أنهم دعوا ذات مرة أبرهام شفايتسر من «هآرتس» لحديث في مقهى «ليليت» في تل أبيب-ملتقى أعضاء هيئة تحرير الصحيفة-حيث كان مطروحاً على بساط البحث موضوع حساس في «رافي». في ذلك الوقت كان شفايتسر نصيراً متحمساً لديان، لكنه لفت إنتباه ولفينزون إلى أنه يعتقد أن الرجل البارز في «رافي» هو بيريس وليس ديان، وذلك بحكم قانون فيزيائي على حد قوله وهو أن المادة اللينة تتكيف مع المادة الصلبة. وأردف شفايتسر: قد تستغرب إذا قلت لك أن ديان هو الليِّن وبيريس الصلب ولذلك فهو الزعيم. تَحوَّل شفايتسر شيئاً فشيئاً من تأييد ديان إلى تأييد بيريس، وعمل تارة كمتحدث غير رسمي باسم ديان، وتارة أخرى باسم بيريس في إجتماعات هيئة تحرير جريدة «هآرتس».

في العام ١٩٦٥، وعقب تشكيل قائمة مرشحي «رافي» للكنيست، حيث أدرج ديان بناء على طلبه في المكان السابع في القائمة في حين خُصِّصَ المكان الثاني للكاتب يزهار

سميلنسكي (س. يزهار)، دار الحديث التالي بين شفايتسر وولفينزون في مقهى «ليليت».

شفايتسر: من المعروف أن لديك تأثيراً على بن غوريون.. إذهب إليه وأطلب منه إقصاء سميلنسكي عن المكان الثاني في القائمة لأنه توجد له... مع... ب......، وإذا نُشر أو ذاع الأمر فإن ذلك لن يبدو.... من جانب «رافي» بوضعه في المكان الثاني. من الجدير إقصاؤه عن هذا المكان في أسرع وقت، وبن غوريون هو الذي يستطيع فقط القيام بذلك.

تجاهل ولفينزون طلب شفايتسر الذي رمى إلى تخصيص المكان الثاني لصالح، موضع اعجابه المناوب، شمعون بيريس، كي يظهر الأخير في قائمة مرشحي «رافي» للكنيست مباشرة بعد (رقم ١) دافيد بن غوريون. إذ بهذه الطريقة فقط سيظهر في نظر الجمهور باعتباره الوريث الطبيعي لـ بن غوريون، كما سيتحقق بذلك تطلع خادمه شفايتسر، الذي ولّف «الطبخة» لحساب موفدهِ الخفيّ.

*

أثرى ولفينزون أرشيفه الخاص خلال فترة عمله الطويلة إلى جانب بيريس. فقد أمكن له التعرف على دخيلة بيريس والنفاذ إلى أعماقه. وقد دون ولفينزون في مذكراته عدة قصص وحكايات مثل:

* انتقلت أبيبا أتشراكو، التي عملت سكرتيرة لبيريس عندما كان نائباً لوزير الدفاع، مع «رئيسها» إلى «رافي». كانت تقيم في حولون، في حين كان ولفينزون يقيم في ذلك الوقت في ريشون لتسيون. اعتاد ولفينزون في الكثير من الأحيان على نقل «أبيبا» بسيارته من مقر مركز «رافي» إلى منزلها في حولون في طريق عودته إلى بيته في ريشون.. كانت تظهر إخلاصاً وولاء لبيريس، لكنه اتضح أنه ليس هناك مثالية مطلقة، إذ لا يخلو الأمر من خصومات تنشب بين الحين والآخر. ففي غير مرة اجتاحها غضب عارم على بيريس.

في إحدى المرات التي كان ولفينزون يقلها فيها بسيارته إلى منزلها في حولون، سألها: كيف تفسرين أن بيريس أظهر في «رافي» عدم كفاءة تنظيمية، علماً أنه ترك انطباعاً، عندما كان يتولى منصب نائب وزير الدفاع، بأن لديه قدرة على تنظيم المؤسسة الأمنية وتفعيلها؟!

فأجابت «أبيبا» قائلة: هناك أسطورة حول بيريس في وزارة الدفاع. صحيح أنه كان يعرف

كيف «يضغط على الأزرار» لكن ليس هو الذي صنع الأزرار التي ضغط عليها.. أفضل مدير عام لوزارة الدفاع كان بنحاس سابير، الذي بنى كل المؤسسة وأورثها لبيريس، الذي لم يعرف أكثر من الدوس على المفاتيح - الأزرار، ولكن في قائمة «رافي» الصغيرة لا توجد أزرار يمكن الدوس عليها.

* راجت شائعات في «رافي» مفادها أن في حوزة القائمة صندوقين سريين باسم «قوة ١» و «قوة ٢»، وأنهما كانا يخضعان لإشراف بيريس فقط. وذكر أنه جمع في هذين الصندوقين تبرعات مالية من خارج البلاد، وأن هناك أيضاً حساباً سرياً في أحد بنوك سويسرا. كان الصندوقان محاطين بتكتم شديد لدرجة أنه لم يتم الاقتراب أو اللجوء إليهما حتى في ظل الأزمة المالية التي عصفت بـ«رافي»، حيث واجهت القائمة أكثر من مرة صعوبة في دفع رواتب موظفيها. بعد حرب «الأيام الستة» عمل أحد الصندوقين في تمويل نشاطات شرق «الخط الأخضر»، أيضاً بما في ذلك نشاطات تجارية متنوعة.

* عندما أقام بيريس حفلاً مهيباً (في ٢٨ آب ١٩٦٥) في «غان أور» بحديقة المعارض في تل أبيب بمناسبة بلوغ ابنه يهونتان سن البلوغ (بار متسفا) سألت دبورا نيتسر سونيا بيريس: من أين أتيت بالمال لتغطية تكاليف احتفال «بار متسفا» فخم إلى هذا الحد؟!

فردت سونيا بكلمة واحدة: «من الدعارة».. تاركة نيتسر في حالة ذهول.

* قالت غولدا مئير لـ أبرهام ولفينزون في حديث على انفراد: في كل جلسة نعقدها يقتبس بيريس اقتباسات من أحدث كتاب شهير صدر في الولايات المتحدة، ظناً منه أننا جهلة (مع فتحة). بعد ذلك عثرت على تلك الاقتباسات حرفياً في مجلة «الـ«ريدرز ديجست»».

* كان ولفينزون من ضمن أعضاء القائمة الذين أداروا المفاوضات مع قادة «مباي» حول الوحدة. وقد طرح السؤال بشأن كيفية تنظيم الاحتفال بالوحدة، والذي تقرر إجراؤه في «بيت اليشيبع» في القدس؟ إذ طالب ممثلو «أحدوت هعفوداه» بأن يرفع العلم الأحمر أيضاً وأن ينشدوا النشيد الأممي، لكن بيريس عارض ذلك بشدة وتصلب. أما ولفينزون فلم ينبس بكلمة.

بعد انتهاء الجلسة، وتوجه أعضاء «رافي» سيراً على الأقدام من مقر «مباي» في شارع «اليركون» إلى مقر «رافي» المجاور، قال ولفينزون لبيريس: لماذا عارضت بهذه الحدة رفع العلم الأحمر داخل القاعة وترديد النشيد الأممي.. فهذه شعاراتهم؟

أجاب بيريس: ولكنك لاحظت كيف غضبت غولدا! كان كل ما فعله بيريس يهدف إلى إغاظة غولدا، إذ ان ذلك كان يشعره بالراحة.

* يواجه بيريس صعوبة في اتخاذ قرارات أو بلورة رأي مستقل. كان يتوجه قبل كل مقال يكتبه ويهم بنشره للكثير من الناس ليبدوا رأيهم وملاحظاتهم حول مسوّدة مقاله، أثناء الخلافات التي نشبت بينه وبين ديان حول عمليات الرد الانتقامية التي قام بها الجيش الإسرائيلي في فترة حكومة أشكول، حيث كانت قائمة «رافي» في المعارضة، اعتاد بيريس على إجراء تغيير وتعديل في مقالاته كلما أبدى الذين تشاور معهم ملاحظات بشأن موقف ديان من المواضيع المطروحة، لدرجة أنه استبدل أحياناً كلمة «نعم» حيثما كتبها في مقال، بكلمة «لا».. وقد دأب على تذييل مقالاته في لسان حال «رافي» («مباط حداش») بإمضاء آبي يهونتان، ووقع بهذا الاسم المستعار عموده الثابت «بنكاس يروشلمي».

* عمل الصحافي بنحاس يورمان متحدثاً باسم «رافي» من العام ١٩٦٦ وحتى نهاية العام ١٩٦٧. بدأ بيريس بالتنصل منه، بعدما أعرب يورمان، كحال ولفينزون وآخرين، عن معارضته للتقلبات الكثيرة في موقف بيريس مع وضد الوحدة مع «مباي» و«أحدوت هعڤوداه»، حيث كان قرار بيريس النهائي منوطاً بتجسيد حلمه في أن يصبح وزيراً للدفاع في حكومة ليفي أشكول، التي استقال منها، بينما كان يشغل منصب نائب وزير الدفاع. وقد عارض بيريس بقاء «يورمان» كممثل من طرف «رافي» في لجنة الصحافة المنبثقة عن الحزب الموحد، عقب انضواء «رافي» في إطاره، مفضلاً ألكنا غناي، الذي يواليه ولاءً أعمى، لتولي هذه المهمة.

*

يوسيف الموغي من الذين عرفوا شمعون بيريس معرفة جيدة. في صيف العام ١٩٨٧، وعندما توجهت إليه لسماع رأيه، عاد وطرح السؤال الذي يتكرر بصورة مستمرة: لماذا لم

يعين بن غوريون، عقب استقالته من الحكومة، موشيه ديان كخليفة له في رئاسة الحكومة، وشمعون بيريس كوريث له في منصب وزير الدفاع؟!

وقد أجاب «ألموغي» بنفسه على سؤاله المحيّر بقوله: «لقد عرف بن غوريون طابع شخصيتهما». ثم أردف قائلاً: إن «العجوز» احتاج لفترة من الوقت حتى من أجل «التنصل» من موشيه شاريت. وتذكّر الموغي أن بيريس لم يكن راغباً في الاستقالة من منصبه كنائب لوزير الدفاع في حكومة ليفي أشكول، عندما رفض أو عارض إقامة «رافي» بناء على طلب بن غوريون. وقال الموغي: «جاءني مطالباً بأن أؤجل إعلان استقالتي من الحكومة، لريثما يعلن هو أولاً عن استقالته، فوافقت.. لكن شمعون لم يُعجِّل إلى تقديم استقالته». مردخاي سوركيس، الذي كان رئيساً لبلدية كفار سابا ومن قدماء «مباي»، علم بالأمر وسارع إلى «الموغي» مؤنباً: «لماذا تقبل أن يسبقك بيريس في إعلان الاستقالة؟!». في المحصلة أعلن الموغي وبيريس في الوقت نفسه عن استقالتهما من الحكومة.

استذكر الموغي أحداثاً كثيرة من تلك الفترة، تلقي بظلال شديدة من الشك والتساؤل حول بيريس مثل:

* محاولة بيريس تمرير قرار في «رافي» بعدم المصادقة على انضمام الموغي للحكومة، التي دعاه أشكول للانخراط فيها، غير أن محاولة بيريس هذه باءت بالفشل. وقد سعى بيريس لـ «إحباط» دخول الموغي للحكومة، بحكم ما شعر به من إهانة لعدم دعوته من قبل رئيس الحكومة للانضمام إلى عضويتها، لا سيما في ظل حقيقة أنه (بيريس) يتولى منصب السكرتير العام لقائمة «رافي».

* لم يكن بن غوريون يرغب بانضمام «رافي» للحكومة عشية اندلاع حرب «الأيام الستة». خلال عملية الانضمام للحكومة اجتمع الموغي وبيريس مع غولدا مئير. قال بيريس لغولدا، بشكل أدهش الحضور، ودون أن يكلفه أحد بذلك: إذا كان انضمام «رافي» للحكومة يستوجب حل القائمة وعودتها إلى «مباي»، نحن مستعدون لذلك.

غولدا والموغي انفجرا بالضحك.. قال الموغي لبيريس: من الذي خوّلك بهذا الكلام؟ يجب حسم هذا الموضوع في «رافي». غولدا أيضاً كررت كلام الموغي.

في كتابه «في الصميم»، والذي يتطرق فيه الموغي إلى هذه الواقعة، ذكر أن روبين بركات، شارك أيضاً في جانب من اللقاء المذكور الذي «ظهر فيه ما كان خافياً». فقد كان بيريس مستعداً للعودة إلى أحضان مباي «دون أية شروط»، فقط في سبيل الفوز بوظيفة معتبرة.

* كان واضحاً لـ الموغي، أنه ومنذ اللحظة التي وافق فيها موشيه ديان على الانضمام لحكومة أشكول دون بن غوريون، عشية حرب «الأيام الستة»، ومنذ أن ظهر بعد ذلك مباشرة استعداد بيريس للركوع، كما عبر عن ذلك أمام غولدا، لم تعد هناك ثمة جدوى في مواصلة النضال، ذلك لأن «رافي» لم تتشكل على أرضية خلافات أيديولوجية مع «مباي»، وإنما لإثبات صحة نهج بن غوريون. إثر ذلك بدأ الصراع بعد الحرب (حرب حزيران ١٩٦٧) حول ما إذا كان يجب الحفاظ على استقلالية «رافي». لم يتدخل بن غوريون في هذا الصراع لكنه «مَقَتَ كل تصرفات بيريس». في مؤتمر «رافي» كان الموغي بالذات مع الوحدة، وكان بيريس شبه معارض لها، أما ديان فقال: إنه سَيُسَرُّ إذا قالوا لا للوحدة، ولكن «سأكون راضياً إذا قلتم نعم». وكانت نتيجة التصويت ٥٨٪ مع الوحدة. من جهته نبَّه بيريس إلى أنه لا يجوز في ظل نسبة كهذه، التوجه إلى الوحدة مع «مباي»، لكن «شمعون ادعى ذلك في نطاق أسلوبه الانتهازي، لأنه لم يحصل على «المهر» الذي رغب به: منصب وزير، ولذلك لا يوجد بالنسبة له أي «عرس»، أما أنا فقد انتظرت المهر..».

* عقب اقتراح أشكول على «الموغي» الانضمام لعضوية الحكومة، استمر بيريس في دعوة قادة «رافي» لعقد اجتماعات، على الرغم من حقيقة أن الوحدة خرجت إلى حيز التنفيذ. «طيلة الوقت الذي لم يكن فيه بيريس وزيراً، كان كل شيء مبرراً ومشروعاً في نظره». لقد رغب بيريس في أن تقرر قائمة «رافي»، المنتقلة إلى رحمة الله، إبلاغ رئيس الوزراء أشكول، أنه إذا كان يريد مرشحاً من طرف «رافي» لتولي منصب وزاري في حكومته فإن عليه التوجه إلى «رافي»، وهي وحدها التي تقرر من تختار، وكل ذلك «فقط لأنني أنا [الموغي] الذي كان أشكول يريدني وليس بيريس. فهو لم يكن ليدعو مؤيديه في «رافي» إلى البت في الأمر، لو كان (الأمر) يتعلق به شخصياً».

هذه الزوبعة التي أثارها بيريس، جرى حولها نقاش عاصف في فندق «هَنَسيءْ» بالقدس.

تملك الموغي انفعال شديد، وأصيب بدوار وضعف جراء الهجمات التي شنها بيريس ضده، دون أن يتمكن من الدفاع عن نفسه مطلقاً. وسارع د. حاييم دورون، الذي كان رئيساً لإدارة «كوبات حوليم» (صندوق المرضى) إلى نقلة لمستشفى «هداسا». قرر الأطباء أنه أصيب بانهيار. أشكول رغب في ذلك الوقت بإسناد منصب وزير العمل لـ الموغي، وذلك ليتسنى إعفاء يغئال آلون من هذا المنصب، بعدما عين نائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للاستيعاب.

قبل فترة وجيزة من ذلك الاجتماع، خرج «الموغي» لتناول طعام الغداء في المطعم الصيني بالقدس، تلبية لدعوة من الصحافي آرييه تسيموكي.. وقد صادف وجود غولدا مئير ويسرائيل غاليلي أيضاً في المطعم نفسه.. طلبت غولدا من الموغي التوجه إلى مائدتها قبل مغادرته، حيث طرحت عليه سؤالاً نظرياً على حدّ تعبيرها وهو: كيف سيكون رد فعلك إذا اقترح عليك أشكول تولي منصب وزير العمل؟ فرد الموغي بأنه سيكون مسروراً بتولي المنصب، ولكن إذا اقترح أشكول منصب وزير الشؤون العلمية «فإنني سأوصي عندئذٍ بإسناد هذا المنصب لبيريس». انفجرت غولدا وغاليلي بضحكة مدوية، وتساءلا بازدراء وسخرية «وأين هو من العلم؟!». الموغي أورد هذه الحكاية في كتابه، لكنه ساقها بصيغة رقيقة أكثر.

* بعد تعيين ديان وزيراً للدفاع مباشرة، توجه الموغي إلى مكتبه، طالباً منه تعيين بيريس نائباً لوزير الدفاع، وهو المنصب الذي استقال منه بيريس عندما كان نائباً لأشكول. امتدّ الحديث بينهما مدة ساعة ونصف الساعة. ديان - تذكر الموغي أثناء المقابلة - شرح بشكل مسهب ومفصل جداً الأسباب التي تحدوه إلى عدم تعيين بيريس نائباً له. «تعهدت لديان بعدم نشر فحوى الحديث» قال لي الموغي، وقد وفى بالفعل بتعهده، لكنه أكد قائلاً «تكفي حقيقة أن ديان رفض بمنتهى الشدة تعيين بيريس نائباً له. فضل ديان تعيين مساعد آخر له وهو: الجنرال (احتياط) تسبي تسنور».

* عندما ظهرت معارضة لزعامة أشكول، وأخذوا يبحثون عن مرشحين محتملين ومقبولين في الحزب لخلافته، قال بيريس أمام محفل مقلص: إنه يجب الضغط من أجل تعيين المحامي حاييم تسادوك رئيساً للوزراء. وعندما طُلب منه شرح وايضاح ما ذهب إليه قال: سيكون من السهل علينا «كسر» تسادوك إذا أصبح رئيساً للوزراء. وكرر بيريس اقتراحه هذا عشية

المنافسة التي دارت بينه وبين رابين في العام ١٩٧٧ .

هل حقاً كان تسادوك بهذه الصورة في نظر بيريس وغيره - جوزة يسهل كسرها ، أم أن هناك نوايا أخرى كمنت في رأس «المتآمر الذي لا يكل» كما وصفه رابين؟ !

شهادة اسحق تونيك - مراقب الدولة الأسبق ، الذي كان من المقربين لبن غوريون ، وأحد زعماء «رافي» - حول علاقات بيريس - تسادوك ، تعتبر شهادة مفيدة وذات دلالة في حدّ ذاتها ، كما أوردتها «يديعوت أحرونوت» في عددها الصادر في ٧ / ٨ / ١٩٨٧ . الصحافي آرييه أبنيري الذي أجرى المقابلة معه يلفت الانتباه (وهذا بالتأكيد حسب أقوال تونيك غير المقتبسة مباشرة في المقطع المذكور) إلى أنه بدا في مرحلة معينة ، أن خليفة تونيك في منصب مراقب الدولة سيكون تسادوك ، وزير العدل السابق . وقد كتب الصحافي أبنيري أن «شمعون بيريس لم يؤيد تعيينه [تعيين تسادوك مراقباً للدولة] ربما بسبب وجهة نظر - قانونية - قدمها تسادوك بصدد جهاز الأمن العام [الشاباك] » . بعد ذلك يقتبس الصحافي الأقوال التالية على لسان تونيك : كان يمكن لتسادوك أن يكون مراقب دولة بارعاً . فهو رجل قانون لامع ويتمتع بحكمة جمة .

بعبارة أخرى : بيريس رجل حاقد ، متربص ، يتبع أسلوب تصفية الحسابات .

* نفور زوجة بن غوريون (فولا) من بيريس ، وهو أمر يشهد عليه الكثيرون ، يتأكد في حكاية ظريفة حول سيارة «فيات» . فبعد إقامة «رافي» تلقى «العجوز» هدية من يهودي إيطالي عبارة عن سيارة جديدة من نوع «فيات» ، والتي لم يكن بن غوريون بحاجة لها بحكم وجود سيارة حكومية فخمة وضعت تحت تصرفه مع سائقها لكونه رئيس وزراء سابقاً . ويروي «الموغي» في المقابلة معه أن «بيريس استولى فوراً على سيارة الفيات . . . هاتفتني فولا قائلة : تعال إليّ حالاً . . قالت ذلك وهي تدعوني تودداً «ستالين الصغير» . ولما وصلت سارعت إلى وضع مفاتيح سيارة «الفيات» في يدي مؤكدة : أنت الذي سيقود فقط سيارة بن غوريون . . أنت فقط ستقودها . . وهذا ما حصل بالفعل» .

يسوق الموغي في كتابه «في الصميم» سمات مميزة في شخصية بيريس حيث يرسم له صورة تخلو على الأقل من أي إطراء ، من قبيل :

* بذل شمعون بيريس وزبانيته كل ما باستطاعتهم بغية التنصل من «القضية النتنة» [فضيحة التجسس في مصر] ومن بن غوريون على حدّ سواء.

* ... تردد «الأنسباء» زعامة مباي القديمة [في الوحدة مع رافي] - كان أمراً مفهوماً. سابير كان على علم بالوضع الصحي لأشكول وغولدا، فقد تخوف من تعاظم نفوذ «رافي» بزعامة ديان - الذي بلغت شعبيته أوجها في تلك الفترة - في القيادة الموحدة. ولم تكن غولدا متحررة من الشكوك والارتياب في ضوء اتجاه الوحدة المتجدد. لم أستطع بطبيعة الحال إخبارها بما قلته في حينه لبن غوريون، بنوع من التندر الممزوج بالجدية، بأنني وبعدما عملت لبعض الوقت مع شمعون بيريس، أستطيع تفهم غولدا...

* ... التصادم الذي حدث بين غولدا ووزارة الدفاع، وارتيابها في أن مؤامرة قد حيكت ضدها في هذه الوزارة، على الرغم من تضحيتها من أجل بن غوريون، أديا إلى تقاربها (غولدا) مع سابير، الذي كان حمامة ناصعة البياض، ومع زلمان أورن، الذي كان هو الآخر من الصقور.

***

الصحافي المتقاعد من «دافار» حاييم شارآبي (شراعبي)، الذي أبدى بن غوريون تجاهه نظرة ودية للغاية، لا ولم يغفر لبيريس حتى اليوم. في العام ١٩٨٧، عندما ذهبت لإجراء مقابلة معه في منزله بـ«أفكا»، كان شراعبي قد بلغ السادسة والسبعين من عمره. شراعبي من مواليد اليمن، هاجر إلى البلاد مع والديه وشقيقه في كانون الثاني ١٩٣٥، وقد عرف أيضاً بكونه شقيق يسرائيل يشعياهو (شراعبي) الذي تولى رئاسة الكنيست من العام ١٩٧٢ وحتى العام ١٩٧٧. عمل حاييم شراعبي عضواً في هيئة تحرير «دافار» مدة ٤٢ عاماً، كمراسل ومحرر ليلي.

في فترة صراع بن غوريون حول «القضية النتنة»، كان شارآبي من مؤيديه المقربين، حيث انسحب معه من «مباي» - الذي يعتبر شراعبي من مؤسسيه، وظل عضواً فيه مدة ٥٨ عاماً - كما كان من أوائل مؤسسي «رافي»، وهو لا ينسى ولا يغفر، ويحتفظ في حوزته من تلك الفترة، بوثائق وأرشيف يدوّن فيه الأحداث، كالكثيرين من منتقدي بيريس.

ويذكر «شارآبي» أن بيريس انضم إلى «رافي» فقط بعدما كان شارآبي نفسه واسحق بناي ونحمان تامير قد أسسوا الحزب. وكان شاهداً على صراعات دارت في «مباي» و«رافي»، ورأى كيف كان بيريس يزيل من طريقه كل من يمت بصلة لمقربي بن غوريون، «باستثناء الجنرالات الذين عجز عن مواجهتهم أو التغلب عليهم» مثل يعقوب دوري، موشيه ديان، تسبي تسور أو اسحق نافون.

ويقول شارآبي: «أخبرني بن غوريون أكثر من مرة أن بيريس: لا يتصرف باستقامة». شارآبي، كحال أبرهام ولفينزون، سمع كيف كان بن غوريون ينعت بيريس بـ«الضال»، ويقول: «قال لي بن غوريون، والله شاهد على ما أقول: إياك أن تقترب من جحور بيريس الأربعة».

في العام ١٩٦٧، وبعد حرب «الأيام الستة»، عندما شعر مؤسسو «رافي» أن بيريس يسعى للوحدة مع «مباي»، وينوي بأسلوبه حل «رافي» بسرعة من خلال مباحثات سرية أجراها مع زعماء «مباي»، كتب شارآبي لبن غوريون عن المخطط الذي يجري تدبيره. دعا «العجوز» شارآبي، بعد أن قرأ رسالته، إلى زيارته. في ١٢ آب ١٩٦٧، الساعة الرابعة عصراً، وصل شارآبي إلى منزل بن غوريون. احتوت الحجرة على مقعدين خصصا لـ«فولا» وشارآبي، إضافة للمقعد الذي جلس عليه بن غوريون.

دار الحديث بين شارآبي وبن غوريون على النحو التالي، وفقما أورد ذلك الصحافي (شارآبي).

* ب.غ: كيف الحال؟

شارآبي: كيف حالي؟! إنني أشعر بخيبة أمل!

ب.غ: مني؟!

شارآبي: من الجميع!

ب.غ: من موشيه [ديان]؛

شارآبي: ومن بيريس؟

«وجّه بن غوريون إكفهر وتكدر، وبعد أن حدق بي بغضب ينم عن صدمة، رفع صوته

قليلاً وقال: (إياك أن تتحدث مع هذا الرجل، إياك أن تثق به.. لا تقترب منه)، ثم وبينما كانت قبضة يده اليمنى مضمومة، بسط راحة يده وخاطبني قائلاً: (إياك أن تقترب من جحور بيريس الأربعة)».

في نهاية الحديث، وبعد أن كال بن غوريون المديح لمناحيم بيغن «إنسان نزيه جداً.. يمكن الاختلاف معه...»، ولفت الانتباه من باب التذكير قائلاً «جميعهم تخلوا عني..»، نزل شارآبي إلى الطابق الأسفل بناء على طلب «فولا». جلست في ركن، وأمامها طبق - صينية - احتوى على فنجان شاي وقطعة كعكة، وطلبت من شارآبي الجلوس على الأريكة. ومضى شارآبي، مقتبساً ما قالته له فولا مؤكداً «الله شاهد على دقة ما أقول»: «أنت لا تعرف ما الذي فعله بيريس هذا، لقد قتل دافيد [بن غوريون]». اغرورقت عينا فولا بالدموع. حاولتُ التهوين والتقليل من شأن كلامها، لكنها أصرَّت وقالت «ليمح الله اسمه، لقد قتل لي دافيد!».

حاولت سبر أغوار شارآبي، ومعرفة ما ضايقه في خضم صيف العام ١٩٨٧، وجعله يتحامل على شمعون بيريس إلى حدّ البوح بأسرار من أحاديث شخصية حميمة أجراها مع بن غوريون وعقيلته فولا قبل سنوات طويلة؟

في ١٦ حزيران ١٩٨٧ كتب شارآبي رسالته إلى بيريس، وبعد مرور شهر أشاعها في صفوف ناشطي «حزب العمل» وذلك في أعقاب «تهرب زعيم الحزب» (بيريس)، الذي لم يكلف نفسه عناء الرد باسمه، وإنما أرسل رسالة إلى منتقده، مؤلفة من سطر واحد، تؤكد استلام الرسالة، وعليها توقيع عليزا إيشد، معاونة وزير الخارجية.

أقوال بيريس في صيف العام المذكور أثارت غيظ شارآبي الذي قرر بدوره إرسال رسالته تلك إليه. «بيريس لا يملك رؤية..» قال لي شارآبي في منزله، بينما كان منكباً على مطالعة كتب دينية، وأضاف «إنه يريد أن يكون زعيماً هنا في إسرائيل وعلى مستوى العالم. أنت تعرف بالتأكيد ما قاله عنه كل من رابين وشاريت. كان بن غوريون مشغولاً في مصيبة قضية (فضيحة) لافون، ولم يكن لديه الوقت الكافي للتصدي لبيريس. قضية لافون استنزفته بشكل كبير. بعد ذلك بدأت المعركة ضد أشكول، الذي رأى فيه بن غوريون وريثاً له. ادعى بيريس أن بن

غوريون كان مع دولة صغيرة، أي أن بيريس هو الرجل المفكر صاحب الرؤيا، ولكنني أعرف رؤية بن غوريون. أقوال بيريس وترت أعصابي. فهل كان بن غوريون يؤيد دولة صغيرة حقاً (؟) وهو صاحب الرؤيا والعقيدة الصهيونية. في الكونغرس (المؤتمر) الصهيوني في زيوريخ صرح بن غوريون قائلاً «لن أتنازل عن سنتيمتر واحد».. وبيريس يعلن طيلة الوقت أنه تلميذ بن غوريون.. هذا يثير سخطي وغضبي». ويؤكد شارآبي في رسالته لبيريس:

... اليوم وقد دنت آخرتي، ليس لي من عزاء سوى التعبير عما يثير سخطي، ويقهرني يوماً بعد يوم منذ سنوات طويلة.. إن ما يثير سخطي هو الاستغلال الأرعن، المخادع والكاذب، لاسم بن غوريون، من قِبَلِك ومن قبل آخرين من أمثالك... إنك تؤسس رؤياك على الخيار الأردني والمغربي، على الحسين والحسن، آخر نبيين منقذين للأمة اليهودية... إنك تجسد نظريات «ماتسبين» و«السلام الآن»... لم يشهد التاريخ فترة هبّ فيها اليهود بعدتهم وعتادهم لتحقيق أهداف أعدائهم مثلما تفعل الآن أنت وصحبك.. هل ستسقط يهودا حقاً في أيدي منظمة التحرير الفلسطينية، والقدس وجبل الهيكل في أحضان عرفات؟! هل جُنّ جنون هذه الأمة؟!... أنت تخيفنا بالحروب... لكنك لن تفهم أبداً ما يفكر به العربي تجاه اليهودي، لن تفهم تطلعاته وقناعاته. ليس هناك شيء يمكنه إقناعهم بالاعتراف بحقنا في هذه البلاد، علماً أن أيام أمتنا منذ احتلال يهوشاع ولغاية اليوم، دامية بحروب لا حصر لها.. جزء من هذه الحروب يرويها التاناخ. ليس هناك من شعب حولنا احتمل أو تقبل وجودنا، وقد عشنا حتى اليوم بدمائنا وتضحياتنا. هذا التحالف الذي عقدته يا شمعون، مع «ماتسبين» و«السلام الآن» ومع الحسن والحسين لا يمثل رؤيا بن غوريون أو رأيه. إنه تشويه تام لمقاصده ونواياه... هذا النهج الذي تسلكه من شأنه أن يمزق، ليس الوطن وحسب، بل والأمة كلها إلى أشلاء...

***

يصف مراقبون في «حزب العمل» ومن خارج صفوفه بهلوانيات وحركات بيريس، سواء في الساحة الحزبية - السياسية أو على صعيد العمل الدبلوماسي - السياسي، بأنها جزء عضوي من عملية شيخوخة وتعب وإعياء، واستنزاف وصراع مضنٍ ضد المعارضة الداخلية

التي واجهها داخل حزبه، ولكن من المشكوك فيه أن يظهر بديل له قبل انتخابات العام ١٩٨٨. يحوز بيريس على كفاءات متوسطة جداً، لا يعد مثقفاً واسع الاطلاع، ويفتقر إلى الكاريزما والموهبة الخطابية. ليس لديه لا جاذبية ولا جمال ولا لقب. يتحدر من الطبقة المتوسطة، عاش طيلة حياته على التناقضات والانقسامات. جنى فائدة كبيرة من الشرخ الذي أصاب «مباي» أواسط الأربعينيات، وهو الصراع التاريخي الذي نشب بين الحمائم والمتشددين لغاية تأسيس «أحدوت هعڤوداه» المتفرعة عن «مباي». المنشقون عن «مباي» في العام ١٩٤٤ كانوا من المتشددين أمنياً، وقد انبثقت عن هذه المجموعة غالبية أعضاء القيادة العليا لقوات «البالماح». إثر ذلك أصبح حزب «مباي» بحاجة ملحة لشريحة بديلة ولزعامة متشددة من طراز بن غوريون. هذا الأمر أفسح المجال لتسرب عناصر ضعيفة ومتوسطة من طراز شمعون بيريس، إلى الفراغ الناشئ داخل الحزب، والوصول للمرة الأولى للمراتب والصفوف المتصدرة لحركة «الشبيبة العاملة والمتعلمة» والتي شرع فيها بيريس بمؤامراته الرامية لتعزيز مكانته الشخصية. الانشقاق الذي حدث في «مباي»، أفرز بعد عدة سنوات تداعيات خطيرة داخل الحركة العمالية، كانشقاق الكيبوتسات إلى جناحين «اتحاد المجموعات والكيبوتسات» (يتبع «مباي») و«الكيبوتس الموحد» (ويتبع «أحدوت هعڤوداه»)، وصولاً إلى «الفضيحة المخزية» في القاهرة والإطاحة بـ لافون واستقالة بن غوريون من الحكومة وإقامة «رافي». ثمة رباط وثيق يربط هذه الأحداث ببعضها، كما أن تداعياتها لا تزال قائمة ومستمرة حتى أيامنا هذه.

لقد برزت سمات بيريس مباشرة في بداية مسيرته في حزب «مباي»: المواظبة والاندفاع والبقاء. هكذا شق طريقه إلى أن بلغ رئاسة الوزراء. أحد وزراء «حزب العمل» والذي عرف بيريس سنوات طويلة وكان إلى جانبه في مناصب رفيعة، وصفه قائلاً: «إنه ذو قدرة هائلة على المواظبة. ليس هناك مثيل له من حيث امتلاكه للحافز والدافع الداخلي للتقدم في سبيل البقاء بأي ثمن، وهذا كله نابع من انعدام الثقة بالنفس. فبيريس لا يثق بقدرته الذاتية الحقيقية، وتساوره في هذا الشأن شكوك ذاتية. ملامح وجهه ومظهره يوحيان بافتقاده إلى البعد الثقافي والتعليمي. يشعر بالمهانة والضعف أمام ثلاثة أنواع من الناس: المثقفون المتعلمون، والجنرالات وأصحاب رؤوس الأموال. وكل ذلك مرده خلفيته، فهو لم يلبس زي

الجندية، ولم يصب قدراً كافياً من التعليم، ونشأ في أسرة برجوازية صغيرة».

تلك هي شهادة وزير من أعضاء «مباي» في «حكومة الوحدة الوطنية».

لقد عرف بيريس، منذ أن كان في «الشبيبة العاملة والمتعلمة» و«هشومير هتسعير» [الحرس الشاب] التابعة لمباي، إلى جانب زملائه في تلك الفترة، مثل أبرهام عوفر وآشر يادلين أو داڤيد غولومب، عرف بجريه وراء الدعاية الذاتية. نشر اسمه في الصحف كواحد من معتقلي نزهة العقبة التي نظمتها حركته. فقد ألقى البريطانيون القبض على بيريس ونحو دزينة متنزهين قرب العقبة واقتادوهم إلى سجن بئر السبع. في ذلك الوقت، حيث كانت الحرب العالمية الثانية في أوجها، كان كثيرون من شبيبة «مباي» في عمر بيريس، يمارسون نشاطاً سرياً لصالح «الهاغاناه» و«البلماح» في الجيش البريطاني، في إطار «الفيلق اليهودي»، أو في الجانب الآخر، في تنظيمي «المنشقين» إيتسل وليحي. والده، فرسكي بيريس، انخرط أيضاً في كتيبة «خبراء حفر الخنادق» البريطانية ووقع في أسر العدو، لكن شمعون لم يسر على خطى والده. وقد أكسبه اعتقاله قرب العقبة هالة من الغموض، كنوع من التقليد لبن غوريون، الذي التقطت له صورة وهو يرتدي كوفية على شاطئ العقبة، في صيف العام ١٩٣٥ أثناء نزهة قام بها مع دوف هوز وموشيه شاريت وشاؤول أبيغور.

ولج بيريس المؤسسة الأمنية وبدأ يترعرع فيها منذ العام ١٩٤٧، وذلك بناء على دعوة ليڤي أشكول، بداية كرئيس لقسم القوى البشرية في «الهاغاناه»، ومن ثم في وزارة دفاع الدولة (اليهودية) الوليدة. وقد شكل ذلك بالنسبة له خشبة قفز عظيمة، لا بديل ولا غنى عنها لسيرة مستقبلية حافلة، وذلك عن طريق التصاقه باثنين من رؤساء الحكومة: ليڤي أشكول وداڤيد بن غوريون، اللذين تآمر عليهما.

الصحافي شلومو نكديمون، المعروف بمصادره حسنة الاطلاع، نشر في صحيفة «يديعوت أحرونوت» عدد ٥ / ٦ / ١٩٨٧ خبراً أورد فيه أن آبا ايبان كتب عن تآمر بيريس ضد أشكول في الطبعة الأولى لسيرة حياته الذاتية، غير أن الفقرة الانتقادية حذفت بناء على طلب وزير العدل، يعقوب شمشون شابيرا. وقد كتب ايبان في الأصل أن بيريس كان أحد الذين قادوا الحملة للإطاحة بأشكول عشية حرب «الأيام الستة» عن طريق «رافي»، وأن بيريس كرّس

جهداً لهذا الغرض (لإبعاد أشكول عن مقر رئاسة الوزراء بالقدس) يفوق الجهد الذي بذله لإخراج عبد الناصر من شرم الشيخ.

وبصفته رجلاً «حيوياً» على الدوام، أُعفي بيريس من التجنيد، وتمت ترقيته بقفزة هائلة بإيفاده إلى الولايات المتحدة الأميركية في نطاق بعثة مشتريات الأسلحة في العام ١٩٤٩. في نيويورك كرّس بيريس جُلّ وقته لتزيين وزخرفة صورته الذاتية، بتعلم الإنكليزية وأناقة اللباس وآداب المائدة. حيث تعلم للمرة الأولى عقد ربطة العنق وتناول الطعام بالسكين والشوكة. وعندما عاد إلى إسرائيل وهو في الثلاثين من عمره فقط، ارتقى إلى منصب مدير عام وزارة الدفاع.

بيد أن هناك عقدة «عقب أخيل» تصاحبه طيلة السنوات - سؤال محرج يطرح عليه: ما الذي فعلته خلال حرب التحرير (حرب العام ١٩٤٨ وإقامة الدولة)؟! كيف حاربت ضد البريطانيين؟ وجه بيريس يمتقع عندئذٍ ويطفح غضباً، وقد دأب على ترديد الإجابة التالية: «جُنِّدتُ في سلاح البحرية»، أو «كنت رئيس أجهزة استخبارات سلاح البحرية خلفاً لغرشون زاك». لم يطلق بيريس في حياته رصاصة واحدة. في الصراعات التي خاضها مع اسحق رابين على زعامة الحزب، كان يعاني من نقاط ضعف ومن إحساس جليّ بالنقص: رجل عسكري في مواجهة سياسي، وعلى هذا النحو كان حاله أيضاً إزاء ديان. نقص باثالوجي - مرضي. عين ديان اليسرى «المقلوعة»، والتي فقدها خلال معركة في سورية في أيار ١٩٤١، ذكرت بيريس دوماً من هو الرجل الحزبي - السياسي بالمقارنة مع شبيبة الحزب الآخرين، الذين ارتدوا البزة العسكرية وقاتلوا سراً لطرد البريطانيين. وجد بيريس بعض العزاء لنفسه في حقيقة أن عدداً من زملائه ضمن شريحة الشباب، مثل أبرهام عوفر وآشر يادلين وسواهما، مارسوا كذلك النضال المكتبي في الجبهة الداخلية بكونهم أيضاً «حيويين» مثله تماماً. على هذه الشاكلة كان أيضاً غرشون زاك، الذي صار لاحقاً مديراً لـ«هكفار هيروك».

الغمامة الجاثمة على صدر بيريس من جراء أنه لم يكن جندياً أو محارباً في تنظيم سري، أوقعته تحت وطأة الشعور بالضيق، ولا سيما عندما أصبح وزيراً للدفاع، وكذلك أثناء صراعاته مع رابين، رئيس أركان حرب «الأيام الستة».

بذل بيريس، صاحب الرؤيا والخيال الخصب حتى أحلام اليقظة، والتطلعات المجردة المفرطة، بذل جهوداً في وزارة الدفاع لتطوير الصناعة العسكرية والجوية، وكان من بين المساهمين في إقامة المفاعل الذري في ديمونا، وذلك، كما هو الحال دوماً، من وراء ظهر بن غوريون. اكتسب بيريس سمعة رجل تنفيذي معتبر، غير أنه أثار دائماً ارتياباً لدى الناس بشأن صدقيته واستقامته الشخصية. ربما كانت تكمن هنا العلّة وراء رغبته الجامحة في السعي دوماً إلى نيل إعجاب ورضى الجميع، على النقيض التام من السلوك الكارزماتي لمعلمه وراعيه بن غوريون، أو موشيه ديان، محط حسده الدائم. وكي يحظى بالتعاطف والتأييد تجده ينثر الوعود بشكل طائش وعشوائي، والتي يناقض بعضها البعض الآخر، وهي وعود غير قابلة للتنفيذ أو التحقق في العادة. ويغلب على ظهوره طابع الافتعال والتكلف، ويضفي على وجهه مسحة الرسمية والوجاهة. وينطوي سلوك بيريس على قدر من الشعور بالنقص الناجم عن ماضيه، وعن حاجته الدائمة للصراع من أجل مكانته ومركزه. وينهشه من الداخل طيلة الوقت شك قاتل في أن كفاءاته الضحلة تقف حجر عثرة أمام تطلعه، وتوقه لبلوغ قمة المجد والعلى. صحيح أنه لا ضير في الشك والنقد الذاتيين، بيد أن الشك الذي اعترى بيريس من النوع المحبط والمولد لليأس. إنه في صراع دائم مع نفسه ليختبر وضعه ومركزه في المجتمع والسلطة والحزب، وحتى على مستوى أسرته، وهو بذلك يتفحص ما إذا كان على مستوى التحديات؟ ومن هنا تكيّفه الدائم مع الرأي العام... ومحاولته إرضاء الجميع في كل الأوقات، كما جاء مثلاً في تصريحه بتوفير «سيارة لكل عامل».

في ٧ تموز ١٩٨٧، نشرت «دافار» مقطعاً مألوفاً عن نهج بيريس. فقد زار بيريس في ذلك الوقت بلدة «يروحام» كوزير للخارجية ورئيساً للجنة الوزارية لشؤون تطوير النقب، حيث صرح مخاطباً مستمعيه «المعركة حول القدس هي المعركة حول النقب». أمضى سنتين في رئاسة الحكومة، وفي السابق عدة سنوات وزيراً للدفاع، لكنه لم يفعل شيئاً لتطوير وتحسين أوضاع تلك البلدة المنسية (في صحراء النقب)، وها هو فجأة «يكتشفها» في صيف العام ١٩٨٧ أثناء زيارته للمنطقة. تعهد بيريس بـ«إنقاذ البلدة وبالعمل على تطويرها وتنميتها..». أو «سنبذل قصارى الجهد كي ينبلج الفجر المشرق من الظلمة..». مجرد

تصريحات مبهمة، وسفسطات في سبيل إرضاء مستمعيه والعزف على وتر أحلامهم.. ولكن هل هناك أصلاً من يثق به؟!

يلاحظ لدى بيريس انعدام ثقة بالنفس، وهو ما يحاول مداراته وإخفاءه عن طريق اطلاق تصريحات من قبيل «لن يخيفونا، لن يردعونا!» أو «على الرغم من النباح سأمضي في طريقي...» وهو هنا يمثل دور القائد العنيد المتشبث بهدفه. لقد ردّ بهذه الطريقة على معارضة وانتقادات هنري كيسنجر لخطته المتعلقة بالمؤتمر الدولي، حيث بدا بيريس كالطفل الذي سلبوه دميته. ويرجع دافع بيريس الخفي وراء كل حكاية المؤتمر الدولي، إلى رغبته في أن يكون بيغن عصره، حتى يسجل لصالحه في سيرة حياته التي تكتب وتُعدَّل طيلة الوقت من جانب صحافيين مأجورين، إنه الرجل الذي صنع السلام ليلحق بذلك ركب موشيه ديان وليكون أيضاً في عداد الذين حملوا بشرى السلام لحزبه، أو على الأقل بصفة من وقع على المعاهدة التاريخية. ويدير (بيريس) طيلة الوقت حواراً مكتوماً مع نفسه حول موقعه في تاريخ قيام وانبعاث إسرائيل. إن طريق بيريس بأكملها معبدة بالصراعات حافلة بالأعداء والخصوم الذين لم يغفروا له حتى آخر يوم في حياتهم، مثل شاريت وغولدا ولسكوف ورابين وكثرة آخرين من أمثالهم. فالكراهية تجاهه تبدو مطلقة، كلية. هناك أجزاء ومقاطع عديدة في جزئي كتاب مذكرات (يوميات) رابين، تصف الكراهية الشديدة والمستفحلة التي كان يضمرها تجاه بيريس، الذي عمل وزيراً للدفاع في حكومته، غير أن رابين أيضاً، كما خصوم كثيرون لبيريس، عاد للتعاون معه وحتى للعمل تحت مسؤوليته كوزير للدفاع، عندما تولى (بيريس) رئاسة الحكومة، وذلك حباً وطمعاً بكرسي الوزارة عقب الإحباط الشديد الذي اعترى رابين، وهو في مقاعد المعارضة من العام ١٩٧٧ وحتى العام ١٩٨٤، حيث لم يجد لنفسه شيئاً ينشغل فيه - كحال معظم السياسيين في اسرائيل - ما عدا العبث في سياسة ضيقة الأفق، والنبش في شؤون الأحزاب والمعسكرات.

أحد زعماء «رافي»، والذي كان شاهداً على أحداث تاريخية ضبط بيريس متلبساً بـ«خيانته لبن غوريون» عندما جرت المحادثات حول الوحدة مع «مباي». وقد روى الرجل قائلاً: «كانت تعقد عند الساعة الرابعة عصراً من كل يوم خميس في شارع «اليركون ٥٧» جلسة الأمانة

العامة المقلصة لقائمة «رافي» . كانت جميع قياداتنا تتواجد هناك . كان شمعون يقدم تقريراً عن محادثات الوحدة مع مباي ، أما بن غوريون فقد شارك في هذه الجلسات في أحيان متباعدة فقط ، حيث كان يقول (لن أتدخل ، لا أريد التأثير ، سأترك الرفاق ليقرروا ويبتوا في الأمر) . كان واضحاً للجميع أنه في طريقه إلى الاستقالة والاعتزال لأنه لن يوافق على الوحدة مع «مباي» . وبعد مرور ثلاث سنوات على ذهاب كل قيادة «رافي» مع بن غوريون إلى منفاه السياسي في الصحراء ، تركه الجميع وحيداً في عزلته السياسية . لقد تخلى بيريس عن بن غوريون عندما كان الأخير يمر في أصعب لحظات حياته . غالبية الباقين الذين كشفوا عن جشعهم للسلطة ، انجروا خلف بيريس ، حيث كان موشيه ديان منشغلاً في حقيبة الدفاع التي بلغ أوجه فيها ؛ يوسيف الموغي ، وبعدما أيقن أنه ما من ضابط ، وأن كل واحد يعمل من أجل مصلحته الذاتية ، انضم إلى الحكومة تلبية لدعوة ليفي أشكول ، وبالأساس كي يمثل فيها فلسفة بن غوريون ، الشاعر ناتان ألترمان لم يكن رجل سياسة ؛ حاييم هرتسوغ انصرف إلى أعماله الخاصة ؛ اسحق نافون تحول من خادم إلى مستقل كما انتخب للكنيست . من كل هذه النخبة التي نما وترعرع الكثيرون من أفرادها في كنف ورعاية بن غوريون لم يعلن ولو شخص واحد بملئ فمه «إذا انسحب بن غوريون من اللعبة ، فأنا أيضاً خارجها» .

تحدث الرجل - الشاهد بشكل سلس دون أن يحتاج لمراجعة وثائق بغية إنعاش ذاكرته ، التي ظلت صافية جداً بعد مرور عشرين عاماً على حزيران ١٩٦٧ ، حينما «أدت مسلكيات بيريس» إلى ظهور «رافي ب» داخل صفوف الحركة . وتابع قائلاً : «رافي ب كانت تكتلاً موالياً ليوسيف الموغي وحانيه لمدان ، ومئير تشيشيك ود . أبرهام ولفينزون . وقد رفض هؤلاء وآخرون غيرهم نهج بيريس . في صيف العام ١٩٦٧ ، بعد حرب حزيران ، أجرى بيريس مفاوضات مع بنحاس سافير حول الوحدة ، ما أفضى لحصول شرخ داخل «رافي» ، وكان هذا الشرخ حتمياً . تنقل بيريس جيئة وذهاباً من مقر «رافي» في شارع اليركون ٥٧ إلى شارع اليركون ١١٠ ، حيث مقر مركز «مباي» ، مسافة صفين من المباني مثّلا سنوات ضوئية تفصل بين بيريس ومعارضي الوحدة . حرض بيريس ضد الموغي ، كما ظهر شرخ بينه وبين المحيطين به . كان كل من يعارض بيريس والوحدة التي سعى إليها يواجه الإبعاد . افترقنا

عنه، يعترينا غضب وسخط، حيث انسحبت وآخرين في أيلول ١٩٦٧ . ومنذ ذلك الحين لم تعد هناك علاقات بيننا، وبالكاد نتبادل معه التحية... لم يعد لبيريس أيضاً منذئذٍ أصدقاء حقيقيون.. الشخص الوحيد الذي بقي نصيراً ضالاً لبيريس، هو الحنان يشاي، الذي عاش معه في كيبوتس ألوموت، والذي يعد من الموالين لبن غوريون. أبرهام شفايتسر وباروخ بار وشبتاي تيبت تركوا معبودهم الأول موشيه ديان ليتحولوا إلى مناصرة نجمهم المناوب (التالي بالدور) شمعون بيريس.

عندما قامت غولدا مئير بضم شمعون بيريس إلى حكومتها في العام ١٩٦٩ ليتولى منصب الوزير المكلف مؤقتاً بحقيبة استيعاب الهجرة، فعلت ذلك كما لو أن شيطاناً قد «ركبها»، وهي خطوة نبعت بالأساس من الوحدة مع «رافي» وعلى اعتبار أن بيريس كان مرشحاً للكتلة المنحلّة. خصصت غولدا مقعداً لبيريس في الطرف القصي لطاولة مجلس الوزراء ليكون بعيداً عن ناظريها قدر المستطاع، مبدية نفورها منه. لم تكن تحتمل وجوده بقربها على الإطلاق. أظهر بيريس منتهى الحرص والحذر من مغبة إبداء قلة طاعة وإخلاص لغولدا التي خبرته وعرفته حق المعرفة من فترة عملها كوزيرة للخارجية عندما كان بيريس نائباً لوزير الدفاع يتوكأ على عكازة بن غوريون. من جهتها حرصت غولدا على عدم ضم بيريس إلى «مطبخها» الشهير، فكان بمنزلة وزير «خارج المعسكر». على هذه الشاكلة كان حال العلاقات بين غولدا وبيريس لغاية ما بعد حرب يوم الغفران (تشرين الأول ١٩٧٣)، واستبدال بيريس باسحق رابين في العام ١٩٧٤ .

بدأت فصول قضية جديدة عنوانها: (متآمر لا يكل ولا يمل). قدماء الحزب لا يغفرون لرابين حتى اليوم كونه التزم الصمت ولم يطلق صرخة، كما نصحوه مراراً، ضد وزير الدفاع (بيريس)، ولم يقم بأي جهد لطرد بيريس من الحكومة. لقد تخوف رابين من أنه إذا تصرف وفق النصيحة التي أسداها له قدماء الحزب، فإن حكومته سوف تتداعى وتنهار بسرعة، جراء التأييد الذي سيحظى به الوزير المقال (بيريس) من جانب رفاقه أعضاء كتلة رافي، غير أن مخاوف رئيس الوزراء رابين كانت عديمة الأساس. فأعضاء (رافي) الذين توجس رابين خيفة من شبحهم، ما كانوا ليفعلوا شيئاً ما عدا أنهم سيمتدحونه فقط، ويثنون على جرأته

وشجاعته، بل وسيمدون له يد العون لو أنه قام بإقالة بيريس، وهم الذين عرفوه جيداً أكثر من أي شخص في الحزب، من خلال عملهم المشترك معه لغاية غدره بهم، وعلى وجه الخصوص غدره بزعيمهم داڤيد بن غوريون، حينما سارع بيريس لمقايضة تأييده والولاء له مقابل حصوله على مقعد في الحكومة. لقد دفع رابين ثمناً باهظاً لتردده وإحجامه، وظهر كسياسي مستجد قليل الخبرة إلى أن استنزف وخارت قواه. بعد ذلك جاءت قضية الدولارات الخاصة بالسيدة ليئا رابين في حساب بنكها بواشنطن. رابين أُسقِطَ ولم يسقُط».

***

غالباً ما يهرب بيريس من الواقع إلى عالم الخيال والأحلام.. ويُعدُّ ذلك إحدى سمات شخصيته، وعلامة مميزة بارزة في مسيرته السياسية - الحزبية. وعلى الرغم من أن «رافي» عُرفت بكونها حركة متواضعة في إمكانياتها ومواردها، إلا أن بيريس بالغ في رحلاته إلى الخارج. فهو عندما يكون بعيداً عن إسرائيل، يستنشق هواء قمم الجبال، ويجول بصحبة كبار الساسة والمشاهير، يرافقه دوماً صحافي بلاط ومصورون. عندما كان رئيساً للوزراء تصرف بالطريقة ذاتها، ولكن بحذر أشد جراء القيود والضوابط المفروضة عليه، كونه قائماً بأعمال رئيس الوزراء ووزيراً للخارجية. وهو مغرم بالحراس والسجاجيد الحمراء التي تفرش أمامه، وبحفلات الكوكتيل وبالروس والصينيين والأسرار والدعاية والصحافيين وعدسات التلفزيون. ذلك هو أسلوبه للتحرر من قيود الروتين والرتابة، وهو الذي يلعب دور الرجل العظيم في العالم. لقد نسج بيريس حول نفسه هالة فخمة وزاهية أكثر من أي وزير آخر، وأجرى لنفسه عملية زراعة أسنان جديدة مع طقم أضراس باهظ في مستشفى «تل هشومير». إنه يحتاج إلى تزيين صورته حتى يظهر في صورة سياسي أميركي لامع، بناء على نصيحة خبراء الدعاية والإعلام الملتصقين به. وهو يسجد للأغنياء ويحتقر الفقراء، ويحب الحفلات الزاهية والولائم الفاخرة، واحتساء الويسكي، والإقلاع عن التدخين، وكل ذلك لأغراض الاستعراض والدعاية. يقرأ غلاف الكتب ويحوم على سطوح النقد، وعندما يتبادل الحديث مع الكُتّاب تجده يرفل في ثياب الجهل، في ظل افتقاده لثقافة واسعة وغنية.

ذات مرة حاول بيريس اقتباس أقوال كتبها ثيوديديس، أشهر المؤرخين اليونانيين الذي

عاش بينْ سنة ٤٦٠ و ٤٠٠ قبل الميلاد، ابن أثينا الذي اشتهر بمؤلفه «تاريخ حروب بلوبونيس». تلا بيريس، الذي لا يحضر دروسه المنزلية كما يجب، على مسامع مجالسيه اسم المؤرخ وقد هجّاه بصيغة ثوكاديداس.

وعندما لفت أحد الوزراء انتباهه إلى الاسم بتهجئته الصحيحة، أجاب بيريس بغضب «الأمر جائز على الوجهين».

وفي حالة أخرى اسم كاتب سيرة حياة تولستوي هنري ترويا Henri Troyat، وليست «ترويت» كما حرّفه بيريس. فقد أخفق في تهجئة الاسم الأجنبي وترجمته مثلما يكتب مع (T) في النهاية.

ويشعر بيريس بوجوب مشاركته في أية مناسبة أدبية، وفي أي حفل يقيمه كاتب أو شاعر.. الانتقائية بعيدة عنه كل البعد.. فهو يقرأ كل شيء، ويقتبس من كل ما هبّ ودبّ، ويخطئ في الكتابة والإملاء، فالشعر والنثر عنده سواء. وهو يعرف «الرائعة» الجديدة للكاتب دان بِنايا سيري «عصافير الظل» التي صدرت في العام ١٩٨٧، لكن اسم الكاتب حسب تهجئة بيريس هو سَري مع فتح السين. ولو كان قد أمسك الكتاب بيده ونظر الى غلافه فقط، لكان قد لفظ بسرعة الاسم الدقيق من خلال تأمل كتابة حروف الاسم بالانكليزية: Dan - Benayaseri. وهو مغرم كثيراً بالتقاط صور له وهو يقف بجانب مكتبه، أو يجلس خلف درج عمله الضخم في مكتبه الحكومي وفي مقابلة أمام عدسة الكاميرا وراءه رفوف كتب بارتفاع سلم. إنه رئيس وزراء، وقائم بأعمال أو وزير خارجية، وهو أيضاً كاتب إذا دعت الحاجة وشاعر عند اللزوم...

إليكم حكاية أخرى: وصل د. أرموند هامر، الملياردير اليهودي ـ الأميركي العجوز، وأحد أرباب شركات النفط، في زيارة قصيرة إلى إسرائيل، بعد قيام حكومة الوحدة الوطنية. كان بيريس وقتئذٍ رئيس الحكومة الأول بالتناوب. في ذلك الوقت أقيم معرض في متحف اسرائيل بالقدس لرسومات الفنان فابلو بيكاسو. كان اطار احدى الصور مطلياً باللون الأزرق. بيريس الذي انبهر بما شاهده صرح معلقاً: «تلك كانت الحقبة الزرقاء في حياة بيكاسو». واجه المرافقون صعوبة في اخفاء حرجهم وشعر الجميع بالخزي.. أما «هامر» فحدج رئيس الوزراء بنظرة ثاقبة.

ويسرد بيريس محتويات كتاب ما من خلال مطالعته لغلاف الكتاب، أو من نقد قرأه عنه في الصحف، وذلك حتى يظهر سعة اطلاعه وإلمامه بالأدب، أو ليثير جدلاً في أوساط رجال الفكر الذين يحب الظهور في معيتهم، وبالأساس حتى يختبئ خلفهم أو يتذيل وراءهم. ويُكثر بيريس من الحديث عن الكتب التي قرأها، وعندما يقوم بالكتابة بنفسه، يطلع الناس على ما كتب طالباً ملاحظاتهم.

يتكلم الإنكليزية بلكنة بولندية ثقيلة، وقد تلقى دروساً خصوصية بالفرنسية. إضافة الى ذلك فإن لديه شغفاً بالثرثرة والنميمة. عندما أصبح رئيساً للوزراء «اعتنى بنفسه» في سبيل تحسين صورته وتلميعها. تظاهر بدور الزعيم المتزن، المقدام، صاحب الإرادة والعزيمة الفولاذية، لكنه كان يواجه مشكلة: إذْ لم يعد باستطاعته أن يطير إلى الخارج كلما خطر بباله ليهرب أو يتملص من الفئوية الإسرائيلية، وليكون في معية الكبار، مثلما فعل في نهاية تشرين الثاني ١٩٨٧، في الحفلات التي شارك فيها في باريس مع النجوم والمشاهير، مثل إيف مونتان لمناسبة احتفالات الدولة بالذكرى الأربعين لقيامها. فقد غصت دار الأوبرا الباريسية بشتى شخصيات ونجوم المجتمع الفرنسي الراقي، وراح بيريس يعانق ويقبل ممثلات السينما ورجالات السياسة والكتّاب والشعراء، وقد جرى تصوير كل ذلك بكاميرات الفيديو ونُشر في صفحات الأخبار.

ورث بيريس «مقربيه» مثل آل شويمر، من «العجوز» بن غوريون، وهو يعرف كيف يستغلهم ويفيد منهم في الولائم والحفلات البراقة في منتجعاتهم وقصورهم في الخارج. هكذا هو بالنسبة له أيضاً موكاليمون الذي تزوجت ابنته من أحد أبناء عائلة روتشيلد.. فالأمور عند بيريس تعني دوماً منفعة متبادلة أو كما يقول المثل: اسعَ لي أسعَ لك! وبيريس الضعيف على موائد الأغنياء، يعرف كيف يعوضهم ويرد لهم الجميل.

أقام بيريس علاقات شخصية حميمة مع جوليڤو، الذي كان لغاية العام ١٩٨٢ رئيساً لمجلس ادارة مصنع «إليانس» لاطارات السيارات الكائن في الخضيرة. وقد تبين ان ليڤو هذا محتال دولي(*) ومُخبر لحساب أجهزة تجسس، وعشيق المومس البريطانية السابقة ماندي

(*) انظر كتابي: جو يعود الى النور (مودان) ١٩٨٨.

رايس ديفيس، وفوق ذلك رجل مافيا في الولايات المتحدة الأميركية. وقد تباهى ليڤو على مسامع اسرائيليين وأجانب بالهدايا التي أغدقها على صديقه وزير الدفاع الاسرائيلي شمعون بيريس، حيث كان يحيك له البدلات حسب مقاسه، كلما ذهب بيريس لزيارته في مونتريال بكندا، ويستضيفه على نفقته في جناحه الخاص مع عائلته في فندق «هشارون» بهرتسليا، وكان بيريس في عداد رُواد بيته الدائمين، كما كان يبوح له بالأسرار، مثل استضافة اسرائيل سراً لجنرالات ايرانيين.

اجتمع رئيس جهاز «الشاباك» في ذلك الوقت، ابرهام أحيطوف، ورؤساء شركة «إليانس» مع شمعون بيريس في مكتبه بمقر وزارة الدفاع بتل أبيب بغية تحذيره من المحتال الثرثار «ليڤو»، لكن دون جدوى.

في كانون الثاني ١٩٨٧، وبينما كان بيريس وزيراً للخارجية وقائماً بأعمال رئيس الوزراء، شاعت أخبار علاقة شخصية أقامها بيريس مع محتال آخر وهو ديفيد بالاس، الذي كان من بين هداياه لبيريس ساعة يدّ، فضلاً عن مبالغ مالية كبيرة أغدقها بالاس على حزبه، والتي «اشترى» (واستوعب) حزب العمل بواسطتها عيزروايزمان في اطار «التجمع ـ المعراخ».

في فحص بوليغراف (جهاز اختبار الكذب) أجرته ايزابيل بالاس (زوجة ديفيد) في ٢٦ كانون الثاني ١٩٨٧ بشأن ساعة اليد التي أهداها زوجها لبيريس في صيف العام ١٩٨٤ تبين أن المرأة صادقة في شهادتها.. حيث قالت «في ذلك الصيف كنا مدعوين لمأدبة عشاء في منزل شمعون بيريس، أثناء ذلك رأيت زوجي يطلع شمعون بيريس على الساعة التي لبسها على يده. إنها نفس الساعة التي ابتعناها من فينيسيا بعد عودتنا للبيت، قال لي زوجي، إن شمعون بيريس أُعجب جداً بالساعة.. بعد مرور عشرة أيام أو أسبوعين ذهب زوجي لمقابلة شمعون بيريس.. ولما عاد في منتصف الليل قال لي: إن بيريس سرّ جداً [بقبول الساعة] ولبسها في اللحظة نفسها...».

في نهاية كانون الثاني فضحت حكاية الساعة في وسائل الإعلام، واضطر بيريس لإعادة الهدية الى أهلها. وادعى في دفاعه عن نفسه أنه تلقى الساعة السويسرية الصنع «هدية في عيد ميلاده» علماً أنها قدمت له بعد مرور أيام عديدة على تاريخ ميلاده المصادف في الأول من

آب، وذلك لسبب بسيط، وهو أن الزوجين بالاس ابتاعا الساعة في فينيسيا في ١٦ آب؟!.

يقال إن «الذي يكره الهدايا يعيش طويلاً»، لكن شمعون بيريس ليس من صنف السياسيين الذين يرفضون الهدايا. إنه شغوف بالهدايا والهبات، وكان مديناً بالشكر لـ «بالاس» على التبرعات السخية التي قدمها لـ «حزب العمل» في نطاق حملة الانتخابات، لدرجة أنه أرسل لـ «بالاس» رسالتين خطيتين.

ففي ٢٧ نيسان ١٩٨٤ كتب بيريس رسالة لـ «بالاس» على ورق الرسائل المروّس باسم زعيم حزب «العمل» جاء فيها:

«السيد بالاس المحترم

أشكرك من عميق قلبي على تبرعك المالي السخي لصالح جهودنا الحركية. الانتخابات في هذه المرة تعتبر مصيرية بالنسبة لصورة وواقع الدولة المستقبلي، كدولة يهودية وديمقراطية، ولانقاذ الاقتصاد القومي، وللاصلاحات الاجتماعية، ولتحريك عملية السلام.

سيبذل «حزب العمل» كل جهد ممكن في سبيل خوض معركة انتخابية نزيهة، حضارية وفعالة في ذات الوقت.

أكرر شكري لك على وقفتك ومبادرتك النبيلة

مع خالص التقدير

شمعون بيريس».

وفي ٢٥ حزيران ١٩٨٤ أرسل بيريس الرسالة الثانية التي جاءت أكثر دفئاً وحميمية:

السيد بالاس العزيز

بادرة تبرعاتك الجديدة أثلجت صدورنا للغاية.

تستطيع أن تكون واثقاً من أن هذه التبرعات ستسهم أفضل اسهام في جهودنا.

إن مساعدة سخية من رجال مثلك، من شأنها أن تسهل علينا مهمتنا بدرجة كبيرة.

ولنتمنى ونبتهل أن يكون النجاح حليفنا.

مع خالص المودة

شمعون بيريس».

عن أيْ شيء يدور الحديث هنا ؟

لقد تبرع دافيد بالاس لـ «المعراخ» بأكثر من مليون ونصف المليون دولار، جزء منها بشكل مباشر، وجزء آخر عن طريق تقديم ما وصف على أنه «قرض» لرامي أونغر لتسديد ديون قائمة «ياحد» حتى تتمكن من الانضمام للائتلاف، وتوقع اتفاقاً مع «المعراخ»، وهو اتفاق رُهن بتسديد الديون الضخمة للقائمة التي ترأسها عيزر وايزمان، والتي تراكمت عليها في فترة انتخابات العام ١٩٨٤ .

محامي بالاس، يعقوب ڤايزوت، أوضح للمستشار القانوني للحكومة يوسيف حريش في رسالة وجهها له بتاريخ ١٠ / ٢ / ١٩٨٧ أنه تبين أن بالاس تبرع للمعراخ بمبلغ ٦٠٠ ألف دولار بواسطة شيكات !.

هذا الأمر يدعو للتساؤل، ويحتاج إلى مزيد من الايضاح.. فمبلغ الـ ٦٠٠ الف دولار، باعتباره غير مسجل ضمن نفقات ومصاريف العمل، يساوي مليون ونصف المليون دولار، إذ يتوجب على الإنسان أن يكسب مليون ونصف المليون دولار غير صافٍ حتى يتمكن من اعطاء ٦٠٠ الف دولار غير مسجلة كمصاريف عمل.. جميع الدفعات كانت عملياً «قروضاً انتخابية» محسوبة بدون أية فوائد، من شهر آب وحتى تشرين الثاني ١٩٨٤، بحيث بلغت، بطريقة تلاعب حسابية، قيمة الديون ١٨٣,٣٩٢ دولاراً، كحساب جارٍ اعتباراً من ٨ / ١١ / ١٩٨٤ وحتى ٣٠ / ٩ / ١٩٨٥ بفائدة نسبتها ١٠٪ !!.

وكمكافأة لـ بالاس على مساعدته السخية لـ «حزب العمل» طرح زعيم الحزب شمعون بيريس فكرة خرقاء، عرضها على مسامع عدد من مقربيه، ومؤداها تعيين دافيد بالاس وزيراً للمالية. لكن بيريس تراجع عن اقتراحه هذا بعدما تبين له أن مرشحه (بالاس) ليس عضواً في «حزب العمل» !.

لم يظهر بيريس على حقيقته في صدد قضية بالاس فحسب، في محفل وزراء «المعراخ» المسمى «وزراؤنا» وبخ بيريس زملاءه الوزراء بعد فترة قصيرة من حلول اسحق شامير مكانه في رئاسة الحكومة (حكومة المناوبة)، حيث خاطبهم بيريس قائلاً: «كُفوا عن دعوة شامير بلقب رئيس الوزراء. يكفي أن تقولوا (شامير قال..) وليس (رئيس الوزراء قال..) عليكم

أن تسموه باسمه فقط : شامير ، وإياكم ان تضيفوا له لقب رئيس الوزراء».

هذه شهادة وردت على لسان وزراء «المعراخ» الذين شاركوا في جلسة محفل «وزراؤنا» الآنفة الذكر.

لقد دهشوا ازاء المستوى الذي انحدر اليه بيريس في تفاهته وتآمره.

خلال الشهور الأولى من العام ١٩٨٨ نشرت أخبار في وسائل الإعلام العالمية والاسرائيلية، جاء فيها ان شمعون بيريس و«حزب العمل» حصلا مجتمعين أو منفردين، كل على حده، على مبالغ مالية لقاء اعطاء حصانة اسرائيلية لأنبوب النفط الذي خطط لمدّه بين العراق والأردن. الرجل الذي توسط في هذه الصفقة المريبة التي تفوح منها رائحة الفساد، والتي اتفق حولها في فترة تولي بيريس لرئاسة الحكومة، هو بروس رففورت، إسرائيلي سابقاً (هاجر من اسرائيل هجرة معاكسة) ومن أصحاب رؤوس الأموال وأرباب صناعة النفط وأعمال التجارة الدولية، يقيم في سويسرا، وقد ورد في هذه القضية أيضاً ذكر اسم المدعي العام الأميركي ادوارد ميز. ويشار الى رففورت باعتباره من المقربين لشمعون بيريس، حيث كان قد تبرع في الماضي لصالح حزب العمل.

شولاميت ألوني تسخر من محاولات التقليد التي يقوم بها بيريس، والذي يسعى للاقتداء تماماً بساسة وزعماء كبار والسير على خطاهم. وتؤكد ألوني: بيريس ليس تشرشل، فهو «لا يصغي للمستشارين، وإنما يطلب منهم فقط تزكية ودعم قراراته ومواقفه. جدير به أن يتلقى دورة في نظرية القانون والعلوم السياسية، قبل أن يدرس التلمود على يد الحاخام عوفاديا يوسيف»..

أحد الوزراء أجمل فترة تولي بيريس لرئاسة الحكومة على نحو مختلف بعض الشيء:

«كان بيريس رئيس وزراء ممتازاً خلال أول عامين من ولاية حكومة الوحدة الوطنية. لم يتهرب من المشاكل. ألقى نفسه في المياه المتجمدة والآسنة للاقتصاد المهلهل الذي ورثه من الليكود. نجح في تجنيد رفاقه في الحزب وأمين عام الهستدروت يسرائيل كيسار من أجل إنعاش الاقتصاد والقضاء على التضخم المالي. لكن وداعه أو افتراقه عن منصب رئاسة الوزراء كان غريباً جداً، وكذلك سلوكه وتصرفاته منذ أن حلّ مكانه اسحق شامير».

*

لعل إسْحق رابين عانى بشدة، أكثر من أي زعيم آخر قبله، من مؤامرات بيريس، عندما كان الأخير وزيراً للدفاع في حكومة رابين (١٩٧٤ - ١٩٧٧). لا شك أن ظلماً يلحق برابين، عندما يلجأ الناس عادة لاقتباس أو اجتزاء عبارة واحدة في شكل خاص قالها عن بيريس في كتاب مذكراته، التي تحولت الى شعار انتخابي: «متآمر لا يكل ولا يمل».

فهذه العبارة ليست إلاّ غيضاً من فيض، قالها رابين في حق بيريس، في جزئي كتاب سيرته الذاتية الحافلين بالنقد الجارح لزعيم الحزب والوزير والرفيق والسياسي الذي لا مثيل له في الغدر والتآمر.

فيما يلي طائفة من تفوهات وتصريحات قالها رابين عن بيريس، جميعها مقتطفة من كتاب يوميات رابين:

* ... عدد من الشخوص الذين شحذوا سكاكينهم ضد لافون، تبنوا أساليب التآمر واستخدموها بصورة دنيئة خلال سنوات لاحقة. وقد جرّ هؤلاء في النهاية على «حركة العمل» وربما كان ذلك أيضاً قصاصاً لهم ـ هزيمة السابع عشر من أيار ١٩٧٧ حيث ساعدوا «الليكود» في الوصول للحكم.

* ... لقد عرفت حقيقة بيريس، وعرفت طبيعته وسمات شخصيته. لم أثق بأية كلمة قالها. كنت مصمماً بأنه إذا انتخب بيريس لرئاسة الحكومة، فإن قدمي لن تطأ أعتاب هذه الحكومة...

* ... نظرت بخطورة بالغة إلى امكانية تولي بيريس لمنصب رئيس الحكومة من طرف «حزب العمل»، لم استطع التسليم بذلك. ربما كنت أنتمي إلى جيل أسميه نموذج ١٩٤٨، جيل حرب الاستقلال. لقد اعتبرت أن قيام «حزب العمل» بتقديم مرشح لم يرتد بزة الجيش الاسرائيلي، لتولي أرفع منصب سياسي في اسرائيل، يُعد بمنزلة نقيصة معيبة من الدرجة الأولى. إذ لم يسبق أن كان هناك رئيس وزراء في اسرائيل لم يرتد في حينه البزة العسكرية. فـ«بن غوريون» وأشكول خدما في «الكتيبة العبرية» كتعبير عن التجسيد الشخصي للمشاركة الفاعلة في حرب الشعب اليهودي...

* ... لم أعتبر شمعون بيريس الرجل الأنسب لتولي منصب وزير الدفاع. فقد كان

يفتقد إلى أية خبرة عسكرية، كما أن خبرته في شؤون مشتريات الأسلحة لم ترجح الكفة في صالحه، لكن الاختيار لم يكن في يدي...

* ... شمعون بيريس، كعادته، كان في الحكومة صدى ضعيفاً لوجهات نظر ديان...

* ... تقارير لبئ (نفتالي لبئ، المتحدث باسم بيريس في وزارة الدفاع) للصحافة الأجنبية في نفس الليلة بأنه تم انقاذ الرهائن (من الطائرة المختطفة إلى عنتيبة) تشكل مثالاً على ظاهرة قبيحة من التآمر المستند إلى أكاذيب محضة، أو أنصاف حقائق، وهو فصل من مسلسل كامل عنوانه، وزير الدفاع ضد رئيس الحكومة، والذي دمر «حزب العمل» وصوّر الحكومة كأداة فارغة وهزيلة في نظر الجمهور، وهو ما توج في نهاية المطاف شمعون بيريس باللقب «المنشود»: «زعيم المعارضة في اسرائيل»..

* لقد بذلت جهات وعناصر لا يمكن اثبات هويتها، كل ما بوسعها للاساءة الى سمعة الحكومة، خاصة سمعة رئيسها، ولم تتورع عن تزويد الصحافيين المقربين اليها بمعلومات سرية للغاية، حيث قامت تلك العناصر مثلاً بتسريب معلومات سرية للصحافي ماتي غولان من صحيفة «هآرتس» حول المحادثات الجارية مع كيسنجر، وزودته بوقائع وحيثيات كاملة عن المحادثات بهدف زعزعة ثقة كيسنجر بقدرته على اجراء حوار صادق وصريح مع حكومة اسرائيل، وزعزعة مركز الحكومة في نظر الجمهور والبرهنة على أنها غير قادرة على القيام بمهامها بالشكل المطلوب في شؤون السياسة الخارجية.. كنت أعلم من الذي يقوم بتغذية وتزويد الصحافيين بالمعلومات لاظهار عجز رئيس الحكومة في أداء مهام منصبه، وأن وزارة الدفاع فقط تؤدي مهامها على الوجه الأكمل..

* ... لم أستطع اجراء تحقيق حول جميع التسريبات، لكنني قررت أن لا أمر مرور الكرام على تسريب خطير للغاية يتعلق بزيارة سرية قام بها مبعوثان سوفياتيان إلى اسرائيل، حيث كلفت جهات أمنية بالتحقيق في مصدر التسريب. وبالفعل جرى التحقيق مع جميع موظفي الدولة الذين لهم اطلالة على المعلومات السرية، كما وافق هؤلاء على اختبارهم بواسطة جهاز كشف الكذب، ولم يثبت تورط أي منهم. استدعيت نائب رئيس الحكومة، يغئال ألون، ووزير الدفاع شمعون بيريس، وسألتهما: ما العمل؟! إن كبار الموظفين قد فحصوا

بجهاز كشف الكذب ولم نتوصل إلى أي شيء.. فقال ألون: هيا نذهب نحن الثلاثة ليتم اختبارنا بجهاز كشف الكذب. امتقع وجه بيريس واصفرّ كوجه الميت وقال: «إنني أعارض من ناحية مبدئية خضوع وزير للاختبار. سوف أستقيل إذا اتخذ قرار بفحصنا بواسطة جهاز كشف الكذب..».

* ... كانت المشكلة الأساسية تكمن في عناصر داخل «حزب العمل»، وعلى رأسها وزير الدفاع شمعون بيريس، حيث ساعدت هذه العناصر حركة «غوش إيمونيم» بشكل غير مباشر وسعت للتقرب منها، كذلك فقد خالف بيريس علناً الموقف الرسمي والمعلن للحكومة، وأذكر جيداً تصريحه بأن «جبال السامرة ليست أقل ارتفاعاً وعلواً من جبال الجولان!» وكأن السياسة سباق بين متسلقي جبال. لقد شجع هذا الواقع أعضاء «غوش ايمونيم» الذين تلقوا، اضافة الى تأييد حزب «الليكود» وشبيبة الحزب الوطني ـ الديني (المفدال) مساعدة ودعماً من فئات معينة، شكلت بمثابة «حصان طروادة» في حزب العمل.. الذي كان منقسماً على نفسه في موقفه تجاه جماعة «غوش ايمونيم» الذين يصفهم وزير الدفاع (بيريس) بأنهم «مثاليون حقيقيون..» ويقدم لهم الدعم بالسر والعلن.

* ... لقد سنحت لي فرصة لتصفية الحساب قبل وقت طويل من نشر النبأ حول وجوده، لكنني لم أستغلها. فقبل كشف أمر وجود هذا الحساب بنحو ستة أشهر، أي في صيف العام ١٩٧٦، قام صحافي اسرائيلي معروف بإبلاغ أحد المقربين مني في مكتب رئيس الحكومة، بمعلومات جاء فيها أن عناصر معينة «مقربة» جداً من حزب العمل، تعلم بأنني أمتلك حساب دولارات في مصرف أجنبي لم يتم اغلاقه (الحساب) عندما غادرت الولايات المتحدة في آذار ١٩٧٤، وأنها تنوي استغلال هذه القضية ضدي في الوقت المناسب. وحيث ان معلومة من هذا النوع لا تتيح لتلك العناصر نشر الموضوع علناً، قامت بايفاد محقق إلى واشنطن، قيل لي إن له رجل اتصال في السفارة الاسرائيلية بواشنطن، وان هذا الرجل ـ الموظف ـ سيساعد المحقق في الكشف عن جريمتي حتى يتم كشفها على الملأ. وقد تبين لي في وقت لاحق أن المحقق توجه بالفعل إلى واشنطن...

ولكن لماذا عاد اسحق رابين ووافق على العمل في حكومة يترأسها خصمه البغيض، بعدما

كان رابين قد تعهد علناً في كتابه بأنه مصمم كل التصميم على عدم المشاركة في أية حكومة يشكلها بيريس. وكان الأخير انتخب لرئاسة الحكومة في نطاق اتفاق المناوبة (مع شامير). كذلك فقد رضخ رابين عندما وقف إلى جانب خصمه بيريس في حملة الانتخابات. الله وحده فقط يمتلك الاجابة.. لكن كل من قرأ كتاب مذكرات رابين لا بد أن يتساءل: هل يبقى وزير الدفاع رابين في حكومة يترأسها بيريس، رابين ذاته، الذي كان بيريس وزيراً للدفاع في حكومته.. ورابين ذاته الذي وضع كتاب مذكراته؟!.

هل هذا هو الرجل الصادق والمستقيم، أم أنه يتستر بقناع هو الآخر؟!.

*

أعداء بيريس الأشد مضاضة موجودون داخل «حزب العمل» وليس في «الليكود» أو في أحزاب اليسار، ويقف في طليعة خصومه بالذات الحمائم حَملة الراية. فهؤلاء لهم معه حساب جارٍ، أصول أو حسابات مزدوجة، بعضها خفي وبعضها الآخر علني. أما الصقور فقد فقدوا ثقتهم به منذ أمد طويل. هناك مجموعات تتشكل بهدوء حول شخصيات (عمالية) مثل سكرتير «الهستدروت» يسرائيل كيسار، والوزراء موشيه شاحل وجاد يعقوبي، وبالطبع حول اسحق رابين الذي لا يفكر معسكره بحل نفسه..

ويواجه بيريس طريقاً مسدودة منذ أن دُمغ في قضية مفاوضات السلام عن طريق مؤتمر دولي، وبالأساس منذ أن حل مكانه اسحق شامير في رئاسة الحكومة.

بيريس، المماحك والنمّام لا يحظى بإعجاب وقبول الحمائم والصقور على حدّ سواء. ويتحد هذان القطبان في كراهيتهما نحوه، ويتساءلان بنفس واحد: هل حقاً تغير الرجل من صقر متطرف إلى حمامة معتدلة؟! وعندما يحلل القطبان خطوات وتحركات بيريس السياسية، يتوصلان إلى استنتاج مؤداه أن الروس لن يأتوا للمؤتمر الدولي ليثملوا بأقداح الفودكا فقط، وأن الأردن لن يكتفي بأقل من انسحاب كامل بما في ذلك من القدس الشرقية، وان الأوروبيين سيطالبون بانسحاب اسرائيل من ٩٥٪ من المناطق، فيما ستنفض الولايات المتحدة الغبار عن خطة روجرز ومشروع ريغان للسلام في الشرق الأوسط. وباختصار فإن اسرائيل ستكون مطالبة في المؤتمر الدولي بالتخلي عن معظم مكتسباتها. لنفترض ـ هكذا

يفكر بصْوت مسموع صقور وحمائم في مركز الحزب ـ ان الاطراف ستقبل بحل وسط أميركي يدعو إلى انسحاب (اسرائيل) من نسبة ٩٠٪، فما الذي سيحدث عندئذٍ..؟ لن تستطيع اسرائيل قبول هذا الاقتراح. والسؤال: هل مرّ بيريس بعملية تقمص أرواح، أو تحول، بحيث صار يرى في المؤتمر الدولي أيضاً أداة لتقويض الحكومة؟!.

يبدي بيريس حماساً وشغفاً شديدين بمهامه، لدرجة أنه لا يرى كامل الصورة أمام عينيه، تاركاً ثغرات في الطريق التي يسلكها إلى هدفه. هكذا ينظر إليه رفاقه في مقر الحزب في شارع اليركون. وينوّه الحمائم إلى أن بيريس يأمل في أن يُنقذه أحد الصقور من قدماء الحزب من الاخفاقات والورطات التي يجلبها للحزب جراء طيشه أو لهاثه وراء رؤية اسمه يتصدر عناوين الصحف. ويرى المنتقدون أعماله كـ«خداع للنفس» باعتقاده أن الأمور «ستسير كما يجب»، غير أن أوراقه تسقط تباعاً، فلا يغدو لأعماله أي رصيد على أرض الواقع.

دان هوروبيتس، قال في احد النقاشات الداخلية في «حزب العمل»: ان بيريس كذب علينا وكذب على الأميركيين وعلى الملك حسين. إنه مُتهالك مهووس بالمبادرات، ولا يستطيع ضبط نفسه.

يقول آبا ايبان عن بيريس: إنه لا يستطيع رؤية بحيرة أو بحر وتركهما لحالهما هادئين ساكنين.

لا شك أن لمستشاريه ضلع كبير في اخفاقاته، ومن هؤلاء: يوسي بيلين، محبوب بيريس («أين يوسي؟» تجده يسأل فور دخوله الى مكتبه، قبل أن يلقي تحية الصباح على الموظفين)، والناطق باسمه أوري سابير، وبوعز أفلبويم الذي بقي في مكتب رئيس الوزراء اسحق شامير كمدير لمكتب القائم بأعمال رئيس الحكومة (بيريس)، ونمرود نوبيك، وهو تكنوقراط معتبر، وغيرهم. أمّا أمنون نويبخ، الذي عمل مستشاراً اقتصادياً وكان الأكثر جدية بين شِلّة «غلمان بيريس»، فقد قدم استقالته.

في نهاية العام ١٩٨٧، وأوائل العام ١٩٨٨، ساد قبل عدة شهور من انتخابات الكنيست الثانية عشرة، عدم ارتياح ملحوظ في أوساط مراكز القوى في «حزب العمل» من الثنائي رابين ـ بيريس بسبب الاخفاقات الكثيرة التي جلباها للحزب، وبضمن ذلك أعمال الشغب

والاضطرابات (الانتفاضة الأولى ـ المترجم) التي اندلعت في يهودا والسامرة وقطاع غزة في كانون الأول ١٩٨٧، وما نتج عنها من مظاهرات عنيفة قام بها عرب اسرائيل. حالة عدم الرضى ظهرت بشكل أساسي حيال بيريس، لكنها لم تترجم إلى لغة الفعل والتغيير، ذلك لأن جميع المرشحين الطبيعيين لخلافة بيريس ورابين، لم يعاجلوا للإعلان عن مواجهة مكشوفة للوصول إلى زعامة الحزب، بل راحوا يفكرون ويعدون العدة بهدوء. مردخاي غور رغب أيضاً في الوصول إلى رئاسة الوزراء، وفي «حزب العمل» كان الكثيرون يرددون باستمتاع أقوالاً صرح بها الوزير يغئال هوروبيتس عن بيريس «إنه يخدع العالم كلّه..».

خلال الأشهر الأولى من عامي ١٩٨٤, ١٩٨٥، ساد حماس معين في «حزب العمل» تجاه شمعون بيريس «الرسمي»، حينما كان رئيساً للحكومة، لكن سرعان ما عادت صورته المعتادة لتلتصق به: المتآمر الذي يسعى طيلة الوقت إلى تقويض الحكومة التي يعمل ضمن صفوفها، ساعياً إلى تقديم موعد الانتخابات عبر الإساءة إلى مكانة رئيس الوزراء. ليس هناك أحد في الحزب يعرف بالضبط خطته للمؤتمر الدولي، وما يقف حقاً وراء هذا العنوان، لكنهم يعلمون علم اليقين أن «البضاعة» التي حملها بيريس معه من لندن عقب اجتماعه هناك مع الملك حسين في ١١ نيسان ١٩٨٧ (وربما بمشاركة اسحق رابين) غير قابلة للرواج أو التسويق بين الناخبين، ولا حتى للمجاهرة بها نظراً لأنها في معظمها، إن لم تكن بأكملها، سرية.

محافل «حزب العمل» تكتمت على السر.. فعندما سعى شمعون بيريس بلا كلل أو هوادة في غضون العام ١٩٨٧ لتقديم موعد الانتخابات، أو اقامة حكومة بديلة عن طريق «شراء» أعضاء كنيست، توصل خبراء الانتخابات في الحزب (علماء في الاجتماع والنفس والعلوم السياسية) إلى عدة استنتاجات مفرطة، التزم بيريس في أعقابها وبعد تحليلها، الصمت، وكف عن تآمره للإطاحة بشامير:

١ ـ ليس من المحبذ الانسحاب من الحكومة.

٢ ـ لا يحبذ انسحاب بيريس وحده (من الحكومة).

٣ ـ لا نوصي بالدعوة لاجراء استفتاء شعبي. إذا اقترح «الليكود» الاستفتاء، يجب قبول

ذلك مبدئياً، مع رهن الموافقة بشكل صياغة السؤال.

٤ ـ لا نوصي ببقاء «سلبي ـ رافض» في الحكومة.

٥ ـ نوصي بانتهاج شكل من أشكال البقاء وسط مشاركة في حكومة الوحدة.

٦ ـ لا نوصي بالعمل على تقديم موعد الانتخابات.

٧ ـ لا يجوز الانجرار نحو أساليب الحملات والتهجمات الشخصية ضد شخصيات الليكود.

*

النهج الذي اتبعه بيريس في حكومة الوحدة الوطنية، وبالأساس بعد أن أصبح قائماً بأعمال رئيس الحكومة ووزيراً للخارجية، لم يحظ بقبول خبراء قسم الانتخابات في حزبه. وقد حذر هؤلاء بشدة من مغبة قيام بيريس بحل الحكومة، لأن الناخبين لن يغفروا له تآمره الجديد. عندما أراد بيريس مناكفة اسحق رابين، الذي عمل وزيراً للدفاع في حكومته، أيد «غوش ايمونيم»!.

وفي مواجهة مناحيم بيغن استخدم (بيريس) الورقة اللبنانية، بعد أن كان قد صوّت للتو وبحماس شديد إلى جانب الشروع بالحرب.. واليوم يلّوح في مواجهة اسحق شامير بحيلة أو خدعة إعلامية اسمها مؤتمر دولي. خصوم بيريس في «حزب العمل» اعتادوا على ترديد مقولة أرساها خصمهم الأيديولوجي زئيف جابوتنسكي، كي يثبتوا أي نوع من الناس هو زعيمهم (بيريس): «لا اله، لا ملك، لا بطل»، وقد أضافوا لذلك مع التشديد «.. ما عدا شمعون، البقة ـ الخنفساء ـ التي حلّقت». بعض قدماء «مباي»، مثل حاييم شارآبي، أحزنهم ما يحدث على مرأى منهم داخل حزبهم. الكارهون لبيريس في «حزب العمل» يقولون: إنه لم يطور أية أيديولوجية جديدة طوال الفترة التي كان فيها الرجل الأول في الحزب، كما ولم يدل بتصريحات أو بيانات تنطوي على نظرية أو فلسفة وإنما «كان يزحف فقط باتجاه فلسفة اليسار المتطرف». ووجد هؤلاء أن بيريس نجح في تضليل وخداع الناس بأوهام وفرضيات كاذبة.

وشيئاً فشيئاً، تبنى بيريس، بتأثير مُلقّنِه الرئيسي يوسي بيلين، أيديولوجية يسارية دون أن يندى له جبين، «ليقتل» بذلك وللمرة الثانية معلمه بن غوريون، بعد اللطمة المدوية

الأولى التي وجهها له عندما زحف مبتذلاً نفسه لقاء حصوله على مقعد عودة إلى أحضان «مباي». إنه «يقتل» تراث بن غوريون، لكن حزبه الضال ينجر وينساق خلفه مرغماً، في ظل غياب زعيم بديل، معتقداً (أي الحزب) أن بيريس سيعيده للحكم بعد أن فقد زمام السلطة في العام ١٩٧٧ لصالح «الليكود».

أنصار حرب لبنان - ١٩٨٢ في «حزب العمل» - وثمة الكثيرون من أمثال هؤلاء في صفوف الصقور الذين يمثلون الأغلبية الصامتة في الحزب - يؤكدون أن بيريس سعى دون كلل لرفض ومعارضة الحرب، وانه فعل ذلك من خلال تبني وجهة نظر بروح «تحالف السلام»(*) الذي اختفى من الوجود عقب قيام الدولة، والذي كان منافياً لروح الصهيونية ونظريتها. لقد ساند بيريس «حملة سيناء» - كما يقول خصومه الصقور في الحزب - لأنه كان من بين الذين خططوا لها، لكنه عارض حملة «سلامة الجليل» - اجتياح لبنان ١٩٨٢ - بعد أن كان قد أيد العملية في بدايتها، نظراً لأنه لم يكن شريكاً في حكومة مناحيم بيغن، حيث كان مشلولاً في مقاعد المعارضة.

عضو الكنيست يوسي سريد، الذي انتمى في الماضي لمعسكر مؤيدي بيريس المتحمسين، بعد أن كان في السابق من مؤيدي رابين، لاحظ ان «بيريس قابل للتطويع، إنه مسخ خِرقة، ويعاني من عقدة صحافة» إلى آخره.. بعد مرور حوالي خمس سنوات، وفي مقال نشره بتاريخ ٢١ آب ١٩٨٧ بجريدة «هآرتس» تحت عنوان: «موقف «حزب العمل» بشأن حرب لبنان - من المعارضة إلى التأييد، ومن التأييد إلى المعارضة»، فضح سريد رياء وتموج قادة حزبه السابق، حيث كان بيريس يتربع على قمة الهرم الحزبي. أورد سريد في مقاله مقتطفات من نقاشات جرت في نطاق محفل لأعضاء الحزب دعي «رفاقنا»، حيث كتب يقول:

... استهل بيريس النقاش بقوله: يا رفاق، يجب الاعتراف انهم (المقصود حكومة الليكود

(*) «تحالف السلام»: جمعية للتعايش والتآخي اليهودي-العربي، تأسست في القدس العام ١٩٢٥، بهدف البحث عن حل متفق عليه بين الطرفين حول مستقبل «أرض اسرائيل». ومن بين مؤسسيها شخصيات مثل ر. بنيامين، و ش-برغمان، حاييم كلفريسكي، د. يسرائيل لورئ، د. غرشوم شلوم، د. ابرهام كتسيلنسون. وقد مالت الجمعية للموافقة على تقليص الهجرة اليهودية لتسهيل التوصل الى اتفاق مع العرب، واعتبر بن غوريون ان الجمعية تمثل «قمة الانحطاط والدنس».

ـالمترجمْ) كسبوا ورقة جنونية. فالأميركان يؤيدون ويبدون تعاوناً، والروس اختفوا ببساطة. لقد تبددت الكثير من توقعاتنا المتشائمة. فالحرب، على النقيض من مخاوفنا المسبقة، تحولت الى نجاح عظيم... من يريد أن يستمر في معارضته للحرب، ويجعل من نفسه أضحوكة، فهذا شأنه. أما إذا كان يمثلنا، وبالتالي يجعل منا أضحوكة بمعارضته للحرب، فإن ذلك يصبح من شأننا... إلخ، إلخ.

بعد عدة أسابيع من بدء عملية «سلامة الجليل»، وفي خضم حرب لبنان، عرض بيريس على بيغن عن طريق وسيطه، عضو الكنيست ابرهام شابيرا، ضم حزب «العمل» للائتلاف، وانه سيقوم بالمقابل بطرد عضو الكنيست يوسي سريد وحزب «مبام» من «التجمع ـ المعراخ». فبعد ذلك سيكون بالإمكان تشكيل حكومة وحدة وطنية بشرط أن يتولى بيريس نفسه منصب وزير الدفاع في هذه الحكومة. وقد ردّ سيمحا ايرليخ على الوسيط شابيرا باسم بيغن انه لا يمكن في غمرة الحرب استبدال الفرسان.

في ٢٧ / ٨ / ١٩٨٢ علق اسحق رابين على مسامعي قائلاً: «بيريس يدرك انه على شفا الهاوية. إنه مستعد لبيع نفسه للشيطان كي ينجو بجلده».

بيريس نعم ولا لنفس الحرب.

*

بيريس في نهاية تشرين الأول ١٩٨٧ لم يعد كبيريس في تشرين الأول ١٩٧٠.. إنها سبعة عشر عاماً من النسيان..

في تشرين الأول ١٩٧٠، وعندما كان وزيراً للمواصلات، سألت بيريس في مقابلة لملحق صحيفة «هآرتس» (٩ / ١٠ / ١٩٧٠):

* قلت في مقابلة بأنك ضد التدخل في الأردن، وأنك لن تذرف دمعة واحدة إذا ارتدى الأردن مظهراً فلسطينياً. هل يمكن أن يكون مظهراً في صورة الدكتور جورج حبش أو ياسر عرفات؟ موشيه ديان أعرب عن تأييده للملك حسين، لأنه رأى أن البديل سيكون فقط جورج حبش... وما هو موقفك؟.

بيريس: «إذا كان الخيار بين الملك حسين وحبش فأنا ضد حبش، لأنه يركب القطار الصيني

ولا أعتقد أن الشرق الأوسط يعاني من نقص في تواجد القوى العظمى. أنا من الذين يكتفون بوجود قوتين عظميين في الشرق الأوسط، بل وحتى بين المستعدين للتخلي عن تواجد هاتين القوتين الأعظم. في العالم العربي يتفوق التطرف العدواني على العمق الفكري، وأنا لا أعتمد على ذلك، ولكن عندما قلت بأنني كنت أفضل طابعاً أو مظهراً فلسطينياً للأردن، قصدت أن من الأفضل أن يتمركز التجمع الفلسطيني في عمان على أن يتمركز في نابلس. الفلسطينيون أيضاً اكتشفوا أن المخاطر التي تتهدد وجودهم في عمان تفوق بما لا يقاس المخاطر التي تتهدد وجودهم في نابلس والقدس».

* ما هو نوع السلام الذي تصبو إليه؟ عن أي شيء أنت مستعد للتنازل في سبيل تحقيق السلام؟

بيريس: «لست من الذين يعتقدون أن ما يفصلنا عن السلام هو مسألة الاستعداد للتنازل عن أراضٍ. الجميع يريدون السلام ولكن من نوع مختلف تماماً، والمسافة الفاصلة بين أنواع السلام تفوق الرغبة في تحقيق السلام..».

* وفي الضفة الغربية؟

بيريس: «ليست المسألة الأساسية ما يحدث في الضفة الغربية، وانما ما يحدث في (الضفة) الشرقية. انني متشائم جداً تجاه مستقبل الضفة الشرقية. سيمر وقت طويل حتى يستقر الوضع هناك، ربما سنوات. لذلك فإن السياسة العملية التي نتبعها في الضفة (الغربية) هي البديل الإيجابي، الليبرالي والأكثر واقعية».

* أنت مع أم ضد كيان فلسطيني وقيام دولة فلسطينية في الضفة الغربية؟

بيريس: «السؤال هو، كيان فلسطيني كما يراه اليهود أم كما يراه العرب.. إذ إن ما يريده الفلسطينيون ليس الاعتراف بهم كشعب وإنما تحويل اسرائيل إلى فلسطين...».

في ٣٠ تشرين الأول ١٩٨٧ صرح شمعون بيريس في حديث مع الكاتب والصحافي حاييم غوري، نشرته صحيفة «داڤار» قائلاً: «إنني أرى السلام كمتكأ ارخميدس».

بعبارة أخرى: شمعون بيريس يسعى إلى محاكاة أعظم علماء الرياضيات والفيزياء في العصور القديمة. ولا بد أن بيريس كان يقصد مقولة أرخميدس الشهيرة: «أعطني نقطة

ارتكاز، "أزحزح الكرة الأرضية من مكانها»، أو كما كان بيريس سيصيغ ذلك: اتركوا لي الزمام لأجلب الخلاص لاسرائيل ولشعب أرض اسرائيل.

بيريس نعم ولا!

عضو الكنيست شيبح ڤايس قال لي عن شمعون بيريس وأتباعه في تشرين الثاني ١٩٨٠، عندما كان (فايس) في ذلك الوقت «فارّاً» من معسكر بيريس لينضم الى معسكر رابين: «افراط في البرغماتية المحفوفة بخطر الانتهازية.. تبنٍّ بالجملة للشعارات، المستمدة من عالم مفاهيم غريبة عن حزب عمالي، شعارات ومفاهيم هي أقرب إلى أوهام وهذيان أباطرة الرومان.

وفي ختام المقابلة(*)، أكد عضو الكنيست ڤايس دواعي ما كان يشعر به من ضيق بقوله «اليوم أدركت المغزى الأخلاقي العميق لصرخة الراحل موشيه شاريت، حينما تحدث عن حزب حافل بتصفية الحسابات والخوف».

*

هل سيصل شمعون بيريس في العام ١٩٨٨ لرئاسة الوزراء بجدارة واستحقاق، أم أنه سيعود إلى مقاعد المعارضة، الى الصحراء التي نجا منها في العام ١٩٨٤ في نطاق الحكومة الموسعة؟ هل سيصبح مرة أخرى رئيس حكومة بالتناوب؟.

في كانون الأول ١٩٨٧ قال بيريس «لن تقوم حكومة وحدة بعد الانتخابات». لقد مُني بيريس بالفشل والهزيمة في ثلاث معارك انتخابية خاضها على رأس حزبه ضد «الليكود»، في العام ١٩٧٧, و ١٩٨١، حيث هُزم أمام مناحيم بيغن، وفي العام ١٩٨٤، إذ انه وإن كان قد تفوق قليلاً على منافسه اسحق شامير، إلا أنه لم ينجح في تشكيل حكومة ما اضطره للموافقة على التناوب (مع شامير على رئاسة الحكومة).

قدماء «مباي» لا ينسون أيضاً في العام ١٩٨٨ تحذير غولدا مئير ـ وكان هناك آخرون قد حذروا مثلها ـ من بيريس عشية انتخابات العام ١٩٧٧، فقد دعت غولدا عدداً من النشطاء المركزيين في «حزب العمل»، وفي مقدمتهم يغئال ألون، للاجتماع في منزلها، وقالت لهم

(*) «معاريف» ١٤ / ١١ / ١٩٨٠.

بقلق «شعب اسرائيل يمكنه أن يخلد للنوم بهدوء إذا كان اسحق رابين رئيساً للحكومة، ولكن ليس في ظل تولي شمعون بيريس لهذا المنصب».

صعد اسحق رابين لهجة تحذيره (من بيريس) العام ١٩٨٠ وعشية انتخابات العام ١٩٨١ بقوله: «شمعون بيريس يشكل خطراً على اسرائيل».

خصوم بيريس في العام ١٩٨٨، والذين لم يغيروا رأيهم فيه، طوروا «أطروحة» جديدة مؤداها: شمعون بيريس كرئيس حكومة بالتناوب، وعندما يقف إلى جانبه بشكل لصيق قائم بأعمال من حزب «الليكود» يراقب خطاه، لن يشكل خطراً على شعب اسرائيل «بهذه الطريقة فقط نستطيع الخلود للنوم بهدوء».

لقد حرص بيريس، كرئيس حكومة أول بالتناوب، على ايجاد نوع من المصداقية لنفسه والتي لم تكن بالنسبة له قط بمثابة رأسمال سياسي. وكان بيريس من بين الذين ساهموا في بلورة الخطة الاقتصادية المعقدة والمفرطة في مبالغتها في تموز ١٩٨٥، لكنه لم تكد تمر بضعة شهور حتى نشبت وتفاقمت الخلافات الحتمية بينه وبين وزير ماليته اسحق موداعي. وبنظرة تحليلية إلى الوراء، فقد استنتج الكثيرون في أواخر العام ١٩٨٧ ومطلع ١٩٨٨ أن تصلب الخطة كان أيضاً عاملاً في غير صالحها، إذ أفضت الى انهيارات طالت مرافق اقتصادية عديدة، تمتعت لغاية صيف العام ١٩٨٥ بمناعة اقتصادية، فقد عجلت نسبة الفائدة المرتفعة، التي كانت جزءاً عضوياً لا يتجزأ من الخطة، في انهيار قطاع الاستيطان الزراعي، لا سيما في الكثير من القرى الزراعية «الجديدة» والكيبوتسات الصغيرة. كما انهارت شركة «سوليل بونيه» معلنة افلاسها، وتورط صندوق المرضى الهستدروتي في عجز ومديونية ضخمة، وأخذت مصانع تابعة للقطاع الخاص تعلن افلاسها.. وأجمل مجمع «كور»، فخر «شركة العمال»، ميزان نشاطاته بتسجيل خسائر، و«سُحِق» الاجراء بتآكل رواتبهم بصورة حادة.. صحيح أن التضخم المالي الذي سجل في عهد «الليكود» ارتفاعاً قياسياً حيث بلغت نسبة التضخم أكثر من ٤٠٠٪، كُبح بقبضة حديدية، إلا أن مكافحته خلفت وراءها آثاراً سلبية عديدة. هل كانت هذه الخطة الاقتصادية بالصيغة التي طرحت وطبقت فيها قدراً لا مناص منه؟.

كان بالإمكان اتباع طريق أو بديل مختلف من خلال اجراء تقليص عميق في ميزانية الأمن الذي لا تضع مؤسسته المترفة حدوداً لنفسها، غير أن بيريس تهيب من رابين الذي كان ينتظر بفارغ صبر الحاق الهزيمة ببيريس. لقد ظهر بيريس على حقيقته، صاحب نعم ولا، لكنه لم يقع في الشرك الذي نصبه له خصمه، وزير الدفاع رابين. ولو كانت الحكومة برئاسة بيريس قد تعاملت بالصورة المطلوبة مع الهيئة الأمنية، وبضمن ذلك مشروع طائرة «لافي»، فلربما لم تنشأ حاجة للخطة الاقتصادية الصارمة بالصيغة التي اعتمدت فيها، ولما كان الاقتصاد برمته قد وصل إلى ما وصل إليه.

قبل حوالي شهر من قرار الحكومة وقف مشروع «لافي»، قال بيريس لزملائه وزراء «العمل» المعارضين لاستمرار المشروع: لا فائدة، حتى لو وقفتم على رؤوسكم، مشروع (لافي) سيستمر. ما يهمني هو مستقبل مشروع الصناعات الجوية، التي تعد أكبر وأهم الصناعات في الدولة، والتي تتصدر أيضاً مجال التطوير العلمي والالكتروني. يجب خفض مستوى المعيشة كي يتسنى تحليق (لافي) في الأعالي». لكن بيريس استسلم في النهاية.

لم يظهر بيريس قط تميزاً في الإدارة أو في اتخاذ القرارات. ويشهد قدماء «رافي» على أسلوبه في قيادة وتوجيه دفة الحزب الجديد. موقفه المتذبذب بين نعم ولا في قضية مشروع «لافي»، جاء ليؤكد مجدداً على أن الرجل يواجه صعوبة في الحسم. فهو وخدمه الناطقون باسمه يقفون وراء ترويج الأسطورة التي ترافقه وتحيط به منذ أيام شبابه، والتي تزعم أن «بيريس رجل تنفيذي من الطراز الأول». حينما جلس بيريس في مقاعد المعارضة مدة سبع سنوات، ظهر على حقيقته أمام أعضاء حزبه وأمام عامة الجمهور، حيث كان «حزب العمل» بلا زعيم أو قائد.

وهو لا يتعلم من أخطائه، بل يكررها ويقع فيها مجدداً لأنه غير مستعد للاعتراف بوجود هذه الأخطاء. ويكرس بيريس ساعات طويلة من يومه لتلميع وتحسين صورته، وهو خير مُراءٍ ومُزيّنٍ لنفسه، إذ وصل في هذا المجال الى منزلة فنان مبدع، فهو مستعد لكسب وشراء الشعبية لنفسه بأي ثمن تقريباً، فكل الوسائل مشروعة في نظره للوصول الى غايته وهي التقدم الذاتي.

جميع رؤساء الحكومات الذين عملوا معه، بلا استثناء، رأوا فيه متآمراً، بمن فيهم دافيد بن غوريون، الذي قُيّض له معرفته على حقيقته، بعدما اعتزل الحياة السياسية وهو في أرذل العمر، وعلى وجه الخصوص عندما أميط قناع «رافي» عن وجه أمين عام الحزب شمعون بيريس.

يتفاخر بيريس مراراً وعلى الدوام بالعلاقات المميزة التي نجح في اقامتها مع فرنسا عشية حملة سيناء العام ١٩٥٦، حيث تدفقت على اسرائيل، في ظل تلك العلاقات، كميات هائلة من العتاد الفرنسي المتطور، كما أدى التعاون بين تل أبيب وباريس الى انشاء المفاعل الذري في ديمونا، الذي اعتبر ذروة نجاح بيريس «الرجل التنفيذي». صحيح أن اسرائيليين كثيرين يهللون لقدرة اسرائيل الذرية، ولكن أوَ ليسَ من الممكن أن تتحول «منجزات» بيريس الذرية التي تحققت برعاية وفي كنف بن غوريون الى نكبة للأجيال، الى سمّ في الدسم؟!. وزير الدفاع اسحق رابين، الذي يشيد بالتأكيد بقدرة اسرائيل الذرية، حذر في تشرين الثاني ١٩٨٧ قائلاً: «لا أود أن أرى اسرائيل بعد ١٥ أو ٢٠ عاماً في وضع تقف فيه أمام امتلاك العرب لسلاح ذري».

يمكن التساؤل باستغراب: ما الذي سيدعو العرب للقبول بالتخلف عن انجازات اسرائيل في مجال الذرة، الى أبد الآبدين؟! لماذا لا يحاولون تحقيق توازن رعب مع اسرائيل على غرار القوتين الأعظم؟!.

ويضيف رابين «لهذا السبب، كلما تأخر ادخال السلاح الذري للمنطقة، كلما كان ذلك من مصلحة جميع الأطراف.. إذا بلغت اسرائيل نقطة ـ ولا أعتقد أننا سنصل إليها لأنه يمكن معالجة الأمور بطريقة مختلفة – لا تستطيع فيها مواجهة القوى التقليدية للدول العربية، فإن علامة سؤال كبرى ستلف عندئذٍ مستقبل اسرائيل. نحن نلاحظ فقط اتساع الفجوة بين قدرة اسرائيل وبين القدرة العسكرية للدول العربية، وذلك عن طريق تطور الوسائل القتالية وزيادة فعاليتها. لذلك فإنني لا أرى حاجة لسلاح غير تقليدي من أجل صدّ ومواجهة أي تهديد عربي».

هل قرأ بيريس المستقبل عندما أقام المفاعل الذري في الستينيات؟.

التصرْيحات الواضحة التي أدلى بها رابين لا تحتاج الى تفسير . إلى ذلك فإن حملة العام ١٩٥٦ ضد مصر ، والتي يعد بيريس بكونه مدير عام وزارة الدفاع من مهندسيها الى جانب رئيس الوزراء ووزير الدفاع بن غوريون ، ورئيس الأركان موشيه ديان ، لم تكن مجرد غلطة ، بل حرباً غير مبررة .

فقد توصلت في خلاصة بحث شمولي جاء في ١٥٠ صفحة ، كنت قد أجريته في صيف العام ١٩٦٢ في نطاق أطروحة قدمتها لشهادة الماجستير ضمن دراستي في الجامعة العبرية / فرع تل أبيب ، توصلت الى نتيجة مؤداها ان «النتائج المستخلصة من حملة السويس - سيناء مخيبة للآمال» .

وقلت في ما كتبته : «إن أياً من الدول الثلاث التي شاركت في الحملة لم تحقق أي انجاز أو مكسب حقيقي . لقد تبددت كل الآمال . فقناة السويس ظلت في يد المصريين مُقفلة أمام اسرائيل [إلى ما بعد التوقيع على معاهدة السلام مع مصر في آذار ١٩٧٩ ، أي بعد أكثر من ٢٣ عاماً وبعد عدة حروب دموية أخرى] . ولم يتحقق السلام بين اسرائيل ومصر ، في حين تضعضعت مكانة كل من فرنسا وبريطانيا في مصر والشرق الأوسط ، بشكل مطرد خلال السنوات الخمس الأخيرة ، وفي المقابل ازداد منذ الحملة ، نفوذ الكتلة السوفييتية ، والدول الاشتراكية في مصر والشرق الأوسط . لقد أقام الاتحاد السوفييتي لنفسه موطئ قدم راسخاً في هذه المنطقة من العالم ، وهو ما عبر عن نفسه بسهولة كبيرة عندما ظهر (الاتحاد السوفييتي) في الأمم المتحدة في صورة المدافع عن دولة تتعرض للعدوان من جانب ثلاث دول تواطأت ضمن مؤامرة امبريالية .

من هنا فإن العدوان غير مجدٍ ، هذه النتيجة يمكن التوصل إليها بعد مرور خمس سنوات على حملة السويس - سيناء» .

في حزيران ١٩٨٦ ، وبعد مرور ٣٠ عاماً ، عاد بيريس ليعلن ان حملة سيناء كانت «حملة عسكرية اضطرارية» فهل هذا صحيح ؟! وما الفرق بين حملة العام ١٩٥٦ وحملة «سلامة الجليل» ١٩٨٢ ؟! .

كلتاهما حملتان غير مبررتين .

بيريس، المرن والمساوم، يقبع أسيراً في قبضة «مبام» واليسار الممثل بـ«راتس». يمكن تطويعه في كل اتجاه، واجتذابه نحو اليسار، مثلما انساق نحو اليمين عندما كان وزيراً للدفاع في حكومة رابين. فدرجة الضغط الذي يمارس عليه هي الكلمة الفاصلة.

إنه شخصية «نيكسونية»، من قبيل تريكي-شمعون على وزن تريكي-ديكي (نيكسون)، لا ضابط له. لقد ظلت صورته في نظر معظم الناس كالمرآة المحدبة.. خلال الفترة التي تولى فيها رئاسة الحكومة، تستر بغطاء رسمي وبختم منصبه الرفيع، على تقصيرات أمنية كثيرة، ابتداءً من تزويد ايران بالسلاح بطريقة تحوم حولها الشبهات، مروراً بالتورط المخزي وغير المبرر مع الولايات المتحدة الأميركية في الفضيحة المعروفة باسم «قضية جوناتان بولارد ومُشغِّله رافي إيتان»، وانتهاء بأكاذيب جهاز «الشاباك» في قضية قتل المخربين في الحافلة رقم ٣٠٠، واخفاء الأدلة، وقضية التعذيب أثناء التحقيق مع مشبوهين (أمنيين) عرب، وقضية مردخاي فعنونو. «اخماد الحرائق» كان لديه دوماً بمثابة بالون اختبار، لا سيما في شؤون الخارجية والأمن وأجهزة الاستخبارات والتجسس، وإلا لما كان مجرمو جهاز «الشاباك» ينالون العفو لديه بهذه الدرجة من السخاء والكرم.

لقد اشتهر بيريس دوماً، منذ أيام شبابه ونشاطه في حركة «الشبيبة العاملة والمتعلمة»، كمن يتسلق شجرة باسقة حتى يتمكن من التوكؤ عليها في أفعاله وأقواله التي لم تكن قط من بنات أفكاره. وهو بمرور السنوات يشير الى نفسه مدعياً أنه كان «مقرباً» من بيرل كتسنيلسون، المنظر الاسطوري لحزب «مباي». لقد كان عمره ٢١ عاماً عندما توفي هذا المفكر في العام ١٩٤٤، فكيف به صار مقرباً من الرجل؟

منذ وفاة معلم بيريس وراعيه دافيد بن غوريون في نهاية العام ١٩٧٣، صار (التلميذ) يقدم نفسه في كل مناسبة أو فرصة سانحة باعتباره «الوصي» على «العجوز» الراحل.. «التمدد» والتضخم لدى بيريس يأتيان بمرور السنوات، وهو بتعلقه بالأشجار الباسقة، يحيط نفسه بهالة براقة، ليتسلق عليها ويتعلق بها بكل قوة.

أرئيل شارون - « ملك إسرائيل » أم « قاتل » ؟



أريك شارون ـ هل هو «ملك اسرائيل» كما يصفه المعجبون به، أم أنه مجرد «قاتل» فلسطينيين في مخيمات اللاجئين في بيروت، خلال حرب لبنان، التي قادها كوزير للدفاع في ١٩٨٢ و ١٩٨٣، كما يصفه منتقدوه؟! وهل هو «منقذ إسرائيل» في حرب «يوم الغفران» ١٩٧٣، أم أنه «خطر على الدولة»؟!.

من هي الشخصية الرفيعة التي توجت شارون في العام ١٩٧٧، بالنياشين والألقاب، وقدست شخصيته بكتابة الأقوال التالية:

« . . . بداية، فقد وقف مبدأ الإنقضاض (على العدو) في طليعة مبادئ القتال لدى أريك شارون. فـ «الإنقضاض» يشكل خلاصة نظريته وتوجهه. فإذا وقعت في كمين، عليك أن تنقض.. وإذا بلغت الهدف، عليك أن تنقض.. وإذا أطلق عدو النار عليك من وراء الحدود، يجب الانقضاض.. وفي القتال حول الهدف، من الطبيعي أن تنقض. وبحسب ما قاله أريك، فقد كان هناك، سواء في حرب التحرير (١٩٤٨) أم في عدد من العمليات العسكرية التي تمت في السنوات اللاحقة، مبالغة في المداولات والترتيبات والاعتبارات، وفي المقابل كان هناك حماس واندفاع دون المستوى المطلوب للانقضاض وللقتال وجهاً لوجه.

نحن من جهتنا، كقادة في الكتيبة، تبنينا توجهه هذا بقناعة تامة، ولم تكن هناك في هذا

الصدد أية خلافات أو تضارب في الآراء. خلال اجتماعاتنا الكثيرة معه، وكذلك أثناء عمليات التخطيط والتحضير، لاحظنا أن مبدأ الانقضاض لم يطغ لديه على الاعتبار التكتيكي - الموضوعي، ولم ينتقص قيد أنملة من القلق والحرص الدائم و العميق على حياة المقاتلين. المخاطر التي أخذها أريك على عاتقه في العمليات العسكرية، كانت محسوبة ومدروسة. لا أذكر انه كانت هناك ولو حالة واحدة، لم أثق فيها وثوقاً تاماً بتخطيطه. وبالرغم من جرأته البالغة واستعداده لتنفيذ أية مهمة خلال وقت قصير من تكليفه القيام بها، فقد كان يتحلى بمسؤولية كاملة دون أي اعتماد على الصدف. طبيعي أنه جرت مراراً مناقشات ووجهت أو أبديت ملاحظات حول الخطة المطروحة، إلا أن القرار كان يأتي دوماً منطقياً، راسخاً، مسؤولاً وجريئاً...».

لنعد إلى عبارة واحدة وردت في ما كتبه هذا الرجل: .. لا أذكر ولو حتى حالة واحدة لم أثق فيها وثوقاً تاماً بتخطيطه...

هذه الأقوال كتبها الجنرال مردخاي غور، عندما كان رئيساً للأركان في العام ١٩٧٧، في كتابه «السرية د - قصة سرية المظليين» الذي صدر عن «معرخوت» جيش الدفاع الاسرائيلي، اصدارات وزارة الدفاع.

«ملك» أم «قاتل»؟

في ١١ آب ١٩٨٧، وبعد محاضرة ألقاها الوزير شارون في مركز الدراسات الاستراتيجية في جامعة تل أبيب، لمناسبة مرور خمس سنوات على طرد رجال منظمة التحرير الفلسطينية من بيروت الغربية - تحت عنوان «الحقائق حول حرب لبنان كما حصلت..» - عقب(*) مردخاي غور نفسه، الذي وجه له شارون انتقادات شديدة خلال توليه (غور) رئاسة الأركان في فترة عملية الليطاني، عقب على محاضرة شارون بقوله: التكتيك الذي اتبعه شارون في خطابه كان مفضوحاً.. فقد قرر أن مسؤولية الحرب ليست مسؤوليته وحده فقط، وهو لهذا الغرض كان مستعداً أيضاً لتحريف وتزوير الوقائع. أريك شارون معروف بـ«حقائقه» التي رددها

(*) «يديعوت احرونوت» ١٢ / ٨ / ١٩٨٧.

طيلة حياته.. أنا لست شكاكاً مهووساً، ولا أعتقد أنه قرر التحامل عليّ بسبب أجواء العلاقات المتعكرة التي تسود بيننا، بدليل أنه يتهم أيضاً بيغن والجيش الاسرائيلي. شارون ببساطة رجل كذاب.. فأنا لم أوصِ أو أنصح بالدخول إلى بيروت. وقد اجتمع وفد من طرفنا برئاسة بيريس ورابين مع بيغن، وأبدى معارضة شديدة لـ«المخطط الواسع»، ومن يقول إننا أيدنا إنما هو يكذب، وأنا أقترح هنا تشكيل لجنة تحقيق.. فلا يعقل أن تقدم الحرب للجمهور الآن باعتبارها «حرباً اضطرارية». هذا الأمر وحده يستدعي اقامة لجنة تحقيق».

من الكاذب؟!

عضو الكنيست يوسي سريد، من أصدقاء مردخاي غور، والذي لا يجوز الشك، لا سمح الله، في أنه يكن الود لأرئيل شارون، كتب في مقال(*):

... أصيب معظم الرفاق المتواجدين في الغرفة بالذهول لدى سماعهم التقرير. ردود الفعل الأولية كانت متباينة ومتنوعة:

بيريس نفسه، على سبيل المثال، قال: إنه الآن وبعد أن تكشّف المخطط الكبير، علينا التمسك بمعارضتنا والتشبث بها باصرار أشد.. وأنه يجب إبلاغ هذا الموقف كما هو لرئيس الوزراء، الذي دعا رؤساء «المعراخ» للقاء تشاور واطلاع سيعقد معه غداً الأحد في التاسعة صباحاً.

مثال آخر، مردخاي غور عبّر عن توجه مختلف كلياً، حيث أوصى بانضمام «المعراخ» ليشارك في الإدارة اليومية الشاملة للحرب، كما وأعلن غور عن رغبته في التواجد اعتباراً من الغد في غرفة قيادة العمليات بمقر هيئة الأركان. وقد حاولت أنا وحاييم تسادوك الحد بعض الشيء من غلواء روح التطوع هذه. وتقتضي النزاهة مني القول: إن غور فسر لاحقاً اقتراحه المغالي بالرغبة في عدم وضع وترك مصير الحرب في يد «الليكود» بصورة عامة، وفي يد شارون على وجه الخصوص.. فالمسؤولية تتطلب منا الانضمام.. هكذا أوضح غور. وكان غور يقدم تفسيراً مشابهاً كلما استبدل معارضته الحازمة للحرب بنصائح عملية حول إدارة

(*) يوسي سريد ـ «هآرتس» ٢١ / ٨ / ١٩٨٧.

الحرب، وقد أفاض في تقديم مثل هذه النصائح، التي دُونت بحرفيتها في محاضر جلسات لجنة الخارجية والأمن».

تتباين الآراء حول أرئيل شارون، وتتراوح بين السجود الأعمى والحب الجارف ـ «ملك اسرائيل» ـ وحتى الكراهية العميقة والحقد المميت ـ «قَتَلَة، فاشيون، يهود نازيون» مثلما هتف متظاهرو «السلام الآن»، أثناء تظاهرة في شوارع القدس خلال حرب لبنان، تجاه رئيس الوزراء مناحيم بيغن ووزير الدفاع شارون.

مثل هذه التفوهات التي أطلقها أعضاء كنيست وشخصيات يسارية قبالة مقر رئيس الوزراء في القدس، إثر أنباء المذابح في مخيمات اللاجئين (في بيروت) كان من شأنها «إعطاء مبرر لذوي ميول العنف بالاعتداء على الآخرين، الذين لا يتفقون معهم في الرأي، ممن يوصفون بأنهم مؤيدون للعرب ولمنظمة التحرير الفلسطينية» حسبما أكد في حينه الدكتور سيمحا لنداو، رئيس معهد علم الإجرام في الجامعة العبرية بالقدس.

وبالفعل فسرعان ما حلت النتيجة المأساوية، حيث قتل إميل غرينتسفايغ، بينما كان يسير على رأس مظاهرة نظمتها حركة «السلام الآن» في القدس، في العاشر من شباط ١٩٨٣، إثر إلقاء قنبلة باتجاهه، فكان ضحية «حروب اليهود» على خلفية الحرب ضد العرب.

أرئيل شارون رجل عسكري وسياسي مثير للجدل، حتى أصدقاؤه المقربون، يفضلون إذا طلب منهم رسم صورة له، التكتم على هويتهم، باستثناء قلائل مثل الصحافي أوري دان، الذي يقول ويكتب كما يحلو له منذ أمد بعيد، دون أية محاباة.. وقد تحدث دان، في مقابلة جرت معه في ١٧ آب ١٩٨٧ قال فيها:

«خطاب أريك شارون في جامعة تل أبيب حول الحرب في لبنان، يرتكز بأكمله إلى بروتوكولات واقتباسات دقيقة في سياقها، ليس فيها أي اختلاق أو تحريف. إنني أعرفه منذ ٣٦ عاماً، منذ العام ١٩٥١ عندما كان قائد كتيبة. إنه لشرف كبير أن قيض لي التعرف به ورؤيته يعمل ويسهم في القضايا القومية لأرض اسرائيل واليهود.. إنه يريد أن يكون الأفضل في ما يعمل، سواء أكان ضابطاً في الجيش، وزيراً في الحكومة، أم فلاحاً في مزرعته، أن يبذل

أقصى الجهد، بينما تقف نصب عينيه دوماً مصلحة اليهود وما ينفعهم أو يضرهم. وهو إذا كان الأمر نافعاً، يرى أن التنفيذ يجب أن يتم وفقاً لوجهة نظره ورؤيته، أو على الأقل النضال من أجل ذلك مهما كلفه الأمر شخصياً.

وإذا آمن بهدف ما، كما حدث على امتداد سيرته، تجده مستعداً لتحمل المسؤولية عن أعماله، وهذا سلوك قلّ نظيره في نظام حكمنا، الذي يتصف بالتنصل الكامل من تحمل المسؤولية، كما حصل في قضية بولارد مثلاً. شارون، على عكس ذلك، لا يتنصل من أفعاله.

.. لماذا دفع الثمن؟ لأن مسيحيين قتلوا مسلمين في مخيمات اللاجئين في بيروت، فدمغ بوصمة عار على جبينه وجبين الشعب الاسرائيلي قاطبة، وهذا في الوقت الذي لم تكن فيه الكتائب (المليشيا المسيحية اللبنانية) خاضعة لامرته على الاطلاق. وهكذا اخترعت لجنة التحقيق، برئاسة القاضي كاهان ما سمي بـ«مسؤولية غير مباشرة». ليس هناك في أية دولة اصطلاح من هذا النوع، وأية دولة غربية كانت أصلاً ستحقق في حدث كهذا وقع أثناء حرب؟!.

.. في قضية (بيع الأسلحة لـ) ايران، لم يكن هناك تحقيق أو متهمون، كان هناك صمت مطبق، وهذا في الوقت الذي تصرف فيه شمعون بيريس وعميرام نير وأل شويمر وآخرون كما يحلو لهم وسط اخفاء القضية عن الحكومة والمجلس الوزاري المصغر، بل وحاولوا الضغط على اسحق شامير، كي يوفر لهم حجة وستاراً يتغطون به.

كذلك في قضيتي مردخاي فعنونو وجوناثان بولارد، حيث لم يكن هناك متهمون أو مسؤولون، وبالتالي لم تتخذ عقوبات ولم يحاسب أحد. وفي القضية الثانية كذب بيريس على الأميركيين عندما ادعى أنه لم يعلم، وأنه اعتقد أن «بولارد» أوفد إلى اسرائيل من قبل أجهزة الاستخبارات والتجسس الأميركية...

وفي قضية الباص رقم ٣٠٠؟ لم يوجه أي اتهام أو تحميل مسؤولية لأي من أعضاء الحكومة.. وكذلك الحال في قضية جهاز «الشاباك».. لقد خرج بيريس وشركاؤه أبرياء من جميع الاخفاقات والفضائح، ولم تجر بحقهم أية تحقيقات، في حين رُفعت كل الأيدي ضد أريك

شارون فقط. قد تسألني، لماذا تسود كل هذه الكراهية الشديدة تجاهه بالذات؟! ربما يجدر هنا احالتك إلى الوثائق والموثقين، بما في ذلك الصحافيين؛ أنظر ما نشر عنه (عن شارون) قبل وبعد العام ١٩٧٣، خاصة بعدما أقام «الليكود». لغاية اقامة الليكود، أو تقاعده من الخدمة في الجيش، رووا عنه قصصاً أسطورية، كالوا له المديح، اعتبروه نموذجاً شخصياً لقائد ومقاتل في عمليات غير اعتيادية قام بها الجيش الاسرائيلي.. ولكن منذ اللحظة التي بادر فيها إلى إقامة «الليكود»، بدأت الدوائر تنقلب عليه شيئاً فشيئاً، وراحوا في المرحلة الأولى يهزأون به، ويضعونه موضع سخرية وتندر كسياسي. في أعقاب المؤتمر الصحافي الذي عقده في صيف العام ١٩٧٣، وأعلن فيه عن اقامة «الليكود»، نشر في «معاريف» رسم كاريكاتوري عن ملابس الملك الجديدة، فيما كتبت سيلفي كيشت عن «الجنرال المكسيكي كاستانيتس». عندما ظهر شارون في العام ١٩٧٣ كرجل ليكودي، سارع الصحافيون ورجال الاعلام الذين يعتمدون ويعتاشون من السلطة، الى الوقوف ضده، معتبرين أنه يشكل خطراً على زعامتهم عشية انتخابات أواخر العام ١٩٧٣.

في تشرين الأول - اكتوبر ١٩٧٣، نشبت الحرب، وكانت فرقة شارون المدرعة الوحيدة التي استطاعت انقاذ الوضع، ورفع معنويات الجنود المنهارة، واخراج الجيش الاسرائيلي من المأزق الذي تورط فيه جراء تقصيرات واخفاقات زعامة «المعراخ» الأمنية، وفي مقدمتها موشيه ديان. واكتسب التحامل عليه بُعداً جديداً، بعدما أصبح أيضاً «جنرال الليكود» كما وصفه خصومه. ولو كان شارون في ذلك الوقت خارج اطار الليكود، لكانوا - حسب تقاليد مباي - قد توجوه بالنياشين والألقاب، وشيدوا له نصباً تذكارياً.

أثناء المحاكمة ضد مجلة «تايم» الأسبوعية في نيويورك، شعر شارون بذلك بوضوح.. وقد قامت المجلة بجهود ضخمة لجمع المعلومات والأدلة، لكن جميع مقالات القدح والتشهير التي نشرت ضده لم تحتو على أية وقائع أو أية صلة. خلال مراجعة وقراءة هذا الكم الضخم من المواد والمقالات، فوجئ شارون ازاء شدة الكراهية والحقد الموجهين ضده. ولاحظ أن نهاية العام ١٩٧٣ شكلت نقطة تحول في التشهير والاساءة له. في الانتخابات التي جرت في تلك

الفترة، عقب الحرب، أظهر الشعب تعاطفاً مع شارون، في حين وجه حزب «مباي» الذي كان يستحوذ على السلطة، جل حملته ضده. كان شارون قد شنّ في العام ١٩٦٩ انتقادات شديدة ازاء كارثة خط بارليف. وأبدى قادة «مباي» تخوفاً من رجل كاريزماتي من هذا النوع، استطاع أن ينقذ اسرائيل من مأزق أمني وعسكري، جَرَّته زعامة الدولة على الشعب جراء تقصيراتها.

المرحلة الثانية، كانت «الانقلاب السياسي» في العام ١٩٧٧، والذي أخذت بوادره تلوح عقب حرب «يوم الغفران» ١٩٧٣، بعد انقلاب ١٩٧٧، أصبح شارون وزيراً للزراعة، واستطاع اقامة أكثر من ١٠٠ مستوطنة جديدة في يهودا والسامرة وقطاع غزة. أخذوا يتحاملون على رئيس الوزراء مناحيم بيغن، لكن السهام كانت موجهة صوب عنوان آخر، نحو الذي يقف وراء اقامة تلك المستوطنات. كان المنتقدون يعرفون أنه لا يمكن بدون الرجل المنفذ، أرئيل شارون، قيام مستوطنات على غرار «ألون موريه».

منذ تلك الفترة أخذت حملة الاساءة والتشهير تزداد وتتعمق، وكانت كل الوسائل مباحة دون أية أهمية للوقائع. لقد أُبيح دم شارون فقط في سبيل اسقاطه من الحكم. كانوا يرون فيه ركيزة بيغن الآمنة والموثوقة لتنفيذ سياسة الحكومة. اصغوا لعيزر وايزمان، واعتقدوا أنه المرشح الأقوى لمنافسة بيغن، مغفلين وجود شارون المؤهل لمنافسة بيغن في ظل احترام متبادل ومستوى لائق، ليس كمستوى وايزمان الضّحل. تصاعدت حدة الكراهية لشارون لتبلغ أوجها، إلا أنه ورغم كل توقعات الصحافيين، لم يتأخر في بلوغ منصب وزير الدفاع إثر انتخابات العام ١٩٨١.

... أريك هو الزعيم الاسرائيلي الوحيد. وقد تكللت مسيرة تقدمه، بعكس ما تمنى خصومه أو ما عملوا من أجله. قلت ذات مرة: إن «من لم يرغب بأريك كرئيس للأركان سيراه يوماً وزيراً للدفاع، وأن من لا يريده وزيراً للدفاع سيراه رئيساً للحكومة». قلت ذلك في العام ١٩٧٣ عقب استقالة شارون من الجيش، وقلته أيضاً في وقت لاحق عندما قرر الجميع أن شارون قد انتهى - في ١٤ / ٢ / ١٩٨٣ - عقب نشر تقرير لجنة القاضي اسحق

كاهان، حول ما جرى في مخيمات اللاجئين واستقالة شارون من وزارة الدفاع.

كنت أستند إلى نظرة وراءها ستة وثلاثون عاماً منذ أن «حلق العصفور» في التاريخ اليهودي ـ الإسرائيلي الذي كان شارون عاملاً مؤثراً فيه طيلة الوقت من خلال ما تولاه من مناصب مهمة. لقد واجه ما يواجهه الكثيرون من الناس المميزين، كل في مجاله، حيث تثار ضده معارضة اتوماتيكية غير مفهومة وغير منطقية. ويعتقد أن هذا الأمر مرده ما شعر به منافسوه، المحتملون والحقيقيون، من خطر يتهدد مركزهم. عندما كان شارون مقدماً في الجيش، قالوا: إنه لن يرتقي قط إلى رتبة عقيد، وعندما صار برتبة عقيد، قالوا: إنه لن يصل الى رتبة جنرال، وبعد ذلك وزيراً وهكذا دواليك.

في العام ١٩٧٥ ذهبت إلى مردخاي غور الذي كان رئيساً للأركان، وقلت له: جئت إليك بطلب من صديق مشترك لكلينا، لأقول لك إن معارضتك لعودة أريك كجنرال في الجيش النظامي، تحت قيادتك، تشكل خطأ، لأنك يجب أن تكون فخوراً بكون الذي كان قائداً لك، وساعد في تقدمك وارتقائك يرغب في أن يكون مرؤوسك، إذ إنه قلق من الوضع السائد في الجيش ويريد أن يساندك».

غور أجاب قائلاً: لن أوافق بأي شكل من الأشكال.. أنا بحاجة لانسجام في هيئة الأركان العامة.

قلت له: الانسجام موجود في القبور فقط، لكن في أي مجتمع حي وخلاق، هناك خلافات في الرأي وحركة جدل، يشريان التفكير والابداع، وفي هذه الحالة فإن الابداع يقتضي تعزيز الجيش الإسرائيلي بعد حرب «يوم الغفران» وهذا كل ما ينشده شارون».

منتقدو شارون يمتدحونه كضابط عسكري، لكنهم يقولون: إنه ليس أهلاً للسياسة، التي دخل إلى معتركها منذ العام ١٩٧٣، مثبتاً تفوقه، من حيث نشاطه وقدرته على البقاء كوزير، على جميع أولئك الذين يدعون أنه فاشل سياسياً. إن الكراهية والمعارضة اللتين يواجههما غير اعتياديين على الاطلاق. يتوقعون ويتربصون طيلة الوقت لحظة سقوطه، لكن شارون يمضي مرتقياً من منصب إلى منصب. ولعل تفسير ذلك يكمن في كفاءاته ورباطة جأشه

وتشبثه بهدفه. إنه يتفوق على جميع خصومه ومنافسيه الذين يشعرون، عن حق أو عن غير حق، بأنهم يتقزمون إلى جانبه، سواء أكان ذلك حول مائدة الحكومة، أم في ساحة القتال. لا يأتي إلى اجتماع إلا ويكون مستعداً له أفضل استعداد.. وعندما يطرح موضوع للنقاش تجده يستل على الفور من جعبته أسئلة وأفكاراً ومقترحات ومعطيات، وهذا ما يقلق منافسيه في الحكم، الذين يتسمون بالمحدودية.

الانتقادات التي توجه له بشأن التعيينات السياسية لـ «زُلْمه» والمقربين منه، لا تعد ولا تذكر بالمقارنة مع سابقيه في عهد حكم «مباي»، أو زملائه في «الليكود» كالوزير دافيد ليفي. وهو يشكل عنواناً يكاد يكون وحيداً لكبار ضباط الجيش الاسرائيلي المتقاعدين والعاطلين، أو للمسرحين من جهازي «الشاباك» و«الموساد» الذين يبذل قصارى جهده لاستيعابهم، مثل رافي إيتان ويوسي غينوسار، اللذين قدما تضحيات كبيرة وظلا دون راع، عندما سارع رئيس الوزراء بيريس للتنصل منهما، أو مثل شموئيل (غوروديش) غونان ورحبعام زئيفي، اللذين لم يعتبرا من أنصار شارون المتحمسين في الجيش، ولكن عندما واجها مشاكل في ايجاد عمل ليعتاشا منه، بادر شارون للتحدث مع عيزر وايزمان، الذي كان وزيراً للدفاع، وقال له: إنه لا يعقل بقاء جنرالات في الجيش بدون عمل، بعد أن أفنيا جل عمرهما في الخدمة العسكرية، كما قام شارون، عندما كان وزيراً للزراعة بتعيين «زئيفي» في مهمة تتصل بشؤون المياه.

عندما يتم تعيينه في منصب وزاري، يكرس وقتاً لدراسة الموضوع، حيث يظهر عند مشاركته في أول اجتماع الماماً بالمعطيات. وهو يملك قدرة على تبسيط وتفكيك مشاكل شائكة والنفاذ بسرعة الى لب المسألة واتخاذ القرار الملائم. صحيفة «هآرتس» كحال خصوم وأعداء آخرين له، رفعت شعاراً، مؤداه: «يجب تدمير شارون».

في خضم حرب لبنان، تواطأ عدد من المراسلين العسكريين، مثل يعقوب إيرز، من «معاريف»، وايتان هابر من «يديعوت أحرونوت»، وهيرش غولدمان من «جيروزاليم بوست»، وزئيف شيف من «هآرتس»، وقاموا بتشويه سمعته بكل ما هب ودب.. وقد برهن «هابر»

أيضاً على استعداده لنشر قصةٍ مختلقة، فقط في سبيل خدمة مآربه. ففي خريف العام ١٩٨٢، وبعد قضية صبرا وشاتيلا، نشر «هابر» خبراً بارزاً في الصفحة الأولى من جريدة «يديعوت أحرونوت»، جاء فيه أن ٢٥٠ ضابطاً في الجيش وقعوا على عريضة تطالب بإقالة شارون من وزارة الدفاع.. تقرير «هابر» جاء متمشياً مع أجواء التحامل الشديد التي حركها هؤلاء المراسلون وغيرهم ضد شارون. صحيفة «دافار» قامت بدورها بنقل الخبر ذاته، والذي تناقلته إثر ذلك وكالات الأنباء ليشاع في سائر أرجاء العالم. في اليوم التالي، وفي زاوية مغمورة بعض الشيء مخصصة لرسائل القراء، نُشرت في صحيفة «يديعوت أحرونوت» رسالة إيتان هابر، المراسل العسكري القديم للصحيفة، والتي ذُكر فيها أن «هابر» تلقى في ساعة متأخرة من الليل في أحد الأيام مكالمة هاتفية رُويت له فيها القصة الخيالية، التي سارع إلى نشرها، لكنه اتضح له لاحقاً أن هذه القصة عارية عن الصحة، ليقع بذلك فريسة فرية آثمة. لم تتضمن الرسالة أي اعتذار أو أسف عما لحق بشارون من إساءة وأذى. وقد تبين لهيئة تحرير الصحيفة، أن المتكلم المجهول أبلغ «هابر» انه إن لم يسرع إلى نفي ما نشره، فإنه سيتهمه بالوقوف وراء فبركة الخبر. وكان هذا الشخص ـ المتكلم المجهول ـ قد عبر بذلك عن استيائه من الحملة المشبوهة والمشحونة ضد شارون. هذه الحيثيات رواها أصدقاء لي في «يديعوت أحرونوت» والذين قصوا عليّ ما أخبرهم به هابر(*)

متى بدأت حكاية كراهية (زئيف) شيف و(ايتان) هابر لشارون؟ وفي أي وقت تشتد هذه الكراهية؟

اتضح لي أن ذلك بدأ في العام ١٩٧٥، عندما أصدر هذا الثنائي (شيف وهابر) كتاب «الموسوعة العسكرية الإسرائيلية». فعندما رأى أريك ما ذكر عنه في البند الذي عنون باسمه

(*) في الساعة الثانية بعد منتصف الليل، اتصلوا هاتفياً مع ايتان هابر، وكان يعقد في الوقت نفسه اجتماع لضباط اللواء الذي لم يتم تجنيده. ظن هابر أن الأمر يتعلق بعريضة يجري اعدادها بتوقيع ٢٦٠ ضابطاً تطالب باقالة شارون، ولم يكلف هابر نفسه عناء التحقّق من الحكاية. في صبيحة اليوم التالي أدرك أنه كتب أشياء غير صحيحة ساعياً للاعتذار، لكن أعداد الصحيفة كانت قد أصبحت في أكشاك بيع الصحف، ولم ينشر الاعتذار إلا في اليوم التالي.

«شارون»، سارع للتشاور مع المحامي آرييه مرينسكي، الذي حذر بدوره الصحافيين - الكاتبين - المذكورين من أنه ستقدم دعوى قضائية بحقهما، بتهمة القذف والتشهير بالسمعة، إذا لم يتم حذف افترائهما عليه، بأنه «لم يُطع الأوامر وأنه تمت تنحيته لرفضه الانصياع لأمر عسكري. وردّ شيف وهابر بقولهما ان ضرراً مالياً سيلحق بهما نظراً لأن الكتاب أصبح موجوداً في الأسواق. غير أن شارون أصرّ على طلبه باجراء التغيير، ما اضطرهما إلى وقف طباعة الكتاب وحذف العبارات المسيئة.. اعتباراً من ذلك اليوم بدأت حملتهما ضد شارون، وتحولا من منتقدين إلى كارهين له.

في «تقرير أغرانات»(*)، وفي الفقرات المتعلقة بأرئيل شارون والانصياع للأوامر، وردت الحيثيات التالية:

* في ٢٤ / ١٢ / ٧٣، أحال رئيس الأركان لمتابعة اللجنة سلسلة من الشكاوى التي قدمها له الجنرال ش. غونان، والتي وجهت كلها ضد الجنرال أ. شارون. وكانت هذه الشكاوى تدور حول خرق أوامر أصدرها الأول (في اطار صلاحياته كقائد للمنطقة الجنوبية) للثاني (الذي كان قائد فرقة في الجبهة الجنوبية) خلال أيام مختلفة من الحرب.

* في شهادته أمام اللجنة أعلن الجنرال غونان، أنه سحب الشكاوى التي رفعها الى رئيس هيئة الأركان ضد الجنرال شارون، ليس لاعتقاده - هذا ما قاله - انها لا تقوم على أساس، وإنما لأن ذلك «في صالح الجيش الاسرائيلي». وقال أيضاً: إنه اقتنع بعد الحرب بالنسبة لاحدى الشكاوى - المتعلقة بأحداث ٨ تشرين الأول - بأنها (الشكوى) غير مبررة.

* بطبيعة الحال لم تر اللجنة ضرورة للتحقيق في الشكوى. في حيثيات الشكوى المتعلقة بأحداث ٨ تشرين الأول / أكتوبر، استمعت اللجنة أثناء تحقيقاتها إلى شهادات تتعلق بموضوع هذه الشكوى أيضاً. ووجدت من جهتها أيضاً أن الشكوى لم تكن مبررة.

(*) تقرير القاضي شمعون أغرانات الذي ترأس لجنة التحقيق الرسمية، التي كلفت بالتحقيق في مجريات حرب «يوم الغفران». وقد ضمت اللجنة في عضويتها عدا القاضي اغرانات، كلاً من القاضي موشيه لاندوي، ومراقب الدولة اسحق نبنتسيئيل، ورئيسي الأركان السابقين يغئال يادين، وحاييم لسكوف. نشر تقرير اللجنة في نيسان ١٩٧٤.

* نود التوقف أمام مسألة خاصة في موضوع الانضباط، الذي أثار جدلاً ولغطاً بين الناس في أعقاب مقابلة صحافية (معاريف ٢٥ / ١ / ٧٤) أدلى بها الجنرال (احتياط) أرئيل شارون والتي يستدل منها، حسب رأيه، انه يجوز لقائد عسكري في حالات معينة عدم تنفيذ أمر عسكري تلقاه. عندما مثل الجنرال شارون أمامنا كشاهد، استجوبناه حول هذه المسألة بغية وضع الأمور في نصابها الصحيح. وقد روى الجنرال شارون أنه شعر بالضيق من مشكلة ضميرية، إثر عمل وقع في الأيام الأخيرة من حرب يوم الغفران. في نفس اليوم صدر له أمر يقضي بقيام فرقته بشن هجوم على هدف معين. اعتقد من جهته أن تنفيذ الأمر سيؤدي لسقوط الكثير من الضحايا، وأنه لو كان القائد الذي أصدر الأمر يلم بالوضع في ساحة القتال، لما كان قد أصدره. لذلك عارض الجنرال شارون تنفيذ الأمر طوال عدة ساعات، لكنه في نهاية المطاف انصاع للأمر، حينما لم يتم الغاؤه، وقام بتنفيذ الهجوم، الذي لم يجد بعده ما يدعوه إلى تغيير الرأي الذي تكون لديه قبل التنفيذ... وجهة نظر الجنرال شارون كما استعرضها أمامنا، تتمشى مع مقتضيات الانضباط العسكري...

لقد أخطأ ايتان هابر وزئيف شيف في المقطع المذكور في كتاب «الموسوعة العسكرية الاسرائيلية» الذي اشتركا في كتابته وقاما باصداره في العام ١٩٧٥، لكنه بيعت طبعة واحدة شملت ما بين ٨٠ ألفاً إلى ٩٠ ألف نسخة تضمنت كلها التهجم غير المبرر على شارون. في البداية كان «هابر»، وخلافاً لموقف شيف، يميل الى تعديل وتغيير بعض الكلمات في الطبعة التالية إثر تحذير محامي شارون لهما، لكنه ظن أن شارون ينوي جني فائدة دعائية لنفسه من خلال التعديل ولذلك تراجع هابر. وكان المقطع المشار إليه كتب عن شارون استناداً لمقابلة أدلى بها لصحيفة «معاريف»، والتي جرى التطرق إليها ببعض كلمات في تقرير أغرانات، كما ذكر آنفاً.

مما لا ريب فيه أن هابر وشيف، قد تجنيا على أريك شارون، غير أنهما لم يصلحا ولم يتراجعا عن الخطأ الذي اقترفاه بحقه.

يقول أوري دان: «أريك سيصبح رئيساً للوزراء. فهو ما زال زعيماً شاباً، تخطى بالكاد

التاسعة والخمسين من عمره، وقد قلت ذلك عندما كان عمره ٥٥ عاماً، عقب استقالته من وزارة الدفاع. إنه جدير بمنصب رئيس الوزراء، كما أن اسرائيل تستحق زعيماً مثله، وهو المكمل الحقيقي لطريق بن غوريون ومناحيم بيغن في الأمن والاستيطان ـ أكسجين الصهيونية العملية في أرض اسرائيل..

لماذا قلت ذلك في ١٩٧٣ و ١٩٨٣؟ لقد تعرفت جيداً على شارون، وعلى الأقل بدرجة لم يعرفه فيها خصومه اطلاقاً. فقد رسم هؤلاء لأنفسهم صورة خيالية لا أساس لها عن شارون، وذلك بغية خدمة مآربهم ورغباتهم الشخصية والسياسية، في الوقت الذي يبدو فيه شارون الحقيقي، مثلما عرفته أنا، مختلفاً تماماً، بدليل أن توقعاتي وتقديراتي هي التي تحققت، وليس تمنيات ورغبات خصومه المستندة الى الكراهية الشديدة التي تشوه الواقع. لقد رأيت شارون مقارنة مع ابناء جيله الذين وضعوا خطاهم، في ذات الوقت، على طريق الزعامة أو بلغوها منذ حين، وبحسب ما عرفت الآخرين عن قرب، فشتان ما بين شارون وما بينهم.

هؤلاء الذين يعيبون على شارون كونه فاشياً ـ على حدّ تعبيرهم ـ لن يتوانى عن محاصرة مقر الكنيست بالدبابات، كم مرة اجتازوا اختبار تصويت ديمقراطي في مركز الحزب؟!.

ومن الذي استطاع خوض نضال استغرق ثلاثة وعشرين شهراً ضد عملاق الصحافة (مجلة «تايم») الأميركية التي وظفت ستة ملايين دولار من أجل العثور على دليل أو «غبار وسخ» يساعد في تلويث سمعته؟! لو واجه شمعون بيريس وضعاً مشابهاً، لكان قد سارع إلى الاعتراف بأنه ابن (امرأة) عربية، مثلما حاولوا الإساءة له ذات مرة.

لقد احترم شارون على الدوام الأصدقاء الصريحين الذين ينتقدونه، بشرط أن يكونوا صادقين في نواياهم. قد يغضب في البداية، لكنه يعود بعد فترة من الوقت، ويتقبل النقد أو يجادل فيه. أحياناً ينعتونه بـ «الكاذب» في سبيل تحطيم مصداقيته.

أريك، وخلافاً لقادة آخرين، أشاد بالجنود والقادة بعد معركة «أبو عقيلة» العام ١٩٦٧، مع العلم أنه كان باستطاعته الاستئثار بكل الدور والانجاز الذي تحقق في هذه المعركة. كذلك فإن «أريك» هو الذي بادر عقب استقالة بيغن إلى اقتراح تنصيب اسحق شامير خلفاً لبيغن.

صحيح أن هناك تبايناً بينه وبين شامير، لكن أريك في المحصلة يدرك حقيقة أساسية واحدة، هي أن هناك رئيس وزراء واحداً، وأن التعامل يجب أن يتم بالتالي على هذا الأساس.

أنا لست الصديق الوحيد لشارون.. ويؤسفني أن كثيرين من خيرة أصدقائه قد سقطوا في ساحات القتال».

ذلك ما قاله أوري دان عن أرئيل شارون.

*

الحوار التالي سيبقى مجهولاً، كحال معظم المقابلات التي أجريتها مع رجالات شارون وأنصاره الذين أصروا على عدم ذكر اسمائهم. لم أسبر غورهم لمعرفة ما يجعلهم يتخوفون إلى هذا الحد؟ ولعلهم يدركون بالتأكيد أن كيل المديح لشارون ليس من الأشياء التي تحظى بالشعبية أو الرواج. ويعتذر هؤلاء بقولهم: «لم يحن الوقت لذلك بعد».

المتحدث التالي ليس عسكرياً، كما أنه ليس صديقاً مقرباً لشارون. لقد تعرف عليه قبل عدة سنوات فقط، وأصبح منذئذٍ في عداد مستشاري شارون في مجالات مختلفة.

تحدث الرجل وقال:

«يعاني أريك شارون من مشكلة صعبة، تتمثل في عدم وجود أية صلة أو ترابط بين رسالته العامة ورسالته الخاصة، الشخصية. عندما يدور حديث ودي صريح معه، حيث يكون متحرراً من التوتر والعصبية، تجد أريك من ألطف وأرق الناس وأوفرهم أدباً، واحداً من أفضل الناطقين بالعبرية الذين صادفتهم. فلسانه نظيف ولغته ومفرداته غنية، حافلة بالصور والتشبيهات والثراء الفكري. لديه دقة في التشخيص ونظرة ثاقبة تمكنه من معرفة وفهم أنواع الناس والنفاذ إلى أعماق وطباع كل منهم. كما أن لديه مخزوناً لا ينضب من النكات والنوادر، اكتسبه بشكل أساسي من فترة خدمته العسكرية الطويلة، إلى جانب تحليه بناموس العقل، وبقدرة ممتازة على الاصغاء. أثناء التحضيرات والاستعدادات التي قام بها لمواجهة لجنة التحقيق القضائية في قضية صبرا وشاتيلا، كان يبدو مدهشاً وهو يجلس مع جمع مستشاريه يصغي مطولاً لكل واحد منهم، يسحب مفكرته الصغيرة من جيبه من حين لآخر ليدوّن كلمة من

هذا وملاحظة من ذاك، يقظاً لكل ما يقال.

وبالرغم مما يقوله الآخرون أو يفكرون به حوله، فإن أريك يقتنع بالحجج المنطقية، ويعرف أيضاً التراجع عن رأيه وموقفه إذا دعت الحاجة. وقد اكتسب المزيد من الخبرة والمراس خلال السنوات الأخيرة، خاصة إثر الصدمة الناجمة عن اضطراره لترك وزارة الدفاع في شباط ١٩٨٣. لقد قاسى الكثير، ومن المؤكد أن الزمن يترك بصماته لديه أيضاً. في نهاية يوم عمل شاق تجده يكيل الثناء على مساعديه المخلصين، مقدراً لهم ما بذلوه من جهد، فهو ليس من طراز شمعون بيريس الذي يتحفك بهالة مزيفة. إنه يعرف كيف يقرّ بالخطأ بطريقته، ولا يتهرب من تحمل المسؤولية. لم أسمعه قط يقول لأحد «أخطأت»، فإذا أخطأ أحد معاونيه تجده يقول له على سبيل التنبيه أو الملاحظة: لقد أخطأت أنا خطأ جسيماً بأنني أذنت لك.. الخ.

أقول ذلك لأرسم لك، بناءً على طلبك، صورة شارون كما انطبعت في ذهني خلال السنوات التي عايشته فيها. لست من أنصاره المتحمسين، كما أنني لست عضواً في أي حزب. إن كل ما يصدر عنه، ينبع من مفهوم القائد الكامن لديه وفي تفكيره، وهو يمتلك عالم قيم الرجل القائد. لا يتهم إلا نفسه إزاء قرار غير موفق يتخذه، أو قرار أَذِنَ لأحد معاونيه باتخاذه.

الذي سمح «لمليشيا» الكتائب بالدخول إلى مخيمي صبرا وشاتيلا في بيروت، كان رئيس الأركان رفائيل ايتان، في حين صادق وزير الدفاع شارون، بعد ذلك فقط، على قرار رئيس الأركان، وهو ما أكدته لجنة كاهان (انظر الصفحة ١٧ الفقرة ٢٣ من تقرير اللجنة). كانت هناك حالات قررنا فيها إثر جلسة مطولة القيام بشيء ما، لكن المهمة لم تنفذ على الوجه اللازم. ومع ذلك لم يقم شارون أبداً بتحميل أحد مسؤولية التقصير أو الاخفاق، بل كان يأخذ على عاتقه فوراً كامل المسؤولية بصفته القائد. وكم كان يدهشني حرصه الشديد على احاطة العاملين معه بلا استثناء، بالرعاية والعلاقة الدافئة والاهتمام بأبسط أمورهم. وقد شاهدت ذلك في نيويورك أثناء حملة شارون ضد مجلة «تايم».

تحيط بشارون «نواة صلبة» من المعجبين، خاصة من القادة العسكريين الذين خدموا تحت

مسؤوليته، ولا يفرق في معاملته بين صغير وكبير.

كرجل عسكري، كان شارون جزءاً من الاجماع القومي، وفي اللحظة التي اقترب فيها من المسائل المختلف عليها، صار مستهدفاً من قبل قسم من الشعب. لعل مشكلته تكمن أيضاً في كونه لا يعبأ بأن يكون ودوداً وموضع استلطاف. ولو كان أكثر اعتدالاً، أو لو تجنب الدعوة لمواقف ومسائل شاذة عن المألوف، لكان بالتأكيد قد استحوذ على قلوب كل الاسرائيليين، فهو يمتلك كاريزما وسجل وزير جيد، أثبت نجاعة في التنفيذ، فضلاً عن نسبه العائلي الذي كان من شأنه أن يشفع له ويوصله الى المجد بسهولة، لو أراد التسلق على شجرته العائلية ضاربة الجذور. مظهره الخارجي، البدين والمترهل الذي يجعل حركته ثقيلة، يضفي عليه شيئاً من القوة والجبروت. ورغم هذه الصورة فقد اجتاز الخطوط من «مباي» إلى «الحزب الليبرالي» وصولاً الى اقامة «الليكود». وقد جلب معه الى الحياة المدنية من الاطار العسكري قواعد ومعايير مجتمعات عفى عليها الزمن، وكان إذا وجه له أحد انتقاداً يسرع الى قطع الحديث والغضب يعتريه. في الفترة الأخيرة فقط أدرك انه يمكن أن يكون بين منتقديه أناس لا يضمرون له شخصياً أي عداء عسكري أو سياسي، وأن غاية النقد الذي يوجهونه له ليست التحرش به أو الإساءة لسمعته، أو بهدف الانتقام منه. شارون لم يدرك ذلك على مدى سنوات طويلة، ولم يستوعب أن النقد يجب أن لا يحاكم دوماً من جانبه وفق مفاهيم صديق أو عدو. وإلى أن أدرك ذلك، كان قد قطع صلاته مع الكثيرين من رجال الاعلام، الذين اعتبروا في الماضي من ضمن المعجبين به.

يحظى شارون بتأييد الأغلبية الصامتة، كادر الناخبين الحقيقي الذي ينتمي للبروليتاريا الصناعية. فهو يظهر لدى هؤلاء، بكامل جبروته، معبوداً بكل ما تعنيه الكلمة. ليس هناك أية لجنة عمال تقريباً إلا وتطالب، حين نشوب نزاع عمل، بتدخل شارون أولاً، وبعد ذلك فقط تستدعي ممثليها «الطبيعيين» من قادة حزب «العمل» في الغالب. ويحوز شارون على نفوذ كبير في بلدات التطوير مثل معالوت وسدروت ونتيفوت، وفي تجمعات الأغلبية الفقيرة والفئات المتدنية الدخل، التي لا يملك «حزب العمل» أو «مباي» أي موطئ قدم فيها تقريباً..

فلماذا تتركز قوة شارون الانتخابية في تلك المدن والبلدات بالذات؟.

الجواب بسيط: ففي هذه التجمعات لا توجد أية عقدة اسمها فقدان السلطة، أو مَلاّك طرد من ضيعته بعد أن امتلكها ٣٠ سنة تقريباً.. في هذه التجمعات لا يأبهون بكتبة المقالات العدائية، وبكل ما يقال في الصحف.

لماذا يشعر أبناء الطوائف الشرقية بشكل خاص، بالود والدفء تجاه مناحيم بيغن، رغم كونه بولندي الأصل، ويمثل كل ما يبدو سخيفاً من وجهة نظرهم في العالم الاشكنازي (اليهودي الغربي)؟! لأن بيغن عكس حباً حقيقياً لاسرائيل. ويرى عامة أبناء الطائفة الشرقية في أريك شارون شخصية قائد عسكري يستحق التقدير، قائد ينقض متقدماً في طليعة الصفوف. وهم يشعرون بالاطمئنان بوجوده، لما يتمتع به من استقامة ونزاهة وابتعاد عن المحاباة والنفاق، كما أنهم ينظرون له باعتباره صاحب مآثر، قاتَل وعبر قناة السويس في العام ١٩٧٣، وأعاد الهيبة لاسرائيل وأمنها، بعدما انحدرت إلى درك لا مثيل له.

وأود أن أقول لك من منطلق المسؤولية والمعرفة، أن التعيينات السياسية التي قام بها شارون بالمقارنة مع وزراء آخرين، ليست سوى «نقطة في بحر»، ولكن بحكم أنه الوزير المسؤول، ولأنه في الوقت ذاته يكره وسائل الإعلام، تجدهم ينفخون في كل عمل أو قرار يتخذه، على سبيل المثال، قضية مزرعته والقرض الذي حصل عليه من شولام ريكليس، فقد نبه مراقب الدولة شارون بأن هناك قواعد لمنع حدوث تضارب مصالح، تقضي بأنه لا يجوز لوزير ممارسة عمل ينطوي على مصلحة شخصية تخصه، لكن هذا الأمر غير محدد بدقة، لذلك يترك للوزير المعني تحكيم رأيه بشأن تفسير القواعد. شركة «حيفا كيميكاليم»، التي اشترى «ريكليس» جميع أسهمها مقابل ٥٠ مليون دولار، تعد من أضخم الاستثمارات التي تمت في اسرائيل من جانب مجموعة مستثمرين أجانب. وقد توجهت الشركة ذاتها، التي يتولى خبير اسرائيلي بارع ادارتها، الى وزارة الصناعة والتجارة مطالبة بالحصول على امتيازات وتسهيلات منصوص عليها في قانون تشجيع استثمار رؤوس الأموال. وبعد أن درست الوزارة الأمر قررت الاستجابة لطلب الشركة. مراقب الدولة وجد أن اجراءً معيناً قد انطوى على

خلل في طريقة اتخاذ القرار، دون وجود أية صلة للوزير نفسه (شارون). لكن مراقب الدولة لفت انتباه وزير الصناعة والتجارة (شارون) الى أن من المستحسن به كوزير أن لا يتعاطى أو يقرر في مسائل تتعلق بالشركة المذكورة، بحكم وجود مصلحة شخصية له في الشركة تتمثل بحصوله من مالكها «ريكليس» على قرض بقيمة ٢٠٠ ألف دولار لمدة ١٥ سنة بدون فوائد. وقد ردّ شارون على مراقب الدولة بقوله: إنه ليس لديه أية مصلحة شخصية في الشركة، وانه يعتقد أن من حقها الحصول على ما طلبته، ومع ذلك، واحتراماً للمراقب، فإنه لن يبتّ مستقبلاً في أمور تخص تلك الشركة. هذا كل ما في الأمر لكن الموضوع تحول على الفور الى موضوع للمناكفة السياسية، والى سلاح في أيدي خصوم شارون، وراحت وسائل الإعلام كعادتها تشيع الحكاية وتنفخ فيها، لا سيما أن الأمر يتعلق بمن تبغضه أشد البغض.

هناك أيضاً التماس للمحكمة العليا قدمه عضو الكنيست ران كوهين من «راتس» ضد شارون وآخرين. من بين دزينة أعمال فساد، تضمنها الالتماس، تم اسقاط ٨ دعاوى خلال النقاش الأولي، في حين دعيت الدولة للرد على الادعاءات الأربعة المتبقية، التي قدمت للمحكمة بشأنها مذكرات وبيانات اضافية، تدعي وقوع أعمال جنائية فيها. لو كانت مثل هذه الأمور جرت بحق وزراء آخرين، لكان محررو الصحف قد منعوا نشرها، لما تنطوي عليه من ازعاج ومضايقة، ولكن كيف لا والأمر يتعلق بشارون! علماً أن شكوى النائب ران كوهين تنطوي على ما هو حتى دون مستوى الثرثرة. يعتبر العمل في وزارة الصناعة والتجارة في منتهى الحساسية، ولعل ٩٠ في المائة من نشاطات الوزارة منوطة بأذون وتصاريح من مختلف الأنواع، وهنا فإن اصدار أي تصريح يمسّ بشخص أو جهة ما.. الخ. وعلى سبيل المثال فإن مساعد شارون السابق، آبي دودائي، يعمل منذ حوالي خمس سنوات في مجال الاستيراد من الصين، عقب استقالته من الوزارة. شارون لا يلم بأعمال «دودائي» وليس له صلة بها.

أما فيما يتعلق بحرب لبنان، والانتقادات التي وجهت لشارون حولها، فحسبنا أن نقرأ

مقال يوسي سريد(*) عن رؤساء حزبه السابق - بيريس ورابين وبارليف وغور - فهو أفضل دفاع عن شارون.

حقاً لا يمكن للكلمات أن تصف حجم الفبركات الشريرة التي يكتبونها عن شارون، كما حصل في قضية المقال الذي كتبه عنه الكاتب حاييم بار، والذي افترى عليه ثم اعتذر في صحيفة «دافار». يجمعون حكايات من كل ما هبّ ودبّ كحكاية «بناء السور» التي كتبها أحد الصحافيين في «دافار»، مدعياً فيها أن الدولة موّلت على نفقتها بناء سور حول منزل شارون في مزرعته بكلفة ١٨ مليون دولار، وذلك في فترة عمله كوزير للزراعة. وقد اتضح بسرعة أن هذه المعلومات لا أساس لها من الصحة، إذ لا يوجد ببساطة أي سور من هذا النوع.. أو حكاية أخرى نشرت في «معاريف» عن زيارة شارون إلى لندن، واجتماعه هناك مع داني شمعون اللبناني، وهي أنباء عارية عن الصحة أيضاً.

أية حكاية أو خبر تافه يتعلق بشارون يتحول بسرعة الى حدث إعلامي، وذلك بسبب مزيج من الفضول والعداء والغيرة منه ومن نجاحاته. لقد تحول التحرش بشارون الى عمل يعود بالشعبية، ومسألة مودة رائجة..».

*

هناك معجب من نوع آخر، سيبقى هو الآخر مجهول الهوية، ينتمي إلى مجموعة من المراقبين العسكريين الذين يحللون شخصية شارون في المجال العسكري. هذا الرجل، الذي يتابع الجيش الاسرائيلي ورجالاته منذ عشرات السنين، يحتل موقعاً يتيح له امتلاك اطلالة ثاقبة وشمولية من مختلف الزوايا، سواء من حيث القدرة على تحليل الأحداث والابلاغ عن حصولها، أو من حيث استخلاص الاستنتاجات والدروس العملية الملموسة. ومن الطبيعي أن يخفي الرجل هويته، وإلا فإنه سيفقد وظيفته.

يقول المراقب المتحدث:

«شارون عبقري حقيقي في مجال التنفيذ، لكنه لا يملك خبرة عسكرية متسقة وواضحة

(*) يوسي سريد «هآرتس» ٢١ / ٨ / ١٩٨٧.

المعالم. لديه موهبة وكفاءة طبيعية كرجل عسكري، نشأت ونمت على أساس تجربته وسماته الشخصية. وكوزير للدفاع، فإن شارون لم يترك أي أثر على الجيش الإسرائيلي من الناحية العسكرية، وذلك بحكم الدعم والاسناد اللذين تلقاهما رئيس الأركان رفائيل ايتان من مناحيم بيغن. لم يرغب شارون بزعزعة الجيش الاسرائيلي، لاعتقاده أنه سيبقى في منصبه لفترة ولايتين، وأنه سيقوم بالتالي باجراء التغييرات اللازمة بصورة تدريجية. كان منشغلاً معظم الوقت في التحضيرات للحرب في لبنان، وكان الجميع يعرف ذلك، فهذا لم يكن سراً مكتوماً.

أوساط الجيش الاسرائيلي نظرت إلى شارون باعتباره واحداً من «أهل الدار». عندما كان الأمر يستدعي اتخاذ قرار من جانبه شخصياً، كان هناك من يقرر نيابة عنه أو بدلاً منه، ومع أن رفائيل ايتان (رفول) راعى الأصول في سلوكه، ولم يتماد أكثر من اللزوم، إلا أنه لم يكن لشارون تأثير مباشر على الجيش الاسرائيلي. لن تجد ضابطاً واحداً في الجيش ليشهد أن شارون أصدر له كوزير للدفاع أوامر مباشرة، على عكس سلوك ديان في حينه. ويحرص شارون على التزود بأذون وموافقات حكومية قبل قيامه بأية عملية. هناك من يزعم أن حرب لبنان كانت حرب أكاذيب وخداع، ولكن إذا كان ثمة حرب في تاريخ اسرائيل بعيدة أو مُنزهة عن هذه الصفة، فهي حرب لبنان. فقد عرف الجميع بخطط الحرب ومجرياتها، وتم نشر كل شيء، فأين هو الكذب والخداع هنا؟! لقد تفحص شارون، كوزير للدفاع، بصورة جادة شتى الأمور، كما حصل في مشروع طائرة «لافي»، الذي أصبح الآن كله من ورائه، وانظر في أي اتجاه سار الموضوع. كان شارون وزير دفاع حيوياً للغاية، قاد الأمن القومي بشكل واضح، وكان رئيس الأركان يعرف بالضبط ما يريده منه الوزير، الذي يكره الارتجال، خلافاً لما يقال عنه. وكرس شارون الكثير من وقته لزيادة وتوسيع صادرات الصناعة العسكرية.

وعلى عكس عيزر وايزمان، فإن شارون لا يواجه مشكلة في تقبل النقد مهما كان لاذعاً، ومع ذلك فإن النقد يثير حنقه واستفزازه إذا كان يتعلق بالمضمار العسكري تحديداً.

أصبح شارون مختلفاً بعد شباط ١٩٨٣ ، قوة الشخصية التي يعكسها تجعلك تشعر بالرهبة والتوتر وأنت بجانبه. اليساريون يتحاملون عليه لأنهم يرون فيه وعن حق الخطر الحقيقي على الزعامة التي فقدوها نتيجة جهوده. لقد ولد جنرالاً يتفحص دوماً المعارك التي خاضها. ليس هناك جنرال في الجيش الإسرائيلي يقترب من مستواه. فأفعاله في معارك سيناء في حرب الأيام الستة، واجتيازه لقناة السويس في حرب ١٩٧٣ يشهدان له بذلك.

الحملات ضد شارون في وسائل الإعلام أصبحت موضة رائجة، وقد ورث الكراهية التي وجهت لبيغن عندما كان في المعارضة لمدة ثلاثين عاماً، ثم بوصوله الى الحكم «جانبُ الرِّجس» ! فالمحللون «العسكريون»، الذين لا تساوي تحليلاتهم شروى نقير، لم يكتسبوا صيتاً وسمعة، إلا بعد أن بدأوا بمهاجمة شارون الذي قدّسوه في السابق، حيث صارت الدعوات تنهال عليهم من الراديو والتلفزيون وحتى في محافل ومنتديات دولية وعالمية.

القصة تبدأ من قضية اغتيال حاييم ارلوزورف، التي يقف وراءها حزب «مباي»، الذي أراد احتكار السلطة لنفسه، حتى ان بن غوريون كان مستعداً، في مرحلة معينة بعد حادث القتل، لتدمير وهدم مشروع الاستيطان الصهيوني برمته في سبيل ذلك. حال حزب «مباي» اليوم أشبه بـ«سوبرماركت»، فهو يضم أريك نحمكين إلى جانب أورا نمير (التي بدلت جلدها) ويوسي سريد الذي انسحب منه، ليحل مكانه حاييم رامون، اضافة الى «لاعب التعزيز» الجديد عيزر وايزمان.. وما هو القاسم المشترك؟ إنه الطمع في السلطة فقط، في حين ان القاسم المشترك في حركة «حيروت» لا يزال الايديولوجيا. لقد رأى قادة «مباي» في فقدانهم لزمام الحكم شيئاً مخالفاً لقوانين الطبيعة، واعتبروا ان الفترة الممتدة من العام ١٩٧٧ وحتى العام ١٩٨١ مجرد «حادث عرضي».

وبذلك نصل الى الكراهية تجاه شارون. وفقاً للمعايير المتعارف عليها، كانت حرب لبنان ملائمة لما سمي بـ«نظرية الأمن القومية» ربما أكثر من جميع الحروب الاسرائيلية الأخرى. فهي حرب لم يمارسوا فيها الكذب بالنسبة للأهداف، مجرياتها كانت مخططة سلفاً، كما تم ابلاغ الحكومة بكل خطوة جرت، ربما بصورة هستيرية مبالغ فيها، وبما يتعدى الضرورة

والأصول المرعية. فقد قدمت خلال الحرب تقارير مفصلة إلى لجنة الخارجية والأمن البرلمانية، والى زعماء المعارضة ووسائل الإعلام وللإدارة الأميركية، وهذا كله يشكل طرحاً يدحض رواية الكذب والخداع المزعومة.. حتى ان رابين نفسه قال «لم يخدعونا ولم يخدعوا الحكومة»، لكن ذلك لم يُجدِ نفعاً، فقد توالت حرب التشهير والافتراء ضد شارون، كما قال شمعون بيريس الذي كان حيناً متحمساً للحرب، وصار ضدها في حين آخر.. بيريس نعم ولا!.

نقطة ضعف شارون تكمن في خلق مخاوف لدى الناس. انظر المقطوعة الشعرية الفكاهية التي نشرها ديدي منوسي، بعد اجتياز قناة السويس، هذا رغم ان الجنود حاربوا العام ١٩٧٣ من أجله ودعوه بـ«أريك ملك اسرائيل». وعندما غيرت وسائل الإعلام رأيها فيه، فقد صدّرت الخوف للجماهير أيضاً. حتى أن جملة نادرة قالها بيغن ذات مرة بدعابة على سبيل الدفاع عن شارون (ستقولون أيضاً إن شارون سيأتي بالدبابات الى الكنيست) تحولت الى مادة للنقد والتحرش به. لقد نشأت ضده تشبيهات من قبيل «شارون فاشي»، و«شارون قاتل سفاح»...

الجنرال يسرائيل طال، يعتبر من أكثر جنرالات الجيش الإسرائيلي غموضاً، ولكنه بالذات يحظى بصورة الجنرال المنظم والمنهجي الذي يدير المعارك اعتماداً على تخطيط مسبق، في حين يظهر شارون مقارنة معه، على أنه جنرال أهوج وارتجالي. وفي الواقع فإن العكس هو الصحيح. فشارون هو الضابط الوحيد في الجيش الاسرائيلي الذي يخطط لأدق التفاصيل، كما أنه منظم في ادارة المعارك، غير أن شارون بطريقة سلوكه، كثيراً ما يضرب الحائط برأسه كفيل في حانوت خزف، وهو أحياناً يقع في أخطاء عند تخطيط ورسم خطاه السياسية.

*

المتحدث التالي يُعد من قادة «حيروت»، ومن البارزين في معسكر شارون. وقد وافق على الإدلاء بالمقابلة بعد أن تعهدت له بعدم الكشف عن هويته. ما الذي يدعوه للتهيب بهذا الشكل؟ سألت نفسي أثناء حديثي معه الذي استغرق عدة ساعات في مكتب حكومي رئيسي، ألا يثير التساؤل هذا الخوف الذي يسيطر على مؤيدي شارون ويمنعهم من التعبير عن رأيهم

بحرية، حتى عندما يُطلب منهم التحدث عن زعيمهم؟!.

يُقال: طوبى للرجل الذي يعرف الخوف. وعلى ما يبدو فإن الحذر، خاصة في معسكر شارون، مطلوب من الجميع على الدوام.

المتحدث الذي حقق انجازات مهمة في اسرائيل بجهوده الذاتية، بما في ذلك في الجيش الإسرائيلي، كشف أيضاً حقائق وحيثيات جديدة: «لقد وضع شارون رئاسة الحكومة نصب عينيه. وهو كرجل تكتيكي بارع، أثبت نفسه في الماضي، يعي الضبابية السياسية السائدة في اسرائيل وفي حركته، لذلك يجب عليه تمويه نواياه الحقيقية، والحرص على التواضع في الصدد ذاته، والعمل الجاد في اطار منصبه الوزاري الرابع، الحالي، كوزير للصناعة والتجارة، وذلك بعد أن عمل في السابق وزيراً للزراعة، ووزيراً للدفاع، ووزيراً بدون حقيبة. وهو يسعى لكسب وتسجيل مزيد من النقاط لصالحه، ليبرهن للجميع أنه قادر على تحقيق النجاح في أي منصب يتولاه مثلما أظهر تفوقه في مناصبه العسكرية.

ثمة قاعدة أولى واضحة، فقد أُعتبر ـ شارون ـ في الماضي، إلى جانب نجاحه الوظيفي الرسمي كوزير، نبتة غريبة في «حيروت». وهو على هذا الصعيد يسجل تحسناً مطرداً، ويُوفق الى ازالة هذه النقيصة. كما أنه أصبح، مقارنة مع دافيد ليفي، مقبولاً لدى قدماء «حيروت» بما لا يقارن مع درجة القبول التي يحظى بها الوزير ليفي، الذي يعد أقدم منه بكثير في الحركة. في اختبار المنافسة على منصب رئيس اللجنة السياسية، كان بوسعه الحصول على التأييد اللازم، لو أصر على اجراء تصويت سري في مشاركته الأولى كرئيس لمركز حركة «حيروت»، في ١٢ تموز ١٩٨٧. لكن خطأ قد وقع في إثارة موضوع اللجنة السياسية، حيث قام أريك بخطوة لا لزوم لها. فهم يستنفرون الآن المؤسسات الجديدة (في الحركة) مثل الإدارة والأمانة العامة وسواهما، حيث لا يحوز شارون في هذه المؤسسات على موطئ قدم. وهو يرغب بالحصول على تمثيل ملائم يتناسب مع نفوذه ووزنه الذي يقدر ما بين ٢٨٪ الى ٣٣٪، لذلك يجب عليه الحفاظ على قاعدة التعاون مع مختلف الأطراف في الحركة، خاصة مع رئيسها اسحق شامير. ففي موضوع اللجنة السياسية أخطأ شارون، وكان تحرشه

برئيس الحركة غير مبرر.

لقد طرأ تغيير كبير لدى شارون خلال السنوات الأخيرة، إذ لديه الآن طاقم مقرب يجتمع ويتشاور معه، مثل عضوي الكنيست دافيد مغين وغدعون غدوت والصحافي أوري دان، ومساعده في وزارة الصناعة والتجارة يسرائيل كاتس، وإيلي لانداو رئيس بلدية هرتسليا، ورافي ايتان رئيس مجلس إدارة شركة «كيميكاليم ـ اسرائيل»، ويوسي غينوسار من رؤساء جهاز «الشاباك» سابقاً، وحالياً مدير «معهد التصدير»، والمحامي دوبي فيسغاليس، و«إكس» موظف دولة من غير المسموح ذكر اسمه، ويغئال غريفل من بلدية تل أبيب.

يدعو شارون كل هذه المجموعة للاجتماع في أحيان متباعدة، فيما يجري لقاءات مكثفة مع عضو الكنيست مغين وغدوت ومساعده كاتس، أما أوري دان فهو مقرب جداً منه كصديق أيضاً. ولو ان شارون تشاور مع طاقمه في موضوع اللجنة السياسية، لما كان قد وقع في الخطأ.. وقد صرح لاحقاً «كان هذا خطأي.. هذا ما يحصل معي عندما لا أقوم بالتشاور..».

لقد تعلم من الحياة في العمل الحكومي، خاصة بعد أن فقد وزارة الدفاع، كيف يصغي ويعمل في نطاق فريق جماعي غير تقليدي.. كانت اللقاءات تتم في مكتبه وفي مكاتب أخرى وبيوت الأصدقاء و«متسودات زئيف» (مقر حزب الليكود)، وكانت زوجته «ليلي» الملتصقة به، تشارك كثيراً في الاجتماعات.

شعبيته على مستوى اسرائيل تتعزز باستمرار بعد التراجع المريع في العام ١٩٨٣، لكنها لم تبلغ بعد الذروة، وشارون يعي ذلك. إنه يحتاج لأربع سنوات أخرى، ليكتسب قوة داخلية تمكنه من زيادة تأثيره على مركز النفوذ في حزبه، الذي يتنامى ويتجذر فيه نظام الكتل، ولذلك ليس من المؤمل أن يعقد مؤتمر للحزب خلال العقد الحالي. وإذا جرى اليوم جرد عضوية في الحركة حسب المعسكرات، فربما يجدد ألف عضو عضويتهم مقابل ألف آخرين سيرفضون ذلك، علماً أن مركز الحزب يتكون من ألفي عضو. الأعضاء الذين لا يرغبون بتصنيفهم مع المعسكرات والتكتلات القائمة، يشكلون الهدف الذي ينبغي لشارون العمل من أجل كسبه لجانبه. وينقسم ولاء ألف من أصل ألفي عضو يضمهم مركز الليكود

على النحْو التالي : ثلث أو أكثر قليلاً موالون لمعسكر شامير ، ونحو الثلث يوالون معسكر ليفي ، والثلث الباقي أو أكثر قليلاً يوالون شارون ، ما يعني أن هناك ألف صوت عائم وغير محدد الولاء ، وهنا تزداد قوة شارون .

ويلاحظ أن شارون ينجح في التغلب على منافسه في أي مجال أو منصب يتنافس عليه أياً كان منافسه . وقد حصل على ٤٢,٦٪ من الأصوات عند انتخابه رئيساً لمركز الليكود في مؤتمر الحزب الذي عقد العام ١٩٨٧ .

أريك وبعد أن تعلم وأقر بأخطائه في الماضي ، أصبح اليوم شخصاً مختلفاً ، يكثر من الاجتماع مع مستشاريه والتباحث معهم في شتى المواضيع ، والاصغاء للأسئلة ، إنه زعيم كاريزماتي . أريك لغاية ١٩٨٣ لم يعد أريك نفسه بعد تلك السنة التي أصيب فيها بصدمة إثر اجباره على الاستقالة من منصبه كوزير للدفاع . . وقد «اكتشف» فجأة كيف عزّ الأصدقاء في زمن المحنة ، فاستخلص العبر من هذا الدرس .

لماذا يخافونه في أوساط الحركة والجمهور؟ مصدر المخاوف يكمن في المضمار السياسي الداخلي . يستغل شارون الكاريزما التي يتمتع بها ، ويستغل قدرته على الاقناع وتشبثه بالهدف ، وهو إلى ذلك رجل تكتيك بارع . كل هذه الصفات التي عددتها تشكل بالنسبة له عامل تفوق بارز أمام أي مرشح آخر تقريباً ، يقف في مواجهته ، وهذا ينطبق على السباق الحزبي نحو القمة .

شارون من أنصار النظام الديمقراطي ، وهو يدرك أنه لم يعد رجلا عسكريا يعيش ويتحرك حسب الأوامر . وإذا بلغ رئاسة الحكومة لا بد له أن يسلك ويتصرف كرجل ديمقراطي . ولعله الأكثر تواضعاً بين سائر الوزراء في مجال توزيع الامتيازات على أتباعه ، مقارنة مع ما يحصل في وزارات أخرى ، بما في ذلك لدى وزراء «الليكود» ، وبامكانك أن تجري مقارنة بين أعماله ومسلكياته ومسلكيات دافيد ليفي وموشيه قصاب و(العمالي) موشيه شاحل . شارون ينأى عن هذا الأسلوب ، لكن مساعده يسرائيل كاتس ، المكلف بالتعيينات ، يتمادى في تعييناته للمقربين ، وهو بطبيعة الحال يلقى الدعم والتغطية من الوزير (شارون) . صحيح أن

شارون يعاني من مشكلة سمعة في هذا المجال، لكن الذي يشرف بشكل مباشر على مهمة ضم اتباعه لامبراطوريته الحكومية، ليس شارون بل مساعده كاتس، الذي يمارس ذلك بصورة سافرة للغاية، الأمر الذي ولد انطباعاً في غير محله في أذهان الجمهور.

كيف يبدو جدوله الزمني للوصول إلى رئاسة الحكومة؟ سينتظر شارون أربع سنوات، إلا إذا أقدم شامير بشكل مفاجئ على تقديم استقالته في نهاية ولايته. عندئذٍ لن يسمح شارون بوضع يتقدم فيه شخص آخر ذو طاقة وكاريزما ليحل مكانه، شخص مثل دافيد ليفي على سبيل المثال. ربما يوافق على الانتظار إذا استبدل شامير لفترة محددة بموشيه ارنس كحل وسط.

يمقت شارون التحالفات، ومن ضمن ذلك التحالف الذي تم بصورة فوقية في مؤتمر «حيروت» لغرض الحصول على تمثيل في الفروع، والذي شكل (أي التمثيل) مشكلة بالنسبة لشارون وليفي. لكن بعد انفضاض المؤتمر، انفرط عقد التحالف بينهما ليذهب كل في طريقه.

ما هو رأيه في زعماء الحركة؟ لديه تقدير ما لدافيد ليفي، لكنه لن يسلم بأي شكل بفكرة أن هذا الرجل أفضل – أو مؤهل أكثر – منه. كذلك صار شارون يكن التقدير لموشيه ارنس، خلافاً لما كان عليه الحال في السابق، حيث تكونت لديه رواسب نفسية تجاه آرنس الذي خلفه في وزارة الدفاع، اثر اجباره على الاستقالة من منصبه كوزير للدفاع. أما رأيه حول اسحق شامير فينطوي على ميل انتقادي شديد. وهو (شارون) يتخوف من النتائج المدمرة والمصيرية التي قد تنجم عن السلبية الزائدة التي يبديها رئيس الوزراء (شامير)، بينما يقف إلى جانبه القائم بأعماله شمعون بيريس الذي ينجح في تدجين شامير. وقد أخبر بيريس شارون أن كل موضوع المؤتمر الدولي نُسّق سلفاً مع شامير، خاصة التحركات التي تمت مع الملك حسين. كان شارون يلتقي كثيراً مع بيريس في أحاديث ثنائية، ولم يكن أي منهما يذم أو يسيء للآخر بصفة شخصية، ما عدا النقد الجوهري ازاء خطوات أو تحركات معينة. ويعتقد شارون أن شامير يفتقد الى مؤهلات الزعامة، وأنه سلبي للغاية، معدوم المبادرة وبطيء في ردود

أفعاله. هذه السمات تولد طابعاً معيناً، انتقادياً تجاه شامير. وتختلط وسط كل ذلك بالطبع واقعة اللجنة السياسية (في حزب الليكود)، كذلك فرض شامير فيتو على اقتراح شارون بتعيين عضو الكنيست إلياهو بن اليسار، رئيساً للجنة الأمنية لشؤون الارهاب، فسارع «أريك» لاستبداله بمرشح آخر، وهو عضو الكنيست عوزي لانداو.

*

الى هنا فيض المديح والإطراء على لسان أنصار شارون، الذين يرسمون بطريقتهم صورة «معبودهم»، بيد أن لارئيل شارون وجهاً آخر، كما يرسم ملامحه منتقدوه من شتى ألوان الطيف السياسي في اسرائيل، ومن ضمنهم وزراء وأعضاء كنيست وجنرالات متقاعدون، وهؤلاء أيضاً يعرفونه حق المعرفة بصورة مباشرة. بعض هؤلاء أيضاً، طلبوا عدم ذكر أسمائهم.

روى الأول: «في العام ١٩٧٧، وتوطئة لانتخابات الكنيست، علق الكثيرون من أنصار شارون آمالاً كبيرة عليه، حيث اعتقدوا أنه سينجح في إيصال مرشحين كثيرين للكنيست من خلال حركته التي أقامها في ذلك الوقت «شلومتسيون»* وقد تسبب بنفسه في تصفية «شلومتسيون»، عندما قام بإبعاد كل من اختلف معه في الرأي، أو لم يعمل كما توقع منه أريك سلفاً بالتفاهم معه. كانت هناك تقديرات بأن الحركة ستحصل على ما بين عشرة إلى ١٢ مقعداً، لكنها لم تحصل سوى على مقعدين. لقد قضى شارون بأسلوبه على شعبيته التي كانت وافرة جداً في صفوف الجمهور وقتئذٍ. وكان ثمة عدة أسباب لذلك مثل: أرئيل شارون أكبر عدو لنفسه بطريقة تصرفاته التي قامت على الإملاء والتركيع، وزوجته «ليلي» التي كان بوسعها عرقلة خطاه، وثنيه عن المشاركة في أمسية انتخابية مقررة، بينما الجمهور ينتظر منذ ساعات قدومه، وذلك بإغوائه بعرضها الذي لا يستطيع مقاومته: «تعال بنا

* في الانتخابات للكنيست التاسعة التي جرت في ١٧ أيار صوت لصالح «شلومتسيون» التي ترأسها شارون ٣٣,٩٤٧ ناخب شكلوا ١,٩٪ من مجموع الأصوات، وحصلت القائمة على مقعدين فقط، وبعد فترة من الوقت اندمجت في حركة «حيروت»، حيث عين شارون وقتئذ وزيراً للزراعة في حكومة مناحيم بيغن.

نذهب إلى مطعم..»!، فيضطر منتظروه للمغادرة باستياء وسخط. وتملك «ليلي» تأثيراً طاغياً عليه، تأثيراً سحرياً تماماً، بيد أن لديها ايضاً وسائل أخرى لكبحه، إضافة لذلك فقد ساهمت وسائل الاعلام في فقدان شارون لشعبيته، خاصة بعد حرب ١٩٧٣.

ويحتل التقدم الشخصي لدى شارون أهمية قصوى، لدرجة الإستعداد لتقديم تنازلات مفرطة ومستغربة جداً عن مبادئ تعد مقدسة حتى في نظره، من قبيل مستقبل الحدود (حدود اسرائيل). وقد تجلى ذلك بصورة ملموسة في المفاوضات الغريبة التي أجراها مع موشيه كول، الذي ترأس لائحة «الليبراليين المستقلين» عشية انتخابات العام ١٩٧٧، أو بالصداقة الحميمة التي أقامها مع الصحافي عاموس كينان، الذي اعتقد أن شارون سيجلب السلام، وأنه الوحيد الذي يمكن أن يتوصل إلى تسوية مع العرب، وبالذات لشخصيته وصورته المتطرفة. كان ثمة أسباب وجيهة دعت «كينان» للاعتقاد بذلك، فقد نشأ تقارب وثيق بينهما، تخللته أحاديث صريحة للغاية جرت بينهما مراراً. «أريك يشبه بيغن من حيث أنه يستطيع تحقيق تسوية مع العرب والفلسطينيين، وربما مع منظمة التحرير الفلسطينية، بحكم حقيقة أن أحداً لن يشك فيه إزاء استعداده للتضحية بشيء مهم لأمن اسرائيل..

لقد مرّ شارون بتقلبات عديدة في حياته».

*

وجهة النظر التي أدلى بها عضو الكنيست داڤيد مغين، الذي يعد اليوم من قادة معسكر أرئيل شارون، كما عبر عنها باسمه بحرية وصراحة تستحق الإشادة، خلال المقابلة التي أجريتها معه في العام ١٩٨٢ في مكتبه بـ«كريات غات» حيث تولى رئاسة البلدية، الى جانب كونه عضواً في الكنيست.. وجهة نظر مغين هذه (في شارون) تعتبر مثيرة للانتباه بشكل خاص؛ ولربما تكون ايضاً ذات دلالة مفيدة في هذا السياق.

واللافت أن «مغين» أجاز لنفسه التعبير عما يجيش به صدره تجاه شارون، في وقت كان فيه الأخير يلفظ أنفاسه كوزير للدفاع، إثر تورطه في وحل الحرب في لبنان، وقبل حوالي ثلاثة أشهر من اضطرار شارون للافتراق عن وزارة الدفاع في أعقاب تقرير لجنة كاهان. وكان

النائب «مغين» في هذه الفترة ذاتها (نهاية العام ١٩٨٢) لا يزال في عداد مؤيدي شارون المتحمسين. رسم «مغين» في المقابلة صورة سلبية لشارون، رغم ما وصفه بحقيقة كونه من «المراهنين» على شارون، ومع ذلك لم يخف أنه، (مغين) «يعرف جيداً أن أريك غدار» يطعن من الخلف حتى مؤيديه، إذ أن كل الوسائل تعتبر مشروعة في نظره لتحقيق أهدافه. «مغين» رأى في شارون وقتئذٍ «حليفا له» في صراعه ضد داڤيد ليڤي، وكلاهما من أصول مغربية، يسعيان لتبوُّء الزعامة في طائفتهما.

هذا يعني أن هناك دوماً مصالح شخصية تحرك أتباع شارون، وأن تأييدهم له محدود الضمان ومنوط بمصالح متبادلة «إسعَ لي أَسعَ لك». داڤيد مغين أراد التوكيد العام ١٩٨٢ بأنه ليس نصيراً أعمى لشارون، ساعياً بذلك إلى صد انتقادات خصومه الذين تحاملوا عليه لكونه «ذنباً موالياً» لشارون.. وقد رد «مغين» محاولاً إبعاد هذه «التهمة» التي دمغوه بها بقوله:

«لو طلب مني أن أختار لنفسي أباً، لقلت أن لديَّ مناحيم بيغن».

في العام ١٩٨٨ كان بيغن قد غاب منذ عدة سنوات عن الساحة السياسية، معتكفاً في منزله بالقدس، لكن شارون كان يزداد قوة، بينما عاد داڤيد مغين الى مقدمة صفوف معسكره (معسكر شارون). ولكن مغين قال عن شارون في العام ١٩٨٢ «.. لشارون أعداء كثيرون بسبب سلوكه الهمجي الفظ، حتى تجاه رفاقه القدامى الذين ساروا معه في السراء والضراء. شارون هو أكبر عدو لنفسه... ولتعلم أن قسماً لا يستهان به من الذين يمقتون شارون كانوا في السابق من أشد المعجبين به. إنه بتصرفاته وأسلوبه يملك قدرة مميزة على هدر صداقة مديدة في بضع دقائق، وهذا مؤسف».

هذا في العام ١٩٨٢، ولكن أتباعه يقولون في العام ١٩٨٨: ثمة أريك شارون مختلف، اتعظ من دروس ١٩٨٢ - حرب لبنان وصبرا وشاتيلا.

وهل يُغيّر العبد جلده؟

الدكتور يهودا بن مائير، الذي كان عضواً في الكنيست، من قادة معسكر «الشباب» في

الحزب القومي - الديني (المفدال) ونائباً لوزير الخارجية في فترة حرب لبنان، يكشف الأمور على حقيقتها بشأن مسيرة شارون في الحكومة كوزير للدفاع. فقد صرح «بن مئير» في مقابلة صحافية:

«... كان هناك ظاهرياً مستشار عسكري لبيغن، وكان هذا المستشار يعارض الكثير من الخطوات والتحركات المتعلقة بالحرب (حرب لبنان)، غير أنه كان برتبة عقيد فقط، وفي الأساس جزءاً من المؤسسة العسكرية، لكن شارون أعلن أنه لا يوافق على مشاركة هذا الرجل في المداولات، وهذا ما حصل، فقد رضخ بيغن لشارون في هذا الموضوع أيضاً. كذلك الحال بالنسبة لرئيس هيئة الاستخبارات العسكرية الجنرال (يهوشواع) ساغي، فقد حاول مراراً في جلسات الحكومة طرح موقف مخالف لموقف شارون، إلا أن وزير الدفاع كان يسكته على الفور. وأنا لا أُشفق على ساغي، إذ أنني أعتقد أنه لو كان ذا ضمير حي لكان عليه أن يطرح على الحكومة مواقفه، وما لديه من معلومات، أو أن يقدم استقالته، أما أن يصمت، وقد صمت، فهذا غير جائز البتة... خلال حرب لبنان أيضاً، وعلى الأقل في مراحلها المتأخرة، كان هناك العديد من الوزراء الذين عارضوا توجهات وخطوات أريك شارون، غير أنهم خافوا فتح أفواههم.. كنت أشارك في جميع اجتماعات الحكومة بحكم منصبي كنائب لوزير الخارجية، وأذكر كيف كان الوزراء يقولون في الأروقة قبل ولوجهم إلى قاعة الاجتماعات: «اليوم سنخبر أريك أخيراً بما نفكر به حول الحرب وعنه كوزير للدفاع، لن نسمح باستمرار الأمور على هذا النحو». وما أن يدخلوا إلى قاعة الاجتماعات، وإذ بالصمت يطبق على ألسنتهم.. لم يكن أحد منهم ينبس بكلمة أو همسة. كان يعتريهم نوع من الرعب يمنعهم من القول لبيغن: إنه يخطئ، على الرغم من أن بيغن حرص على حق كل وزير في طرح رأيه دون مقاطعة من أحد... ففي الهيئات السياسية تسود الطاعة والولاء التام لإظهار وحدة الحزب أمام الناس.. هذا العامل استغله شارون بكفاءة عالية، رغم أنه لا يمتلك خبرة «رسمية» في علم النفس الاجتماعي. عندما كان أحد الوزراء يشرع بتوجيه انتقاد ما، كان أريك يباشر بزجره صارخاً «ما تقوله هو بالضبط ما يقوله اليسار، وما تنشره وتكتبه الصحف.. لم

أتوقع سماع مثل هذه الأمور منك، هنا في الحكومة». وكما لو بضربة عصا سحرية، كان الصمت يطبق على الجميع، حرصاً منهم على أن لا يظن أحد بأنهم يقفون خارج المعسكر.

جدير بالذكر أن الجيش أيضاً، يتسم بالتفكير على هذا المنوال.. الحرص على وحدة الرأي والموقف. خطأ بيغن يكمن في أنه كان واثقاً من أن رفائيل إيتان (رئيس الأركان) سيدفع شارون نحو الاتزان...

*

يعتبر سيمحا إيرليخ، وزير المالية، ونائب رئيس الوزراء، ووزير الزراعة، من ألدّ خصوم أريك شارون. فقد عرف أريك على حقيقته قبل أن يصبح وزيراً للدفاع بوقت طويل، منذ أن سرح شارون من الخدمة في الجيش، واستقبل بحفاوة وترحاب من جانب «الحزب الليبرالي» الذي غمره بالتشريف والتمجيد. بعدئذٍ أخذ شارون يسيء لمحسنيه الجدد، و«يعضّ» يدهم التي مدت إليه بسخاء.

قادة الليكود - الحزب حديث العهد، الذي تأسس بمبادرة من شارون في نهاية العام ١٩٧٣ - توجّسوا خيفة منه، ونعتوه منذ الأشهر الأولى من العام ١٩٧٤ - بعدما كان يوصف بـ «ملك إسرائيل» بفضل عملياته في حرب «يوم الغفران» - باسم «الجنرال باتيستا».

لم يترك انطباعاً لديهم بعملية اختراقه لقناة السويس في حرب ١٩٧٣. في طليعة المنتقدين لشارون، وقف في ذلك الوقت، آرييه دولتسين، الذي رأى فيه، ولم يكن الوحيد الذي رآه كذلك، «ديكتاتوراً» وطاغية. وكان الثلاثي ريميلت - آرليخ - دولتسين قد توسط بين الجنرال حاد الطباع وبين «الحزب الليبرالي». فقد علق هؤلاء آمالاً عليه، ووثقوا بوعوده واعتمدوا على كلمته، لكن سرعان ما خاب ظنهم.. جميع مكونات وأجنحة الليكود - «حيروت»، «الحزب الليبرالي»، «المركز الحر»، و«القائمة الرسمية» - رأت فيه (في شارون) شخصية استبدادية وسارعت إلى دمغه بلقب «الجنرال باتيستا».

رؤساء الكتل في «الليكود» وجهوا له انتقادات شديدة بقولهم: إنه لا يعترف بأي قيود أو ضوابط، تربى في ظل دلال وترفيه في الجيش الإسرائيلي، لا يصغي إلاّ لنفسه، ذاتي، غير

وفيّ وغير ودي، جل ما يهمه، هو منفعته الشخصية.

هل شارون ١٩٨٨ يختلف عن الصورة التي رسمها له قادة «الليكود».. في العام ١٩٧٤؟.

وقد قالوا عنه أيضاً في ذلك الوقت: إنه يتحدث عن العودة إلى العمل اليدوي، لكنه يتصرف كصاحب مزرعة منذ أن خلع عنه بزة الجنرال، أصبح يسير في العراء بملابس فاضحة تفتقد إلى أية حشمة. برنامجه في المجال الاجتماعي، والذي طرحه خلال مؤتمره الصحافي الأول الذي عقده عقب تسريحه من الجيش، مستعار من شولاميت ألوني، أما برنامجه السياسي فهو مستمد من برنامج شموئيل تامير. وهو معدوم النفوذ في الحزب، يسعى للإطاحة بالزعماء ليتمكن من تزعم الليكود، في حين أن هدفه الحقيقي يتمثل بالزحف إلى الحكومة والتعاون مع «مباي» وسط التخلي عن مبادئه.. الغاية عند شارون - هذا ما قالوه في الليكود - تبرر كل الوسائل، دون أي رادع أو وازع. إنه يدوس على الناس، مؤخراً «وجّه صاروخين»: دعمه وتعزيزه لاسحق رابين، وإنذاره بوجوب صهر «الليكود» في حزب واحد. هذان الصاروخان يضران بالدرجة الأولى بـ«الليكود» ويبهجان «المعراخ». لقد كشفت كلمته أمام الكنيست، إثر تقديم غولدا مئير لحكومتها الجديدة، عن نقاط ضعفه، حيث فاجأ البرلمان بأسلوبه الهابط، بفظاظة حديثة وبلغته الفقيرة.

عندما نشرت هذه الأمور وغيرها عن شارون قبل ١٤ عاماً، والتي حطمت أسطورة وأماطت اللثام عن صورة لم تكن معروفة للكثيرين بسبب اختبائه وتستره خلف بزة الجيش الإسرائيلي، لجأ «بطل حرب يوم الغفران» إلى تهديدي عبر مكالمة تليفونية، وقام بقطع علاقاته معي، إلى أن وافق على الإدلاء بمقابلة لغرض إعداد هذا الكتاب في صيف العام ١٩٨٧. في تلك المقابلة مع آرييه دولتسين، الذي شغل وقتئذٍ منصب رئيس «الحزب الليبرالي» كتبت عن شارون:

«... يغازل الشبان في حركات الاحتجاج آملاً في أن يكون خلاصه على يدهم. لقد أضحى معزولاً أكثر فأكثر في حزبه.. أوساط «الليكود» تتنصل منه، وتحول مؤيدو ومعجبو الأمس إلى أعداء له، ينتظرون بفارغ الصبر لحظة سقوطه.. وهو من جهته يتمترس ويتحصن محيطاً

نفسه بالمنافقين والدجالين والأذناب... لا يتحكم دوماً بردود أفعاله، يطلب من الموالين له في هذه الصحيفة أو تلك معرفة من يعاديه في أحزاب «الليكود» ومن ينتقده بهدف الدعاية والتشهير....». في العام ١٩٧٤ قال دولتسين عن شارون أموراً يقولها عنه أعداؤه وأصدقاؤه على حدّ سواء في العام ١٩٨٨ أيضاً، من قبيل «.... إذا واصل شارون التصرف كما يتصرف اليوم، كذئب ضال يسعى لفرض رأيه من الخارج على «الحزب الليبرالي»، فإننا لن نسلم بذلك.. إنه يهدد مراراً بالانسحاب من الحزب، هذه ليست طريقة ملائمة، بإمكانه أن يحاول إقناع الآخرين وأن يناضل من أجل رأيه، ولكن عندما يقول (أنتم ملزمون بقبول رأيي) ويهدد ويتوعد دون توقف، لن يجد أية فئة في الحياة الديمقراطية، مستعدة لقبول مثل هذا الأسلوب والسلوك... يجب على أريك شارون، الذي أقدره وأحترمه، أن يدرك أن الحياة السياسية والمدنية في الحزب هي حياة جماعية، حياة فريق، وأن الأغلبية هي التي تقرر، ومن لا يستطيع السير في هذا الطريق مآله أن يبقى وحيداً، وأن يلفظه الحزب... منطلق شارون السياسي غير مستقر بشكل عام، بل ويكون منطلقاً ذاتياً في بعض الأحيان...».

عضو الكنيست بني شليطا، الذي كان في فترة معينة حامل لواء أريك شارون، نعته في العام ١٩٧٦ بـ«الدّلوع» مضيفاً «يجب التخلص منه».

عندما انسحب شارون، وأقام حركة «شلومتسيون» (على اسم ابنة صديقه المفضل في ذلك الوقت، عاموس كينان) علّق رؤساء الليكود بقولهم «تخلصنا من همّ».

في مقابلة أجريتها معه، عقّب سيمحا إيرليخ (على انسحاب شارون من الحزب الليبرالي) في تشرين الثاني ١٩٧٦، قبل عدة شهور من انتخابات الكنيست بقوله «لا أشعر بأي أسف أو حزن على انسحاب شارون أخيراً». وقد أضاف زعيم الحزب الليبرالي في حينه (إيرليخ) عدة مصطلحات لغوية حول طابع شارون، بعد أن تمكن من التعرف عليه عن قرب على مدى عدة سنوات:

* أريك لا يستطيع العمل في إطار فريق جماعي.
* غير مستقر سياسياً، إنسان لا يتمسك بمبادئ.

* طريقة التنفيذ تتفوق على المبدأ بالنسبة لشارون.

* يلائم المبدأ للتكتيك، مدلل للغاية.

* كان بود أريك أن ينقل نظام الحياة العسكرية إلى السلطة المدنية السياسية.

* ينظر إلى الناس نظرة فوقية من أعلى إلى أسفل.

* يعتبر الشخصيات العامة بضاعة عفى عليها الزمن.

* يسخر من كل ما هو غير عسكري - «رفيق سلاح».

* يتحدث بلغة الأوامر، أي حديث يبدأ لديه بألفاظ التحذير والإنذار، لست مفتوناً بسحره وبما يوصف بـ«كاريزما أريك»، هناك الكثير من السذّج الذين لا يعرفون أريك عن كثب.

في أيلول ١٩٧٦ التقى إيرليخ وشارون في مؤتمر الصهيونيين في الولايات المتحدة، بنيويورك، حيث تقابلا في التاسعة صباحاً في مقصف فندق «فلدورف استوريا».

إيرليخ: الماضي يبدأ عندي من الصباح.

أريك: تعال نتحدث كلصوص الخيول.

إيرليخ: لم أجرب بعد سرقة الخيول. تحدث فسوف أُلائم أسلوبي مع أسلوبك.

إيرليخ قال عن شارون وحركته «شلومتسيون»:

«إذا حصل على مقعدين فسيكون ذلك بمثابة إنجاز كبير له، عشر ما يتوقعه». وبالفعل فقد أصاب إيرليخ في توقعه.

في المقابلة نفسها التي أجريتها مع إيرليخ العام ١٩٧٦، أوردت حكاية قصيرة بعنوان «الشيء ونقيضه»، والتي تنطوي في ثناياها على ملامح تعكس شخصية أريك شارون.. «في أوائل تموز ١٩٦٩، وبعد اتصالات سرية أجراها الجنرال أرئيل شارون بمبادرته، مع زعيمي (غاحال) مناحيم بيغن ويوسيف سافير، اتفق على انضمام شارون للحركة المذكورة، وكان شارون الذي نشب نزاع بينه وبين قيادة الجيش الإسرائيلي، وفي مقدمتها رئيس الأركان حاييم بارليف، قد طلب تسريحه من الجيش. شرب الثلاثة نخب التوصل للاتفاق، في فندق «الملك داود» في القدس، ولم تكد تمر بضع ساعات، وإذ بالجنرال شارون يهاتف يوسيف

سافير ليخبره أنه أرسل إليه رسالة عاجلة، يعلن فيها تراجعه عن الاتفاق. وقد كتب شارون في رسالته:

شخصي، ٩ تموز ١٩٦٩

الوزير يوسيف سافير، صديقي السيد سافير،

أرجو أن ترى في ذلك رسالة رسمية مني إليك. كنت أنوي التحدث معك حديثاً صريحاً قبل أن أرسل هذه الرسالة، لكنني فهمت من غدعون فات، أن هناك درجة معينة من عدم الارتياح، للقائي معك خاصة في هذه الأيام. وددت في الحديث أن أوضح لك، ولك وحدك فقط، وذلك بحكم ما أكنه لك شخصياً من مودة وتقدير، كيف كان أثر اللقاء علي مع السيد بيغن في يوم الأحد، وكيف توصلت نتيجة لهذا اللقاء لقراري بعدم الانخراط بأي شكل في الحياة السياسية في ظل وضع أكون فيه مرتبطاً بالمذكور أعلاه. وحيث أنني أرغب في الحفاظ على الصلة معك، فإنه لما يسرني لو تكرمت بدعوتي إلى منزلك الأسبوع المقبل، حتى أتمكن من التحدث معك حديثاً ودياً من القلب إلى القلب.

أعتذر عما تسببته لك من عدم ارتياح ومصاعب، وأشكرك مرة أخرى على تعاملك الصادق والودي، يحدوني الأمل والثقة في أن الصلة بيننا سوف تتواصل في المستقبل أيضاً.

مع خالص المودة

المخلص: أريك شارون

للعلم: الرسالة الرسمية أرسلت أيضاً للسيد بيغن.

وفيما يلي نص الرسالة الرسمية التي أرسلها شارون:

«شخصي ٩ تموز ١٩٦٩، الوزير يوسيف سافير،

سيدي الوزير: خلال الأشهر الأخيرة ترددت كثيراً.. بشأن الطريقة التي يمكنني من خلالها المساهمة بأقصى ما أستطيع في خدمة أمن دولة إسرائيل.

وقد توصلت بعد تفكير عميق إلى نتيجة نهائية ملخصها أنني وفي هذه الأيام العصيبة، التي يقف فيها جيش الدفاع الإسرائيلي في حالة حرب على امتداد جميع الحدود، وفي وقت

تنزف فيه دماء جنودنا دفاعاً عن حرية إسرائيل واستقلالها، لا أستطيع إلاّ أن أكون معهم وفي طليعة الصفوف.

مع وافر المودة والتقدير

الجنرال أ. شارون».

انقضت حوالي ست سنوات.. في يوم السبت ١٤ آب ١٩٨٢، وبينما كانت حرب لبنان في أوجها، هاتفني في بيتي سيمحا إيرليخ، نائب رئيس الحكومة، وقال، وقد بدا قلقاً محبطاً «اثنتا عشرة ساعة من القصف الوحشي على لبنان، يريد أريك العمل في الميدان، يريد احتلال ٥٠٠ متر. طلب موافقة الحكومة، الهدف - الهدم والتدمير - جعله يفقد صوابه، إنه عديم الشعور والإحساس، هذه الحرب حافلة بالتجاوزات والخروقات التي بدأت في السابع من حزيران، لكنها تبقى في حدود المنطق والمعقول. شارون عديم الشفقة، حياة الإنسان والذبابة في نظره سواء. إنه متوحش، وإذا كان هناك اصطلاح كهذا فهو ينطبق عليه. استغل صلاحياته بشكل سيئ ليقصف من الجو مدة ١٤ ساعة متواصلة. صحيح أن هناك إذناً حكومياً بالرد على انتهاكات لوقف إطلاق النار، برّاً وبحراً وجوّاً، لكن ليس بهذه الصورة من دون حدود.

الولايات المتحدة رفضت التقاء مسؤوليها، شولتز وريغان وواينبرغر، مع شارون. اتخذ أربعة وزراء في الحكومة قراراً بإيفاد أريك للولايات المتحدة.. صحيح أنه ليس هناك أفضل منه في قتل العرب، لكن أن يتوجه إلى واشنطن؟! هذا ما قلته لبيغن. هكذا فكرنا في الاجتماع الوزاري الرباعي.. لكنني التزمت الصمت، وبذلك كنت شريكاً في الأمر. كيف يمكن أن نرسل بواسطة أريك، وثائق سرية للولايات المتحدة، نشرح فيها للمسؤولين الأميركيين ما حققناه من أجلهم.. ألن يفاقم ذلك التوتر في العلاقات بيننا؟!».

واستطرد إيرليخ الذي دونت تصريحاته المنفعلة على قصاصات ورق، اصفرّ لونها بمرور السنوات:

«الوثائق تتعلق بالعلاقات بين الروس أنفسهم وبين الروس والولايات المتحدة. كانت هناك

رزم ضخمة من الوثائق والأوراق . اتفق أن يسافر (شارون) لواشنطن بشرط ضمان عقد ثلاثة لقاءات . محافل السفارة الأميركية (في تل أبيب) أبلغتنا باسم شولتز أن أريك سيكون ضيفاً مرغوباً (لكن ليس هذه المرة . . .) . « أشهر العسل » مع أريك وصلت إلى نهايتها ، لكنه لم يكن من المنتظر أن يقدم بيغن على إقالة شارون ، فهو غير مؤهل لذلك . اسحق شامير رجل وسطي ، وكان بيغن يرغب في تنصيبه خلفاً له . بإمكان بيغن البقاء في الحكومة كوزير بلا حقيبة مدة ستة أو ثمانية شهور ، إلى أن يحين موعد الانتخابات ليخلفه شامير في رئاسة الحكومة . إذا كان أريك سيكون الوريث ، فسوف أنافسه على رأس قائمة منفصلة . . . » .

كشف إيرليخ في ذلك الحديث الهاتفي عن خطة بيغن للاستقالة من الحكومة ، في وقت كانت فيه حرب لبنان لا تزال في أوجها . وقد أكد إيرليخ في ختام الحديث المطول قائلاً : « في هذه الأثناء اتخذ بيغن قراره . سوف يتنحى نهائياً ، لكن الأمر ليس نهائياً تماماً . لقد تحدث (بيغن) مع زوجته عليزا » . بعد مرور أسبوعين ، في ٢٧ آب ١٩٨٢ ، قال لي إيرليخ في مكالمة هاتفية « تحدث معي أحد الصحافيين ، وقلت له قبل التصويت في الحكومة بشأن موضوع أريك شارون والغارات المكثفة التي شنها على بيروت : إنه إذا بقي الوضع على هذه الحال فإنه سيجد نفسه (شارون) خارج صفوف الحكومة . وقد سارع هذا الصحافي إلى تسريب ما قلته لشمعون بيريس الذي استغل ذلك في اجتماع لجنة الخارجية والأمن ، وسأل بيغن حول ما إذا كان وزير رفيع قد اقترح بالفعل إقالة شارون ، فرد عليه بيغن بقوله : إنه لم يتلق اقتراحاً كهذا من أي وزير . . في خضم الحرب ، جاء إليّ عضو الكنيست أبرهام شابيرا ، رئيس الائتلاف ، وقال لي : إن بيريس مكث عنده حتى الساعة الرابعة فجراً ، وقال له : إنه إذا وافق بيغن على إعطائه منصب وزير دفاع ، فإنه (بيريس) يتعهد بطرد « مبام » ويوسي سريد من « المعراخ » . قلت لشابيرا : إنه لا يجوز استبدال الخيول في معمعان الحرب ، ونصحته بأن لا يفكر بطرح الموضوع (اقتراح بيريس) على بيغن ، لكن شابيرا ذهب بنفسه إلى بيغن متخلياً عن وساطتي » .

- ١٦ / ١٠ / ١٩٨٢ ، إيرليخ يهاتفني : « بعد حادثة الحافلة في (مستوطنة) « عيلي » والتي

قتل فيها ستة جنود، حملت في الحكومة على خطة بيغن وشارون للرد على العملية. جرى نقاش، وسأل بيغن: موافقون؟ هل هناك أغلبية؟. قلت: أريد تصويتاً، جرى التصويت وكانت النتيجة ٧ مقابل ٧. وقد صوت إلى جانب عملية الرد الانتقامي كل من بيغن، شارون، هامر، موداعي، نيسيم، مريدور و(يوسيف) بورغ، في حين صوت ضد عملية الرد كل من: إيرليخ، شارير، فات، ليفي، تسيبوري، أريدور وأوزان، وهكذا حلت دون العملية الانتقامية بالذهاب إلى طرابلس وزرع الدمار هناك».

- ١٣ / ١٢ / ٨٢ إيرليخ في محادثة هاتفية: «اضطر أريك شارون للجلوس مع المحامي شموئيل تامير خمس ساعات. قال له تامير بعد ذهابه للتشاور مع بيغن: إنه لا يستطيع التدخل. لقد رفض تامير تحسباً من وضعه في خانة واحدة مع شارون».

- ٣١ / ١٢ / ٨٢ إيرليخ هاتفياً: «مكث أريك شارون مدة يومين في نيويورك بانتظار الاجتماع مع رئيس الـ«سي. آي. إيه» الذي لم يرغب في مقابلته. أريك في ورطة كبيرة بسبب ما فعله في قضية المذابح في المخيمات. ما آمله هو أن توصي لجنة التحقيق بإقالته. بيغن بحالة جيدة، ووضعه الصحي بخير، لكن وفاة زوجته عليزا، تؤثرعليه. إنه غارق في الصمت، وأعتقد أن صمته يرجع إلى وفاة زوجته. بورغ لا يريد انتخابات، ولن تجري انتخابات (مبكرة، في ضوء المجازر في مخيمي صبرا وشاتيلا وحرب لبنان). أود وآمل أن تأمر لجنة التحقيق بإقصاء شارون. ستظهر براءة ثلثي المستوى السياسي، مثل بيغن وشامير، أما شارون فلن يبرّأ، إنه متورط. وهناك كل الأسباب التي تجعله متورطاً، فهو يكذب في كل يوم. على ما يبدو كانت هناك أعمال تزوير (لم يفصل إيرليخ)، فهل رفول (رفائيل إيتان) لا يكذب.. ووايزمان.. وإيلي زميرا! سيتولى بيغن حقيبة الدفاع. أريك يرغب في دان شومرون كرئيس للأركان (مكان رفائيل إيتان)».

هذا ما قاله لي سيمحا إيرليخ في خضم حرب لبنان.

ليئا رابين أيضاً لم تقف موقف اللامبالاة تجاه الحرب المندلعة في لبنان. لم تكن المديح للوزير أرئيل شارون، مثلما اعتاد في تلك الأيام العصيبة زوجها، والذي تتسم نظرته إلى

شارون بازدواجية المعايير . . في ١٥ آب ١٩٨٢ قالت لي ليئا رابين في مكالمة هاتفية «هناك أوامر بتسخين الأوضاع في القطاع الشرقي في لبنان، هذا ما أخبرنا به جندي من أقاربنا. إنهم ينوون الوصول حتى طرابلس، لننجر من حرب إلى حرب. ليس من الحكمة جعل أريك شارون كبش فداء، بحيث تنجو الحكومة بأسرها. إن شارون كارثة طبيعية. بن غوريون قال لرابين (احذر من أريك شارون، راقبه إذ أن لديه مشاكل انضباط). أمضى أريك سنة كاملة كالحمل الوديع قرب أبرهام يافيه في قيادة المنطقة الشمالية كمساعد لقائد المنطقة، حيث سلك بصورة جيدة، ثم رقع بعد ذلك إلى رتبة جنرال. اليوم أصبح ابرهام يافيه (توفي منذ وقت بعيد) لا يذكر بجانب شارون أو مقارنة معه. نحن لا نتكلم (يافيه كان متزوجاً من شقيقة ليئا رابين). عندما أراد شارون الاستقالة من الجيش، قال رابين: إن من الخطأ تركه يغادر، لأنه سيتحول إلى خصم سياسي».

*

كان أريك شارون (شاينرمان) يوصف، منذ أن شب على قدميه بـ«الولد الشقي». ولد في العام ١٩٢٨ - بعد سنتين من مولد شقيقته ريتا - في «كفار ملال»، إحدى المعاقل الاستيطانية لحزب «مباي» في منطقة الشارون. والده شموئيل (صموئيل) وأمه ڤارا (دبورا) من «بريست ليتوفيسك» هاجرا إلى البلاد في العام ١٩٢٢، هاربين من مدينة «تيفليس» في جورجيا، إثر وصول الثوار البلاشفة إليها في أعقاب ثورة تشرين الأول / أكتوبر (١٩١٧م). والدة شارون من مواليد مدينة «موهيلاف» في روسيا البيضاء، درست الطب في «تيفليس»، في حين درس والده صموئيل، الهندسة الزراعية في المدينة ذاتها. عقب هجرتهما إلى أرض إسرائيل عملا في الفلاحة. كانت الحياة في «كفار ملال» شاقة ومضنية، حيث آوت الأسرة إلى كوخ متواضع، قرأت جريدة «داڤار» واحتفلت بالأول من أيار، فيما لم يكن العمل والرزق متوفراً إلاّ بشق الأنفس. . فالحاكورة التي عبّدتها الأسرة بجهدها وعرقها لم تعط أكلها المرجو. صحيح أن أسرة شانيرمان كانت تملك بعضاً من الدواجن الحلابة والبياضة، ومعدات الفلاحة، وكرم عنب ومقثاة بطيخ، لكن كل هذه «الأطيان» لم تكن كافية لتوفير كفاف عيش كريم لأسرة

مكونة من أربعة أنفار، الأمر الذي اضطر رب الأسرة للخروج سعياً وراء عمل لسد النقص، حيث عمل أيضاً مديراً لبيارة.

كثيراً ما خطر ببال شموئيل شانيرمان الرحيل عن «كفار ملال»، حيث ضاق ذرعاً بكونه فلاحاً معدماً، وقد خطط للرحيل عن المزرعة ليتفرغ للعمل في مهن تعود بربح أوفر، غير أنه تراجع عن نيته بعدما استجابت المؤسسات الاستيطانية لطلبه وإلحاحه وقدمت له مساعدة إضافية لتثبيت أقدامه. وشيئاً فشيئاً، وبجهد مضنٍ دؤوب وسط التشبث بالهدف، أضحت مزرعة عائلة شانيرمان مثالاً للنجاح. ولغاية وفاة رب الأسرة في كانون الأول ١٩٥٦، لم يعد أفراد عائلته بحاجة لمساعدة أو عون خارجي. فقد زال شبح الفقر والعوز، وصارت مزرعة الأسرة المزدهرة تعيل نفسها وأهلها بكرامة.

لم تتأقلم أسرة شانيرمان بسهولة في «كفار ملال» بل كانت وظلت نبتة غريبة في المستوطنة. حرص أفراد العائلة على إبقاء مسافة بينهم وبين قدماء المستوطنة الذين قدموا في نطاق موجات الهجرة الثانية والثالثة. وقد رأى القدماء في أبناء عائلة شانيرمان أناساً متعالين، يحيطون أنفسهم بعزلة طوعية، ويظهرون تجاههم عدوانية غير مفهومة. في ظل هذه الأجواء، أجواء الانغلاق الطوعي والكراهية المتنامية بين أفراد العائلة من جهة وأبناء القرية - المستوطنة - من جهة ثانية، نشأ الفتى أرئيل الذي ناداه الجميع باسم أريك، ومن جهته أيضاً، فقد حرص أريك، الذي عانى دوماً من سمنة زائدة، على مسافة في علاقته مع أترابه، ولم يقم صداقات إلاّ مع نفر قليل اختارهم ليكونوا أصدقاء له.

وقد نشأ أريك وتربى بهدي أفكار حزب «مباي» العمالي بكل ما تعنيه الكلمة، حيث تعلم في مدرسة ابتدائية لوائية هستدروتية تابعة لـ«تيار العمال»، وواصل دراسته الثانوية في تل أبيب في المدرسة الثانوية للتجارة، والتي سميت بعد عدة سنوات «غيئولا». بعد أن أنهى دراسته في العام ١٩٤٥ كثف نشاطه في «الهاغاناه»، وأنهى دورة قادة سرايا في كيبوتس «روحاما» جنوب البلاد (في النقب)، والذي أقام أريك على مقربة منه في العام ١٩٧٣ بيته ومزرعته.

في عيد الحانوكاه - الأنوار (اليهودي) العام ١٩٨٧ احتفل شارون بحضور ٣٠٠ مدعو بإيقاد الشمعة الأولى في منزله الجديد في الحي الإسلامي بالقدس القديمة، حيث استوطن في بيت يهودي (بيت فايتنبرغ) نزح عنه سكانه اليهود إثر الأحداث الدامية («ثورة البراق» - المترجم) العام ١٩٢٩. وقد أثار شارون بصنيعه هذا موجة انتقادات عارمة في إسرائيل والعالم، حيث تظاهر خصومه وهتفوا هذا «عمل استفزازي»، في حين وصف أنصاره ذلك بأنه «صهيونية». من جهته ادعى شارون أن سكنه (المنزل الذي استولى عليه) في الحي الإسلامي من شأنه أن يعزز أمن المستوطنين اليهود في بلدة القدس القديمة.

في العام ١٩٤٧ خدم شارون غفيراً في شرطة التجمعات السكنية العبرية، وعمل مرشداً في دورات منظمة «الهاغاناه». وباندلاع الأحداث الدامية أواخر العام ١٩٤٧ انخرط أريك في سلاح الميدان التابع لـ«الهاغاناه» كقائد سرية، ثم قائد شعبة، شاركت في معارك اللطرون. وبعد دخول الجيوش العربية أصبح قائد شعبة في الكتيبة ٣٢ التابعة للواء «الكسندروني»... في المعركة الأولى التي خاضها في اللطرون جرح برصاصة اخترقت بطنه. منذ تلك المعركة تأثر كثيراً مما رآه، حيث صرخ الجنود الجرحى طلباً للنجدة، لكن رفاقهم في السلاح تخلوا عنهم، فزحفوا في حرّ الصيف القائظ ليبحثوا عن مأوى يحتمون به، إلى أن قضوا في ساحة القتال. عاد أريك، بعدما تماثل للشفاء من إصابته، إلى وحدته وشارك في «عملية داني». وفي الهزيع الأخير من «حرب الاستقلال» أصبح أريك ضابط استخبارات كتائبياً، وشارك في معارك جيب الفالوجة، ثم عين مطلع العام ١٩٤٩ قائد سرية، وكان عمره ٢١ عاماً فقط. بعد أن وضعت الحرب أوزارها تولى قيادة سرية دورية لوائية، وفي نهاية العام ١٩٤٩ نقل إلى لواء «جولاني» ليتولى فيه منصباً مشابهاً لغاية صيف العام ١٩٥٠.

بعد أن أنهى دورة قادة كتائب في العام ١٩٥١، عين شارون ضابط استخبارات قيادة منطقة في قيادة المنطقة الشمالية، وفي أواخر العام ذاته خرج في إجازة استكمال دراسة في الجامعة العبرية، حيث درس التاريخ والعلوم الشرقية، وواظب شارون على دراسته لمدة سنتين تقريباً، إلى أن كلف في صيف العام ١٩٥٣ بتشكيل الوحدة الخاصة (١٠١)، التي ذاع

صيتها في الجيش الإسرائيلي، لما قامت به من عمليات جريئة خلف خطوط العدو. جنود وحدة الكوماندوز الخاصة بقيادة شارون نفذوا عمليات انتقامية زرعوا خلالها الخوف والرعب بين السكان العرب، في المناطق الخاضعة لنفوذ وسيطرة الأردن ومصر وسورية. في مطلع العام ١٩٥٤ تم إلحاق الوحدة (١٠١) بكتيبة المظليين، وعين شارون قائداً للوحدة الجديدة ذاتها. أثناء توليه لقيادة الوحدة، وخلال إحدى عملياتها، جرح شارون مرة أخرى في العام ١٩٥٤، في منطقة كيبوتس «كيسوفيم» في النقب الغربي.

في العام ١٩٥٦، عشية عملية سيناء عين أريك شارون قائداً للواء المظليين. وقد شارك في إطار توليه لهذا المنصب، في جميع العمليات التي تمت في تلك الفترة، بما في ذلك في حرب ١٩٥٦. إحدى كتائب اللواء المظلي قامت بإنزال قرب ممر المتلة غرب سيناء، واستولت على الممر. معركة المتلة الطاحنة - والتي كانت من أصعب وأشرس المعارك البرية التي دارت في تلك الحرب - أثارت بعد ذلك، (ولا تزال تثير حتى اليوم) موجة جدل حامي الوطيس بين مؤيدي شارون وخصومه في هيئة الأركان العامة وخارجها.

في العام ١٩٥٧ أرسل للدراسة الاستكمالية في بريطانيا (كمبرلي) في كلية القيادة والأركان. وبعد عودته إلى إسرائيل في نهاية العام ١٩٥٨ عين قائداً للواء مدرع، ثم في العام ١٩٦٤ رئيساً لهيئة أركان قيادة المنطقة الشمالية، حيث عمل هناك من أجل إحباط المخطط السوري لتحويل مجرى نهر الأردن. في العام ذاته أنهى دراسته ليصبح خريج كلية الحقوق في الجامعة العبرية. وفي سنة ١٩٦٦ تمت ترقية شارون من قبل رئيس الأركان اسحق رابين لرتبة جنرال، وعين رئيساً لدائرة التوجيه المعنوي في الجيش الإسرائيلي. كان شارون في الفترة السابقة لحرب العام ١٩٦٧ (في نهاية أيار من العام نفسه) من ضمن جنرالات هيئة الأركان الذين حثوا الحكومة على شن حرب وقائية. أثناء حرب «الأيام الستة» تولى شارون قيادة فرقة مدرعة، اخترقت واحتلت الخطوط المصرية المحصنة في «أم كتف» و«أبو عجيلة» في سيناء. وقد وصلت فرقة شارون بعد معارك طاحنة بالدبابات مع القوات المصرية، حتى مضائق المتلة.

وبعدَ انتهاء حرب ٦٧ ، عاد شارون إلى منصبه كرئيس لدائرة التوجيه في هيئة الأركان، حيث قام بدراسة واستخلاص عِبَر الحرب. وقد عارض في هيئة الأركان المنطلقات التنفيذية التي أقيمت على أساسها على امتداد قناة السويس التحصينات التي عرفت باسم «خط بارليف»، نسبة إلى رئيس الأركان في ذلك الوقت حاييم بارليف، الذي اختلف وتجادل معه شارون بحدة. وعلى الرغم من خلافاته الشديدة مع قيادة الجيش، فقد عين شارون في كانون الأول ١٩٦٩ قائداً للمنطقة الجنوبية، وذلك في المراحل الأخيرة من حرب الاستنزاف. في الوقت نفسه تعمقت العداوة بينه وبين رئيس الأركان، لدرجة أن بارليف فكر بإعفاء شارون من منصبه، لكنه تراجع عن نيته بحكم الشعبية الكبيرة التي حظي بها الجنرال شارون في صفوف جنوده والجمهور الإسرائيلي بشكل عام.

في العام ١٩٧١ حارب شارون بجهود مكثفة من أجل القضاء على «الارهاب» في قطاع غزة، وهو ما حدا بوزير الدفاع موشيه ديان للإشادة به. وقد مهّد شارون بذلك الأرضية للاستيطان اليهودي في منطقة رفح جنوب القطاع.

في صيف العام ١٩٧٣ استقال شارون من الجيش الإسرائيلي، لكنه استدعي مجدداً للخدمة بعد ثلاثة أشهر ليتولى قيادة الفرقة المدرعة في حرب «يوم الغفران». وعلى الرغم من الخلافات التي نشبت بين شارون وبين قادته بشأن إدارة المعركة على امتداد قناة السويس فقد قبلت في نهاية المطاف خطته لاجتياز القناة. وقد ساهمت خطة شارون الجريئة بشكل حاسم في تحسين الوضع العسكري، ورفع معنويات الجنود الإسرائيليين، الذين رأوا في شارون «ملك إسرائيل».

في كانون الأول ١٩٧٣ انتخب شارون للكنيست الثامنة من طرف «الليكود» وذلك إثر انضمامه (شارون) إلى الحزب الليبرالي. وقد كان شارون القوة الدافعة وراء إقامة «الليكود» في أيلول ١٩٧٣. وبعد مرور سنة، في كانون الأول ١٩٧٤، استقال من الكنيست ليحصل على تعيين طارئ رفيع في الجيش الإسرائيلي. في حزيران ١٩٧٥ عينه رئيس الوزراء اسحق رابين مستشاراً له للشؤون الأمنية، غير أن شارون استقال في العام ١٩٧٦. لم تكد تمر سنة، انضم شارون مجدداً إلى «الليكود» عقب انتخابات العام ١٩٧٧، وقام بحل حركته

«شلومتسيون» التي كانت مجرد ظاهرة عابرة، ليعين وزيراً للزراعة في حكومة بيغن. وفي نطاق توليه لهذا المنصب أيضاً، انتهج شارون مواقف متشددة إزاء الشؤون الأمنية المتصلة بالمستوطنات في يهودا والسامرة وقطاع غزة، تاركاً بصماته في هذا المجال بحكم منصبه كرئيس للجنة الوزارية لشؤون الاستيطان، كما اقترب من وجهة نظر جماعة «غوش إيمونيم» الاستيطانية، وصار حامل لوائها في الحكومة.

*

أريك شارون متزوج من ليلي («الغجرية» حسب وصف منتقديها) منذ ما يزيد على ٢٥ عاماً، وهي شقيقة زوجة شارون الأولى «مارغليت»، التي قتلت في حادث طرق في الخامس من أيار ١٩٦٢، تاركة وراءها ابنها «غور» في عامه السادس، والذي قتل هو الآخر بعد خمس سنوات من وفاة أمه، وذلك برصاصة طائشة من بندقية قديمة تعود لوالده، بينما كان «غور» يلهو مع أحد أصدقائه في مدخل المنزل. وقد حمل شارون بين ذراعيه ابنه القتيل إلى مستشفى «تل هشومير».

هاجرت «ليلي تسيمرمان» من موطنها الأصلي، هنغاريا، إلى البلاد في الأربعينيات وذلك في نطاق ما عرف بـ«هجرة الشبيبة». تعرفت «ليلي» على أريك عن قرب في العام ١٩٥٤، عندما تجندت في لواء المظليين وخدمت في كتيبة شارون كموظفة رسم. كانت شقيقتها مرغليت متزوجة من شارون، وبانتهاء خدمتها العسكرية التحقت (ليلي) بالشرطة، حيث عملت في قسم التشخيص الجنائي نحو ثلاث سنوات. بعد حوالي سنتين من وفاة مرغليت في الحادث المأساوي في جبال القدس، (حادث تصادم مع شاحنة) رزقت ليلي وزوجها أريك في العام ١٩٧٤ بابنهما عومري، وبعد ثلاث سنوات بابنهما الثاني غلعاد.

أثناء كتابة هذا الكتاب، يخدم عومري وغلعاد في وحدات مختارة بالجيش الإسرائيلي، وكلاهما من الضباط المتفوقين. والدة شارون «فيرا» توفيت وهي في الـ ٨٨ من عمرها في «كفار ملال» في أيار ١٩٨٨، وكانت تعاني من وحدة وعزلة بعض الشيء. فقد غدا ابنها صاحب مزرعة ضخمة في الجنوب، وهاجرت ابنتها «ريتا» إلى الولايات المتحدة مع زوجها

«مندل» الذي كان طبيباً في مستشفى «بيلنسون». في عائلة شاينرمان هناك تقاليد هجرة (معاكسة). فجد ريتا وأريك، الذي هاجر إلى البلاد مطلع القرن العشرين أقام في رحوبوت ليعمل مدرساً للغة العبرية، عاد أدراجه إلى روسيا بعد مرور فترة من الوقت. كذلك فإن أفراد العائلة الآخرين من طرف الأب والأم مشتتون في العديد من البلدان.

وجهات نظر شارون الأساسية في قضايا السلام والأمن، العرب واليهود، لم تتغير منذ أن كان في «الهاغاناه» في «كفار ملال». في العام ١٩٧٣، وبعد أن خلع ملابسه العسكرية، أدلى لي بتصريحات، كررها في مقابلة أجريتها معه في صيف العام ١٩٨٧، لم يغير رأيه سوى في موضوع واحد وهو إعادة سيناء للمصريين مقابل السلام.

في مقابلة العام ١٩٧٣ قال شارون: «لن يقعد المخربون مكتوفي الأيدي طالما أن إسرائيل قائمة، بصرف النظر عن الحدود التي سنحيا فيها. إنهم يريدون القضاء على إسرائيل، هدفهم واضح. الدول العربية ستسلم، مجبرة، بالوضع، والدول العظمى لا تجد غضاضة في الوضع القائم، فالشرق الأوسط لم يعد يشكل في الفترة الأخيرة ساحة للصراع بين المعسكرين (الغربي والشرقي). لقد زال خطر تحول المنطقة إلى بؤرة توتر عالمي».

وأشار شارون (في المقابلة ذاتها) إلى أنه من أنصار «الحد الأقصى» (بمعنى «أرض إسرائيل الكبرى» - المترجم)، وأنه يؤيد الاحتفاظ بهضبة الجولان ويهودا والسامرة وقطاع غزة وجزء من سيناء.

* ما هو الحدث الأمني الذي ترك لديك أقوى الانطباعات خلال حياتك العسكرية؟.

- شارون (في العام ١٩٧٣): «محاربة الإرهاب في قطاع غزة. لقد نجحنا في القضاء نهائياً على المنظمات الارهابية، إضافة إلى تمكين السكان المحليين من العيش بصورة طبيعية».

* كيف تنظر بشكل عام للعرب؟.

- شارون (٧٣): «إنهم في نظري مواطنون متساوون كاليهود. على هذا الأساس يجب التعامل معهم. في إطار الحزب الذي سأنضم إليه، سوف أشجع عضوية مواطنين عرب».

في صيف العام ١٩٧٣، كتبت عن شارون عقب استقالته من الجيش «هناك معجبون

بأريك شارون، وهناك خصوم له أيضاً. نظرة الضباط والجنود الذين خدموا تحت قيادته إليه تتسم بالازدواجية، قسم من مرؤوسيه يحيطونه بهالة من الاحترام والتقدير، وقسم آخر يبدون حذراً أكبر في اتخاذ موقف محدد منه. لكن الجانبين يوليانه ثقة بلا حدود، ويريان فيه قائداً لا تشوبه شائبة، عسكرياً فذاً لامعاً يتشبث بهدفه».

مرت قرابة ١٥ عاماً.. والسؤال، لماذا أصبح حتى الذين أحبوه في العام ١٩٧٣، يكنون له اليوم كل هذه الكراهية؟

شارون في مقابلة معه في مكتبه بتل أبيب في ٢٠ / ٨ / ١٩٨٧:

«بدأت تظهر نظرة مختلفة إلي عقب إقامة الليكود وحرب «يوم الغفران»، علماً أن إقامة الليكود شكل مساهمة كبرى في تعزيز الديمقراطية في إسرائيل، إذ نشأت في أعقاب ذلك إمكانية واقعية لتغيير السلطة بعد حوالي ٣٠ عاماً من حكم مباي/ المعراخ. إقامة الليكود الموسع وانخراطي في الحياة السياسية، وحرب ١٩٧٣، كانت كلها أحداث جرت تقريباً في السنة ذاتها (٧٣)، ومنذ ذلك الحين بدأت أيضاً الانتقادات والحملات الموجهة ضدي. لماذا؟ لأنهم اعتبروني خطراً يهدد هيمنة وزعامة مباي، ويهدد مركز قادة مباي. بعد انخراطي في الحياة السياسية حصل التحول العام ضدي. في الماضي كنت عضواً في «مباي»، وفي ذلك الوقت لم يكن ممكناً ترقية أي عسكري في الجيش النظامي إلى رتبة عقيد إلاّ إذا كان مؤيداً لمباي. خرجت من حرب ١٩٧٣ مكتسباً قوة وشعبية كبيرين في أوساط الجمهور. قادة مباي تخوفوا على مركزهم ونفوذهم في الحكم، خاصة وأنهم تضرروا أيضاً جراء حركات الاحتجاج التي قامت ضد سلطتهم».

* زئيف شيف وايهود يعاري كتبا عنك أشياء قاسية في كتابهما «حرب تضليل»، على خلفية دورك في حرب لبنان؟.

- شارون: «انتقاداتهما مرتبطة ارتباطاً مباشراً بمسائل ومواقف سياسية، وقد استمدا هذه الانتقادات من الأجواء العامة. زئيف شيف وإيتان هابر قالا عني في الموسوعة العسكرية الإسرائيلية التي أصدراها في العام ١٩٧٥ بأنني خرقت أمراً عسكرياً، مع أنني لم أخرق في

حياتي العسكرية على الاطلاق أي أمر، وهذا ما تؤكده أيضاً لجنة «اغرانات».

* لماذا يكرهونك إلى هذا الحدّ، لماذا يخافون منك ويتخوفون من زعامتك؟.

– شارون: «كله غيرة وحسد، وانعدام تعامل جوهري، موضوعي. لقد ساندت الحركة الاستيطانية على اختلاف تشكيلاتها، انخراطي في الحياة السياسية وإقامة الليكود، وكانت حركة الاستيطان – العامل هذه بمثابة معقلي الحقيقي وركيزتي القوية. أحد الأشياء التي لم يستطع أتباع مباي تقبلها تمثلت في حقيقة كوني، وأنا الذي جئت من كفار ملال وكنت عضواً في مباي، قد اجتزت الخطوط.. في ١٥ حزيران ١٩٧٣ تركت الجيش، وفي نهاية تموز ١٩٧٣ كنت قد أعلنت في مؤتمر صحافي عن إقامة الليكود، وفي ٢١ كانون الثاني ١٩٧٤ سُرِّحت من الجيش، بعد مشاركتي في الحرب (حرب ١٩٧٣). حذرت بيغن وقتئذٍ من إمكانية الخيانة إذا لم يكن الليكود جسماً واحداً، وقد كان ذلك في العام ١٩٧٥ خلال حديث دار بيننا في مزرعتي. وفي نهاية أيار أتى بيغن لزيارتي».

* ما هي الدروس التي يجب استخلاصها حسب رأيك من حكومة الوحدة الوطنية، التي كنت عملياً المبادر إلى تشكيلها عقب المباحثات التي قمت بإجرائها مع شمعون بيريس في منزل عزرائيل عيناب في «سبيون»، وتم في إطارها التوصل إلى صفقة بينك وبين بيريس... ما هي تفاصيل هذه الصفقة؟.

– شارون: «اللقاء مع بيريس كان ثنائياً ووجهاً لوجه في منزل عيناب في سبيون. حصل لقاء واحد بعدانتخابات العام ١٩٨٤، استكمل بعد ذلك عبر سلسلة مكالمات هاتفية لأغراض التحقق والإقرار. وقد تم اللقاء بناء على رغبتي ومبادرة مني. قررت ذلك بعدما فكرت أنه يجب عقد اللقاء إثر الاتصال الذي تم بين رافي إيتان وعزرائيل عيناب في هذا الخصوص. كنت أطلع اسحق شامير أولاً بأول على مجريات هذه الاتصالات، وحصلت على موافقته بعقد اللقاء مع بيريس. حديثي مع بيريس، الذي تم على انفراد واستغرق حوالي ساعتين، دار كله حول أمور رسمية دون أي تطرق لمسائل شخصية. تحدثنا حول إمكانية إقامة حكومة موسعة، كمخرج من الوضع الذي وصلنا إليه، في ظل عدم قدرة أي من الجانبين (الحزبين

الكبيرين - العمل والليكود) على تشكيل حكومة حقيقية بقواه الذاتية. طرحت موضوع كيفية تسوية قضايا يوجد وضوح مسبق بأنها موضع خلاف، على عكس مسائل الاقتصاد والأمن التي يمكن التوصل إلى تفاهم ووفاق حولها. تحدثت عن سبل معالجة مثل هذه الأمور، المتصلة بالمسائل والحلول السياسية، عن طريق هيئة أو آلية معينة.

عندئذٍ طرحت فكرة المجلس الوزاري (الكابنيت) المصغر بتشكيلة خمسة - خمسة. تحدثنا عن إقامة حكومة أضيق بكثير من الحكومة القائمة. قلنا: إن الخطوة الأولى بعد تكليف رئيس الدولة لبيريس بمهمة تشكيل الحكومة، هي عقد جلسة مشتركة للحزبين الكبيرين المؤلفين للحكومة ليقوما معاً باجراء المباحثات مع الأحزاب الأخرى التي ترغب بالانضمام، ولم يعارض بيريس هذا التوجه. في موضوع المناوبة، طرحت فكرة مؤداها أنه لا يمكن تصور إقامة حكومة من هذا النوع دون تناوب على رئاسة الوزراء، وقلت: إن مرشحنا (أي الليكود) يجب أن يكون الأول. موضوع التناوب هذا لم يكن مهضوماً لدى بيريس. ففي مساء اليوم ذاته، وبعد انتهاء اللقاء في سبيون، توجه بيريس لمقابلة الحاخام عوفاديا يوسيف بحكم تزعمه لحركة «شاس»، كما قابل بعد ذلك عضو الكنيست ابرهام شابيرا (من «أغودات يسرائيل»).».

* كيف انتهى الحديث بينكما؟ هل أحرز اتفاق؟.

- شارون: «في ختام الحديث قلت لبيريس: إنني سأطلع شامير الذي كان الوحيد الذي علم باللقاء وأذن به. صبيحة اليوم التالي التقيت مع شامير في القدس، ومن ثم هاتفت بيريس وقلت له: يمكن أن نجلس ونتباحث. تبادلنا الحديث عبر الهاتف عدة مرات وتم التفاهم حول كل الموضوع.

عندما عُرضت الحكومة في منزل رئيس الدولة حاييم هرتسوغ والتقطت الصور التذكارية، جاء إليّ بيريس وقال: كل شيء سار حسب الاتفاق. فأجبته: صحيح، باستثناء شيء واحد، فقد اتفقنا على أنه في اللحظة التي يكلف فيها المعني بتشكيل الحكومة، ينبغي أولاً تسوية الأمور بين الحزبين الكبيرين، عندئذٍ كنا سنقف أمام حكومة أضيق وأكثر نجاعة. فقال بيريس:

أجل.. ولٰكنكم تحدثتم مع الأحزاب الصغيرة. قلت: لم نفعل أي شيء إلى أن اتضح لنا أنه في الوقت نفسه، الذي كنت فيه أنت عند الرئيس الذي كلفك بمهمة تركيب الحكومة، جرى حديث بين رجالك وبين عيزر وايزمان في مطعم «مادلين» في شارع ابن غبيرول ٤٩ في تل أبيب».

عزرائيل عيناب روى أن لقاءين، وليس لقاء واحد فقط، قد عقدا في منزله بين شارون وبيريس. وقال له بيريس: إنه خرج بانطباع ان شارون ذو نوايا جادة وصادقة وان توجهه وطني جداً. من جهته علق شارون على مسامع عيناب قائلاً: إن بيريس يظهر في اللقاءات والأحاديث الثنائية المغلقة كرجل ذي نوايا جادة للغاية يمكن التحادث معه. خلال السنة الأولى لقيام حكومة الوحدة، وعندما تصاعدت المناوشات بين شارون وبيريس داخل الحكومة، اتصل الأول هاتفياً مع «عيناب» وهو في جنيف، وقال له: إن رئيس الوزراء (بيريس) تعهد بتقديم ٢٥٠ مليون دولار لوزارته لتطوير الصناعة، لكنه لم يف بتعهده.

من جهته أوضح بيريس لعيناب أنه مضطر بسبب سلم أولويات جديد، لتأجيل تحويل الميزانية التي وعد بتقديمها لوزارة (شارون) الصناعة والتجارة.

عيناب كان يعلم الحقيقة، فقد مارست أوساط حزب «العمل» ضغطاً على بيريس لثنيه عن تحويل الأموال لوزارة شارون، بهدف عرقلة وافشال الأخير، ولم يستطع بيريس مقاومة ضغوط رفاقه.

* هل كان هناك اشتراط أو انذار من جانبك بوجوب توليك حقيبة الصناعة والتجارة تحديداً؟.

شارون: «كلا. قبل سفري للولايات المتحدة لحضور النظر في الدعوى القضائية التي رفعتها ضد مجلة «التايم»، قلت لشامير: إنني أرغب بمنصب وزير الصناعة والتجارة. وعندما كنت في نيويورك تلقيت اتصالاً هاتفياً في مكتب القاضي من شامير، حين قال لي: إنني سأكون عضواً في الكابينت المقلص. وأشار في المكالمة نفسها أيضاً الى امكانية أن يعهد لي بمنصب وزير العمل والرفاه الاجتماعي، قلت: إنني أرغب بحقيبة الصناعة، لكنني لم أوجه

أي انذار».

* ما هي استنتاجاتك بشأن الحكومة الموسعة؟.

شارون: «سأوصي مجدداً بحكومة موسعة في حال حصول تعادل في صناديق الاقتراع في انتخابات ١٩٨٨. أنا أؤيد حكومة موسعة لكن بزعامة الليكود، وفي ظل توازن قوى يتيح أيضاً ضم شركاء آخرين. فالمعارضة موجودة في الكنيست وفي الحكومة ذاتها. صحيح أن الحكومة الموسعة لا تشكل دوماً حلاً جيداً، لكن في ظروف وأحوال كالتي نعيشها اليوم، يعتبر وجود مثل هذه الحكومة أمراً في منتهى الأهمية، وبالدرجة الأولى بالنسبة لقضايا الاقتصاد، فقد اتاح ذلك تعاوناً بين الحكومة والهستدروت، كان من الصعب تصوره لو قامت حكومة ضيقة في العام ١٩٨٤، ولكنا نواجه الآن مصاعب».

* في العام ١٩٨٧ سعى «المعراخ» إلى تفكيك الحكومة الموسعة، وتقديم موعد الانتخابات، كذلك كان هناك تدخل من جانب السفارة الأميركية في شؤون اسرائيل الداخلية. فهل هذا ما حصل؟.

شارون: «أجل، وقد استدعيت السفير الأميركي توماس بيكرينغ، وقلت له: إنكم تخطئون بدفعكم نحو تقديم الانتخابات، فإذا قدمت وحصل «المعراخ» على ثلاثة مقاعد أخرى تمكنه من تشكيل حكومة، بحيث تستند الى أغلبية بسيطة تضم العرب والشيوعيين في قضايا مركزية مثل مستقبل يهودا والسامرة وقطاع غزة ومستقبل القدس وهضبة الجولان، فهل يمكن لأغلبية كهذه تتفوق بمقعدين أو ثلاثة مقاعد أن تتيح للحكومة التوصل إلى حل؟ قلت للسفير: لا أحد يضمن ولا أحد واثق من فوز المعراخ في الانتخابات، ولكن إذا حصل العكس وفاز الليكود في الانتخابات، فإنه سيتقدم بخطة للسلام، وبحكم طابع الليكود وأهدافه، فإن أي اتفاق سلام يتوصل اليه سيكون مقبولاً أكثر وسيكون أفضل من اتفاق يتوصل إليه المعراخ. ولكن ليس هذا الموضوع.. الموضوع شائك وجدي، وإذا كانت هناك نية للتحدث عن عملية تفضي إلى نتيجة ما، فإن الأمر لن يكون ممكناً إلا بموافقة غالبية الاسرائيليين اليهود، ولذلك فإنكم - أي الأميركيين - ترتكبون خطأ بجركم اسرائيل الى انتخابات.

النموذج المناسب بالنسبة لنا هو حكومة موسعة بقيادة الليكود، ولكن إذا عدنا إلى حالة التعادل ذاتها، فسيكون من الجدير بنا عندئذٍ اقامة حكومة واسعة».

* بعد محاضرتك في جامعة تل أبيب في ١١ آب ١٩٨٧ عن حرب لبنان، كيف تفسر ردود فعل وسائل الإعلام وخصومك، وبالأخص بعض وزراء الحكومة ومن ضمنهم اسحق رابين، الذي قال: إنك تبحث عملياً عن شركاء لتتقاسم معهم الفشل في عدم تحقيق أهداف الحرب، وانه لو لم تكن هناك علامات استفهام حول نتائج الحرب، لما كنت قد تحمست لزج أسماء جميع الذين ذكرتهم في تلك الحرب؟.

شارون: «انظر مقالي في معاريف بتاريخ ٢١ / ٨ / ١٩٨٧، أنا أميز بين ردود الفعل على خطابي في الجامعة حول حرب لبنان، فيما يتعلق بموضوع سد الثغرات. قرأت كل المواد المتعلقة بالحرب ولم أجد فيها ثغرات، فكل شيء واضح. قرأت بروتوكولات الحرب. كان هناك ٩٣ جلسة حكومية، بما في ذلك اللجنة الوزارية لشؤون الأمن، عدا عشرات المداولات التي جرت في نطاق هيئات وأطر مقلصة، كلجنة الخارجية والأمن، باشتراك رئيس الوزراء بيغن، ووزير الدفاع شارون، ووزير الخارجية شامير، ورئيس الأركان رفائيل ايتان، ورئيس هيئة الاستخبارات العسكرية يهوشاع ساغي، ورئيس الموساد اسحق حوفي، والوزيرين يوسيف بورغ واليعازر شوستك..

لقد تسبب جميع كتبة الكتب بظلم كبير لبيغن، وكذلك أولئك الذين يدعون الدفاع عنه بزعم انه انجرّ ولم يكن يعرف ما يدور حوله. البروتوكولات الحكومية تحتوي على مئات الصفحات التي سجلت فيها خطب ومحاضر جلسات الحكومة، ابتداءً من عام كامل قبل اندلاع الحرب، ولم يتحدث بمستوى حديث رئيس الوزراء بيغن، بما في ذلك في مسائل التاريخ اليهودي وحياة اليهود والدفاع عنها، سوى رئيس الوزراء الأسبق دافيد بن غوريون. يجب نشر أقوال بيغن ككتاب تعليم تربوي وتثقيفي لا نظير له... كذلك اجحفوا بحق الوزراء الآخرين. فقد قدمت خلال تلك الجلسات تحليلات غير اعتيادية. وكل من حاول أو يحاول تصوير الحكومة في ذلك الوقت وكأنها شِلّة ضالة لم تعلم بما يدور حولها، إنما يتسبب

بظلم واجحاف. لقد احتار الوزراء أي الأمرين أشد وأخطر: أن يؤيدوا مواقفي، وبالتالي لا يتسببون بإضعافي، أم يمتنعونَ عن تأييد مواقفي ويظهرون بالتالي كمنساقين لا يدركون ما يجري تحت أقدامهم؟! وباستثناء بيغن، فقد وقف جميع الوزراء موقف المتفرج.

بورغ حذر الوزراء في الحكومة بقوله: (ثمة هنا كراهية لشارون، وما يحدث الآن هو ان الكراهية أصبحت ممزوجة بالحسد أيضاً) هذا الكلام قيل في غيابي، اسحق موداعي قال أيضاً في غيابي (إنكم ترتكبون خطأ جسيماً بمهاجمتكم لشارون).».

* متى بدأت الحملات ضدك؟.

شارون: «معظم الحملات ضدي بدأت في الليكود. فتعابير من قبيل (مدن أشباح)، و(بلدات مشلولة) صدرت عن وزراء من الليكود أو شخصيات مركزية في الحزب، وقد سارعت المعارضة الى تبني هذه الأقوال. في ما يتعلق بحرب لبنان ثمة مشكلة للذين ينتقدونني: فللمرة الأولى ظهر من يقول تلك هي الحقائق، وهم يعلمون جيداً الحقائق. كان رابين حذراً في ردود أفعاله. لديّ علاقات سليمة ومتزنة معه منذ ٣٥ عاماً أو أكثر. عندما تكون لديّ ملاحظات حول مسائل أمنية، فإنني أتحدث معه بصراحة وتكتم بعيداً عن العلنية، وعلاقاتي به تخلو من المماحكة».

* المحاضر في الفلسفة والناشر د. يهودا ملتسر كتب عنك في جريدة «حدشوت» الصادرة في ١٤ / ٨ / ١٩٨٧: «هذا الرجل البائس، الجبان، الذي لم يمتلك الشجاعة للمشاركة في أية جنازة من جنازات الـ ٦٥٠ قتيلاً..». هل هذا صحيح؟.

شارون: «شاركت في جنازة الجنرال ياكوتئيل أدام، نائب رئيس الأركان الذي قتل في لبنان، والتقيت مع عائلات ثكلى. كانت الحرب دائرة، والجنازات ليس موضوعاً للاستعراض والعلاقات العامة، أنا واحد من الوزراء القلائل الذين يمرون على قبور جميع ضحايا حروب اسرائيل في يوم احياء ذكراهم، قبراً قبراً حسب الترتيب. ليس لديّ أية مشكلة، أستطيع مواجهة أية عائلة من العائلات الثكلى».

* في محاضرتك في الجامعة قلت عن خلفك في وزارة الدفاع، موشيه آرنس، من دون أن

تذكر اسمه (لقد أصبحت الحكومة ضعيفة بعدما استبعدت الجرّاح (أي «شارون») واستبدلته بمضمد (والمقصود ـ آرنس) عقب صبرا وشاتيلا) فهل الأمر كذلك حقاً؟!.

شارون: «لم أذكر اسم آرنس، وكان عليّ أن أكبح نفسي بعدما نطقت كلمة (الجراح). وقد كنت أرد بذلك على سؤال طرح عليّ بعد محاضرتي، وكنت متعباً. عندما مكثت في البيت، عقب استقالتي من منصبي كوزير للدفاع، بثوا في التلفزيون صوراً كثيرة لجنازات القتلى. (ترك شارون وزارة الدفاع في ١٤ / ٢ / ١٩٨٣، اثر جلسة عقدتها الحكومة في ١٠ / ٢، وعقب نشر تقرير لجنة كاهان في ٧ / ٢. وقد شغل بعد ذلك لمدة سنة ونصف السنة منصب وزير بدون حقيبة). كما عرضوا مراراً صوراً لي في طرف هامشي من شاشة التلفزيون. معالجة الأمور بعد تركي لوزارة الدفاع لم تجر بالشكل المطلوب. وبدون ذكر اسم هذا الوزير أو ذاك، فقد ضعفت الحكومة في أعقاب لجنة التحقيق والمظاهرات التي جرت، ضعفت بصورة غير اعتيادية. لم تعد نفس الحكومة، في فترة عملي كوزير بدون حقيبة، لم تتم دعوتي للمشاركة في أي نقاش أو مناسبة، ولم أكلف بأية مهمة على الاطلاق. كنت أذهب فقط لجلسات الحكومة الرسمية وأتوجه الى مكتبي في القدس الشرقية. هناك وقعت على ردود على الرسائل التي تلقيتها من كل أنحاء العالم، رسائل تشجيع من ٤٠٠٠ شخص، كثيرون منهم من الولايات المتحدة، ومن بريطانيا وفرنسا، من يهود وغير يهود، من السويد وبولندا وفنلندا وألمانيا وهنغاريا.. كانت هناك أيضاً رسائل اساءة وتهجم قليلة، بضع عشرات. كرست معظم وقتي للعمل في مزرعتي».

* هل يمكن تفسير ردود فعل عيزر وايزمان ومردخاي غور والتي كانت أكثر حدة من غيرها، على محاضرتك في الجامعة، بأنها جاءت على أرضية فشلهما ـ حسب رأي الخبراء ـ الأول كوزير دفاع والثاني كرئيس أركان، في عملية الليطاني، التي جاءت عملية سلامة الجليل (اجتياح لبنان ١٩٨٢) لتصحيح الوضع في أعقابها، حسب قولك؟

شارون: «عملية الليطاني لم تحقق هدفها بأي شكل. فقد عدنا بسرعة كبيرة وبصورة أشد حدة وتفاقماً للوضع السابق. كنا مقيدين بسبب قوات الطوارئ الدولية (اليونفيل)

وتمركز المخربين هناك».

* أنت تسعى لرئاسة الحكومة.. هل لك أن توضح جدولك الزمني لتحقيق هذه الغاية؟.

شارون: «طموحاتي أقل بكثير مما يظنون. هذا هو سلاحي السري. لم أشعر بالفراغ أو الملل في أي يوم من حياتي.. الوقت يعوزني دائماً، فهناك أشياء كثيرة أريد أن أفعلها. أنا مهتم بالزراعة في الجيل المقبل، المستقبلي، مهتم بصورة غير اعتيادية. هناك أماكن كثيرة في العالم أود زيارتها، وأن أقابل أشخاصاً لم أقابلهم. وأن أقرأ كتباً لم أقرأها، وأكتب أشياء لم أكتبها. أنا مضغوط دوماً في الوقت، وطموحاتي السياسية أقل بكثير مما يعتقدون، وعلى أية حال، أنا لا أنكر بأنني أرغب في أن أكون رئيساً للوزراء. وإذا كان سؤالك: هل يشكل ذلك هدفاً لي بأي ثمن، فالجواب كلا. صحيح أنني أولي أهمية لذلك، وهناك الكثير من الأشياء التي استطيع عملها والاسهام بها كرئيس وزراء، كما انني سأناضل لأكون الرجل الأول، ولكن هل هذا هو حقاً ما أريده؟ إنني في حيرة من أمري. حتى لو لم أكن في الحكومة، لم أكن لأشعر بأزمة ولو لدقيقة واحدة».

* هل ستنجح في السيطرة على حركة «حيروت»، وفي اقناع الأغلبية بأن تؤيدك كمرشح لرئاسة الحكومة، لمركز رقم ١؟.

شارون: «يجب فهم طابع حركة حيروت. هل أستطيع أن أكون سلبياً في موضوع المنافسة على المكان الأول؟! الأعضاء لهم دور وتأثير سياسي كبير جداً في الحركة، وهم يلحُّون عليك طيلة الوقت لرؤيتك تخوض المنافسة، وتبرهن على مواقفك، وترد الصاع صاعين لخصومك».

* ماذا ستفعل كرئيس وزراء، إذا قُيض لك أن تكون في هذا الموقع؟.

شارون: «من الأهمية بمكان أن أصبح رئيساً للوزراء، إذ ان هناك عدة أشياء أستطيع القيام بها بشكل أفضل من الآخرين، ولا سيما من حيث قدرتي على وضع وتحديد أهداف والتمسك والاصرار على تنفيذها. لديّ قدرة على العطاء ربما أكثر من معظم الناس الذين أعرفهم. مشكلة الحكومة تكمن في صعوبة اتخاذ القرارات، وكذلك في أسلوب عملها، وبالأساس

في عجزها عن تنفيذ قراراتها هي عينها، وهذا جرّاء تركيبة الحكومة. فكل وزارة تعمل وكأنها قائمة بذاتها وسيدة نفسها. لديّ تسير الأمور بوتيرة غير اعتيادية، وأنا أحظى بتقدير الجهات التي أعمل معها. استطيع كرئيس وزراء أن أغيّر طريقة عمل الحكومة، من حيث الأساليب والقيادة والاستعداد للحسم واتخاذ القرار. طوال مسيرتي لم أكلف بمهمة إلا ونفذتها.

اسرائيل تواجه مشكلات أمنية واقتصادية صعبة، مشكلة تخبط بشأن الوجهة التي يجب قيادة اسرائيل نحوها، ولأي اسرائيل يجب السعي بعد ٢٠ أو ٥٠ سنة، وما الذي يجب عمله حتى تكون بؤرة تستقطب اهتمام الشعب اليهودي والعالم بأسره، خصوصاً العالم الثالث، وان يكون الاهتمام بها في حدّ ذاتها مختلفاً، وكل ذلك بما يتيح لها البقاء في منطقة معادية، وفي عالم يبقيها (اسرائيل) في عزلة. ينبغي اتخاذ القرارات بصورة منظمة، وأنا استطيع القيام بذلك.

أعتقد أن ذلك في غاية الأهمية، ولكن إن لم أصبح رئيس وزراء، فلن أواجه أزمة ولو ليوم واحد».

* هل تستطيع الوصول لرئاسة الوزراء عبر «حيروت» في مواجهة «حزب العمل»؟.

شارون «حيروت تملك أفضلية هائلة على حزب العمل، فزعامتها تنتمي إلى عدة أجيال، هناك من هم في السبعين، والستين والخمسين والأربعين والثلاثين من أعمارهم. هذا الأمر ناتج عن كون حيروت أكثر الأحزاب ديمقراطية بين الأحزاب القائمة، وهو ما أدى لظهور رؤساء بلديات في العشرينيات من عمرهم، وأعضاء كنيست في الثلاثينيات، ووزراء في أوائل الأربعينيات، لديّ درجة كبيرة من الشعور بالاطمئنان كيهودي يعيش في أرض إسرائيل. يوجد هنا أناس جيدون، كما يوجد من يمكن الاعتماد عليهم. والسؤال هو إذا ما كان الناس الذين يقطعون الوعود اليوم، لديهم المقدرة والارادة على انتشال اسرائيل من مشاكلها وقيادتها إلى شواطئ أمان واعدة أكثر في شتى المجالات. ربما كانت أفضلية وميزة مثل هؤلاء الناس، في كونهم لم يجلدوا بسياط النقد، لكنهم يعانون من قيد موضوعي، ألا وهو قدرة العمل

والعطاء، والقدرة على رسم وتحديد الأهداف وتحقيقها».

* متى ستتنافس على رئاسة الوزراء، بمعنى تقديم ترشيحك في «حيروت» توطئة لانتخابات عامة للكنيست؟.

شارون: «سأختار الموعد الأنسب للمنافسة. لم أقل قط للناس: أنتم في معسكري ولذلك عليكم أن تؤيدوني. سوف أطرح مواقف وليؤيدها من يريد أن يؤيدها».

* كيف ستكون خطتك للسلام وبرنامجك السياسي إذا بلغت رئاسة الوزراء؟ لقد قلت ذات مرة: «سأقترح سلاماً وليس مناطق - أراضي.. المخربون لن يجلسوا مكتوفي الأيدي طالما كانت اسرائيل قائمة.. إنهم يسعون للقضاء على اسرائيل وهدفهم واضح».. وقلت: إن خريطتك هي: هضبة الجولان ويهودا والسامرة وقطاع غزة وجزء من سيناء، لكنك تخليت بعد ذلك كلياً عن جميع سيناء. هل ستتنازل بطريقة مشابهة عن أجزاء من أرض اسرائيل التاريخية، وهضبة الجولان وقطاع غزة، إذا تم التوصل إلى سلام مع الملك حسين وسورية على غرار النموذج المصري، أراضٍ مقابل السلام؟.

شارون: «الجواب: كلا. لن أتنازل للملك حسين ولسورية عن يهودا والسامرة والهضبة وقطاع غزة. هذه هي خريطتي. لم يكن بالإمكان التوصل الى سلام مع مصر بدون تنازل عن كل سيناء. ولكن ما وجه الشبه بين سيناء ويهودا والسامرة؟ سيناء صحراء قفر ومنطقة منزوعة. لقد دمرنا (مستوطنة) يميت لأنه كانت لدى مصر خطة لتوطينها بمئات آلاف السكان، وكنت أعي أن تجمعاً مصرياً من هذا النوع بالقرب من حدود اسرائيل سيشكل مصدر احتكاك سيقضي على كل انجاز السلام».

* ما هي حدود خريطتك؟.

شارون «في العام ١٩٧٠، عندما و اجه حسين المخربين في (أيلول الأسود) وقام بتصفية آلاف الفلسطينيين، وسورية غزت الأردن، طلبت منا الولايات المتحدة مهاجمة السوريين. رفضت الحكومة الطلب، لكنها قررت تجنيد قوات احتياط جرى حشدها في منطقة غور بيسان، ففهم السوريون الرسالة وانسحبوا. خلال مرحلة التحضير لذلك جرى نقاش في

هيئة الأركان، عبرت عن رأي الأقلية، ونصحت بعدم التدخل مطلقاً. قلت: لنمكن الفلسطينيين من الاستيلاء على السلطة في الأردن، دون أن نتدخل لصالح الملك حسين. وقلت أيضاً في هيئة الاركان: إننا نواجه خطرين؛ الأول فوري على المدى القريب، وهو ان الدولة الفلسطينية التي ستقوم في الأردن ستصبح موالية للسوفييت. هذه الأمور قيلت مباشرة بعد انتهاء حرب الاستنزاف، وكنت قائداً للمنطقة الجنوبية، حيث رأيت المصاعب في اتخاذ قرار بمهاجمة قواعد صواريخ العدو (الجيش المصري) التي أشرف عليها فنيون سوفييت، كما كانت هناك طائرات يقودها طيارون سوفييت، وقد أسقطنا خمس طائرات منها. إلى ذلك أشرنا الى خطر ثانٍ بعيد المدى يتمثل في: تلبد الغيوم الفلسطينية فوق رؤوسنا. وبرؤية بعيدة المدى، فإن هذا الخطر، الثاني، أكبر وأخطر بكثير مقارنة مع أمر قيام الدولة الفلسطينية وقد سئلت وقتئذٍ: هل ستوافق الدولة الفلسطينية في الأردن على الحدود الحالية بحيث يكون نهر الأردن هو الحدود؟ فأجبت: لا، الأردن لن يوافق، ولكن الخلاف سيكون عندئذٍ مع دولة فلسطينية قائمة حول مسألة ترسيم الحدود بينها وبين اسرائيل، وليس حول مسألة وجود وقيام الدولة الفلسطينية في حدّ ذاتها. وفي نظري فإن خطر وجود دولة فلسطينية موالية للسوفييت على حدودنا الشرقية، أقل من الخطر على المدى البعيد بممارسة الضغط على اسرائيل لإقامة دولة فلسطينية».

* هذا ما فكرت به في العام ١٩٧٠، كيف تفكر اليوم؟.

شارون: «في هذا الموضوع، أنا متمسك بمواقفي، فهذا هو الحل الوحيد أيضاً للمسألة الديمغرافية. إذا كانوا (أي الفلسطينيين) يريدون حسين ملكاً عليهم فلينتخبوه. أحد أخطاء الحركة الصهيونية منذ العام ١٩٢٢، والذي استمر بعد قيام الدولة، يتمثل في أن اسرائيل لا تصر وتؤكد باستمرار أن هناك دولة فلسطينية قائمة في الأردن، الذي شكل ٧٠٪ من مساحتها في الماضي جزءاً من أرض اسرائيل الانتدابية، فضلاً عن أن غالبية السكان هناك هم أصلاً فلسطينيون.

. لم أوصِ بضم المناطق (الضفة والقطاع). يتعين على اسرائيل والدولة الفلسطينية في

الأردن أن تتخذا بشكل مشترك قرارات بشأن طائفة من القضايا، مثل: كيف يمكن للسكان العرب في يهودا والسامرة وقطاع غزة أن ينتخبوا ويُنتخبوا للبرلمان ومجلس الأعيان الأردنيين. فهؤلاء السكان سيكونون مواطنين أردنيين يعيشون في أرض اسرائيل الغربية. لن يكون هناك حل واضح وقاطع مائة بالمائة لقضية المناطق، ولكن انظر الى كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية، ايرلندا الشمالية وايرلندا، ألمانيا الشرقية والغربية، والهند والصين. هناك مشاكل مشابهة في أميركا الوسطى أيضاً، فالمشاكل لم تحل في العالم بصورة قاطعة ومطلقة».

* وهل يمكن بهذه الطريقة تحقيق السلام؟.

شارون: «هذا هو الحل الذي يُبقي في أيدي اسرائيل الى الأبد قضايا الأمن الداخلي والشؤون الخارجية، كما لن نواجه مشكلة ديمغرافية لأن العرب (بمعنى الفلسطينيين) سيكونون عندئذٍ مواطنين في الأردن. سنتفق على استخدام الأردن لموانئ حرة في حيفا واشدود، مقابل استخدام اسرائيل ميناء العقبة الأردني. وسيكون هناك تعاون في مجال تطوير المصادر المائية والمحاجر في البحر الميت، وفي مجال محاربة الارهاب، واتفاقات اقتصادية وتجارية. وما يهم اسرائيل هو الموضوع الأمني، في ضوء ما يحدث، وليس في ضوء ما حدث، فالارهاب قائم منذ مائة عام. لا أرى أن هناك حلاً آخر. هذا هو الحل الوحيد المتاح».

* ما هو موقفك ازاء خطة شمعون بيريس لعقد مؤتمر دولي؟

شارون: «خطط بيريس تزيد من حدة التوتر لما تولده من توقعات زائدة. قلت للأميركين: لا تعطوا العرب آمالاً وتوقعات كبيرة لأن ذلك لا يؤدي للسلام بل يزيد من التوتر فقط. على العرب أن يفهموا أن اسرائيل لا تستطيع التنازل لهم عن كل ما يريدونه ويرغبون به. يجب عقد مؤتمر وطني (اسرائيلي) وليس مؤتمراً دولياً، لأنه بدون اتفاق وتفاهم داخلي، لا سبيل للتوصل الى اتفاق حول السلام. ينبغي أن يتوفر أولاً تفاهم وتوافق بين اليهود أنفسهم على قاعدة واسعة قدر المستطاع، ومن ثم اجراء مفاوضات مع الولايات المتحدة على أساس الاجماع الاسرائيلي، وبعد ذلك يتم التفاوض سراً مع الملك حسين.

في البداية يجب معالجة الجوهر وبعد ذلك يأتي دور الأسلوب أو الطريقة، لكن بيريس

وضع العربة أمام الحصان ولم يتوصل إلى أي شيء. في العام ١٩٧٣ تم شيء دولي محدود بشأن اتفاقية فصل القوات، ولكن في ذلك الوقت، لم تكن هناك حكومة لها موقفان، وانما حكومة واحدة تستند الى أغلبية. لا يمكن التوجه لاجراء مفاوضات دون تسوية المسألة الجوهرية، وبداية احراز اتفاق بين اليهود أنفسهم... إن حقيقة كوننا نؤكد مراراً وتكراراً بأن السلام يهمنا أكثر مما يهم العرب، لهي أمر خاطئ. فالسلام مهم للعرب بدرجة لا تقل عن أهميته بالنسبة لنا. لا بد من توفر توجه متبادل، ومتكافئ في هذا الشأن، فمن يصور السلام على أنه مهم بالنسبة له أكثر من أهميته للآخرين، تصبح لديه ميول نحو تقديم تنازلات مفرطة.

المسألة الثانية: لا يجوز الذهاب للمفاوضات ومعنا ساعة موقوتة، بحيث يسأل الآخرون ونسأل نحن دون توقف في ظلها: متى سنلتقي ونتعانق؟، متى سنوقع؟ ومتى سننسحب؟ فهذه عملية طويلة لا يمكن توقيتها بساعة ضبط محددة.».

(معاونو شارون قالوا بعد المقابلة: إن بيريس قال لشارون بغية طمأنته «أنت تعلم مسبقاً أنه لن يتمخض شيء عن المؤتمر الدولي، لكننا سنكسب بهذه الطريقة ثلاث أو أربع سنوات».

وقد ردّ شارون على بيريس بقوله «في العام ١٩٧٣، عندما كانت قوات الجيش الاسرائيلي تتواجد داخل الأراضي المصرية، كانت الصحف ووسائل الإعلام تذيع أن المعراخ يؤيد السلام، بينما الليكود يؤيد الحرب، وقد جرى ذلك بعد تقصير (يوم الغفران) الذي يقع بأكمله على عاتق المعراخ. ما الذي تريده يا شمعون بيريس؟ أليس عندك شيء أفضل من الذهاب إلى جنيف في نطاق حكومة وحدة وطنية، وبعدئذٍ، وقبل شهر من الانتخابات، نقف لنشاهد كيف تصافح صينياً وتراقص روسياً، وتعانق فرنسياً، وتأخذ بين ذراعيك السيدة مارغريت تاتشر. كل ذلك مضافاً اليه شعاراتكم القديمة من العام ١٩٧٣، سيوفر لك الأغلبية. هذا ما تريده، ومن هنا تأتي فكرة مؤتمرك الدولي»).

في نهاية العام ١٩٨٥، وعقب نشوب أزمة حكومية على خلفية تصريحات أدلى بها شارون وتهجم فيها على بيريس، أحجم رئيس الوزراء بيريس في اللحظة الأخيرة عن تسليم

وزير الصناعة والتجارة (شارون) كتاب اقالة، وذلك بعدما تسلم رسالة اعتذار من شارون أدت الى انهاء الأزمة. بعد مرور سنتين، في نهاية كانون الثاني ١٩٨٧، وعقب اندلاع الانتفاضة الفلسطينية، وصف شارون بيريس بأنه «إنسان مذعور، يجوب العالم ملحقاً الضرر، وملقياً الرعب فيما يتعلق بالموضوع الديمغرافي، عاكساً احساسه وشعوره بأن المكان الأكثر أمناً وأماناً في اسرائيل هو من شارع ابن غبيرول فغرباً..» [شارع ابن غبيرول في تل أبيب يؤدي غرباً الى شاطئ البحر الأبيض - المترجم].

كذلك صرح شارون أن «اقتراح بيريس بجعل غزة منطقة منزوعة حماقة خرقاء».

* ما رأيك بطريقة أداء رئيس الوزراء اسحق شامير ؟

شارون: «نظرية شامير تقوم على الجلوس مكتوفي الأيدي، نجل رئيس الوزراء قال عن أبيه في التلفزيون، في سياق حديثه عن مسيرته (يجب اظهار تمسك واصرار على الهدف، ومرونة في التنفيذ). هذا خطير للغاية. فعندنا في اسرائيل يجري أحياناً التسويف في التنفيذ ليستغرق وقتاً طويلاً، وذلك لعدم توفر الموارد اللازمة، ومن هنا قد يضيع الهدف ويتلاشى، وتتحول الوسيلة إلى غاية في حدّ ذاتها، وهذا ما يشكل خطراً على الحفاظ على الهدف الرئيسي».

* ما رأيك في الحكومة ووزرائها ؟

شارون: «مجموعة وزراء الليكود في الحكومة، أفضل من وزراء المعراخ».

*

يعتبر أريك شارون ناجحاً في منصبه كوزير للصناعة والتجارة. حتى خصومه، سوف يقرون بهذه الحقيقة الموجعة لهم، لإدراكهم جيداً أن «البلدوزر» يرسخ أقدامه عبر وزارته، ويتقدم باتجاه تجسيد حلمه في أن يصبح رئيساً للوزراء. الصناعيون راضون عنه نظراً لأنه يغدق عليهم الامتيازات والتسهيلات بهدف كسب ولائهم.

يقول وزير بارز من «حزب العمل»: إن «أريك وزير كفؤ، ماكر ومغامر».

ويشير وزير آخر، لا ينتمي للحزبين الكبيرين، الى أن شارون «من أذكى وزراء الحكومة،

يتشبث بالهدف كثور هائج. عندما كان رئيس الوزراء بيغن يغمز في قناته خلال جلسات الحكومة، كان شارون يعود الى مكتبه مستنفراً، هائجاً لا يلوي على شيء ولا يقف في طريقه أحد. إنه وزير جيد يدفع ويحرك..».

ليس غريباً أن معارضيه الأشد يتواجدون بالذات بين صفوف الليكود، أعضاء كنيست وناشطون في «حيروت» و«الحزب الليبرالي».

قال لي وزير المواصلات، رجل «حيروت» حاييم كورفو (في مقابلة نشرت في «معاريف» ٧ / ٨ / ١٩٨١): «شارون لن يكون خليفة لبيغن. فلكي يكون وريثاً لبيغن يجب أن تتوفر فيه صفة أساسية، هي القدرة على التكيف مع كل ما يحيط به، لكن شارون مبني على أساس السعي الدائم الى تكييف الآخرين معه».

وقال عضو كنيست بارز من الكتلة الليبرالية في الليكود: «السطحية والضحالة لدى شارون يكسبانه قوته. إنه لا يبالي بالقواعد الاجتماعية المرعية في الحكم. لهذا السبب تجده يتسرع في اتخاذ موقف شخصي مع أو ضد. قضية القرض الذي حصل عليه من صديقه مشولام ريكليس تبرهن على طبيعته. وحيث ان معاييره مماثلة لتلك المتبعة من جانب معظم أعضاء حزبه، فإنه ما من سبب يحول دون استمرار تقدمه وازدياد قوته ونفوذه. إذا حاول التنافس على مكان الرجل الأول في الحزب، فمن المؤكد أن طريقه ستكون مسدودة. قد يكون موشيه آرنس هو الحل الوسط، خاصة ان دافيد ليفي لن يمنح أيضاً فرصة التقدم، إذا رغب بالوصول إلى المكان الأول في زعامة الحزب».

مُنظِّر بارز من معسكر اليمين يقول: «قبل انتخابات العام ١٩٧٧، أجرى شارون مفاوضات مع شخصيات مثل موشيه كول، أمنون روبنشتاين، يوسي سريد، عاموس كينان وآخرين، بهدف تشكيل قائمة لخوض الانتخابات للكنيست. إنه رجل انتهازي. هذه الواقعة (هذا الماضي المجيد!) تكفي لتكذيب ودحض من يزعم أنه صقر. مع ذلك، بإمكانه، كواحد من المجموعة، أن يكون مفيداً، مثل دافيد ليفي، كما حصل عندما أشرف (أي شارون) على حملة استيطان يهودا والسامرة. لهذا السبب لم يتمكن من الوصول الى المكان الأول في

الجيش الاسرائيلي، رئاسة الأركان. إن لدى شارون نزعات طموح وتسلط جامحة».

عندما سألت شارون، عن صحة ما يقال عن أنه أوصل العشرات من أتباعه والموالين له إلى مواقع متنفذة في الشركات الحكومية الخاضعة لمسؤوليته الادارية؟ وكذلك في وظائف بوزارته (وزارة الصناعة والتجارة) وفي مؤسسات وهيئات تابعة للوزارة.. أجاب بجملة واحدة: «كمية التعيينات ـ السياسية ـ التي قمت بها ضئيلة جداً».

لكن اجابته المقتضبة هذه، لن تصمد أمام اختبار الوقائع. رئيس لجنة الرقابة التابعة للكنيست، المحامي دافيد ليڤائي، نبه الى أن «أريك شارون يُعين الموالين له في مختلف أنواع الوظائف دون خجل، تعيينات نابعة من اخلاص الوزير لاتباعه».

ووصف ليڤائي أعمال شارون بأنها تشبه أعمال «سلطان تركي، يتصرف في قصره كما يحلو ويطيب له دون وازع أو ضابط».

عضو الكنيست حاييم كوفمان، رئيس كتلة «الليكود» البرلمانية حلل ولخص سلوك شارون في وزارة الصناعة والتجارة ببضع كلمات ذات دلالة بقوله: إن شارون «نمر يتلفع بجلد حمل وديع».

واضاف «حرب سلامة الجليل ودور شارون فيها نُحّيا جانباً. اليوم يُبحث موضوع مزرعته وتربية الخراف والتعيينات السياسية». في «مزرعة الجميز» التي يملكها شارون في الجنوب، تعتبر تربية الخراف فرعاً كبيراً ومربحاً. في العام ١٩٨٤ أوصت لجنة مخولة بالسماح باستيراد ٤٠٠ طن من لحوم الخراف المجمدة، وكانت التوصية تحتاج لمصادقة لجنة مدراء عامين حكومية. وقد وجد مراقب الدولة في نطاق تحرياته وتحقيقاته، أن مدير عام وزارة الصناعة والتجارة (وزارة شارون في ذلك الوقت) ماطل ثلاث سنوات في دعوة لجنة المدراء للاجتماع، مما حال دون تنفيذ التوصية المذكورة، حيث تحجج بذريعة أن استيراد لحوم الخراف المجمدة، سيؤدي الى تدمير الفرع المحلي، غير أن مراقب الدولة رفض هذه الحجة مؤكداً أنها لا تصمد أمام اختبار الواقع. وبطبيعة الحال فقد أدى «تقصير» مدير عام وزارة الصناعة والتجارة الى ارتفاع أسعار لحم الخروف، لتعود الفائدة بذلك على المربين المحليين، بما في ذلك على مزرعة

الوزير شارون.

هذا ليس المثال الوحيد على مسلكيات الوزير شارون، فقد ألحق الضرر بدافعي الضرائب من خلال تملقه المعسكر الديني عن طريق الاستجابة لطلب هذا المعسكر، بتقديم مساعدة حكومية للمزارعين المتمسكين بفريضة سنة تبوير الأرض (وفق تعاليم الشريعة اليهودية). وأعلن شارون وقتئذٍ في غمرة الجدل المحتدم حول مواضيع التشريع الديني «إنني آسف لكوني لم أولد متديناً». كان شارون يرد بذلك على زعماء يهود في نيويورك في حزيران ١٩٨٧، حملوا عليه بسبب رضوخه لحركة «شاس» في موضوع قانون «من هو اليهودي».

وخاطب شارون العلماني، الزعماء اليهود في الولايات المتحدة قائلاً «أشعر بالمسؤولية تجاه وجوب محافظة اليهود على يهوديتهم لثلاثة آلاف سنة مقبلة».

شارون نفسه يستمتع جداً بالتهام لحم الخنزير. مع ذلك فقد تواطأ مع الحريديم بموافقته على استبعاد ١٥٠ الف طن قمح من إنتاج اسرائيلي، بدعوى أنها غير صالحة لاستهلاك المتدينين المتشددين، لأن حصدها تم في سنة التبوير. لقد استجاب الوزير شارون، تلبية لاملاءات قادة «شاس» وأمثالهم، لطلب شراء ٢٠٠ الف طن قمح «كاشير» من الولايات المتحدة وبيع محصول قمح سنة التبوير (الاسرائيلي) في الخارج.

ومارس شارون «سحره» على رفيق السلاح سابقاً، رئيس بلدية تل أبيب شلومو لاهط، لتفادي أزمة ائتلافية، وذلك عن طريق التنازل للمتدينين في مسألة الحفاظ على قدسية السبت باغلاق قاعة مسرح «هبيما» أمام العروض الثقافية والفنية، وتأييد عدم اشراك النساء في الهيئة التي تنتخب الحاخام الأكبر لمدينة تل أبيب، وبالفعل فقد استجاب «لاهط» للضغوط الشارونية.

ويسود في وزارة الصناعة والتجارة بقيادة شارون الرعب والخوف، غير أن الصناعيين يشيدون بالرجل (البلدوزر) بحكم الامتيازات والتسهيلات التي يغرقهم بها، وليس بالمجان بطبيعة الحال. وهو يعرف جيداً كيف يجد لنفسه الأعذار في يوم الحساب. وعلى سبيل المثال، فقد وجد مراقب الدولة (في التقرير الـ٣٨ الصادر في ايار ١٩٨٨) ان وزارة الصناعة

والتجارة منحت في العام ١٩٨٥ قرضاً بقيمة مليون دولار لمقربين من الوزير شارون، من قادة حركة حيروت.. وهناك فضائح عديدة ومتتالية، من هذا النوع، تكشفت في وزارة شارون، الذي يخلط بين مصالحه الشخصية وبين تأديته لمنصبه الحكومي، كتدخله الشخصي في المصادقة على تقديم قرض تطوير لمصنع «حيفا كيميكاليم» بقيمة عشرة ملايين دولار، وذلك اثر شراء صديقه مشولام ريكليس للمصنع، والذي كان قد مكن شارون بكرمه السخي من شراء «مزرعة الجميز» في أوائل السبعينيات بواسطة قرض الـ ٢٠٠ الف دولار الذي كان «ريكليس» منحه لشارون، دون فوائد وبشروط ميسرة للغاية. فهل يمكن لشارون أن يبقى غير مكترث بطلب مساعدة يتقدم به مقربوه الذين يساعدونه بالمثل بدورهم؟.

على سبيل المثال، لم يكن «ريكليس» الوحيد الذي ساهم في تمويل نفقات محاكمة شارون لمجلة «تايم» الأسبوعية التي جرت أمام محكمة في نيويورك العام ١٩٨٤. فمكتب المحاماة الأميركي لم يطلب من شارون بدل أتعاب نهائياً. من جهته تعهد شارون في البداية بدفع نفقات ومصاريف المحاكمة، ولكن لم يمض وقت طويل حتى أخذ مكتب المحاماة على عاتقه أيضاً مصاريف المحكمة، حيث توجه القائمون عليه الى متبرعين وطالبوا بتمويل التكاليف. ولماذا لا يساعد هؤلاء وزيراً مهماً في اسرائيل يشرف على وزارة الصناعة والتجارة؟ يقول المثل «ارم خبزك على وجه الماء» فبمرور الأيام، لا بد وان تسترد دينك بهذه الطريقة أو تلك، والأمثلة كثيرة.

مكتب المحاماة «شاي وغولد» يشغل في نيويورك حوالي ٤٠٠ محامٍ. محاكمة شارون كلفت المكتب مبالغ طائلة، في حين ان مجموع المصاريف التي أنفقها شارون من جيبه بلغت - حسب مقربيه - حوالي ٤٠ ألف دولار، وهي مصاريف مكوثه في نيويورك، وأجور حراسة الاسرائيليين هناك.

هناك علامات تساؤل وشكوك تحوم حول تصرفات وسلوك شارون في وزارة الصناعة والتجارة، على اختلاف فروعها في اسرائيل والعالم. فكثيراً ما تجاوز شارون قواعد «لجنة آشر»، وتصرف بالوزارة الحكومية كما لو كانت اقطاعيته الخاصة، وبدافعي الضرائب كما

لو كانوا مزارعين بالسخرة. لقد كانت وزارة الصناعة والتجارة بمثابة نموذج مصغر عن «مزرعة الجميز».

النائبة شولاميت ألوني تصف أريك شارون بأنه «مزيج» من جنرالين-ديكتاتوريين-أميركيين جنوبيين، فولحينسيو باتيستا الذي أطاح فيدل كاسترو بحكمه في كوبا في كانون الثاني ١٩٥٩، وأوغستو بينوشيه الذي استولى على السلطة في تشيلي بانقلاب عسكري دموي في أيلول ١٩٧٣. مهما يكن من أمر، فالحقيقة أن كل من احتاج لمساعدة وخدمات وزارة الصناعة والتجارة، يمتدح ويشيد بتعامل شارون الذي يستجيب تقريباً لأي طلب مساعدة أو عون!! إنه وزير مثابر ذو قدرة عمل مدهشة، لا يعرف الكلل أبداً! من حين إلى آخر، وعندما يشعر بتعب وارهاق جسدي أو نفسي، يأخذ لنفسه استراحة ويتوارى لبضعة أيام في مزرعة الجميز، ليعتكف وليتفرغ للكتابة، كما أنه يعرف اختلاس غفوة في سيارة «الفولفو». يوجد في شارون الكثير من الكاريزما، والرؤيا، والرؤية الشمولية للمستقبل. شخصيته تتفوق على أي وزير آخر في الحكومة-هذا ما يقرّ به وزراء من مختلف ألوان الطيف-من حيث قدرة التحليل وقراءة المستقبل التي يتمتع بها.. صحيح أنه لم يبصر جيداً في لبنان، وراهن على أوراق خاسرة سلفاً، لكن معاونيه ومؤيديه يؤكدون دوماً أنه لو نجح في مناورته مع بشير الجميل، الذي قتل (اغتيل) بعد وقت قصير من انتخابه رئيساً للبنان، لكان شارون اليوم «إلهاً» أو «ملك اسرائيل» مجدداً.

ويتولى شارون شخصياً معالجة جزء من شؤون الوزارة التي تهمه، مثل الاستثمارات الأجنبية وشؤون المستثمرين، حيث يوليهم رعاية خاصة. وتهمه مناطق التطوير كونها تختزن طاقة انتخابية جبارة. رؤساء حركة «اسرائيل الأخرى» شكروه عن طريق إعلان يبهر الأنظار، نشروه في الصحف في تموز ١٩٨٧ وجاء فيه: إنه-الوزير شارون-يذهب شخصياً لزيارة مصانع مختلفة في مدن التطوير المهملة، ليتأكد ويتحقق من حصولها على التسهيلات التي صادق على منحها لها.. يقوم بنقل واحالة صلاحيات في معظم مجالات عمل الوزارة، ويوفر الغطاء في حال الفشل، على عكس الوزراء الآخرين الذين يتنصلون من مسؤولياتهم..

لقد تعلم أريك بسرعة كبيرة في وزارة الصناعة والتجارة ما كان ينقصه، لكنه يواجه صعوبة معينة في بناء علاقات شخصية وثيقة، مع جهات وشخصيات خارج البلاد، وذلك بسبب الانطباعات والصورة السلبية المتكونة عنه. دول عديدة مثل اسبانيا أو هنغاريا، لم تتحمس أواخر العام ١٩٨٧ لاستضافة الوزير شارون. فهو يعكس سلوكاً متطرفاً تجاه أي موضوع تقريباً، سواء داخل الوزارة أم خارجها. الوزارة التي أضحت معقلاً له كما كان عليه حال وزارة الزراعة أو وزارة الدفاع، تعطيه شرعية في اسرائيل والخارج في مجالات وميادين لم يكن يفقه فيها شيئاً، مجالات اقتصادية في وزارة حكومية مركزية. اكتشف أمامه فجأة عالماً رحباً بما ينطوي عليه من قوة دفع لتقدمه الشخصي. ولا شك أن شارون يقرأ الخريطة بشكل سليم، ويعرف جيداً من أين تؤكل الكتف. فهو يسعى، من خلال مساعده الشخصي والسياسي يسرائيل كاتس، الى كسب تأييد مجالس ادارات الشركات، كمهنة حقيرة. إن مغازلته للمعسكر الديني الحريدي في سنة تبوير الأرض، التي وقعت عليه من السماء كفرصة ذهبية لا يجوز تفويتها، وذلك في سبيل توسيع دائرة المؤيدين له، إنما تسم سلوكه: التطلع للأمام، لتحقيق أهدافه، إذ لا بد من كسب المتدينين الحريديم من أجل الوصول الى رئاسة الوزراء على أكتافهم، وليس فقط الحريديم في تل أبيب «لاهط».

قال لي الوزير يوسيف شابيرا: «شارون يسعى لشراء زعماء أغودات يسرائيل وشاس ليصوتوا لصالح الليكود عند تشكيل حكومة وداخلها، لكن ليس الجميع يصوتون بهذه الطريقة في صناديق الاقتراع. شارون يحافظ على مصالح الحريديم». وقد هدد الوزير شابيرا بترك الحكومة إن لم يكفوا عن تلبية مطالب الحريديم المتزمتين في موضوع سنة التبوير. ويقول: «تمت تسوية الموضوع وسحبت تهديدي الذي أفضى بلا شك إلى التحول. بعد مباحثات مع رئيس الوزراء وسكرتير الحكومة، تحادث الحاخامات مع شارون. كان هناك خلاف مع الحاخامية الكبرى. طلبنا الاحتكام للصيغة التي حددتها الحكومة بشأن طريقة انتخاب الحاخام الأكبر، فيما يتعلق أيضاً بالخلاف في موضوع سنة التبوير والقمح. وقد سأل الحاخامان الأكبران: من أنت يا شارون حتى تذهب للأفراد [بمعنى حريديم غير منظمين]

في ما يتعلق بأحكام سنة التبوير ؟ !».

تقرير مراقب الدولة رقم ٣٧ الصادر في حزيران ١٩٨٧ (وكذلك التقرير التالي رقم ٣٨ الذي نشر في أيار ١٩٨٨) يكشف عن ثغرات خطيرة في طرق اتخاذ القرارات، ومنح الأذون في مسألة التسهيلات والامتيازات، تفضح طرق سيطرة وحكم الوزير شارون في «مملكته»، والتي لا تتمشى دوماً مع مصلحة الجمهور، كما حصل في اختيار المقرب من شارون، الجنرال (احتياط) حاييم إيرز، لمنصب مدير عام شركة «كيميكاليم اسرائيل» التي يترأسها رافي ايتان، الموالي للوزير شارون. وكما هو معروف فقد أساء «ايتان» لدولة اسرائيل في قضية الجاسوس جوناثان بولارد، حيث قام بتجنيده عن طريق «مكتب العلاقات العلمية»، دون الحصول على إذن وزير الدفاع المسؤول عنه.

فمرشح وزارة المالية اهارون فوغل، الذي كان مسؤولاً عن الميزانيات، لم يكن باستطاعته الصمود أمام ١٢ رئيس مجلس إدارة (من أصل ١٩) عينهم شارون. إذ حصل «فوغل» على تأييد أربعة فقط، مقابل ١٣ أيدوا اختيار «ايرز»، وهكذا وسع شارون بواسطة خدمه المخلصين في شركة «كيميكاليم» دائرة رجال بلاطه المطيعين لأوامره، في حين كان الخاسر هو دافع الضرائب.

أسلوب ادارة شارون المستند للإملاء والضغوط الشديدة، فضح تماماً عندما كان وزيراً للدفاع. فقد نشب صراع شديد بين الوزير والموظفين فور تسلم شارون لمنصب وزير الدفاع، وذلك إثر محاولته، كعادته، استقدام نجم جديد من مقربيه ليعينه في منصب رفيع بالوزارة، كون هذا الشخص من الموالين لـ«مشولام ريكليس» ويدعى أرييه غنغر (فبهذه الطريقة يبقى كل شيء في اطار العائلة !).

لجنة العاملين في وزارة الدفاع احتجت على «النهج» الذي سعى شارون لاتباعه في الوزارة، التي كانت معقلاً لـ«مباي» لغاية الانقلاب السياسي في العام ١٩٧٧. ثار المستخدمون على نظرية شارون التي أسموها بـ«نظرية اياك نعبد»، وأعلنوا «لن نقبل بادارة وتصريف شؤون الوزارة، كما لو كانت دولة موز ولواط عصرية» و «لن نسمح باتباع نظام يقوم على الخوف

والارهاب في الوزارة». هذه العبارات القاسية عن شارون صرح بها موشيه اشكنازي وابرهام هرئيل اللذان ترأسا لجنة المستخدمين. هكذا كان شارون أيضاً كوزير للزراعة: تبديل مناصب، استقالات، اطاحة برؤوس، كلها كانت من الأمور التي تحدث يومياً.

*

رئيسا حكومة اسرائيل الأول والثاني، دافيد بن غوريون (الذي كان أيضاً وزيراً للدفاع) وموشيه شاريت، تمكنا من رسم صورة أريك شارون منذ أوائل الخمسينيات، كل بطريقته الخاصة ووفقاً لمزاجه، غير أن كليهما عبرا عن دهشة واستغراب ازاء هذه «النبتة البرية» التي صادفاها في طريقهما.

وقد أبدى «شاريت» انفعالاً شديداً عندما اكتشف أن: أريك الشهير، قائد كتيبة المظليين، هو عضو مخلص في الحزب، يعتريه القلق ازاء انزلاق فئة الضباط الشباب إلى أحضان الكتلة الثانية». وكان قادة «مباي» العماليون في ذلك الوقت قد أولوا اهتمامهم بالدرجة الأولى الى الولاء الحزبي، أي لحزب «مباي»، بما في ذلك داخل صفوف الجيش الاسرائيلي، حيث حرصوا على تعيين الموالين لهم في مراكز قيادية رفيعة بالجيش. وكان شاريت يدعو الضابط الشاب شارون بلقب «أريك العظيم» و «قائد كتيبة المظليين، الذي له باع طويلة في جميع عمليات الثأر الانتقامية». وشيئاً فشيئاً، أخذ الشعور بالقلق من «أريك العظيم» يتنامى بصورة متواصلة وثابتة لدى شاريت، صاحب الرؤية الثاقبة والنظرة الانتقادية. ففي العام ١٩٥٥ قتل خمسة من البدو في وادي عربة، على يد مئير هارتسيون وثلاثة من زملائه، وجميعهم «كيبوتسيون» من «عين حرود» و«دغانيا (ب)». وكان الحادث عبارة عن عملية ثأر لمقتل شقيقة «هارتسيون»، من رجال شارون في الوحدة ١٠١. وقد اكتشف شاريت أن «أريك» زود الأربعة «بالسلاح والطعام والعتاد، وأقلهم مسافة طويلة في سيارة الكتيبة، كما أرسل مجموعات لتأمين طريق عودتهم». وكان رئيس الأركان موشيه ديان في صورة ما تم.

وفي ظل تأثره بالحادث، كتب شاريت في مذكراته بتاريخ ١٣ اذار ١٩٥٥، الملاحظات التالية عن المظليين وقائدهم، والتي تتطرق الى أريك شارون دون ذكر اسمه:

«إن موضوع كتيبة المظليين والروحية السائدة فيها، لا بد من أن يكونا مدار نقاش جدي بيني وبين ب. غ. في أثناء فترة «ضبط النفس» في الثلاثينيات، كبحنا نزعات الانتقام وثقفنا الجمهور في البلاد، بما في ذلك الناس البسطاء، على أن يعتبروا الانتقام لمجرد الانتقام أمراً غير جائز على الاطلاق.

وفي هذه الأيام، في المقابل، بتنا نبرر أسلوب الرد لاعتبارات عملية من دون أن نبيح، ومعاذ الله أن نفعل ذلك، مبدأ الانتقام لمجرد الانتقام، لكننا بذلك أزلنا، من دون قصد، الكوابح النفسية والخُلقية من هذه النزعة، المجبولة بالنفس الإنسانية، وبذلك أبحنا وأتحنا لكتيبة المظليين أن ترفع مسألة الانتقام إلى مستوى المبدأ الخلقي. إن هذا المفهوم شائع حقاً في أجزاء كبيرة من الجمهور عموماً، ولا سيما في أوساط جمهرة الشبان، لكنه تبلور، بل أصبح مقدساً، في هذه الكتيبة التي تحولت إلى أداة الانتقام الجماعية للدولة. إن روحية وتربية هذه الكتيبة أصبحتا في حدّ ذاتهما عاملاً مثيراً ومحفزاً لأعمال الرد. وفي المقابل، في كل مرة يرفض رئيس الحكومة اقتراحاً بشأن عملية انتقامية، تسود في أوساط الكتيبة روحية كآبة ونقمة، وتتحول بأسرها إلى قدرٍ يفور بالتحريض والتشهير بالسلطة المدنية. إن تفرد كتيبة المظليين بتنفيذ الأعمال الانتقامية، يحوّل في حدّ ذاته مسألة الردود الى مهمة دائمة بالنسبة إليها، وشبه مبرر وحيد لوجودها، ويجعلها تلقائياً تطالب بعمل لها.. ومن يدري ما إذا كانت الكتيبة لن تتحول الى وباء مستفحل لا علاج له إلا بحلها، كما جرى حل البالماح في حينه..».

ويسخر شاريت في تموز ١٩٥٥ من بن غوريون، ازاء ردّ فعله على «عملية الانتقام الطائشة والوحشية» ذاتها، التي راح ضحيتها خمسة من البدو. إذ لم يفلح شاريت في اقناع ب. غ بتقديم جنود الجيش الاسرائيلي المتورطين في الحادث للمحاكمة، وذكر بن غوريون ان شارون تلقى «توبيخاً شديداً للغاية، بحضور جميع الضباط في رتبة (مقدم) وكبار ضباط الجيش». ويعلق شاريت على ذلك بقوله: تبادلت النظرات مع غولدا (مئير) وبدا أننا متفقان حول التقليل من شأن شدة هذه العقوبة».

كان بن غوريون ينظر إلى أريك شارون بصورة ودية أكثر من شاريت. وقد أظهر تجاهه وداً عميقاً ودفئاً يصل إلى حدّ الاعجاب. ويشيد بن غوريون في مذكراته بالعملية الانتقامية الشهيرة التي جرت في قطاع غزة العام ١٩٥٥، تحت قيادة المقدم أرئيل شارون، وسميت عملية «الشجرة السوداء»، حيث وصفها بثلاث كلمات معبرة «قمة البطولة الإنسانية».

في هذه العملية التي تأثر بن غوريون ببسالتها، قُتل الرائد سعاديا الكيام (قائد سرية مظليين) وسبعة من جنوده. في حين تكبد المصريون عشرات القتلى. كذلك كتب بن غوريون في مذكراته عن عملية انتقامية أخرى قادها شارون ضد سورية، وقتل فيها ٥٠ جندياً سورياً وستة جنود اسرائيليين، وهي عملية أثارت انتقادات شديدة اللهجة في العالم، بقوله: إنها «عملية جيدة أكثر من اللزوم». وفي مقابلة صحافية صرح بن غوريون أن رجلين عسكريين اسرائيليين قد أثاروا اعجابه بفضل بسالتهما: موشيه ديان وأرئيل شارون.

علاوة على ذلك، فقد وعد ب. غ في العام ١٩٦٣ اسحق رابين بتعيينه في منصب رئيس الأركان، وفي نهاية العام ذاته وعندما توجه رابين إلى «سديه بوكير» لتهنئة ب. غ بعيد ميلاده، والأعراب عن شكره له على التعيين، توجه إليه ب. غ بطلب: «اهتم بأريك». وبالفعل لبى رابين طلب ب. غ، ورقى شارون العام ١٩٦٦ الى رتبة جنرال. رابين أيضاً كال المديح لشارون. عندما أصبح رابين رئيساً للحكومة وعين شارون مستشاراً له لشؤون الأمن، قال: إنه وجد لدى أريك «اخلاصاً ونزاهة».

في العام ١٩٥٤، وعندما كان أريك يقود الوحدة (١٠١)، وصفه رابين في كتاب مذكراته بقوله إن «نجمه خبا في ذلك الوقت كقائد لامع. الروحية الخاصة للوحدة (١٠١) أعادت للجيش الاسرائيلي ثقته بالنفس التي اهتزت نتيجة لاخفاقات العام ١٩٥٣. وقد جعلت نجاحات الوحدة اسمها على كل لسان، وحولتها الى بؤرة استقطاب للشبان الشجعان».

لقد لبى رابين طلب ب. غ الذي رأى في أريك - حسب كتاب بار زوهر - (عسكرياً فذاً..).

وقد كتب واضع سيرة حياة بن غوريون (بار زوهر): تابع ب. غ الضابط الشاب منذ فترة الوحدة ١٠١، عرف جيداً نقاط ضعفه، ودافع عنه أمام الانتقادات الشديدة والمحقة، التي

وجهها له ديان قبل وبعد عملية «قديش» (حرب ١٩٥٦). عندما كان أريك لا يزال ضابطاً شاباً برتبة مقدم، سأل ب. غ ديان إذا كان أريك وارداً بالحسبان مستقبلاً كرئيس للأركان.

وقد عرف شارون نظرة ب. غ تجاهه، وتوجه بطلب مساعدته له في عدد من الحالات، عندما كان مركزه في الجيش يتعرض للخطر. خصوم ومنتقدو شارون في الجيش كانوا كثيرين، حتى أن بن غوريون اتهمه بعدم نقل تقارير صادقة له في عدد من الحالات. ومن منطلق توجهه حسن النية بعض الشيء، قرر ب. غ تقصي مسألة التقارير الكاذبة بصورة جذرية. ففي أواخر العام ١٩٥٨، وعقب ترقيته (أريك) لرتبة عقيد، سأله (ب. غ): «إذا كان قد تخلص من الكذب». وفي جوابه «اعترف أريك أنه كان في بعض المرات لا يخبرني بالحقيقة، لكنه تخلص من هذه العادة». وبعدما اطمأن ب. غ وهدأ باله ازاء هذه المسألة، منح أريك كامل دعمه وتأييده... وقال ب. غ لـ«لسكوف» إن (لدى أريك صفات سلبية وخصال ايجابية في الوقت ذاته. أود أن يمنح فرصة ليعود الى الطريق القويم. فهو جندي مهم). وقد اهتم ب. غ شخصياً بتعيين شارون في منصب ملائم في قيادة الجيش الاسرائيلي، وانبرى في السنوات اللاحقة مدافعاً عنه سواء أمام لسكوف أم أمام تسبي تسور. زار أريك ب. غ في أحيان متقاربة، وعرض أمامه مفاهيمه وتوجهاته العسكرية. كان ب. غ مليئاً بالاعجاب (بشارون)، حيث كتب عنه «شاب مفكر وأصيل.. ولو أنه تخلص من عيوبه بعدم قول الحقيقة وابتعد عن الثرثرة، لكان قد أصبح قائداً عسكرياً يقتدى به». وفي مناسبة ثانية قال عنه ب. غ «يوجد فيه شيء من فينغيت، باستثناء الطابع الأخلاقي لفينغيت»...

ويعلل رابين في كتاب مذكراته، الأسباب التي دعته لترقية أريك شارون في الهرم العسكري القيادي للجيش الاسرائيلي، حيث كتب يقول:

«لقد قررت ترفيع شارون ليس فقط تلبية لطلب بن غوريون. فقد خرجت، كرئيس لشعبة الاركان بانطباع رائع عن عمل أريك كقائد للواء احتياط، من حيث تنظيم اللواء وتدريبه واعداد قادته وتطوير قوة محاربة بنجاح منقطع النظير، كل هذه الأمور أبرزت قدرة شارون. في الأسبوع الأول من عملي كرئيس للأركان استدعيت أريك وقلت له: إنك رجل عسكري

بارع، وهذه ميزة يعرفها الجميع، مشكلتك أن هناك من يميل للادعاء بأنك لست إنساناً. أنا لا أعرفك جيداً من هذه الناحية من الصورة العامة. أرغب بتقدمك، ولكن يجب أن أكون واثقاً من أن المتحاملين عليك ليسوا محقين. سأعينك لمدة عام واحد كرئيس لشعبة الأركان في القيادة الشمالية، وإذا قال قائدك المباشر في نهاية هذا العام بأنك تصرفت كإنسان، فإنك سترفع إلى رتبة عميد، إذاً فالاختيار الذي تواجهه هو تعاونك مع قائدك». من جهته أعرب قائد المنطقة الشمالية ابرهام يافه عن استعداده لقبول أريك. وصمد شارون بهذا الاختبار بصورة لا يرقى إليها أي ظلال من الشك، وبعد مرور عام عينته رئيساً لشعبة التوجيه والارشاد برتبة عميد».

في مقابلة مع الصحافي والكاتب أوري ميلشتاين(*) كشف أريك متى ولماذا كذب على بن غوريون، حيث قال: لم أصْدُق بن غوريون بقول الحقيقة في مرتين بالاجمال. احداهما مرتبطة بموضوع طلب مني ديان عدم كشفه، وقد احترمت طلبه. والحالة الثانية مرتبطة بما فعله مئير هارتسيون، وقد شرحت لـبن غوريون بعد ذلك بمبادرة مني تفاصيل الأحداث. قلت لرئيس الأركان ديان: إن هارتسيون وأصدقاءه يعدون للقيام بعملية انتقام خاصة عقب مقتل شقيقة هارتسيون «شوشانا»... وبسبب قلق ديان، ورغبتي في التغطية عليه، قلت لـبن غوريون إنني لم أقدم لهم أية مساعدة.. نبهني بن غوريون ازاء الكذب في موضوع هارتسيون، وذلك بحكم ما شعر به من ود وصداقة تجاهي. الآن يأتي الأقزام والصحافيون التافهون محاولين استغلال وتوظيف اسم بن غوريون لمهاجمتي. أية مفارقة سخيفة، لا بد أنه يتقلب في قبره ازاء استغلالهم لاسمه في حملتهم ضدي...».

موشيه ديان، أظهر بدوره أيضاً، سواء كرئيس أركان أو كوزير دفاع، تقديراً عميقاً لكفاءات أريك شارون العسكرية، لكنه كان متحفظاً نوعاً ما تجاهه كإنسان. ففي كتابه («منارات» سيرة حياة موشيه ديان «عيدنيم» ١٩٧٦) يصف ديان أريك شارون، عندما تعرف عليه للمرة الأولى كضابط استخبارات في الشمال برتبة «رائد» بأنه «قائد متفوق».

(*) «حدشوت» ١ / ٢ / ١٩٨٥.

ويخلع دّيان عليه هذا اللقب أيضاً عندما كان شارون قائداً للوحدة (١٠١) التي «كانت انجازاتها مثالاً يحتذى به» و . . الخ . كان شارون في نظره «جندياً جريئاً وبارعاً في القتال» .

وقد كتب ديان يقول :

كان بن غوريون أيضاً متسامحاً جداً تجاهه . . وكان لدى ب . غ نظرة خاصة تجاه ثلاثة ضباط في الجيش الاسرائيلي : حاييم لسكوف ، واساف سمحوني وأريك شارون . لم يكن لهم حباً عادياً ، بل ذاب تماماً في حبهم . . . ويتلخص القاسم المشترك بينهم في أمرين : الأول ان الثلاثة يعدون جنوداً متفوقين ، والثاني ، وهو ما يرتبط بالأول في رأيي ، نظرة بن غوريون الخاصة تجاههم ، إذ بدا أنه تتجسد فيهم شخصية اليهودي الجديد ، المعاكسة لشخصية يهودي المنفى . إنها شخصية اليهودي المحارب ، الشجاع ، الواثق بنفسه ، الملم بمهمته ، بالميدان ، بالعرب ، بالسلاح وبفطنة الحرب . . لقد كان الثلاثة في نظره هذا النوع من الاسرائيليين . لا أعرف قائداً ميدانياً أفضل من أريك . هذا لا يعني أنني لم أنتقده مطلقاً . . قلت له : إنه لا يكفي الانتصار على العرب ، بل يجب أيضاً معرفة كيفية العيش مع اليهود . . .

وشهد ديان كوزير للدفاع أثناء حرب «يوم الغفران» أن فرقة شارون : قاتلت ببسالة . صحيح أنها تكبدت خسائر جسيمة للغاية ، لكنها لم تتراجع عن مهامها . . وفي مكان آخر يقول ديان : سررت ليس فقط باللقاء معه ، بل وبروحيته الحازمة ، التي تنعكس على مرؤوسيه وعلى الثقة بالنفس التي يغرسها في نفوس جنوده . . .

هكذا رأى ووصف ديان أريك شارون ١٩٧٣ ، ولكن في حرب لبنان ١٩٨٢ و١٩٨٣ ، التي قادها شارون كوزير للدفاع ، نظم جنود خدموا في الجبهة اللبنانية مرثية مؤلفة من أربعة أبيات فقط ، قالوا فيها :

انزلي إلينا أيتها الطيارة . .
خذيني إلى لبنان
لنحارب من أجل شارون
ونعود في أكفان .

لجنة التحقيق برئاسة القاضي اسحق كاهان ، التي حققت في أحداث مخيمي صبرا وشاتيلا في بيروت ، كتبت عن شارون في التقرير الذي قدمته للحكومة في شباط ٨٣ : يجب تحميل وزير الدفاع مسؤولية إزاء تغاضيه عن مخاطر ارتكاب أعمال انتقامية وسفك دماء ، من جانب الكتائب تجاه السكان في مخيمات اللاجئين . . . اضافة الى ذلك فإنه يتحمل مسؤولية

كونه لم يأمر باتخاذ اجراءات ملائمة، تحول دون خطر ارتكاب المذبحة، وذلك كشرط لدخول الكتائب للمخيمات. هذه التقصيرات تنطوي على التقاعس عن أداء واجب كان ملقى على عاتق وزير الدفاع.. وجدنا أنه تقع مسؤولية شخصية على وزير الدفاع.. حسب اعتقادنا فإن من واجب وزير الدفاع استخلاص استنتاجات شخصية ملائمة من التقصيرات والثغرات التي ظهرت في أدائه لدوره، وإذا دعت الحاجة أن يدرس رئيس الحكومة ما إذا كان يجب عليه استخدام صلاحياته حسب المادة P21 (أ) من قانون أساس الحكومة، والتي تنص على أن «رئيس الحكومة مخول، بعد أن يبلغ الحكومة بنيته القيام بذلك، باقصاء أو نقل وزير من منصبه».

*

لم تفصل سنوات طويلة بين دعوة أريك بـ «ملك اسرائيل» ودمغه بوصمة العار إثر نشر تقرير لجنة كاهان. سارع متظاهرو «السلام الآن» لدعوته «قاتل»... يقول عنه رفيقه في السلاح خلال سنوات طويلة من الخدمة في الجيش الاسرائيلي، العقيد (احتياط) شموئيل فرسبورغر، الذي عمل سكرتيراً لقائمة «شلومتسيون»، وعضواً في مجلس بلدية القدس من طرف «حيروت»، والذي سرح من الجيش العام ١٩٧٥ بعدما تولى مناصب رفيعة في لواء المظليين: «تعرض أريك شارون للكثير من الأذى في حياته وتغير كثيراً بمرور السنوات، ومع نضوجه وتقدمه في السن. من أشد ما أثر على حياته فقدانه لابنه (غور)، الذي كان يلهو ببندقية بحضور أبيه.

كذلك فإن حرب لبنان وما واكبها من قضايا وتطورات أفضت إلى اقصائه من الحكومة كوزير للدفاع، إثر نتائج وتوصيات لجنة كاهان، غيّرته أيضاً. أصبح أكثر اتزاناً وضبطاً للنفس، واستعداداً لتقبل النقد، بشرط أن يكون جوهرياً، وأن لا يطرح في أطر واسعة.. توجد في أريك قوة غير اعتيادية وكاريزما يصعب الصمود أمامها. وهو يُقدر ويحترم بالذات الناس الذين يعارضونه، لكنه في الوقت ذاته لا يتوانى عن ركلهم وازاحتهم من طريقه. يمقت المنافقين والمداهنين ومع ذلك، ورغم ذلك فهو محاط دوماً بعدد غير قليل من الناس الذين هم على هذه الشاكلة.

مؤكد أنه سيصل إلى رئاسة الحكومة، إلا إذا ألمت به مصيبة شخصية، وسيحظى بهذا التعيين في الوقت المناسب. يجب الافتراض انه في ضوء تركيبة مركز «حيروت» واتجاه تطوره، والجهود التي يبذلها شارون نفسه لترسيخ مكانته في المركز، سوف لن ينجح ورثة

اسحق شامير في التغلب عليه (على شارون) أو التنافس ضده على المكان الأول. علاوة على ذلك فإن الارهاب المتصاعد والخطر المحيق بالمنطقة جراء الأصوليين العرب والمتطرفين على غرار الخميني، سوف يؤدي للبحث عن زعيم من طراز شارون، الذي سيضطر حتى خصومه الألداء والغوغائيين الى قبوله كحل وحيد، لمواجهة الخطر وقطع دابره.

أنا، الذي أعرفه شخصياً، وانتقدته في غير مرة، لا أرى أنه يشكل أي خطر على الديمقراطية إذا أصبح رئيساً للحكومة».

*

بنيامين زئيف بيغن، نجل مناحيم بيغن، كتب في معرض تعقيبه على خطاب شارون حول حرب لبنان في جامعة تل أبيب في ١١ آب ١٩٨٧ («معاريف» ٢٨ / ٨ / ١٩٨٧): إن وزير الدفاع السابق شارون، الذي خرج للحرب عندما كان مناحيم بيغن رئيساً للحكومة: حرّف وراوغ في رواياته حول الحرب.. ويجمل بيغن الإبن قائلاً:

الموضوع المطروح للنقاش هو مصداقية السيد شارون، ومسألة المصداقية مطروحة بحدة في ضوء ما يستشف من روايته، وادعائه الجازم، بأن «الجميع» عرفوا سلفاً أن الجيش الاسرائيلي شن عملية سلامة الجليل لانجاز أهداف خطة «أورانيم» حتى طريق بيروت ـ دمشق... يمكن اختبار مصداقية السيد شارون أيضاً من خلال كونه لم ينفِ بعد، أنه أمر بقصف المخربين في بيروت في ١٢ آب ١٩٨٢، دون علم الحكومة.. لكن تقدير مواطني اسرائيل له أهمية بالغة من ناحية المستقبل. فمن الجدير أن تخضع مسيرة السيد شارون، وهو الذي يسعى دون كلل لزعامة حركة حيروت، ومن خلالها لرئاسة الحكومة، لعملية تمحيص دقيقة. أعتقد، وأنا أعبر بذلك عن رأيي، ان السيد شارون ليس أهلاً للثقة.

هذا ما قاله بيغن الابن، لكن بيغن الأب التزم الصمت، انحبس لسانه وصار كالأبكم. ربما كان صمته الرهيب، يعود أيضاً إلى الدعم المطلق الذي منحه لشارون.

في ٣ / ٦ / ٨٢ وقع حادث اغتيال سفير اسرائيل في لندن شلومو ارغوب، والذي كان بمثابة عود الثقاب الذي أشعل فتيل حرب لبنان. في اليوم التالي، ٤ حزيران، قال رئيس الوزراء بيغن في جلسة الحكومة: «سادتي، بعد عملية الاغتيال هذه، ومن حيث عمليتنا، علينا أن نكون مستعدين إلى أقصى حدّ. لا يعقل أن يتمكن هؤلاء الأشرار من المسّ بسفرائنا. لدينا عشرات السفراء في العالم.. يجب أن نتغلب عليهم».

ـ ١٠ / ٦ / ٨٢، بيغن في جلسة الحكومة: «هناك أشخاص معادون لنا، وهذا شيء طبيعي.

يوجد دولة يهودية، لديها جيش قوي، ويوجد لنا معادون، من يعادينا يحاول التأثير بحجة واحدة، وهي أننا مخادعون. خدعنا مَن؟ ما هذا الكلام الفارغ؟ إنها معركة، ما الذي يريدونه؟ هل يمكن أن تقاس الأمور بالمسطرة في ساحة المعركة؟ يمكن اطلاق النار علينا من مسافة ٣٠ - ٤٠ كم، أم انه يجب علينا أن نسمح بذلك؟ لا يقولون: ربما أخطأوا، ربما اضطروا، بل يقولون: انهم يخادعون. لكننا سنتغلب على كل ذلك أيضاً» ويضيف «عدت وشرحت أهمية وحيوية تواجدنا على طريق بيروت ـ دمشق.

هذا الأمر سيحرم السوريين امكانية السيطرة في لبنان، وفي بيروت، وتشكيل حكومة دمى مع رئيس يخضع لإمرتهم. لذلك، ومن ناحيتنا، فإن هذه نقطة حساسة جداً».

ـ ٢٤ / ٦ / ٨٢، بيغن يُجمل في جلسة الحكومة: «حسب الاقتراحات التي قدمت، لم تكن هناك ولو وجهة نظر واحدة تناقض الاقتراح الذي قدمه وزير الدفاع ورئيس الأركان. جرى نقاش جادّ ومهم للغاية.. وأعتقد ان بإمكاني ان أجمل فيما يتعلق باستيلائنا على طريق بيروت ـ دمشق، ان عملية كهذه قد أُقرت متمنين النجاح».

ـفي ٥ / ٧ / ٨٢، قال شارون في جلسة الحكومة:

«ادعى وزراء انهم لم يبلغوا عن موضوع التقدم. رئيس الوزراء ردّ بأنه صادق على هذه العملية [التقدم في المنطقة ورفع الحصار عن بيروت] إذ لم يكن متاحاً لأسباب مختلفة دعوة الحكومة للاجتماع. أنا أقول دوماً، إن المسؤولية تقع على الحكومة.. هذه معركة يجب ادارتها، وليس هناك دولة تدار فيها معركة بهذه الطريقة، بحيث تتخذ الحكومة بكاملها القرارات. في المعركة حول جزر فوكلاند لم تدع السيدة تاتشر لعقد ولو جلسة واحدة لمجلس الوزراء».

رئيس الوزراء بيغن أجمل مطالباً بالحدّ قدر الامكان من عمليات القصف خلال الأيام المقبلة: «قلت لوزير الدفاع: إنه إذا أصيب جنودنا فإن من واجبنا توجيه ضربة قوية. وقد قررنا في حينه أن هذا يعني أيضاً الرد بحراً وبرّاً وجواً. فالجيش لا يستطيع بأي حال تحمل وقوع هجمات دامية من جانب واحد. وإذا أطلقوا عليه، فهو ليس ملزماً بالرد في المكان نفسه، وبنفس النوع من السلاح. يمكن الحدّ من الرد، لكن إذا أصيب جنود لنا، يجب الرد. أطلب أن تصادق الحكومة على هذه السياسة».

وقد صادقت الحكومة.

بين ٢١ آب والأول من أيلول ١٩٨٢ طُرد المخربون من بيروت الغربية: ١٤,٩١٨ رجلاً بما

في ذلك قوات سورية. ولخص شارون الحرب في لبنان «بعد صراع عسكري عنيف، وصراع سياسي من أشد وأخطر الصراعات التي خضناها، انتهت مملكة ارهاب منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت ولبنان ـ مركز الارهاب المحلي والاقليمي والدولي ـ ولم تنهض من أنقاضها حتى اليوم..».

*

في ١١ كانون الأول ١٩٧٣، قبل حوالي عشر سنوات من اجمال شارون لدوره في حرب الغفران، توجهت إليه في مزرعته بـ«روحاما» لأستمع الى اجماله وخلاصة وجهة نظره حول حرب «يوم الغفران» التي تولى خلالها قيادة فرقة مدرعة (جنرال احتياط)، اجتازت قناة السويس بعد معارك ضارية، وسط تكبد خسائر جسيمة. في ذلك الوقت، كما في حرب لبنان، كان شارون عسكرياً مثيراً للجدل، ينقسم الشعب بين مؤيد ومخالف له.

وقد لخصت حديثي معه في كتابي (الصدمة (الجنرال) ـ شوكن ١٩٧٤) «... يتحدثون عن حروب لدينا. حرب الاستقلال كانت حتمية. بعد ذلك جاءت عملية الانتقام، وهي النظرية التي سادت في تلك السنوات. لم يكن ممكناً في ذلك الوقت مواجهة عمليات الارهاب بطريقة أخرى، واعتقدت أنها كانت طريقة صحيحة، فقد قدّمتْ اسهاماً كبيراً، وبنت بلا شك الجيش الاسرائيلي في الخمسينيات. عمليات الانتقام هذه كانت ضرورة ملحة اجبارية، حرب ٥٦ لم تكن اجبارية، لكنها وضعت اسرائيل على الخريطة العالمية ليس كدولة وانما كقوة عظمى صغيرة، على الأقل من الناحية العسكرية، وقد كان لذلك فوائد كثيرة ظهرت في وقت لاحق. كانت لدى بن غوريون حساسية بالغة تجاه حرب ٥٦. فقد ساد شعور بأنه كان بالإمكان منع الحرب، تفاديها. لا يمكن الاستناد لذريعة وجود قواعد مخربين، لكن حرب ٥٦ وفرت لنا عشر سنوات من الهدوء على الجبهة المصرية. هذه الحرب كلفتنا ١٥٠ قتيلاً، لكنها أتاحت لنا المرور عبر مضائق تيران، ولا أعتقد أنها (حرب ٥٦) أفضت إلى حرب الأيام الستة، التي كانت حرباً محتومة. أعتقد أنه كان بالامكان تأجيل أو منع وقوع الحرب الأخيرة، حرب يوم الغفران، وقد قلت ذلك في الحكومة. وأعتقد أنه لو تم الاعلان عن تجنيد علني (لقوات الاحتياط) لما كانت هذه الحرب قد نشبت. العملية الوقائية لسلاح الجو لم تكن تستطيع منع الحرب، فسلاح الجو لم يكن أصلاً يستطيع شن غارات بسبب وجود الصواريخ المضادة. لذلك فإن هذا الاقتراح لم يكن يعني أو يساوي شيئاً. لو حصلت تعبئة كاملة، لكانت الحرب قد تأجلت إلى حين هبوط يقظتنا. أعتقد أنه كان يمكن

منع هذه الحرب . .

الحروب تجعلني أشعر بأسف كبير وألم شديد، حيث يقتل اصدقاؤك بجانبك وتسيل الدماء. هذا الأمر ينتابني بعد فترة. أثناء الحرب لا أتفرغ للتفكير بذلك. عندما توقف اطلاق النار كنا قرب ضواحي الاسماعيلية التي وصلناها بعد معركة ضارية. كان ذلك في حوالي الساعة السابعة مساءً. اتصلت من المكان الذي تواجدت فيه بزوجة صديقي «زيفلي» الذي تطوع للحرب، وقتل بالقرب مني في طليعة القوات. قلت لها بضع كلمات، وفجأة توقفت الحرب. ساد نوع من الهدوء. كانت تعلم بموت زوجها، لكنني تحدثت معها من الميدان، مباشرة بعد أن ساد الهدوء، عليّ أن أقول: إن هذه كانت المرة الأولى التي تدمع فيها عيناي. . . أذكر أنني ابتعدت عن عربتي المصفحة، ووقفت على حافة قناة المياه الحلوة، بينما كان الجنود يقفون الى جانبي. هذا ينتابك بعدما تنتهي المعركة. أثناء القتال لا تستطيع أن تتفرغ لذلك. . فأنت مجبر على عزل نفسك عن الموضوع كلياً. . فلديك شيء عليك أن تقوم به. . أنت تخوض غمار حرب. . ولديك مسؤولية تجاه آلاف الناس. لا تستطيع بأي شكل من الأشكال أن تفكر بالقتلى أثناء المعركة، لكن ذلك ينتابك في وقت لاحق. إنني أفكر كثيراً في كل الموضوع، أفكر بأولادي. . . أعتقد أنه يجب محاولة التوصل إلى تسوية مع العرب، لكنني متشكك في امكانية التوصل الى تسوية.

لقد تحدثنا مراراً حول ذلك في الماضي، وحول خطط قدمتها، هناك أراضٍ يمكن التنازل عنها، وهناك أراضٍ ومناطق لا يمكن التنازل عنها. ولن يوافق العرب على تسوية إن لم نتنازل عن كل الأراضي، عندئذٍ لن تكون هناك تسوية. إذاً، يجب مواصلة العيش ضمن الوضع الحالي. فالدولة ستستمر في البقاء، ولماذا لا تبقى؟ يجب محاولة التوصل لتسوية. .».

شارون في كانون الأول ١٩٧٣، وكان لا يزال في بزة الجنرال.

بعد ذلك وقعت حرب لبنان التي أطلقوا عليها «عملية سلامة الجليل». . هل كانت هذه الحرب حتمية؟ فحرب «يوم الغفران» كان «بالإمكان تأجيلها أو منعها» كما قال شارون في ١٩٧٣، فلماذا لم يكن بالامكان منع حرب سلامة الجليل في ١٩٨٢؟!.

*

إن أريك شارون مِلْحُ هذه الأرض الشقية، المنكوبة، التي يعيش فيها كشجرة الصحراء. إن فيه كاريزما خطيرة، وكثيراً ما يكون أيضاً مجرد فكرة خرقاء. اقطاعي وكولاك في آن واحد، عسكري فذ، وسياسي طائش. . إنه ليس بـ«ملك اسرائيل»، لكنه أيضاً ليس «قاتلاً».

أريك شارون هو عدو نفسه.